سلسلة ابحاث كتابية ١٠/٩

روايات الآلام والقيامة

تأليف: الاب بييربنوا الدومنيكي
نقله الى العربية: الاب بيوس عفاص

بيبليا للنشر
بغداد ٢٠٠٦

ظهر في
سلسلة "ابحاث كتابية"
منشورات مركز الدراسات الكتابية
الموصل - العراق

سلسلة بيبلية تصدر عن م. د. ك لتمكن القراء من الدخول الى عالم الكتاب المقدس وفق منهج علمي رصين وتوجه راعوي اصيل كتب مؤلفة او معربة تسهم في جعل كلمة الله المدونة سهلة المنال وعذبة المذاق وهي ترسخ اسس الوحدة في قلب الجماعات المسيحية التي تقرأ الكتاب المقدس لتتغذى منه وتشهد له

١- قراءة مجددة للعهد الجديد
تأليف: الاب بيوس عفاص — م. الديوان/ بغداد ١٩٩٩

٢- يسوع الذي من الناصرة
بقلم مرقس الانجيلي — تأليف: الاب ماري - اميل بوامار
تعريب: الاب بيوس عفاص — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٢

٣- قراءة في العهد القديم/ ج١: قبل الجلاء
تأليف : اربعة اختصاصيين في ك. م.
تعريب: الاب بيوس عفاص — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٣

٤- قراءة في العهد القديم/ ج٢: من الجلاء الى يسوع
تأليف: اربعة اختصاصيين في ك. م.
تعريب: الاب بيوس عفاص — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٤

٥- قراءة في العهد الجديد/ ج١: الاناجيل الاربعة
تأليف: اربعة اختصاصيين في ك. م.
تعريب: الاب بيوس عفاص — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٤

٦- قراءة في العهد الجديد/ ج٢: اعمال الرسل ، الرسائل، الرؤيا
تأليف: اربعة اختصاصيين في ك. م.
تعريب: الاب بيوس عفاص — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٤

(وتؤلف الاجزاء الاربعة مدخلا متكاملا إلى الكتاب المقدس، تضمه علبة انيقة)

٧- الكنيسة التي ورثناها عن الرسل
تأليف: ريموند براون
تعريب: المطران جرجس القس موسى — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٥

٨- لوقا-الاعمال/ وعد التاريخ
تأليف: دونالد يوئيل
تعريب: الاب البير ابونا — م. الديوان/ بغداد ٢٠٠٦

في الموصل تطلب كافة منشورات م. د. ك. من : مكتبة بيبليا / كنيسة مار توما (ومن مكتبات الكنائس)

في بغداد تطلب كافة منشورات م. د. ك. من: مكتبة الابداع/ مركز جبرائيل دنبو الثقافي في الصورة (ومن مكتبات الكنائس)

صورة الغلاف : الصلب والقيامة، المشهدان متقرنان، ويمس احدهما الآخر
منمنمة من مخطوطة سريانية للاناجيل منسوبة الى رابولا اسقف الرها - ٥٨٦
(متحف فلورنسا - ايطاليا)

روايات

الآلام
و
القيامة

العنوان بالفرنسية:

Pierre BENOIT
Passion et Résurrection
du Seigneur
(Lire la Bible, No. 6 bis)
Ed. du Cerf, Paris 1985

الاب بيير بنوا

روايات

الآلام والقيامة

بحسب الانجيليين الاربعة

نقله إلى العربية
الاب بيوس عفاص

منشورات
مركز الدراسات الكتابية
الموصل ـ العراق
٢٠٠٦

لِيُطبع

+ المطران باسيليوس جرجس القس موسى

الموصل في ٢٠ حزيران ٢٠٠٦

مقدمة المعرب

"روايات"؟! قد تكون تلك أولى ردّات الفعل على كتاب "يــروي" ما يقوم عليه الايمان المسيحي في اساسه! ولْنَقُلْها للحال: أليس الانجيل شهادة "رواها" أربعة انجيليين، هم في الواقع مؤلفون ولاهوتيون، وبالتالي شهود ايمان لدى جماعات مسيحية، لها ومن اجلها "يروون"، وبهــدف ترسـيخ ايمانهـا يدوّنون، ولحملها على الشهادة للقــائم مــن بــين الامــوات يــشهدون ويستشهدون! فلا ضير البتة أن يُقال: الانجيل "بقلم" مرقس، أو كما "رواه" متى، أو كما "رتّبه" لوقا، أو كما "رسمه" يوحنا! أليس الانجيل بالتالي "بشرى" سارة لكل الذين يتلقونها ويتجاوبون معها في الايمان؟

و"روايات الآلام والقيامة" هي جزء صغير مــن مجمــل الروايــات الانجيلية، ولكنها تحتل مكان القلب منها، طالما أنها تــصدي بعمــق لــذاك الناصري المعلّق على خشبة العار، والذي "أقامه الله وجعله رباً ومسيحاً"! إنها لا تؤلّف برمتها سوى ١٣ فصلاً من مجموع الــ٨٩ فصلاً: فصلين لــلآلام بحسب كل انجيلي، فيما لا تتجاوز روايات القيامة كلها خمسة فصول! وهذه الفصول الخمسة متأخرة نسبياً عن رسائل القديس بولس، وهو أول من رجّع صدى الكرازة الرسولية، عبر ما اعتدنا أن نسميه "أول قانون ايمان" نقله لنا في رسالته الاولى إلى أهل قورنتس (١٥ : ٣-٤) في حدود العام ٥٧، وقبــل أن يضع مرقس انجيله: "... المسيح مات من اجل خطايانا كما في الكتــب، وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وتراءى ...".

إنها قصص تتوسع في صيغ الايمان القصيرة التي انطلقت منها المناداة (كيروكما) الرسولية، في محاولة لمقاسمة الخبرة الفصحية مــع مــؤمنين مــن الأجيال اللاحقة... وكونها قصصاً، لا يقلّل من أهميتها، طالما أنهــا رسمــت للمؤمن -الذي لم يكن هناك "حين جاء يسوع"!- طريقاً إلى الايمان بالمــسيح

الحي واللقاء به. فالروايات الانجيلية، كلها كُتبت في ضوء القيامة، تلك الحقيقة الكبرى التي قامت على الربط الوثيق بين حدثين تاريخيين: حدث موت يسوع مصلوباً من جهة -وقد وثقته الشواهد التاريخية-، ومن جهة أُخرى، حدث نشوء الجماعات المسيحية، منذ منتصف القرن الأول -وهو الآخر حدث لاغبار على تاريخيته- وهذه الجماعات لا تنفك تعلن أن يسوع هو المسيح، وانه حيّ، وهي تحيا به وتحتفل بذكراه وتشهد له ...

نحن, إذن، بإزاء ١٣ فصلاً اتخذت "روايات الآلام" الحصة الكبرى منها، وقد رُويت اولاً في نطاق اللقاءات حول "عشاء الرب"، حين كانوا "يكسرون الخبز في البيوت"؛ وذُوّنت لتروي وتفسّر وتؤوّن معنى "كسر الخبز"، وهو علامة حضور المسيح الناهض الذي كانت حياته عطاءً سخياً وبذلاً كاملاً حتى الموت، موت الصليب!

أما "روايات القيامة"، فلا تكاد تشكل سوى نسبة ٤/١، وقد تمحورت حول "القبر الفارغ" من جهة، وحول "الترائيات" من جهة أُخرى؛ ولن نصاب بالدهشة إذا ما علمنا أن نص مرقس الأصلي لم يكن يتضمن تراثيات! وليس في هذا ولا في النسبة الضئيلة ما يعثّر! ذلك أن الانجيليين لم يتوقفوا لحظة عن إضفاء نور القيامة على كل ما رَووه من حياة يسوع: روايات هي حصيلة خبرتهم الايمانية وخبرة ايمان الجماعات المسيحية التي منها وإليها توجّهوا باناجيلهم. ويكفينا يقيناً ما سجّله كاتب الانجيل الرابع بصدد أحداث وأقوال من حياة يسوع لم يكن التلاميذ قد فهموها في حينه (الحديث عن الهيكل ٢:٢٢؛ عن الماء الحي٧:٣٩؛ هتاف السعانين ١٢:١٦)، ومن ثم ادركوها في ضوء قيامته: "... ولكنهم تذكّروا بعدما مُجّد يسوع"! ومثل هذا الفهم سيُضفي نوراً عن حياة يسوع برمتها... وهكذا ستتوضح لديهم الرؤية بأنه "ابن داود الذي عرشه لايزول" وانه "المخلص، المسيح الرب"، "عمانوئيل"-الله معنا-، "ابن الانسان" الذي أُقيم دياناً للأحياء والاموات ...

تلك هي الحال أيضاً بالنسبة إلى روايات الآلام التي أضفى عليها كل انجيلي رؤيته الايمانية، وهي حصيلة تأمل الجماعة المسيحية في آلام ذاك النبي من ناصرة الجليل، وقد اكتشفت مكانته في "التدبير" الخلاصي، ورأت فيه، في ضوء الفصح والأسفار المقدسة، المشيح الذي تمّت فيه كل الوعود السابقة، إذ وضع الله فيه كل رضاه، واعلنه "ابنا" يجب أن يَسمع له الجميع!

وهكذا كان بحق "ابن داود، الملك الآتي باسم الرب"، "عبد يهوه المتألم"، البار المُهان والمرفوع، "ابن الانسان" الذي أُوتي كل سيادة وسلطان ومجد، "ابن الله"... وهكذا كانت تلك المراجع الكثيرة من الأسفار المقدسة بمثابة إضاءة لا مثيل لها على الأحداث المأساوية، حتى ان اسلوب تطبيقها على يسوع فسح المجال أحياناً لتصوّر خاطئ بدا يسوع بموجبه وكأنه يمثّل دوراً "مكتوباً" عليه!! ولاسيما اثر عبارات من مثل: "كان هذا ليتم ما قيل بالنبي ..."، "لكي يتم الكتاب قال..."، "يجب على ابن الانسان أن يُسلَم..." -وهي عبارات تفسّر الاحداث، بعد حدوثها، بفضل الكتب المقدسة وبنورها.

وكما اتسمت روايات القيامة بتنوع فريد لدى كل من الانجيليين، انطلاقاً من قصة "القبر الفارغ" وانتهاءً بـ"الترائيات"، هكذا اتسمت روايات الآلام بفرادة تَميَّزَ بها كل انجيلي في سرده الأحداث، كما في إضفاءاته واستشهاداته بالاسفار. ذلك أن كلتا الروايتين متأصلتان في سياق كل انجيل، كما أراده مؤلفه، وتعكسان وجه يسوع الذي أراد الانجيلي أن يسلّط عليه الضوء؛ وكلتاهما كُتبتا بهدف تعليمي واضح: يسوع الناصري المصلوب قد "أقامه الله، وجعله رباً ومسيحاً"، ونحن جميعاً معنيّون ومدعوون إلى اللقاء به، في الايمان، والشهادة له حتى اقاصي الارض، والمشاركة في آلامه على أمل المشاركة معه في المجد!

من هنا برزت فرادة مرقس في رواية القيامة حين تعمّد أن يترك السر قائماً أبداً، طالما أن طريق يسوع الناهض من الموت هو ذاته طريق الآلام! وتجلت فرادة متى بترائي يسوع للمرأتين، فضلاً عن الترائي الفخم للأحد عشر، على الجبل، بصفته "ابن الانسان" الذي أُولي كل سلطان في السماء وعلى الارض ...؛ وامتاز لوقا بلوحة ذات ثلاثة أوجه، وعلى مدى يوم طويل، احتلت فيها قصة تلميذَي عماوس-وقد عرفا القائم لدى كسر الخبز- مكان القلب منها، لتُخلص إلى تراء للأحد عشر تم فيه فتح اذهانهم، وخُتم النهار بصعود الرب! وتجلّت فرادة يوحنا بقصة المجدلية التي "رأت الرب"، وقد عُهدت إليها مهمة ابلاغ البشرى إلى الاخوة، فضلاً عن تراءٍ للتلاميذ: مرة اولى من دون توما، حين وَهب يسوع الروح، ومرة أُخرى مع توما، لتتمخّض عن رسم الطريق إلى رؤية الرب القائم، ودوماً في الايمان: طوبى لمن يؤمن ولم يرَ؟

أما في روايات الآلام، فقد انفرد كل انجيلي بقصة مُحكمة، أراد من خلالها أن يعكس وجهاً ليسوع هو ذات الوجه الذي سعى إلى رسم ملامحه على مدى انجيله: فمع مرقس نجدنا بإزاء رواية تعرض علينا الأحداث في عُريها ومأساويتها، دون أن تخشى المعثرة التي تثيرها آلام البار؛ فهو يريدنا أن نؤمن بأن البلوغ إلى يسوع الحي والممجَّد، يمرّ عبر الألم والموت! أما متى، فروايته ذات هدف تعليمي واضح: ذلك أن أحداث الآلام لا تُفهم إلا في ضوء ايمان الكنيسة التي قرأتها وتقرأها في نور الاسفار المقدسة، لذا بدا يسوع سيد الأحداث الذي "يُتّم" الكتب. وجاءت رواية لوقا، بترتيبها وتماسكها ورقتها معاً، لتحثّ القارئ على الوقوف إلى جانب يسوع، وتحمله على التعلّق به واتّباعه على درب الآلام مهما كلّف الثمن؛ وطلع علينا يوحنا برواية هي في منتهى الرفعة والشموخ ورسوخ الايمان، وقد جعل من الآلام مسيرة ظافرة كونها صعوداً إلى عرش الصليب، عرش المجد، وفقاً للكتب التي تتخذ كل معانيها في ضوء الايمان الذي يفيضه الروح القدس.

أيها القارئ الكريم،

حين ظهر كتاب "قراءة مجددة للعهد الجديد"، لسبع سنوات خلت -وهو الأول في سلسلة "أبحاث كتابية"- ، لا أخفي أنه أثار ردات فعل مختلفة، منها الايجابي ومنها السلبي، ومنها الساذج.. ولعل أكثر الردّات سذاجة تلك التي بَدَوْتُ فيها وكأني طلعتُ بانجيل جديد!! لقد كان الكتاب محاولة جادة في مجال البحث البيبلي، كونه طرح قراءة ايمانية سلّطت الضوء على حدث يسوع الناصري، المصلوب والممجَّد؛ وكان جل هدفها أن تصبح حقيقةُ قيامة المسيح أكثرَ مصداقية وأعمق بُعداً وأوسع متطلبات... وكما كانت هذه الحقيقة الكبرى حاضرة أبداً في طيات الانجيل وفي كل تضاعيفه، هكذا كان موضوع القيامة حاضراً في كل صفحات "القراءة المجددة" ولاسيما في فصلها السابع الذي تناولها "حقيقة ايمانية" -وهي في جوهرها فعل وفاء الله مع يسوع، وبالتالي وحي كشفه الله للجماعة المؤمنة التي تلقته في الايمان- ، كما في فصلها الثامن الذي انكبّ على تحليل لروايات القيامة، وقد بدت متحدة في جوهرها، متباينة في تفاصيلها، وهي في جوهرها دعوة إلى عيش خبرة اللقاء بالرب القائم، واكتشافه من خلال تجلياته في علامات "حسّية"؛ ولعل أبلغها علامة "كسر الخبز" بُعديه الليتورجي والخدمي.

واستسمح القراء عذراً إذا تمنيت -وقبل أن يباشروا بقراءة هـذا الكتاب- أن يعودوا إلى هذين الفصلين ليحيطوا بابعـاد هـذه الحقيقـة في مفهومها لدى بني اسرائيل، وفي مضمونها الايماني لدى المسيحيين الاولين، وفي انعكاساتها الواقعية على الحياة المسيحية.

ومن مفارقات تلك "القراءة"، انها لم تدرج "روايـات الآلام" إلا في الفصل التاسع، بهدف التأكيد على انها كلها كُتبت في نور القيامة -وهي في جوهرها روايات مفعمة بالايمان بالمسيح الحي الذي لم يدخل إلى مجده إلاّ عبر الصليب! وخلاصتها تكمن في هذا الاعلان بحسب لوقا: " كُتب أن المـسيح يتألم ويقوم في اليوم الثالث ..."(لوقا٢٤:٤٦) -ومن الواضح أننا لسنا بإزاء إشارة زمنية، وإنما بإزاء مدلول لاهوتي يشير إلى أن "يوم يهوه"، يـوم آخـر الأزمنة (يوم القيامة العامة)، قد جاء بقيامة يسوع، بكر من أُقيم مـن بـين الأموات. وكما أبينا أن نرى في روايات القيامة تقارير مباشرة، هكذا نأبى أن نقرأ روايات الآلام وكأنها ريبورتاجات من موقع الأحـداث، نقلـها إلينـا انجيليون ليسوا هم شهود عيان بقدر ما هم شهود ايمان لـسر آلام المـسيح وموته على الصليب، موت لم يصبح "فدائياً"، وآلام لم تصبح "خلاصـية" إلا بعد أن استنارت بنور القيامة والأسفار المقدسة.

اما المفارقة في هذا الكتاب الذي اضعه بين يديك، قارئي الحبيـب، فهو أنه احتوى على ١٣ فصلاً، وكأنها تقابل الـ١٣ فصلاً مـن روايـات الآلام والقيامة في الاناجيل: تسعة للآلام وأربعة للقيامة! وتكاد تكون عـين النسبة التي تمثّلها فصول الاناجيل: ٨/٥! أما اختياري هذا الكتاب لنقلـه إلى قراء العربية، فكان له سببان: اولهما، اني عرفت مؤلّفـه في المعهـد البيبلـي الآثاري بالقدس، وهو ذو شهرة عالمية، عبر نتاجاته المتخصـصة العديـدة؛ وثانيهما، أنه وُفّق في الدمج بين التفسير البيبلي الجاد الذي يتجنـب الآليـة العلمية وبين الاسلوب السلس والشيّق الذي لم يخلُ من البُعـدين اللاهـوتي والراعوي -وقد كتب هو ذاته في المقدمة:"وسيكون التفسير لاهوتياً أيـضاً، فلا يكتفي بشرح النص حرفياً، بل يسعى إلى التوغل في العمق، ممـا يتـيح للقارئ أن يسمع كلمة الله من خلال كلام البشر...". ومع أن طبعته الاولى ترقى إلى عام ١٩٦٦، فقد وجدتُ طروحاته ملائمة لقرائنا في الوطن العربي، وهم بعدُ في خطواتهم الاولى على طريق الدراسات الكتابية! ذلـك أن الاب

بنوا متحفّظ في طروحاته (كما في معاشرته!)، وتحفّظه لا يَخفى على القارئ اللبيب! إنه يتجنب الاثارة، لكنه يدع المجال مفتوحاً لقراءات اخرى قد تكون أكثر جرأة! فلقد كان، في الستينات، غداة المجمع الفاتيكاني الثاني، مع زميله الاب ماري – اميل بوامار (اقرأ كتابه: يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي)، في طليعة الرواد في عالم البحوث البيبلية.

●

وختاماً، لابد لي من كلمة اقولها في ظروف الترجمة: ففي دمشق، في ايلول ٢٠٠٤، كان انتظاري سمة الدخول إلى تايلاند (لمؤتمر الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة)، فرصة للانكباب على الترجمة؛ وتواصلت بعد العودة، ولاسيما حين حتّمت عليَّ الظروف الأمنية، طيلة العام، ملازمة طاولة العمل، وبمعدل بضع ساعات في اليوم، وعلى مدى بضعة اشهر! وهكذا بلغ الكتاب، بعد مخاض دام قرابة سنتين، إلى ما هو عليه، فأخذ رقمُه المزدوج (٩-١٠) مكانَه في "السلسلة". واني على يقين من أنه سيُقرأ وكأنه "قصة حب"! -وهي بالفعل قصة حب، لأنها كُتبت بحب!- ولَكم أتمنى أن تاخذ هذه القصة بمجامع القلب وتحمل قرّاءَها على عيش خبرة اللقاء بالمسيح الحي والشهادة له في الحياة اليومية...

ولا يسعني سوى أن ارفع أعمق الشكر والامتنان إلى اللواتي حوّلن مسوّدة الكتاب -وكانت مسوّدة بكل معنى الكلمة!- إلى عالم الحاسوب الفسيح، مما أتاح لي بيسر تصحيح ترجمته وضبطها وتحسينها ... وفيما انكبت انامل واثقة على تصحيح أخير، راحت أنامل اخرى رقيقة تنسّق صفحاته -ولاسيما نصوص الازائية- ليظهر في كمال حلّته، حاملاً في واجهته لوحة من التراث السرياني العريق، هي منمنمة رائعة من القرن السادس، كَمُنت فرادتها في أنها جمعت مشهدَي الصلب والقيامة! ذلك أن المصلوب -بعينين مفتوحتين ورداء ارجواني مذهّب- هو مسيح ملك على عرش المجد، مسيح يسقط حراسه ارضاً، فيما "يُري ذاته" -في شخص المرأتين- لكل من يتلقى البشرى ويقبلها بحب، في الايمان!

سد الموصل، في ١٥ أيار ٢٠٠٦ **الاب بيوس عفاص**

مقدمة

هذا الكتاب هو ثمرة محاضرات القيت مرات عديدة على جماعات مختلفة من المستمعين. لذا احتفظ عمداً بالنبرة المباشرة، لا بل الحميمة، التي يتسم بها عرض تلقائي،عبر لغة سهلة، بعيدة عن الكيلسة في الاسلوب. وهو يتجنب، في الوقت ذاته، الآلية العلمية كي يتسنى للمستمع او القارئ غير المختص أن يتلقاه بيسر. وهذا لا يعني انه يتبنى اسلوباً ادبياً للتأمل التقوي، ولكنه، فيما يفسح المجال احياناً لاعتبارات روحية، يهدف، قبل كل شيء، إلى طرح تفسير بيبلي للنص. ويتسم هذا التفسير بالجدية، معتمداً طروحات جادة . حتى وإن لم تظهر قط، اما الحواشي القليلة، فهي تهدف فقط إلى اضاءة النص، وتتحاشى عمداً ذكر مصادر البحث، حتى العامة منها، في هذا الموضوع الذي تزخر به.

وسيكون التفسير لاهوتياً أيضاً، فلا يكتفي بشرح النص حرفياً، بل يسعى إلى التوغل في العمق، مما يتيح للقارئ ان يسمع كلمة الله من وراء كلام البشر. وبالحقيقة، فعلى هذا الصعيد المزدوج: النقد الادبي والتاريخي من جهة، والتعليم اللاهوتي من جهة اخرى، تتمنى هذه المحاضرات تقديم عدد من المواضيع للتفكير.

وغني عن القول ان النقد الادبي يجد هنا موقعاً مميّزاً. فالإنجيليون الاربعة يسيرون جنباً الى جنب، داعين إلى مقارنة من شأنها ان تبرز سماتهم الشخصية وعلاقاتهم المتبادلة وتقاليدهم المشتركة او المختلفة، فضلاً عن مصادرهم وكيف تعاملوا معها. وتقدّم بالفعل هذه

المقارنة، في رأس كل فصل، عبر النصوص المعدة للتفسير، والمثبتة في أعمدة متوازية، وتسعى الشروحات التي تليها إلى تحليلها والتوسع فيها[1].

وسيكون كل إنجيل، اولاً، موضوع قراءة خاصة في حد ذاته، بهدف ابراز سمات الاسلوب والمضمون اللذين ينفرد بهما كل مؤلف. وهكذا يتاح لنا ان نتعرّف على لغة مرقس المباشرة، ذات اللون الخاص، والتي تنقصها الدقة احياناً، مع انها تتسم بالعذوبة؛ وعلى تعابير متى التي تبدو مشذبة اكثر، مع كونها اكثر عقلانية، وإن رافقها قليل من الجفاء؛ كما على اسلوب لوقا الدقيق والرفيع، هو الذي عرف كيف يتشبه بكتّاب عصره، دون ان يُفلت -في اغلب الاحيان- من الرغبة في الاقتداء بلغة الترجمة السبعينية؛ واخيرا على اللمسة الواضحة والسليمة، ولكنها في منتهى البساطة، لدى يوحنا الذي لم تحُلْ قلة الوسائل الادبية التي كانت في حوزته دون تحليقه في سماء الفكر الرفيع.

وسرعان ما تأتي المقارنة. فهي، مع تأكيدها، بشكل أكبر، على هذه السمات الخاصة، تحملنا على اكتشاف العلاقات الوثيقة بين الإنجيليين. وهنا، اكثر من أي مكان اخر من الانجيل، نرى متى يتبع مرقس عن كثب ويستخدمه، ويُجمّله ويكمّله بتفاصيل تغلب عليها البساطة. ولوقا، هو الآخر، يتبع مرقس، إلا انه يعرف تقليداً آخر مكّنه من الإدلاء بعناصر جديدة وبترتيب افضل للاحداث. اما يوحنا، فهو يتبع تقليده الخاص، وقد كان له ولا شك صلات اكيدة مع تقليد لوقا. وسيسمح التعاون بين لوقا ويوحنا من إعادة ترتيب للاحداث، في نقاط عديدة هامة -كالمثول لدى السلطات اليهودية او اكتشاف القبر الفارغ- ترتيب يبدو مضطرباً لدى مرقس ومتى. فالإنجيل الرابع، باستثناء ما استعاره عمداً من طبقة إنشائية معينة (على سبيل المثال: يو ١٩: ٣٨، ٢٠: ١١-١٤أ)، لا يتعلّق مباشرة بالأناجيل الإزائية، غير ان توافقه معها -ويرجع إلى تقليد موازٍ- يمثل دعماً ثميناً للشهادة.

---

[1] تعتمد النصوص الازائية في مجملها "ازائية الأناجيل الاربعة" (بالفرنسية)/ الجزء الاول، وقد ظهر في دار سيرف (Cerf) للنشر عام ١٩٦٥. وتبنينا التنقيط في الخطوط الفاصلة للاشارة إلى ان عدداً من النصوص قد نقلت من مكانها، ولم تحافظ على التتابع في الآيات كما هي الحال بالنسبة إلى سائر النصوص. [ونحن بدورنا اعتمدنا الازائية التي صدرت عن دار المشرق عام ٢٠٠٠ (المعرب)].

إلا ان التحليل الادبي لا يمكن ان يتوقف عند هذا الحد. فهو يتوصل، من وراء الروايات الإنجيلية الاربع، وبفضل التشابه او الاختلاف بينها، إلى استشفاف الصيغ الاكثر قدما من التقليد الشفهي او التقليد الجاهز للتدوين، او من الروايات القصيرة والبسيطة التي كانت قد نشأت وانتشرت قبل أن تجمع: هكذا كانت الحال مع طروحات عديدة بشأن النزاع في الجتسمانية، استخلصت منه عِبَرٌ مختلفة، ومن بينها عبرتان سبق ان دمجتا في رواية مرقس؛ وكذلك أيضاً بالنسبة إلى حكايات بدائية قد لا تكون تضمّنت سوى نكران واحد لبطرس او نكرانين.

إن ذلك يؤدي إلى مشاكل على صعيد النقد التاريخي. ألم يكن هناك سوى جلسة واحدة للسنهدريم؟ وهلاّ تكون الرواية القصيرة المعروضة سوى خلاصة موجزة ذات بُعد لاهوتي؟ وإذا كانت رواية مثول يسوع امام هيرودس انتيباس قد صمدت جيداً ازاء النقد، هل بوسعنا ان نقول الشيء ذاته بشأن حلم زوجة بيلاطس، او بشأن حراس القبر؟ وهناك تفاصيل في الاحداث والاقوال لن تقوى الفروقات بين الاناجيل على ترتيبها بشكل يقين مطلق! وسنواجه مثل هذه التساؤلات الواقعية، ولكن من دون أن تتناسى المبادئ العقلية التي يستند إليها النقد السليم، ولا ان نغفل المبادئ اللاهوتية التي تدخل في الحساب حين يتعلق الامر بكتابات مقدسة.

فمن جهة، لن تكون الفروقات في التفاصيل قط سببا للشك في صلابة المجموع، طالما ان مجمل الرواية تتصف بالمعقولية، وان هناك شهادات تؤكدها، تتصف بالنزاهة والإجماع حول الجوهر، فضلاً عن وثائق معاصرة تساندها. وهكذا، على سبيل المثال، ستبدو محاكمة يسوع على يد السلطات اليهودية، وتحولها الإجباري إلى السلطة الرومانية المنفذة، من الامور المطابقة للحقيقة التاريخية.

ومن جهة اخرى، على صعيد ايمان الإنسان المسيحي، كان الرجال الذين صاغوا التقليد الإنجيلي، منقادين في عملهم لروح الله، حتى ان التطورات التي تلقاها هذا التقليد من ألسنتهم وأياديهم، اتصفت بضمان إلهي. ذلك ان الله ذاته أرادها وألهمها، إما لكي يجعل تلك التفاصيل تتسم بالنسبية، فلا تأخذ سوى مكانها كعناصر مساعدة، وإما لكي يتخذ غنى السر الكبير تعبيراً منوّعاً، فيصبح ملائماً لحاجات الشعب

المسيحي المختلفة، ويعبّر بشكل أفضل، من خلال هذا التنوع بالذات، عن ما يصعب التعبير عنه.

وهكذا يخرج التعليم اللاهوتي من هذه المعمعة اكثر قوة! فبعد ان يكون قد بلغ إلى الجوهر، عبر النسبية التي اتصفت بها التفاصيل، سيكون مسموعاً بقوة اكبر، عبر التوافق العميق بين الاصوات الاربعة المختلفة. ويدور هذا التعليم الذي سنجده مزروعاً في كل الصفحات، حول ممثلَين رئيسين في هذه المأساة: الله والانسان. الله، أولاً، الذي يقود حبه وقدرته هذه المأساة من أولها إلى آخرها: هذا الحب الذي يُعبَّر عنه من خلال العطاء الكامل الذي تتصف به ضحية كاملة، ومن خلال ما يفرضه مخطط خلاصي من التزام تام، يرغب في إعادة الإنسان إلى البر عبر الغفران: "يجب"، ينبغي للكتب المقدسة ان "تتم"...؛ ذلك ان القدرة التي تخرج الخير من كل هذا الشر، تنتصر على القوى الشيطانية، وتجعل الحياة تتفجر من الموت. ويقف الإنسان إزاء الله، بكل جبانته وغبائه، لا بل بانحرافه بالذات، ولكن أيضاً ببؤسه الكبير، طالباً الصفح والحب: سواء كان ذلك الروماني المنغلق واللاأبالي، وقد اصبح شريكا في القتل بجبانته؛ ام ذاك اليهودي من بين الجمع الذي انساق فلعن هذا الذي صفق له في الامس؛ ام ذاك الرئيس اليهودي الذي لمْ يستطع الحسد والحيلة ان يجنِّباه الجهل، وكان له بالتالي عذراً؛ ام اخيراً، ذاك الخاطئ المتجسّد في كل واحد منا، وقد اشترك مسبقاً في مقتل البار.

ومن حسن الحظ أنْ كان هناك أيضاً اصدقاء: هناك مريم، وهناك النساء القديسات، كما كان هناك بطرس ويوحنا ويوسف الرامي ونيقوديمس واللص الصالح وقائد المئة، وكل الذين عرفوا كيف يحتضنون، بحب، موت الابن البكر، فاستحقوا ان يصبحوا اخوته الاولين. ألا يمكن ان يكون بعد، من بين قراء هذه الصفحات، عدد كبير من ذوي القلوب المؤمنة والمُحبة الذين يستخرجون، من وراء عملية نقد ضرورية، معرفة مجددة للمأساة التي خلّصتهم، ورغبة مكينة في اتباع المسيح، عبر الموت، باتجاه الحياة...

القدس، عيد الفصح ١٩٦٦ — بيير بنوا الدومنيكي

القسم الاول

روايات الآلام

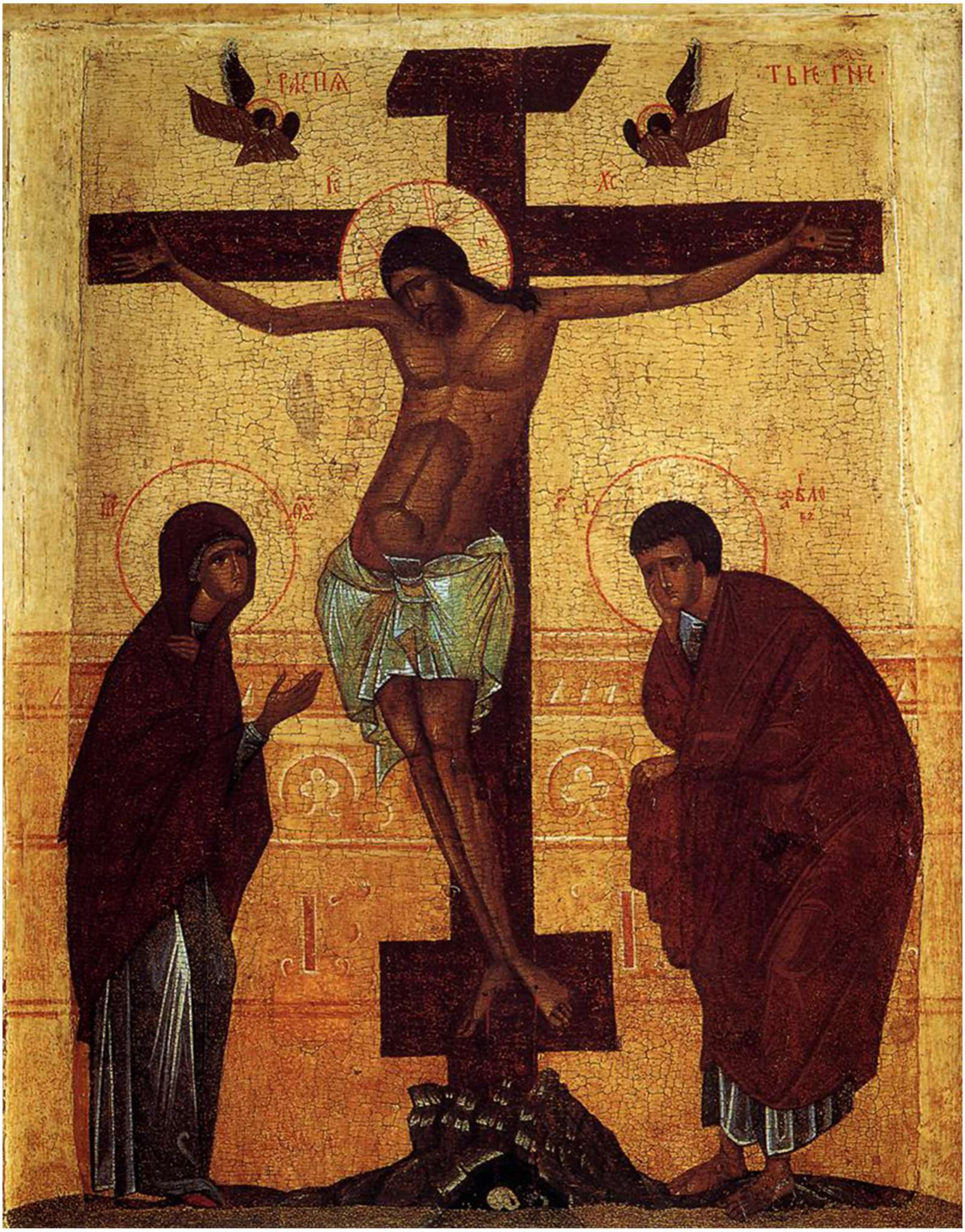

ايقونة بيزنطية، حيث نرى الصليب مغروسا في اعماق الارض ليحيي آدم... وهكذا يتحول الى شجرة الحياة! وفيما يتأمل يوحنا الحبيب في سر موت المسيح، تتقبل العذراء عطية يسوع وتمنحها بصفتها "ام الاحياء"، حواء الجديدة

الفصل الاول

النزاع في الجنسمانية

متى ٢٦: ٣٦-٤٦	مرقس ١٤: ٣٢-٤٢	لوقا ٢٢: ٤٠-٤٦	يوحنا ١٨: ١ب
٣٦ ثم جاء يسوع معهم	٣٢ ووصلوا	٤٠ ولمّا وصل	
الى ضيعة	الى ضيعة	الى ذلك المكان،	١ب ... وكان هناك بستان،
يُقال لها	اسمها		
جتسمانية	جتسمانية،		
			فدخله هو وتلاميذه.
فقال للتلاميذ:	فقال لتلاميذه:	قال لهم:	
"امكثوا هنا،	"اقعدوا هنا		
ريثما أمضي	بينما		
وأصلّي هناك".	أصلّي".	"صلّوا	
		لئلا تقعوا في التجربة".	
٣٧ ومضى	٣٣ ثم مضى		
ببطرس	ببطرس		
وابني زبدى	ويعقوب ويوحنا،		
وجعل يشعر	وجعل يشعر		
بالحزن والكآبة،	بالرهبة والكآبة.		
٣٨ فقال لهم:	٣٤ فقال لهم:		١٢ ٢٧ "... الآن نفسي مضطربة،
"نفسي حزينة حتى الموت.	"نفسي حزينة حتى الموت.		
امكثوا هنا واسهروا	امكثوا هنا واسهروا".		
معي".			
٣٩ ثم أبعد قليلا	٣٥ ثم أبعد قليلا	٤١ ثم ابتعد عنهم مقدار رمية حجر	
وسقط على وجهه	ووقع الى الارض	وجثا	
يصلّي	يصلّي	يصلّي	فماذا اقول؟ يا أبتِ،
	لتبتعد عنه الساعة		نجّني من تلك الساعة"...
	إن أمكن الامر،		
فيقول:	٣٦ وقال:	فيقول:	
"يا أبت،	"أبّا، يا أبت،	٤٢ "يا أبت،	
إن أمكن الامر،	إنّك على كلّ شيء قدير،	إن شئتَ	
فلتبتعد عنّي	فاصرف عنّي	فاصرف عنّي	
هذه الكأس،	هذه الكأس.	هذه الكأس.	
ولكن	ولكن،	ولكن	١٤ ٣١ "وما ذلك
			الا ليعرف العالم
			اني أحب الآب،
لا كما انا أشاء،	لا ما انا أشاء،	لا مشيئتي	
بل كما انت تشاء".	بل ما انت تشاء".	بل مشيئتكَ"!".	واني اعمل كما اوصاني الآب.
			١٢ ٢٧ "... وما أتيت الا لتلك الساعة.
			٢٨ "يا أبتِ، مَجِّد اسمكَ".
		٤٣ وتراءى له	فانطلقَ صوت من السماء يقول:
			"قد مجّدتُه وسأمجّده ايضا".
			٢٩ "... وقال آخرون:
		ملاك من السماء يشدّد عزيمته.	ان ملاكا كلمه".
		٤٤ وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة،	
		وصار عرقه كقطرات دم متخثر	
		تتساقط على الارض.	
		٤٥ ثم قام عن الصلاة	
٤٠ ثم رجع	٣٧ ثم رجع	فرجع	
الى التلاميذ		الى تلاميذه	
فوجدهم نائمين،	فوجدهم نائمين،	فوجدهم نائمين	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		من الحزن	
فقال لبطرس:	فقال لبطرس:	[٤٦]فقال لهم:	
	"يا سمعان، أتنام؟	"ما بالكم نائمين؟	
"أهكذا لم تَقوَ على السهر	ألم تَقوَ على السهر		
معي			
ساعة واحدة!	ساعة واحدة؟		
[٤١]إسهروا وصلّوا	[٣٨]إسهروا وصلّوا	قوموا فصلّوا	
لئلاّ تقعوا في التجربة.	لئلاّ تقعوا في التجربة.	لئلاّ تقعوا في التجربة.	
الروح مندفع	الروح مندفع		
وأمّا الجسد فضعيف".	وأمّا الجسد فضعيف".		
[٤٢]ثم مضى	[٣٩]ثم مضى		
ثانية	ثانية		
وصلّى	يصلّي		
فقال:	فيردّ الكلام نفسه.		
"يا أبتِ،			
اذا لم يكن ممكنا			
ان تبتعد عنّي			
هذه الكأس			١٨ [١١]"... أفلا اشرب الكأس
او أشربها،			
فليكن ما تشاء".			التي ناولني ابي ايّاها؟"
[٤٣]ثم رجع	[٤٠]ورجع ايضا		
فوجدهم نائمين،	فوجدهم نائمين		
لأن النعاس أثقل اعينهم.	لأن النعاس أثقل اعينهم،		
	ولم يدروا بماذا يجيبونه.		
[٤٤]فتركهم			
ومضى	[٤١]ورجع		
مرة اخرى			
وصلّى			
ثالثة	ثالثة		
فردّد الكلام نفسه			
[٤٥]ثم رجع			
الى التلاميذ			
وقال لهم:	فقال لهم:		
"ناموا الآن واستريحوا.	"ناموا الآن واستريحوا!		
	قُضي الامر		
ها قد اقتربت الساعة	وأتت الساعة.		١٢ [٢٣]"أتت الساعة
التي فيها يُسلم ابن الانسان	ها إن ابن الانسان يُسلم		التي فيها يُمجَّد ابن الانسان".
الى أيدي الخاطئين.	الى أيدي الخاطئين.		
[٤٦]قوموا	[٤٢]قوموا		١٤ [٣١]"قوموا
ننطلق!	ننطلق!		نذهب من ههنا".
ها قد اقترب			
الذي يُسلمني".	ها ان الذي يُسلمني		[٣٠]"... لأن سيّد هذا العالم آتٍ ..."
	قد اقترب".		

رواية مرقس

يعطي مرقس هنا المفتاح الرئيسي للمشهد:

"ووصلوا إلى ضيعة اسمها جتسمانية" (مر ١٤: ٣٢). وصلوا، أي بالجمع، يسوع والتلاميذ. فيسوع لا يتميز عن رسله. وكما سبقت الإشارة إليه، من المحتمل جدا ان يكون لنا هنا صدى لكرازة بطرس، وكأننا نسمعه يقول: "وصلنا إلى المكان الفلاني، وصنع يسوع كذا". بهذا الشكل يعبر الراوي انه شارك في الاحداث. ويعتقد المفسّرون، بطيب الخاطر، ان مرقس رجّع صدى كرازة بطرس واسلوبه الحي، وان لنا هنا مؤشرا على ذلك.

والمكان الذي بلغوا إليه يدعى جتسمانية. ولَكَم طرحت حول هذا الاسم جذور مختلفة. واكثرها احتمالاً هو اسم "جات شيماني" بالارامية، ويعني "معصرة" (جات) للزيت (شيماني) -وهناك الكلمة المشابهة بالعربية "سمن" او "سمنة" والتي تعني "دهن". فالمقصود هو مزرعة كانت تحوي معصرات للزيت، بحكم وجود اشجار زيتون. ويُعرف جيداً هذا المكان عبر تقليد عريق تثبته كنيسة بيزنطية بُنيت على انقاضها الكنيسة الحالية.

"وقال لتلاميذه: اقعدوا هنا بينما اصلي". هوذا يسوع، إذن، يتعد للصلاة. وغالباً ما شوهد، خلال حياته، وهو يتعد ليصلي، إلا ان هذا السهر يتخذ هنا اهمية خاصة، لانه مسألة حياة او موت.

"ثم مضى ببطرس ويعقوب ويوحنا" (مر ١٤: ٣٣). اهم الرسل الثلاثة المفضّلون الذين اختيروا شهوداً لدى إقامة ابنة يائيرس، كما ابان التجلي. وينقل الإنجيل عادة ان يسوع يصلي وحده، منفرداً، على الجبل. اما هنا، فهو يصطحب ثلاثة شهود بسبب الطابع الفريد لهذه الصلاة. فكان ينبغي على الرسل، اقله الثلاثة المميّزين، ان يحضروا الجهاد الاكبر لمعلمهم، ويشاركوا فيه قدر المستطاع، كي يتقبلوا معه، بصفة مرافقين، الصليب المعروض.

"وجعل يشعر بالرهبة والكآبة". اللفظتان اليونانيتان قويتان جداً. فاللفظة الاولى التي يستخدمها مرقس، بطيب الخاطر، تعني "مندهشاً" او "اخذته الرهبة"؛ والمقصود هنا انما هو الارتعاد المتأتي من الرهبة، وكأن يسوع اخذ يشعر للحال انه ازاء الموت؛ لقد كان ينتظره ولاشك، منذ امد بعيد، ولكن – تلك هي الحال بالنسبة لنا جميعا- لم يكن يشعر بعدُ انه قريب منه إلى هذا الحد. هوذا الموت قريب؛ والارتعاد الذي يشعر به هو بمثابة رهبة تلازم الطبيعة البشرية. اما لفظة الكآبة، فهي الاخرى كلمة يونانية ذات مدلول كبير: انها تقال عن الانسان الذي فقد توازنه او اضاع وجهته، وقد حمله التهديد على التمرّغ في شبه خيبة. فنحن نرى يسوع في طبيعتة البشرية، يختبر ما يختبره كل انسان: ضيقة الموت، ترافقها حساسية خارقة ازاء موت استثنائي. ذلك ان يسوع يشاء ان يمرّ بهذا الوضع ويخضع للامتحان الاخير.

"فقال لهم: نفسي حزينة حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا" (مر ١٤: ٣٤).

تذكّر هذه الكلمات بالمزمور ٤٢: ٦ وكأنها ترجّع صداه: "لماذا تَكتَئبينَ يا نَفْسي وعليَّ تنوحين؟"، ونجدنا بازاء الكلمة اليونانية ذاتها. اما الكلمة "حتى الموت"، فتجعلنا نفكر بيونان ٤: ٩ " أَبِحَقٍّ غَضَبُكَ بِسَبَبِ الخِروَعَة؟ فقال: بِحَقٍّ غَضَبي حتَّى المَوت" (انظر أيضاً ابن سيراخ ٥١: ٦). وتستخدم هذه العبارات البيبلية للتعبير عن الحزن الاختياري الذي اختبره يسوع وكأنه آتٍ من يد العناية الإلهية.

"امكثوا هنا واسهروا". هوذا يسوع، بعد ان ترك فريق الرسل الخاص على مسافة ما، يترك أيضاً الثلاثة الاخصاء، ويبتعد أكثر كي يكون بمفرده، فيصلي. انه يطلب منهم ان يسهروا -وهو موضوع هام سنعود اليه لاحقاً.

صلاة يسوع

"ثم أبعد قليلاً ووقع إلى الأرض يصلي" (مر ١٤: ٣٥). يجب ملاحظة صيغة الفعل الحاضر الذي يؤدي بالضبط الفعل اليوناني المقتضب لدى مرقس: "بينما كان يقع إلى الأرض، كان يصلي" -ومثل هذه الترجمة تحترم الاسلوب والصيغة الحاضرة والبليغة، إذ انها تشير إلى فعل يمتد في الزمن: انه يصلي.. يصلي. اما السجود حتى الأرض، فهو

امر مدهش ونادر. ولا نجد يسوع، في أي نص آخر، جاثياً علـى الأرض، إذ ان هـذا الموقف يكشف عن وضع الانسحاق والتذلّل الملازم للطبيعة البشرية.

"وكان يصلي لتبتعد عنه الساعة، إن أمكن الأمر" (مـر ١٤: ٣٥). هـذه "الساعة" التي نعرفها في إنجيل يوحنا، انما هي الوقت الذي اختاره الله لمجيء زمن الآلام. و يطلب يسوع ان تعبر هذه الساعة، أي ألا تأتي إليه، ان تعبر من فوق رأسه، فلا يضطر إلى عيشها. كان بوسع يسوع، في طبيعته البشرية، ان يطلب إلى الله، لا بل طلب منه ان يجنّبه هذا الألم. وهنا يجب النظر إلى الأحداث كما هي، طالما انها الحقيقـة: فيسوع سينتصر فوراً على نداء الطبيعة هذا، ولكنه لا يتخلى عن هذه الطبيعة. لا، لا يمكـن ان نجعل من يسوع "متظاهراً"، أي شخصاً، منذ ولادته وحتى موته، يتظـاهر دومـاً انـه يهرب، ويتظاهر دوماً انه يسأل الخ... لقد عاش يسوع على مثالنا، مع كل ما تقتـضيه طبيعة بشرية؛ فهو، مع كونه الهاً، انسان حقا، وبصفته انساناً، يتمنى ان يهـرب مـن الموت، ويطلب ذلك من ابيه، إن كان ذلك ممكناً.

"أبّا، يا أبتِ، انك على كل شيء قدير، فاصـرف عـني هـذه الكـأس" (آ ٣٦). تكرر الآية ٣٦ الصلاة ذاتها في صيغة مباشرة! ولا يتحدث يسوع، هذه المرة، عن الساعة، بل عن "الكأس". انها لفظة بيبلية للتعبير عن محنة أو عن مستقبل أليم (أنظر اشعيا، ارميا، المزامير، سفر الرؤيا). فالكأس، انما هي مرارة الألم التي يجب ان يتجرعها.

وتجب ملاحظة لفظة "آبّا" (أبتِ) كونها لفظة مدهشة. فهي تبدو بمثابة النـداء الحميم الذي لم يكن بوسع اليهود ان يوجهوه إلى الله. وبحسب دراسات قام بها عـالم معاصر[1]، لا توازي لفظة "آبّا" كلمة "أب"، وانما كلمة "بابا". انها تعكس النبرة الحميمة لطفل يهودي يتحدث إلى أبيه. بينما لم يكن اليهود، بدافع الاحترام، يجـرؤون علـى استخدامها للتحدث إلى الله؛ اما يسوع، فقد جرؤ: وهذا ما يمكّننا من الولوج إلى علاقة

---

(1) راجع يواكيم جيرمياس في بحث له بالالمانية صدر في ميونخ عام ١٩٥٣؛ انظر أيـضاً: و. مارشـيل "الله أب في العهد الجديد"، باريس ١٩٦٦.

[وبحث جيرمياس هذا نقله إلى العربية عن الفرنسية الاب يوحنا عيسى بعنوان "اقوال يسوع" (بغداد ١٩٨٦ – ويتضمن القسم الاول منه: التطوبيات، والقسم الثاني: الصلاة الربانية). وقد صدر في الموضوع ذاتـه كتـاب بعنوان "الله ابونا" في سلسلة دراسات في الكتاب المقدس (دار المشرق، بيروت ٢٠٠٠) من تأليف جـان بـوتّي وتعريب الاب بيوس عفاص. راجع أيضاً "صلاة الابانا" في "ملفات الكتاب المقدس"/ العـدد ١٨ لعـام ٢٠٠٤، تعريب الاب بولس الفغالي] (المعرب).

يسوع الحميمة مع ابيه. هذا ما ادهش المسيحيين كثيراً، حتى انهم احتفظوا باللفظة كما هي؛ وأبقوا، في النصوص اليونانية، على اللفظة الارامية "آبّا" كما التقطوها من شفتي يسوع، واضافوا عليها من ثم عبارة "أبتِ" كي يستوعبها القراء اليونانيون والرومانيون[٢].

وهكذا يطلب يسوع بصراحة من ابيه، من خلال تدفّق رقيق ومتواضع في العلاقة: "كل شيء مستطاع لديك، أبعد عني هذا الألم"، ولكنه يضيف للحال قائلاً: **"لكن، لا ما أنا أشاء، بل ما أنت تشاء"**. وهكذا أُعيدت الطبيعة البشرية إلى مكانها، إذ كان يتوجب على ارادة الله ان تسود؛ ولما كانت ارادة الله تكمن في قبول يسوع شرب الكأس، فهوذا يرتضي ان يدخل في "الساعة".

وصلاة يسوع، نجدها هنا موجزة، ولاشك انها استغرقت نصف ساعة او ساعة!

"ثم رجع فوجدهم نائمين، فقال لبطرس: يا سمعان أتنام؟ ألم تقوَ على السهر ساعة واحدة؟" (مر ١٤: ٣٧). من بعد تلك الصلاة، نجد الاخصاء الثلاثة أنفسهم -قد يكونون متعَبين، ولكنهم قليلو الشجاعة- ومن دون ان يفهموا جيدا ماذا سيحدث، يستسلمون للنعاس. وهكذا يجد يسوع نفسه وحيداً. لذا يضيف قولاً ذا بُعد شامل، بوسعه أن ينطبق علينا في اغلب الاحيان:

"اسهروا وصلوا لئلا تقعوا في التجربة. الروح مندفع، اما الجسد فضعيف" (مر ١٤: ٣٨). فالروح المتقد، المليء من الارادة الصالحة والاندفاع -على شبه الشاب الكشاف "المستعد"- يلاقي معارضة الجسد الضعيف، (على شبه سانشو بانسا الذي يأبى اتباع دون كيشوت ويحاول إبقاءه). ويعرف كل منّا هذا الصراع. وفي مثل هذا الوضع، يجب علينا السهر والصلاة لتجنّب الدخول في التجربة. ولا ينبغي ان نتخذ هذه الكلمة الاخيرة بمعناها المبتذل، وكأننا بصدد تجربة فتاة صغيرة تجاه كأس من المربّى. فالتجربة التي يتكلم عنها يسوع، انما هي احدى المفردات الانجيلية ذات المعنى الخاص: انها الامتحان الاسكاتولوجي (الاخروي)، وهي الامتحان المسيحاني الكبير؛ انها اوجاع

---

[٢] في الرسالتين إلى أهل غلاطية وروما (غلا ٤: ٦؛ روم ٨: ١٥) يقول القديس بولس اننا ابناء الله وان الروح القدس يعيننا كي نجد العبارات اللازمة حين نصلّي: وهذه الصلاة الملهَمة هي "آبّا، أيها الآب"، أي كلمة يسوع ذاتها. فعلى مثال اطفال صغار، بوسعنا ان نقول لله "بابا".

الولادة التي يتحدث عنها الكتاب المقدس، أي تلك الازمة التي يتوجب فيها على المرء أن يمرّ ببوتقة الألم للبلوغ إلى زمن الخلاص. فيسوع سيعبر، هو الاول، هذه المحنة، ويتوجب على المسيحيين جميعاً، من بعده، أن يمروا بها[3]. ولكي نتجنب الدخول في التجربة، يجب أن نسهر ونصلي.

"ثم مضى ثانية يصلي فيردد الكلام نفسه" (مر ١٤: ٣٩). هذه الصلاة الجديدة لم ترد لدى مرقس إلا عبر تلميح عابر.

"ورجع أيضاً فوجدهم نائمين لأن النعاس أثقل أعينهم، ولم يدروا بماذا يجيبونه" (مر ١٤: ٤٠). هذه مرة ثانية يجد فيها يسوع رسله في العجز ذاته، ولم تقو أعينهم على مقاومة النعاس!

ويلتفت يسوع **"مرة ثالثة"**. ولم يضف مرقس قط الصلاة الثالثة، وانما اشار اليها بهذه العبارة البسيطة: ورجع ثالثةً.

"ورجع ثالثة فقال لهم: ناموا الآن واستريحوا! قُضي الامر وأتت الساعة. ها إن ابن الإنسان يُسلَم إلى ايدي الخاطئين" (مر ١٤: ٤١). تبدو هذه الآية عسيرة، بدءاً بهذه العبارة: "ناموا الآن واستريحوا". وهنا تفرض الترجمة خياراً. فالنص اليوناني يتضمن سؤالاً: "أتنامون بعدُ"، أو أمراً: "ناموا الآن!". هناك تفسير يدعمه الاب لاكرانج بنوع خاص، ويبدو لي انه الأفضل، إذ يفترض شيئاً من السخرية: "لا بأس، يمكنكم أن تناموا، اما انا فسأسهر". ففي اعقاب زيارتين لرسله الذين كانوا دوماً عاجزين عن السهر، سمح يسوع لنفسه هذه السخرية التي تعكس صداقته. إلا انه أضاف للحال:

"قُضي الأمر". هذه العبارة تترجم فعلاً يونانيا يخدش السمع. ولقد قُدّمت ثلاثة حلول رئيسية. من الممكن عادة أن يعني هذا الفعل "تلقّى"، أي أن يكون المرء قد تلقى مبلغاً من الدراهم بمثابة تعويض عن ديون سابقة، كما حفظتها لنا بعض المخطوطات البردية في مصر. وحينئذ يمكننا أن نفهم العبارة كما يلي: يهوذا يتلقى، ويحصل على دراهمه في هذا الوقت. إلا أن بوسع هذا الفعل أن يكون له معنى آخر: "مازال بعيداً"،

[3] في صلاة "الابانا" نطلب إلى الله ألا يُدخلنا في التجربة، بمعنى اننا نتمنى أن ينجينا، إن امكن، من هذا الامتحان الذي قد نتعرض فيه إلى اتخاذ السبيل السيء، دون أن نعرف كيف نقوم بالاختيار الجيد كما فعل يسوع في الوقت الحاسم.

وحينذاك يكون المعنى: يهوذا مازال بعيداً، وامامكم بعدُ متسع من الوقت للنوم! وإليكم الحل الثالث الذي أتبنّاهُ مع كثير من المفسّرين: بوسع هذا الفعل أن يُستخدم دون فاعل، بمعنى: "هذا يكفي"، او كما جاء في ترجمة طبعة اورشليم (الفرنسية): "انتهى".

"أتت الساعة؛ ها إن ابن الإنسان يُسلَم إلى ايدي الخاطئين". هوذا يسوع يسمّي نفسه ابن الانسان، وهو اللقب الذي يطيب ليسوع أن يتخذه في الاوقات الهامة من حياته، كي يشدّد على طابع رسالته ومصيره. لقد كان ينبغي أن يُسلَم! **"قوموا ننطلق! ها إن الذي يُسلِمني قد اقترب"** (مر ١٤: ٤٢). فليس الوقت وقت نوم، ولا وقت سهر، ولا وقت صلاة، انما حان وقت التنفيذ. وحينذاك يصل يهوذا، ونجدنا بازاء الاعتقال الذي سنفسّره في الفصل التالي. وهكذا ينتهي نص مرقس.

رواية متى

لمن المدهش أن نرى كم أن نص متى يشبه نص مرقس، باستثناء بعض التفاصيل الجديرة بالملاحظة والتي تجعلنا نتعرف على عادات انجيل متى اليوناني واذواقه. إليكم، بادئ بدء، احدى صيغه المألوفة: "حينئذ" او "ثم":

"ثم جاء يسوع معهم" (متى ٢٦: ٣٦). وفيما قال مرقس: "وصلوا"، هوذا متى يقول: "جاء يسوع معهم". هنا نجد تفصيلاً: ذلك أن يسوع، بحسب مرقس، غارق في الجمع، ولا يظهر إلا فيما بعد. ومتى، بدافع احترام ديني ولاهوتي، في زمن متأخر قليلاً، يُعنى بجعل يسوع في الواجهة: هوذا يسوع يأتي، وهذا هو المهم، إذ ليس الآخرون سوى رفاق. وهكذا هي الحال على مدى الإنجيل؛ فكل مرة وجد متّى صيغة الجمع لدى مرقس، سعى هو إلى ابراز يسوع. ذلك هو نموذج عن الاساليب الادبية التي ينبغي أن نتعرف عليها لدى الإنجيليين.

" ثم جاء يسوع معهم إلى ضيعة يقال لها جتسمانية، فقال للتلاميذ: امكثوا هنا ريثما امضي واصلي هناك" (متى ٢٦: ٣٦). انه يضع النقاط على الحروف؛ فما فهمناه مسبقاً مغ مرقس، نفهمه بشكل افضل مع متى الذي يجعل مفارقة بين: هنا وهناك.

"ومضى ببطرس وابني زبدى، وجعل يشعر بالحزن والكآبة" (متى ٢٦: ٣٧). وهكذا، عوضا عن عبارة مرقس "يعقوب ويوحنا"، آثر متى القول "ابني زبدى" (راجع متى ٢٠: ٢٠ و٢٧، ٥٦). نحن ولاشك امام الشيء ذاته، إلا أن صيغة متى قد تحمل طعماً اكثر قِدماً، على حد تعبير الاب لاكرانج.

"وجعل يشعر بالحزن والكآبة": لقد احتفظ متى بلفظة "كآبة" التي استخدمها مرقس، إلا انه غيّر لفظة "رهبة" التي رأى فيها قدراً كبيراً من الشدّة. فاسلوب متى لا غبار عليه، ولكنه مملّ، بخلاف مرقس الذي يبدو مباشراً ويحبّ التعابير ذات الألوان. وهكذا يستخدم متى بكل بساطة لفظة "حزن".

الآية ٣٩ في متى، تكاد تكون مطابقة للآية ٣٤ في مرقس. امّا الآية ٣٩ في متى **"سقط على وجهه"**، فهي تخفف ما انطوى على عبارة مرقس من قسوة: عوضاً عن انهيار الانسان الذي يتمرغ في الارض، تأتي صيغة متى التقليدية (راجع تك ١٧: ٣؛ ١قور ١٤: ٢٥؛ رؤ ٧: ١١) لتوحي، بشكل افضل، بانحناءة السجود والصلاة، كما فعل الابرص امام يسوع (لو ٥: ١٢؛ ١٧: ١٦)، وهو ركوع لا تغيب عنه الرهبة الدينية (متى ١٧: ٦).

"سقط على وجهه يصلي فيقول: يا أبت، إن أمكن الامر، فلتبتعد عني هذه الكأس!" (متى ٢٦: ٣٩). تجب هنا ملاحظة الطريقة الادبية لدى متى. كان مرقس قد تحدث عن الصلاة مرتين، مرة باسلوب غير مباشر (مر ١٤: ٣٥) ومرة اخرى باسلوب مباشر (مر ١٤: ٣٦). اما متى، فقد جعل عبارة "فلتبتعد" في آ٣٥ من مرقس تقترن بـ"الكأس" في آ٣٦؛ وهكذا يمزج في صيغة واحدة ما كان قد اتخذ صيغتين لدى مرقس، كما لو كان هناك تكرار في غير محله! ومثل هذا التفصيل سيكون ذا فائدة لمعرفة اصول التقليدين، كما سنرى ذلك ادناه.

"ولكن، لا كما أنا أشاء، بل كما انت تشاء" (متى ٢٦: ٣٩). إن خاتمة الآية ٣٩ لا تختلف عن مرقس سوى بتفصيل لا اهمية له تُذكر.

يجب أن ننتبه، في الآية ٤٠، إلى أن التأنيب الموّجه إلى بطرس هو في صيغة الجمع. هوذا يسوع، بحسب مرقس، يقول: "ألم تقوَ على السهَر"، بينما يقول بحسب متى: **"لَم تقوَوا على السهر"**. وهكذا، من خلال مرقس، نسمع القديس بطرس، وقد

ادرك انه انكر سيده، يعترف طوعاً وبكل تواضع. فهنا نرى مرقس يذكّر بان يسوع قال لبطرس "أتنام". اما متى، فقد شاء أن يلطف برئيس الرسل، فاستخدم صيغة الجمع: "لم تقووا على السهر معي ساعة واحدة". وهكذا لم يعد بطرس يبدو وكأنه المذنب الوحيد!

"اسهروا وصلّوا لئلا تقعوا في التجربة. الروح مندفع، واما الجسد فضعيف" (متى ٢٦: ٤١). هذه الآية هي في الواقع مطابقة للآية الواردة في مرقس. ولن يجد مثل هذا التطابق تفسيراً له إلا بالقول أن مؤلّفا عرف الآخر. وهكذا تسمح مجمل حالات التطابق في الاناجيل بالقول أن متى متأثر بمرقس وليس العكس. إلا انه من المحتمل أيضاً أن يكون الاثنان متأثرين بمصدر مشترك، وقد يكون هذا المصدر ترجمة يونانية عن الاصل الارامي.

"ثم مضى ثانية وصلى" (متى ٢٦: ٤٢). وهنا أيضاً يضع متى النقاط على الحروف، في ما يتعلق بالصلاة الثانية والثالثة. ففيما وجدناهما، لدى مرقس، بخطوطهما العريضة، نجدهما لدى متى موكّدتين جداً. هوذا متى يصوغ الصلاة؛ ففيما سبق مرقس فتحدث عن "الكلام نفسه"، نرى متى يوضح: **"يا ابتِ، إذا لم يكن ممكنا أن تبتعد عني هذه الكأس او اشربها، فليكن ما تشاء!"**. وهكذا نجد أن خاتمة هذه الصلاة هي عينها طلبة "الابانا" (متى ٦: ١٠).

"ثم رجع فوجدهم نائمين، لأن النعاس أثقل أعينهم" (متى ٢٦: ٤٣). النص هنا هو ذاته كما جاء في مرقس، ما عدا كلمة واحدة: "مثقلين" عوضاً عن "متعَبين". ومتى لا يورد قط تلك العبارة القاسية: "لم يدروا بماذا يجيبونه"!

"فتركهم ومضى مرة اخرى وصلّى ثالثة فردَّد الكلام نفسه" (متى ٢٦: ٤٤). لا يذكر مرقس هذه الصلاة الثالثة ما خلا الاشارة غير المباشرة إلى أن يسوع رجع "ثالثة". وهنا أيضاً، يوضح متى الواقع مستخدماً الآية ٣٩ من مرقس.

اما الآية ٤٥ لدى متى، فهي مطابقة للآية ٤١ لدى مرقس. إلا انه يتحاشى عبارة "قُضي الامر" التي تبدو صعبة وغامضة، فآثر أن يهملها.

وكل ما يلي، حتى نهاية رواية النزاع، شبيه بنص مرقس.

رواية لوقا

حين ننتقل إلى رواية لوقا، نلاحظ، بالعكس، تقليداً مختلفاً إلى حد كبير. فمن جهة، يستعيد لوقا، بايجاز كبير، الاحداث التي رواها مرقس؛ ومن جهة اخرى يضيف قسماً كبيراً ينفرد به: ملاك الجتسمانية وعرق الدم. إليكم أولاً جزءاً من النص الـــذي يقابل نص مرقس؛ وسنرى باية حرية يتصرف لوقا.

"ولما وصل إلى ذلك المكان" (لو ٢٢: ٤٠). في سياق رواية لوقا (٢٢: ٣٩)، يكون يسوع قد ترك العلية توّاً: **"وقال لهم صلوا لئلا تقعوا في التجربة"**. ولا يقول لوقا شيئاً عن مشهد الثلاثة المميَّزين في الفريق الرسولي. كما انه لا ينقل هذه العبارة: "اقعدوا هنا بينما اصلي"، ولا الرهبة والكآبة. لقد أهمل كل هذه التفاصـــيل، إلا انـــه ينفـــرد بالحديث عن قلق الرب بطريقة مختلفة، وفق تقليد خاص به: قطرات الدم التي سيتحدث عنها بعد قليل. وهكذا يكتفي لوقا هنا بالإعلان، بشكل موجز، عن الدعوة إلى الصلاة، وكان مرقس قد وضعها في مكان أبعد (مر ١٤: ٣٨)، فيما سيعود إليها لوقا ذاته ليختم بها المشهد (لو ٢٢: ٤٦).

"ثم ابتعد عنهم مقدار رمية حجر" (لو ٢٢: ٤١). "ابتعد عنـــهم"، عبـــارة خاصة بلوقا ذي الاسلوب الرفيع. فلوقا كاتب اكثر تميزا من مرقس، ومن متى أيـــضاً. ذلك أن اسلوب مرقس شعبي وديناميكي وهش، تنقصه الاناقة، وتشوبه النواقص. ويبدو اسلوب متى اكثر اتقانا، وان كان جافاً. اما لوقا، فيتمتع باسلوب رجل يقال انه رفيـــع المستوى ومثقف وطبيب. والفعل الذي يستخدمه هنا يعني حرفياً "ينتزع نفسه عـــن"، ولكن بمعنى مخفّف يقابل "ابتعد عن". اما عبارة "مقدار رمية حجر"، فهي كلاســـيكية؛ ونجدها لدى ثوسيديد على سبيل المثال.

"وجثا يصلّي" (لو ٢٢: ٤١). لوقا هو الوحيد، من بين كتّاب العهد الجديد، الذي يشير إلى وضع الصلاة هذا والذي لم يكن مألوفاً لدى اليهود. فلقد كانوا يصلون وقوفاً، كما هي الحال حتى اليوم لدى الشرقيين[٤]. ولا يذكر لوقا هنا ذلك الـــسقوط

---

[٤] يشير لوقا في سفر الاعمال، وعلى اربع دفعات، هذا الوضع في الصلاة: اسطفانس (رســـل ٧: ٦٠) وبطـــرس (رسل ٩: ٢٠) وبولس (رسل٢٠: ٣٦ و٢١: ٥) يصلّون وهم جاثون على ركبهم.

على الارض، او ذلك الانسحاق الذي تحدث عنه مرقس ومتى. انه يقدّم وضعاً آخر للصلاة. ومن النافل أن نتساءل كيف فعل الرب آنذاك؛ بل بالاحرى أن نتذوق كيف سعى اخوتنا مرقس ومتى ولوقا، كلٌّ بطريقته الخاصة، إلى جعلنا نستشف صلاة يسوع الملحة. وهذا هو المهم! ذلك اننا بازاء اشكال مختلفة من التأمل في سر طبيعة الرب البشرية، في التذلّل والألم، جاثياً هنا ومنطرحاً هناك؛ ويعود ذلك في العمق إلى الشيء ذاته، اذ ان التعابير الادبية المختلفة يغني بعضها بعضاً.

"يصلي فيقول: يا أبتِ، إن شئت فاصرف عني هذه الكأس... ولكن لا مشيئتي بل مشيئتك!" (لوقا ٢٢: ٤٢). تستعيد هذه الآية، وبايجاز أكبر، الآية التي وردت لدى مرقس. فلوقا يهمل "الساعة" التي ينبغي أن تبتعد عنه، ولم يحتفظ إلا بابتعاد الكأس، وبالتالي بما هو جوهري: ارادة الآب التي يجب أن تتم.

ونترك جانباً الآيتين ٤٣-٤٤ اللتين سنعود إليهما بعد قليل.

"ثم قام عن الصلاة فرجع إلى تلاميذه، فوجدهم نائمين من الحزن. فقال لهم: ما بالكم نائمين؟" (لو ٢٢: ٤٥). النص هنا قريب جداً من نص مرقس ومتى، ولكنه يتضمّن ملاحظة رائعة ينفرد بها لوقا ذو القلب الرقيق والمسامح: لقد كانوا نائمين "من الحزن"! فهم لم يناموا بسبب اللامبالاة او الكسل. بل كان هؤلاء المساكين على جانب كبير من الحزن حتى انهم ناموا! وتلك هي احدى سمات لوقا الذي يعذر التلاميذ.

"قوموا فصلّوا لئلا تقعوا في التجربة". بهذه الكلمات يختم لوقا روايته بغتة. لماذا أوجز إلى هذا الحد؟ لأنه شاء أن يدرج معلومة خاصة.

عرق الدم

"وتراءى له ملاك من السماء يشدّد عزيمته. وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة، وصار عرقهُ كقطرات دم متخثّر تتساقط على الأرض" (لو ٢٢: ٤٣-٤٤). جرت مجادلات بين العلماء لمعرفة ما اذا كانت هاتان الآيتان أصيلتين، سيما وان هناك

عدداً من المخطوطات قد اسقطتهما. ويستنتج بعضهم أن هاتين الآيتين قد أضيفتا فيما بعد، وانهما ليستا من قلم لوقا. إلا اني على يقين، مع عدد كبير من النقّاد، من انهما من تأليف لوقا. ولهذا المقطع شواهد من القرن الثاني. من الصحيح اننا لا نملك مخطوطات ترقى إلى هذا القرن؛ وان البرديات التي اكتشفت كانت ناقصة، ولا ترقى إلى أبعد من القرن الثالث، وان المخطوطات على جلود الحيوانات لم تبدأ إلا في القرن الرابع. غير أن الكتّاب من القرن الثاني، من امثال يوستينس وططيانس وايريناوس، هم على علم بهذا النص[٥]. فمع اكثر التقاليد قدماً، لا نخشى، إذن، من الاحتفاظ بهذا المقطع الثمين. وهناك دليل آخر يدعم اصالته: الاسلوب هو كليا اسلوب لوقا، فمن يده خرج وبحسب طريقته. ذلك أن لوقا شدّد كثيراً على صلاة يسوع، كما شدّد على ترائيات ملائكة (انظر روايات الطفولة وروايات القيامة، ومن ثم روايات سفر اعمال الرسل حيث نرى ملائكة يتراؤون لبطرس وبولس). وبالتالي، لا يخشى لوقا من التأكيد على محنة الرب الوضيعة والتي تعاطفت نفسه الرقيقة معها. وهكذا، مع أغلبية المفسرين، اعتبر هذه الآيات اصيلة. فمن وجهة النظر اللاهوتية، يبدو من المفيد أن تشدد هذه الآيات على ضعف يسوع كإنسان، من جهة، وعلى قوة العون الالهي الذي عضده، من جهة اخرى.

قد تكون مفردات لوقا مفردات طبيب، كونها دقيقة إلى حد كبير. ويُعتَقد بالواقع أن لوقا هو ذاته ذاك "الطبيب الحبيب" الذي ذكره بولس (قول ٤: ١٤)، كما تُلاحَظ في اسلوبه المفردات الطبية التي ينفرد بها رجل بارع: نحن هنا بصدد قطرات الدم والعرق الخ... ومثل هذه المفردات تعبر عن ضيق جسدي هائل يكون بوسع الاطباء أن يفسّروه بصفته علامة على نزاع في اقصى درجاته[٦].

---

[٥] المخطوطات التي تُسقط هذا المقطع هي من زمن ما بعد العام ٣٠٠، وليست لنا ادلة على أن هذه الآيات قد أُهملت قبل هذا الزمن. اما الشهود الذين يهملونها، فهم مشخَّصون وخاضعون لتأثير مصري. ويمكننا أن نفهم مخاوفهم: مشهد بهذا القدر من الواقعية كان لهم معثرة. فأن يكون يسوع قد بلغ إلى هذا الحد من الانسحاق، وهو يعرق دماً: ذلك مشهد يبالغ في الكشف عن الجانب البشري للرب!

[٦] قال لي كاهن حضر رمي احد زملائه بالرصاص، على يد الألمان عام ١٩١٤، بانه ادرك جيداً معنى عرق الدم لرجل يواجه ساعة مقتله وهو في أتم الصحة.

إلا أن لوقا، في الوقت ذاته، كشف كيف أن قوة السماء سندت يسوع من خلال ملاك جاء ليشجعه. وهكذا ذكّرنا لوقا، بصفته تلميذاً حقيقياً لبولس، بان قوة الله تسند ضعفنا. ألم يقل بولس: "لاني عندما اكون ضعيفاً، أكون قوياً" (٢قور ١٢: ١٠)، وأيضاً: "استطيع كل شيء بذاك الذي يقوّيني" (فل ٤: ١٣). وهذا يصّح بشكل رائع في يسوع المسيح بصفته انساناً: انه ضعيف في ضيقته الجسدية ذاتها، هو الذي يترتب عليه أن يتألم ويموت، ولكنه قوي بتلك القوة السماوية التي يرسلها إليه ابوه. فلكي يُدخلنا لوقا إلى هذا التعليم الثمين أوجز بقية الرواية.

شهادة يوحنا

بقي علينا الآن أن ننكب على شهادة القديس يوحنا التي تتسم بالفرادة، ونستفيد منها. فيوحنا لا يروي النزاع، وانما يكتب فقط: "... **وكان هناك بستان، فدخله هو وتلاميذه**" (يو ١٨: ١)؛ وتبدأ على الفور رواية الاعتقال.

هذا لا يعني أن يوحنا يجهل النزاع، إذ أن المفردات والتعابير الخاصة بمشهد الجتسمانية نجدها، وبشكل مدهش، في الفصل ١٢ من إنجيله.

هناك يونانيون طلبوا أن يروا يسوع، وتوجهوا بالطلب إلى فيلبس؛ وفيلبس أخبر اندراوس، وذهب الاثنان ليقولا ليسوع. وإليكم تتمة رواية يوحنا:

"**أجابهما يسوع: أتت الساعة التي فيها يُمجَّد ابن الإنسان**" (يو ١٢: ٢٣). ذلك يوحي، بشكل مدهش، بآية مرقس ١٤: ٤١أ. فلدى يوحنا، يُقال "مُجِّد"، للتعبير عن الموت والقيامة، لأن التمجيد يمر عبر الصليب. ويواصل يوحنا:

"**الحق الحق أقول لكم: أن حبة الحنطة التي تقع في الأرض، إن لم تمت تبقَ وحدها. وإذا ماتت، أخرجت ثمرا كثيرا. من أحب حياته فقدَها، ومن رغب عنها في هذا العالم حفظها للحياة الأبدية**" (يو ١٢: ٢٤-٢٥). لهذه الآيات صدى في مقاطع أخرى من الأناجيل الازائية (متى ١٦: ٢٥؛ مر ٨: ٣٥؛ لو ٩: ٢٤). أما هنا، فمعناها يلتقي مع ما قاله مرقس عن الروح المندفع والجسد الضعيف (مر ١٤: ٣٨)، أي الصراع

داخل الإنسان بين الروح الذي يجب أن ينتصر، وبين الجسد الذي يقاوم. فنحن بازاء الجدلية ذاتها: يجب أن يموت الإنسان كي يحيا، يجب أن يفقد حياته كي يربحها. غير أن الاكثر اهمية يأتي من ثم، في المقطع ذاته:

"الآن نفسي مضطربة، فماذا أقول؟ يا أبتِ، نجني من تلك الساعة؟" (يو ١٢: ٢٧). كان يسوع، بحسب مرقس ومتى، قد قال: "نفسي حزينة حتى الموت" (مر ١٤: ٣٤ ومتى ٢٦: ٣٨)؛ وفي مرقس، صلّى "كي تبتعد عنه الساعة إن أمكن" (مر ١٤: ٣٥). فالنصوص هي حقاً متشابهة جداً! والآية التالية **"يا أبتِ، مجِّدْ اسمك!"** (يو ١٢: ٢٨)، ألسنا بازاء موازاة يوحنانية لآية متى: "لتكن مشيئتك" (متى ٢٦: ٤٢)؟

وعلى طلب"يا أبتِ، نجني من تلك الساعة"، يجيب يسوع: **"وما اتيت إلا لتلك الساعة. يا أبتِ، مجِّدْ اسمك!"** (يو ١٢: ٢٧-٢٨). فعلى صعيد الاسلوب اليوحناني، نجدنا بازاء الفكرة ذاتها التي يحملها مرقس ومتى بشأن قبول الارادة الإلهية. وينقل يوحنا من ثم:

"انطلق صوت من السماء يقول: قد مجّدتُه وسأمجّده أيضاً. فقال الجمع الذي كان حاضراً وسمع الصوت: انه دويُّ رَعْد. وقال آخرون: إن ملاكا كلّمه. أجاب يسوع: لم يكن هذا الصوت لأجلي بل لأجلكم" (يو ١٢: ٢٩-٣٠). ونجد في هذا الملاك الذي يتكلم من السماء ويسند، باسم الله، قائلاً: "قد مجّدتُه وسأمجّده أيضاً" توازيا مدهشاً مع ملاك القديس لوقا –وهذا ما يعترف به كل المفسرين. فيسوع مضطرب، وهو يطلب أن تعبر الساعة، ويريد أن يتمجّد اسم الآب، ويعلن: "أتت الساعة التي فيها يُمجَّد ابن الإنسان"، ويأتي صوت من السماء، كما يأتي ملاك للتشجيع.. أليست كل هذه السمات موازية لمشهد النزاع؟

وإذا لم يروِ يوحنا النزاع في الجتسمانية، فلأنه ولاشك قد استخدم مضمونه الجوهري في مقطع سابق. وليست تلك هي الحالة الوحيدة في إنجيله: فيوحنا لا يروي العشاء الافخارستي، ولكنه ينقل الخطاب في خبز الحياة في الفصل السادس. كما لا يصف يوحنا المحاكمة أمام قيافا، إلا انه استخدم مسبقا ومراراً هذا الحوار بين يسوع

واليهود: "هل أنت ابن الله؟ هل أنت المسيح؟". وهكذا يتصرف يوحنا بحرية سمح بها الروح القدس وأرادها، دون أن يتقيد بحرفية الكلمات أو المقاطع بحذافيرها؛ وهو، باحترامه الحقيقة الجوهرية، إنما يسلّط الضوء بشكل أفضل على مخططه اللاهوتي.

أن هذه الموازاة التي عرضناها هنا تبدو أكيدة. فأن يكون يوحنا قد استخدم، بطريقته الخاصة، مشهد النزاع، فذلك ما يؤكده لنا تفصيل غريب. ففي وسط الخطاب الذي تلا العشاء (يو ١٤: ٣٠-٣١) نقرأ: "... **أن سيد هذا العالم آت. قوموا! نذهب من ههنا!**"، ألسنا بازاء الكلمة ذاتها التي أوردها مرقس في خاتمة النزاع، سواء بالمفردات عينها: "قوموا! ننطلق"، او بصيغة مشابهة: "أن الذي يُسلمني قد اقترب" (مر ١٤: ٤٢)؟ وهكذا، فالفكرة ذاتها التي رأيناها في خاتمة النزاع، بحسب مرقس، اتخذت مكاناً في الخطاب الذي تلا العشاء بحسب يوحنا. ومثل هذه العناصر الأدبية تجعلنا نأخذ بعين الاعتبار التطور الذي طرأ على التقليد الإنجيلي.

ما قبل تدوين الأناجيل

يمكننا في الواقع، أن نستشف في هذه الكتابات المتنوعة، تقاليد مختلفة، ولكنها، موازية للمشهد الواحد. فلدى لوقا ويوحنا، عرفنا أن هناك سندا ملائكيا لم نجده لدى مرقس ومتى. ولكن، لدى هذين الإنجيليين، بامكاننا—مع مفسّر بروتستنتي[٧] قدّم ادّلة جادة— أن نميّز تقليدين امتزجا. أحدهما يشدد على الموضوع الخلاصي: يسوع يصلي كي تعبر الساعة، ولكنه يقبلها معلنا أن "الساعة قد أتت"، وذلك موضوع يرتكز على ابن الإنسان الذي يقبل ساعته. والفائدة اللاهوتية التي تنطوي على هذا الطرح يتعلق اولاً بشخص يسوع، ابن الإنسان، الذي يقبل الموت من اجلنا. اما الموضوع الآخر، المحمَّل بالمعاني، فهو يتوجه إلينا: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في التجربة: الروح مندفع، اما الجسد فضعيف". وهذا يصح بالاكثر في المسيحي الذي عليه أن يقتدي بالمسيح الساهر في صلاته.

---

[٧] ك.ج.كوهن: يسوع في الجتسمانية (بالالمانية)- ١٩٥٢

وهناك تحليل أدبي لا يمكننا أن نفصّله[8] هنا، قد يتيح لنا أن نرى كيف استطاعت روايتان موازيتان، احداهما ترتكز على موضوع ساعة المسيح، والاخرى على مشورة "اسهروا وصلوا" –وكلتاهما طريقتان للحديث عن نزاع المسيح- أن تشقّا الطريق، بشكل منفصل، في التقليد القديم، قبل ان يجمعهما مرقس في رواية واحدة. ويكمن احد مؤشرات هذا الدمج في التكرار الذي تضمنته الآيتان ٣٥ و٣٦ من رواية مرقس، بصدد صلاة يسوع التي اتخذت اولاً شكلاً عاماً: "كان يصلي كي تعبر عنه الساعة، إن أمكن"، واتخذت من ثم نبرة شخصية: "أبّا، يا أبتِ، أنت على كل شيء قدير، فاصرف عني هذه الكأس". لماذا هذا التكرار؟ لقد شعر متى بهذا الخلل، فحذفه حين دمج الجملتين لدى مرقس في جملة واحدة. ولكن، ألا تكون هاتان الجملتان شبه المتطابقتين حصيلة نصّين موازيين سابقين، عمد مرقس إلى دمجهما في واحد؟ لا يسعنا هنا ان نذهب إلى ابعد في مسالك هذا التحليل. إلا ان بوسعنا أن نعتقد بان نزاع الرب، وقبل كتابة الأناجيل، كان متداولاً في أحاديث الاخوة الأولين، مع وجهات نظر متنوعة. وهكذا تبرز ثلاثة تقاليد كبرى.

في أقدم هذه التقاليد –وبرأيي يمكننا أن نضع تسلسلاً زمنياً لها- كانوا يشددون على شخص يسوع بالذات، وعلى محنته، كما على طلبه ان تعبر الساعة وقبوله النهائي لها: وهو في مجمله موضوع "مسيحاني" (كريستولوجي).

وهناك موضوع آخر، سواء كان متأخراً أم معاصراً في محيط آخر، يشدد، في الكرازة، على الجانب التطبيقي بالنسبة إلى المؤمنين: كما سهر يسوع وصلّى في يوم محنته الكبرى، هكذا يتوجب على الاخوة أن يسهروا ويصلوا على مثاله، هو الذي قال: "الروح مندفع، أما الجسد فضعيف". وهكذا استخلصوا درساً اخلاقياً من إنجيل الجتسمانية. لم يكن بالإمكان أن يُقال للمسيحيين: "ان ساعتكم قد جاءت"، إذ لم يكونوا في مستوى ابن الإنسان، وانما كان من الواجب على كل منهم السهر والصلاة مع الرب لتجنّب السقوط في التجربة.

واخيرا، كان هناك طرح ثالث، نجده لدى لوقا ويوحنا، يشدد على ضيقة الرب وعلى عون السماء، وهدفه ان يعلّم الاخوة كيف أن يسوع، في تلك المحنة العظمى، حظي بالتشجيع من لدن أبيه.

[8] راجع ب. بنوا: إهانات تجاه يسوع النبي (بالفرنسية) – ليون ١٩٦٢

هذه الطروحات المختلفة، لا تتناقص البتة، وانما يغني احدهما الآخر. فلدينا سرّ لا يُدرك ولا يُمسّ: ابن الإنسان، ابن الله الذي صار بشراً، يتألم على مرأى من ابيه ويقبل الموت[٩]. ذلك يفوق كل تصوّر. والشهود، بطرس ويعقوب ويوحنا، فيما كانوا حاضرين هذا الصراع ورَوَوه، اجترّت الجماعة المسيحية الاولى، أي الكنيسة، هذه الخبرة ومضغتها؛ وسرعان ما استخلصت منها، في كرازها، دروساً مختلفة، فكان التركيز تارة على قبول يسوع البطولي، وتارة اخرى على العون الإلهي الذي لم ينقصه. وجُمعت هذه التقاليد وامتزجت ببعضها إلى حدّ ما، على يد الإنجيليين الذين، كلٌّ بحسب ذوقه، اكّدوا على هذا الوجه او ذاك من السّر. ويتوجب علينا أن نتلقى كل شيء من دون أن نحاول وضع كل التفاصيل بالتتالي في نص وحيد. ذلك لأن هذه الروايات المختلفة هي صدى واعظين مختلفين. وبفضل هذا التنوّع ذاته، سيكون بوسعنا أن نتذوق، بشكل افضل، وفي اعقاب جهد تفسيري، الغنى المدهش الذي ينطوي على هذه الصفحات.

وينبغي أن نؤكد اخيرا كم أن هذا المشهد تاريخي هو. وحتى وإن كنّا لا نحصل على يقين بصدد مفردات النص، ونشعر أن في هذه النصوص طروحات توفيقية وتربوية، ولكن يبقى أن جوهر الرواية يشكل بالتأكيد خبرة معاشة. لقد وُجد ولاشك علماء شكّوا في أصالتها واعتقدوا أن هناك حكاية مُختَلَقة. ولكن كيف يمكن لأحد أن يجرؤ على اختراع مشهد يمسّ الإيمان: خوف يسوع أمام الموت؟ فإذا رُوي هذا المشهد، فهذا دليل على صحته. وهو يجد تأكيداً له في نص من الرسالة إلى العبرانيين يلمّح فيه المؤلف جيداً إلى نزاع يسوع حين قال إن المسيح كاهن إلى الأبد: "هو الذي في أيام حياته البشرية رفع الدعاء والابتهال بصراخ شديد ودموع ذوارف إلى الذي بوسعه أن يخلّصه من الموت، فاستُجيب لتقواه[١٠]،وتعلم الطاعة، وهو الابن، بما عانى من الألم. ولما بُلغَ به إلى الكمال، صار لجميع الذين يُطيعونه سبب خلاص ابدي" (عب ٥: ٧-٩). تلك هي كلمات لم يكن بوسعنا أن نجرؤ على الإدلاء بها من أنفسنا: "بُلغ به إلى الكمال"! لقد كان يسوع ولاشك كاملاً في ذاته، منذ ولادته. ولكنه بصفته اخانا الأكبر، عرف طُرُقنا

---

[٩] ندعو القارئ إلى قراءة كتاب "يسوع الذي من الناصرة / بقلم مرقس الإنجيلي" من تأليف الاب ماري-اميل بوامار (منشورات مركز الدراسات الكتابية في الموصل /العدد ٢ من سلسلة "ابحاث كتابية" -٢٠٠٢) (المعرب).

[١٠] لقد استجيب ليسوع، ليس بمعنى أنه أُعفي من الألم، ولكن بمعنى انه دخل كلياً في "ساعته".

وارتضى أن يكون مجرَّبا، لا مثلنا بالخطيئة الداخلية، بل بالاستمالة الخارجيـــة، لا بـــل بالرغبة الشرعية جداً في الإفلات من الموت. فهو لم يكن يستحق الموت؛ وانما شـــاء أن يقوم بهذا الخيار من أجلنا. وهكذا استطاع أن "يتعلّم الطاعة" لكي يجيب أباه: "لـــتكن مشيئتك لا مشيئتي". بهذا يتضح كم ان اتضاع الرب كبير!

الفصل الثاني

اعتقال يسوع

متى٢٦: ٤٧-٥٦	مرقس ١٤: ٤٣-٥٢	لوقا: ٤٧-٥٣	يوحنا ١٨: ٢-١١
			٢وكان يهوذا الذي اسلمه
			يعرف ذاك المكان، لكثرة ما
			اجتمع فيه يسوع مع تلاميذه.
٤٧وبينما هو يتكلّم،	٤٣وبينما هو يتكلّم،	٤٧وبينما هو يتكلّم،	
اذا	اذ	اذا عصابة	
	وصل	يتقدمها	
بيهوذا،	يهوذا،	يهوذا،	٣فجاء يهوذا
احد الاثني عشر،	احد الاثني عشر،	احد الاثني عشر،	
قد وصل			
ومعه	ومعه		
عصابة كثيرة العدد	عصابة		بحرس الهيكل
تحمل السيوف والعصيّ	تحمل السيوف والعصيّ		
ارسلها عظماء الكهنة	ارسلها عظماء الكهنة		والحرس الذين ارسلهم عظماء الكهنة
	والكتبة		والفرّيسيّون
وشيوخ الشعب	والشيوخ		
			حتّى بلغ ذلك المكان،
			ومعهم المصابيح والمشاعل
			والسلاح.
٤٨وكان الذي اسلمه	٤٤وكان الذي يُسلمه		
قد جعل لهم	قد جعل لهم		
علامة،	علامة،		
إذ قال:	إذ قال:		
"هو ذاك الذي اقبّله،	"هو ذاك الذي اقبّله،		
فامسكوه".	فامسكوه		
	وسوقوه محفوظا".		
٤٩ودنا من وقته الى يسوع	٤٥وما إن وصل حتى دنا منه	فدنا من يسوع	
وقال: "السلام عليك، رابّي"	فقال له: "رابّي"		
وقبّله.	وقبّله.	ليقبّله.	
٥٠فقال له يسوع:		٤٨فقال له يسوع:	
"صديقي،		"يا يهوذا،	
		أبقبلة تُسلم ابن الانسان؟"	
إفعل ما جئت له".			
فدنوا			
وبسطوا أيديهم	٤٦فبسطوا أيديهم		
الى يسوع	اليه		
وأمسكوه.	وأمسكوه.		
		٤٩فلمّا رأى الذين حوله	٤وكان يسوع
			يعلم
		ما أوشك ان يحدث	جميع ما سيحدث له،
			فخرج وقال لهم: "مَن تطلبون؟"
			٥أجابوه: "يسوع الناصريّ".
			قال لهم: "انا هو". وكان يهوذا
			الذي أسلمه واقفا معهم.
			٦فلمّا قال لهم: انا هو، رجعوا
			الى الوراء ووقعوا الى الارض.
			٧فسألهم يسوع ثانية: "مَن تطلبون؟"
			قالوا: "يسوع الناصريّ".

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			[٨]أجاب يسوع: "قلت لكم اني انا هو،
			فاذا كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء
			يذهبون".
			[٩]فتمّت الكلمة التي قالها: "ان الذين
			وهبتهم لي لم أدَعْ احدا منهم
			يهلك".
		قالوا: "يا ربّ،	
		أنضرب بالسيف؟"	
	[٤٧]فاستلّ		
[٥١]واذا			
واحد من الذين مع يسوع	أحد الحاضرين	[٥٠] وأحدهم	[١٠]وكان سمعان بطرس
			يحمل
قد مدّ يده			
الى سيفه	سيفه		سيفا
فاستلّه			فاستلّه
وضرب	وضرب	ضرب	وضرب
خادم عظيم الكهنة	خادم عظيم الكهنة	خادم عظيم الكهنة	خادم عظيم الكهنة
فقطع اذنه	فقطع اذنه	فقطع اذنه	فقطع اذنه
		اليمنى	اليمنى،
			وكان اسم الخادم ملخس.
[٥٢]فقال له يسوع:		[٥١]فأجاب يسوع:	[١١]فقال يسوع لبطرس:
		"دعوهم! كفى!"	
إغمِد سيفك، فكلّ مَن			"إغمِد السيف.
يأخذ بالسيف بالسيف			
يهلك.			
[٥٣]أو تظن انه لا يمكنني			
ان اسأل ابي، فيمدّني			
الساعة بأكثر من اثني عشر			
فيلقا من الملائكة؟			
[٥٤]ولكن كيف تتم الكتب التي			
تقول إن هذا ما يجب أن			
يحدث؟"			
٢٦ [٤٢]"اذا لم يكن ممكنا			أفلا
ان تبتعد عنّي هذه الكأس او أشربها،			اشرب الكأس
فليكن ما تشاء".			التي ناولني ابي ايّاها؟"
		ولمس اذنه فأبرأه.	
[٥٥]في تلك الساعة			
قال يسوع للجموع:	[٤٨]فقال لهم يسوع:	[٥٢]ثم قال يسوع	
		للذين قصدوا اليه	
		من عظماء الكهنة وقادة	
		حرس الهيكل والشيوخ:	
"أعلى لصّ	"أعلى لصّ	"أعلى لصّ	
خرجتم	خرجتم	خرجتم	
تحملون السيوف والعصيّ	تحملون السيوف والعصيّ	تحملون السيوف والعصيّ؟	
لتقبضوا عليّ؟	لتقبضوا عليّ؟		
كنتُ كل يوم	[٤٩]كنتُ كل يوم	[٥٣]كنتُ كل يوم	١٨ [٢٠]"اني كلّمتُ العالم علانية،
	بينكم	معكم	
أجلس أعلّم	أعلّم		واني علّمتُ دائما في المجمع
في الهيكل	في الهيكل	في الهيكل	والهيكل
			حيث يجتمع اليهود كلهم،

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			ولم أقلْ شيئا في الخفية
فلم تمسكوني	فلم تمسكوني	فلم تبسطوا أيديكم اليَّ،	
		ولكن هذه ساعتكم	١٦ [٣٢]"... اذا أتت الساعة..."
		وهذا سلطان الظلام!"	
[٥٦]وانما حدث ذلك كله	وانما حدث هذا		
لتتمّ كتب	لتتمّ الكتب".		
الانبياء".			
فتركه	[٥٠]فتركوه		
التلاميذ كلّهم	كلّهم		
وهربوا	وهربوا		
	[٥١]وتبعه شاب يستر		
	عريه بإزار فأمسكوه.		
	[٥٢]فتخلى عن الإزار وهرب		
	عريانا.		

رواية مرقس

بعد النزاع، هوذا المشهد التالي: اعتقال يسوع في الجتسمانية. وهنا أيضاً يجدر بنا أن نبدأ برواية مرقس.

"**وبينما هو يتكلم، إذ وصل يهوذا أحد الاثني عشر**" (مر ١٤: ٤٣). تبدأ الجملة بكلمة "للحال"، وهي تبدو مدخلاً عادياً، إلا انها احدى سمات مرقس. فمع كون المؤلفين مُلهَمين، إلا أن لكل منهم طريقته في الكتابة، لا بل "حيَلهم" الصغيرة! ونحن، حين نتنقّل في احاديثنا، ألا نستخدم كلمات: "ثم"، "حينئذ"، "هكذا"، "أليس كذلك" الخ... فالإنجيليون أيضاً، لهم أساليبهم. ومرقس لا يتردد من استخدام كلمة "للحال"، لأنه رجل تلقائي، يرى الامور بشكل عفوي. بينما يؤثر متى أن يستخدم كلمة "حينئذ" المألوفة جداً. اما لوقا الذي يستلهم اسلوب الكتاب المقدس، فقد وجد التعبير: "وحدث انه"؛ بينما يطيب ليوحنا أن يقول: "بعدئذ". وما زلنا حتى اليوم نبدأ قراءة الإنجيل في قداس الأحد: "في ذلك الزمان"!

وللحال "**بينما كان يتكلم**": نحن بصدد كلمات تختم المشهد السابق: "ان الذي يُسلمني قد اقترب، قوموا! لننطلق!". "**يصل يهوذا**". وهذه مرة أخرى يستخدم مرقس صيغة فعل تبدو أكثر حيوية من صيغة الماضي، هي صيغة الحاضر التاريخي، وبأسلوبه الحيوي والدقيق والآني. "**يهوذا أحد الاثني عشر**": ونستشف للحال ثمن ووزن هذه العبارة التي سيتبناها كل من متى ولوقا. انها تذكّر ما في المشهد من جانب مأساوي: فالذي يسلم المعلم هو أحد الاثني عشر! لم يكن رجلاً من الشارع، يهودياً معادياً، وانما أحد المقرّبين، وأحد اولئك الذين اختارهم يسوع ليكونوا مرافقيه. وهكذا يتضح أن هناك سراً تخفيه العناية الإلهية. ويسوع الذي كان يعلم بهذه النهاية، كيف اتخذه في عداد الاثني عشر؟ ويهوذا الذي كان قد أُختير ولاشك بسبب صفاته، كيف

وصل إلى هذا الحدّ؟ ان سرّ بسيكولوجية يهوذا تثير الاضطراب. وتساورنا خيبة أمل ازاء هذه المأساة التي عرفها رجل مختار، وقد تمخضت عن هذه الصورة! ومع ذلك، يبدو أن الله سمح بهذه المأساة كي يحقق مخططه الأبدي: اعتقال ابنه والحكم عليه بالموت.

"أحد الاثني عشر، ومعه عصابة تحمل السيوف والعصي" (مـــر ١٤: ٤٣).
وتوحي هذه الكلمات بفريق غير نظامي من المسلّحين. ليسوا جنوداً مسلّحين ببنادق من الطراز الحديث: فلقد أخذوا الأدوات البسيطة: الخنجر أو المدية (شبرّية) التي لا يـــزال يحملها، في حزامه، كل بدوي، مع عصّي تُجمع من مكان ما. واهم، وإن لم يكونـــوا جنوداً نظاميين، فهم أناس انتدبهم السنهدريم، وقد يكونون ولاشك حجّاباً أو حرّاساً في خدمته. هذا السنهدريم كان بمثابة محكمة، أو مجلس كبير على رأس إسرائيل، وقد كانت له، ولاسيما قبل عصر الحشمونيين والرومان، سلطة سياسية وتشريعية وتنفيذية. وكانت قراراته تُنفَّذ على يد حجّاب أو حرّاس، هم بمثابة الشرطة المحلية. لم يأت ذكر السنهدريم هنا، وانما قيل بأن هؤلاء الرجال جاءوا **"من قبل عظماء الكهنة والكتبة والـــشيوخ"**. وفي الواقع كان المجلس مؤلفاً من هذه الفئات الثلاث[1].

وتلعب هذه المؤسسة اليهودية دوراً مهماً في الإنجيل. أما لفظة "سنهدريم" فتأتي من اليونانية (sunedrion) وتعني مجلساً ظهر في التاريخ، من بعد الجـــلاء إلى بابـــل، في القرن ٣-٢ ق.م. ولقد تأسس هذا المجلس الأرستقراطي في الدولة الثيوقراطية (حكـــم الله) التي نشأت بعد الجلاء، ليأخذ مكان الملكية البائدة. وبأمر ملك الشعب الذي هـــو الله، كان هذا المجلس (السنهدريم) –بصفته هيئة جماعية- يحكم ويقيم العدالـــة ويقـــود الشعب اليهودي. وتحت سيادة الملوك الحشمونيين وهيرودس، ومن ثم الرومان، أخذ هذا المجلس يفقد اهميته، ولاسيما على الصعيد السياسي. إلا انه احتفظ بدور ديـــني، علـــى صعيد التشريع والرقابة، حتى كان بوسعه أن يعاقب المخالفين. وكانت طبقات ثـــلاث رئيسية تؤلف السنهدريم.

---

[1] نشير على القارئ المتتبع ان يطالع كتاب "مجتمع يسوع" لمؤلفه الاب سامي حلاّق اليـــسوعي (دار المـــشرق، بيروت ١٩٩٩)، وكذلك "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" للأب اسطيفان شربنتييه الذي يتناول جزؤه الثاني العهد الجديد من كل جوانبه (دار المشرق، بيروت ط٤، ١٩٩٩)؛ فضلا عن الجزء الأول من "قراءة في العهد الجديـــد: الأناجيل الاربعة (الرقم ٥ من سلسلة "ابحاث كتابية" /منشورات مركز الدراسات الكتابية في الموصـــل، ٢٠٠٤) (المعرّب).

عظماء الكهنة. كانت هذه الطبقة تشمل، بالدرجة الاولى، رئيس الكهنة الفعلي والذي كان يُغيَّر من زمن إلى آخر، بفعل إقالة من قبل الملك او الدولة الرومانية؛ ومن ثم رؤساء الكهنة السابقين الذين كانوا يحتفظون باللقب (كما يبقى رئيس الوزراء حتى الآن يلقب "السيد الرئيس")؛ واخيرا اعضاء الاسر الكهنوتية الكبرى والتي يُختار منها عادة رؤساء الكهنة. وهكذا كانت لفظة "عظماء الكهنة" تعني طبقة الكهنة النبلاء، ورؤساء الهيكل الذين كانوا يديرون النظام الديني في العبادة والديانة اليهودية.

الكتبة، وهم مختلفون جداً: انهم علماء الدين، وكان يعني اسمهم اناساً يعرفون الكتابة، ولكن لا يسوغ أن نجعل منهم اشخاصاً من صغار الكتّاب في القرية. ففي ذلك العصر، حين كان الجميع يجهلون الكتابة، كانت هذه الموهبة تمنح مفاتيح العلم. وكان اولئك الذين يتعاطون دراسة الكتب بمثابة علماء. إلا انهم كانوا بالدرجة الاولى علمانيين، ومن طبقة فقيرة احياناً. ولقد لقي هذا العنصر الديمقراطي في المجتمع حظوة كبيرة لدى الشعب، بحيث اصبح للكتبة شأن، منذ العودة من الجلاء، حتى أن تأثيرهم كان ينافس، إلى حد ما، نفوذ عظماء الكهنة. فلقد كان عظماء الكهنة يمثّلون التقليد، إلا ان الشعب كان يأخذ على هؤلاء الاحبار بالوراثة قلّة تديّنهم، كما كان يلومهم على انهم، ايام المكابيين، "تعاونوا" مع السلطات الاجنبية. وهكذا كان التفضيل الشعبي، بالعكس، يذهب باتجاه العلماء، وهم في غالبيتهم فريسيون، ومتزمّتون، يتمسكون بدراسة التورا ويسعون إلى جعل منزلة الكهنوت الاعظم يُمنى بالفشل، كي يفرضوا وجهة للدين اكثر صرامة. وهكذا استطاع الكتبة أن يفرضوا انتماءهم إلى السنهدريم؛ وقد حدث انهم طُردوا منه لفترة من الزمن، ثم عادوا إليه. اما في بداية القرن الاول، فقد اصبحت لهم اهمية كبرى. وهكذا كان ليسوع غالباً، طيلة رسالته، نقاشات مع هؤلاء العلماء، وهم في معظمهم فريسيون[٢]، وبالتالي لاهوتيون علمانيون، مقابل عظماء الكهنة.

الشيوخ. انهم ملاّكون اثرياء، رؤساء الأسر الكبرى، أي انهم يمثّلون كبار النبلاء أصحاب العقارات. فهم ليسوا اختصاصيي الكهنوت والعبادة، كما ليسوا لاهوتيين، وانما رؤساء عشائر، حتى أن وجودهم في المجلس كان يشكّل عنصر موازنة في

[٢] تعني لفظة "فرّيسي" شيعة دينية وليس طبقة اجتماعية.

منتهى الأهمية. وهكذا يكون السنهدريم مؤلّفا من ثلاث طبقات: عظماء الكهنة والكتبة والشيوخ. وهذه المحكمة الكبرى في الدين اليهودي هي التي ارسلت رجالاً مسلّحين، يقودهم يهوذا، للقبض على يسوع.

"وكان الذي يسلمه قد جعل لهم علامة إذ قال: هو ذاك الذي أُقبّله، فأمسكوه وسوقوه محفوظاً" (مر ١٤: ٤٤). ذلك أن جماعة الهيكل وحجّاب السنهدريم لم يكونوا كلهم يعرفون يسوع. وإذا كانوا قد رأوا الرب، فهل سيعرفونه في الليل، بين أشجار الجتسمانية؟ وهكذا كان من الممكن أن يغلطوا. اما يهوذا، فكان على يقين من انه يعرفه، لذا قال: انظروا إليّ، ها اني سأتوجّه إليه، فامسكوه انتم. لقد اعطاهم علامة: قبلة. وتبدو هذه العلامة خسيسة، وهي كذلك، ولكنها ليست مع ذلك حركة غريبة؛ فتلك كانت الطريقة المألوفة التي بها يتوجه طالب إلى معلمه. وكما نشدّ اليوم على اليد او نقبّلها بدافع الاحترام، هكذا كان يقترب الطالب من المعلم ويقبّله. انها التحية اليومية التي غالباً ما كان يهوذا ولاشك، كالآخرين، يتبادلها مع يسوع. وهكذا لم يرَ فيها الرسل ما يلفت النظر: فيهوذا يصل إلى المكان متأخرا، ويتوجه إلى يسوع ويقبّله. إلا انه اضاف الخيانة على هذه الحركة التي تبدو نزيهة لأول وهلة. وهنا تكمن المأساة، وتصبح اكثر قسوة حين يكون الموقف عادياً. ذلك يذكّر بحالة مماثلة، كتلك الحركة البسيطة التي كانت علامة على واقع خطير، وهي تلك اللقمة التي اعطاها يسوع ليهوذا في بدء العشاء. فلقد بدأ يسوع يعلن عن ان واحداً يخونه؛ وجُنّ التلاميذ لأنهم لم يعرفوا من هو الخائن. وكما يروي يوحنا المشهد، نرى بطرس ويوحنا اللذين كانا بالقرب من المعلم، يسألانه. وقد اجابهما يسوع: "هو الذي أناوله اللقمة"، ومن ثم غمس اللقمة وناولها يهوذا. وهنا أيضاً نجدنا بازاء حركة مألوفة يدركها كل الذين يعرفون الشرق. فلدى تلك المآدب الكبرى التي تجري تحت الخيمة، حول خروف او طبق من الرز، كان من الطبيعي أن يقوم الشيخ أو رب البيت بصنع لقمة من اللحم المختار ويقدمها إلى احد ضيوفه، تكريما له. تلك هي حركة الصداقة والمحبة التي وجهها يسوع إلى يهوذا، ويسوع يعرف معنى الخيانة، وها هو يشخّصها في يهوذا، كما لمّح بذلك أيضاً إلى بطرس ويوحنا. إلا انه اختار حركة مشرّفة لم يكن بوسعها أن تهين يهوذا، وكأنها النداء الاخير الموجّه إلى قلبه. وارتضى بها يهوذا. وهكذا يتم، عبر هذه الحركة اليومية، امر خطير،

كما كانت الحال مع قبلة الجتسمانية، ولكن بانقلاب الأدوار. فمن جانب الرب، نجد في كل مرة موقفا كله طيبة، اما من جانب الإنسان ذي الارادة السيئة، فنجدنا بازاء سقطة[٣].

في الجتسمانية اتخذ يهوذا الاحتياطات: ما ان عرفتموه **"أمسكوه وسوقوه محفوظاً"**. وتعني الكلمة اليونانية "دون أن يُفلت"؛ والكلمة ذاتها هي مرادف لـ "اسفلت" بمعنى الارض الصلبة التي تمنع العربة من الانفلات. وهكذا لا ينبغي أن "يفلت" يسوع من بين ايدي الذين سيعتقلونه. ويذكر يهوذا أن يسوع، ولمرات عديدة، في الناصرة كما في غيرها، أفلت يسوع من بين أيديهم؛ فلقد كانوا قد قبضوا عليه، إلا انه، على حد تعبير الإنجيل، انطلق كما شاء. وهكذا يخشى يهوذا أن يهرب الرب مرة أخرى، لذا فهو يوصي: تنبهوا، أمسكوه جيداً.

"وما أن وصل حتى دنا منه فقال له: رابّي، وقبّله" (مر ١٤: ٤٥). فلقد توجه نحوه واعطاه قبلة، كما في كل يوم. وهنا تبدو الجملة المترجمة عادية، غير انها باليونانية اقل جمالاً، فهي حرفيا: "وفيما هو يأتي، جاء إليه وقال". ونستشعر اسلوب مرقس الخشن والصوري: يهوذا يأتي، وللحال (هذه الكلمة الدائمة لدى مرقس!) يرى يسوع ويذهب نحوه. وهكذا تبدو الجملة خشنة، لذا سيلطف متى الزوايا الحادة كي تنساب الجملة بشكل افضل. وتجدر الاشارة بان يسوع، بحسب مرقس، لا يجيب على القبلة بشيء.

"فبسطوا أيديهم إليه وأمسكوه" (١٤: ٤٦). النص هنا بسيط: يد على الخناق، دون أية مقاومة أو أية كلمة.

"فاستل احد الحاضرين سيفه، وضرب خادم عظيم الكهنة فقطع أذنه" (مر ١٤: ٤٧). يقول النص اليوناني: "احد من اولئك الذين كانوا معه". وحين نقرأ ذلك، ينشأ لدينا الانطباع أن المقصود شخص مجهول، إلا أن يوحنا سيعلمنا بانه بطرس.

---

[٣] تجدر الاشارة هنا إلى أن يهوذا "لم يشترك" في العشاء السرّي، كما يُخيل إلينا احيانا. فاللقمة لم تكن الافخارستيا. ومن بعد خروج يهوذا، فاه يسوع بهذه الكلمات: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي" راجع ب. بنوا، علم التفسير واللاهوت-باريس ١٩٦١.

اما مرقس، فلا يوضح ذلك. ذلك ان بطرس لم يشأ أن يروي هذه الحركة الشُجاعة، والتي تبدو بالتالي باهتة! ومَن هو خادم عظيم الكهنة هذا؟ هل هو قائد كبير في الهيكل، كما يظنّ البعض؟ لا، وانما خادم خاص وَكَل إليه عظيم الكهنة مراقبة الاحداث وابلاغه. فعظيم الكهنة لم يأتِ بنفسه، ولكنه سيتلقى المعلومات. ويبدو أن بطرس يعرف هذا الخادم؛ ولكي ينتقم، يتحدى عظيم الكهنة بقطع أُذين الخادم[٤].

"فقال لهم يسوع: أعلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي لتقبضوا عليّ" (مر ١٤: ٤٨). هوذا يسوع، وبسخرية السيد، يدلي بأنْ لم تكن هناك حاجة إلى كل هذه الاحتياطات للقبض عليه، وكأنه يقول لهم بروح رياضية: أمسكوني وكفى. فليس من اللياقة والكياسة أن تهجموا عليّ بمثل هذه الأدوات، كما لو كنت سأقاوم مثل رجل الشارع! وهذا التفسير يأخذ كلمة "لص" بالمعنى الاعتيادي، أي قاطع الطرق الكبرى. ويشاء بعض المفسرين أن يعطوها معنى تقنيا قد يكون محتَملاً. إلا أن هذه اللفظة، باليونانية، قد تعني لصوصاً محترفين او ثواراً، أي إرهابيي ذلك العصر! ولما كانوا ضد الحكومة، كانوا بالتالي مسلّحين بخناجر (ومن هنا كان اسمهم: "قتلة مأجورين")، ومنظّمين على شبه "المقاومة". ويكون يسوع قد لّمح إليهم، منكرا على ذاته صفة عدو سياسي. وهذا التفسير يندرج في سياق نظرية يكون بيلاطس بموجبها قد رأى في يسوع ناشطاً سياسياً. إلا أن هذا التفسير تنقصه القوة. فهنا نكتفي بالمعنى العام لكلمة لص. ونجدها في الإنجيل، في مثل السامري الصالح، بشأن ذاك المسافر الذي عرّاه اللصوص، او في مثل الراعي الصالح الذي يحمي غنمه من سارقي الخراف. وهي الكلمة ذاتها التي تعني اللصّين اللذين صُلبا مع يسوع. وهكذا يقول يسوع هنا: لست من بين هؤلاء اللصوص كي يستوجب القبض عليّ بمثل هذه الاسلحة!

ويضيف يسوع للحال: **"كنت كل يوم بينكم أعلّم في الهيكل فلم تمسكوني..."** (مر ١٤: ٤٩). ها اني بين أيديكم، ولن اقاوم، اقبضوا عليّ إن شئتم!

---

(٤) الكلمة اليونانية هي مصغّر الاذن، وتعني الجزء الخارجي من الاذن. وهناك عبارات موازية ذات نكهة في الادب القديم بصدد الملاكمين المساكين الذين كانوا يمارسون المصارعة باليد. وقد خلّف بعضهم، في انصابهم، ذكريات عن بطولاتهم، كما نقرأ هنا: "كان له انف وحنك وحاجبان واذنان واهداب؛ وما أن اصبح ملاكما حتى فقدها كلها"! .(Anthologie palatine X1, No. 75)

هذا الموقف الذي سيشدد عليه بالاكثر كلٌّ من متى ولوقا، يعطي المعنى العميق الذي ينطوي عليه المشهد: فيسوع هو سيد الموقف، ويتقبل كل شيء. انه الوقت الذي اراده ابوه، فكان عليه، إذن، أن يرتضي بتسليم ذاته. فهو، من جهة اخرى، يضيف، وحتى في انجيل مرقس بالذات: **"وانما حدث هذا لتتم الكتب"**. ذلك أن يسوع يعلم ان المخطط الإلهي، والإنباء بآلام العبد، يجب أن يتمّا في شخصه. انه يقبل سير الأحداث التي وردت في الأسفار المقدسة. وقد يكون فكّر في نص معيّن اورده لوقا (٢٢: ٣٧) حيث قال اشعيا ان العبد "أُحصي مع المجرمين".

"فتركوه كلهم وهربوا" (مر ١٤: ٥٠). الكلمات هنا موجزة، ولكنها ثقيلة جداً! فالتلاميذ، بعد أن ناموا حين كان يسوع ساهراً، يستسلمون إزاء الخطر الأول: ضربة سيف واحدة! وما ان رأوا يسوع يسلم نفسه، وإذا هم يهربون جميعاً، وحتى بطرس. وبعدئذ سيستفيق بطرس ويتبع، عن بُعد، إلى قصر عظيم الكهنة. اما الآن، فنحن بازاء هرب شامل. وهكذا يبدو لنا الرسل جبناء، ولكن ما الذي كنّا سنفعله لو كنّا في مكانهم؟

"وتبعه شاب يستر عريه بازار، فأمسكوه. فتخلى عن الازار وهرب عريانا" (مر ١٤: ٥١-٥٢). ماذا عن هذا المشهد الغريب هنا؟ يرى فيه عدد من المفسرين شاهداً إضافياً. ويلاحظ غيرهم عدًّا تنازلياً: فكل الحاضرين يهربون، حتى هذا الشاب الذي لم يكن مرتدياً سوى ازار. ويُخيل لآخرين أن هذا التفصيل اختُرع لإتمام نص من الاسفار المقدسة -وينبغي البحث جيداً للعثور على توافق!- وهو من النبي عاموس (٢: ١٦) الذي يصف الارتباك وقت العقاب الإلهي: "والشديدُ القلبِ بينَ الأبطال يَفِرُّ عُرياناً في ذلك اليوم"، أي من دون سلاح ولا امتعة. وهكذا يبدو أن تطبيق هذا النص دفع إلى ابتكار هذه القصة! إلا أن هذا التفسير، مع كونه مبتكراً، يبدو مصطنعاً. فالاحرى بنا أن نعتبر الحدث واقعياً. ولكن، لماذا أُدرج هنا؟ قد يكون الشخص الذي نحن بصدده، بحسب العديد من المفسرين -والحل يبدو مغرياً- هو القديس مرقس ذاته الذي يروي ذكرى شخصية: وكأن هذا توقيعه! وبعين الطريقة، قد يكون القديس متى وقّع على إنجيله حين تحدّث عن "كاتب تتلمذ لملكوت السماوات... يُخرج من كنزه كل جديد وقديم" (متى ١٣: ٥٢). ولكن، كيف يمكن لمرقس أن يكون

في بستان الجتسمانية؟ لا يمكننا ان نتخيل ذلك دون ان نتزلق قليلاً في المستوى الروائي[٥]. ومهما يكن، فإن مرقس هو الوحيد بين الإنجيليين الذي احتفظ بهذا التفصيل الغريب، وكأنه ذكرى شخصية حُفرت في ذاكرته.

رواية متى

يقدّم لنا متى هنا، بخلاف نص التراع، تفاصيل مختلفة عن مرقس، ويستخدم صيغا ذات طابع سامي، وفائدة كبيرة، سيما وانها تشير إلى أن متى لا يتبع مرقس فقط، وانما له مصدر آخر ذو طابع اكثر سامية، لا بل اكثر قِدَماً.

"**وبينما هو يتكلم، إذا بيهوذا، أحد الاثني عشر قد وصل**" (متى ٢٦: ٤٧). هناك ملاحظتان لغويتان: "وبينما"، هي صيغة يستخدمها غالباً متى ولوقا، وهي تأتي من الكتاب المقدس. "وصل"، هو الفعل الماضي الذي يستخدمه متى ويفضّله على الحاضر التاريخي الذي يستخدمه مرقس.

"**ومعه عصابة كثيرة العدد تحمل السيوف والعصي ارسلها عظماء الكهنة وشيوخ الشعب**" (متى ٢٦: ٤٧). لماذا اهمل متى الكتبة؟ قد يكمن السبب في كونه منتمياً إلى هذه الفئة، وأبى أن يُظهرهم متورطين في هذه القضية. ليست تلك هي المرة الاولى التي يهمل فيها متى ذكر الكتبة في إنجيله. وإذا كان حقاً عشاراً، كما يُعتَقَد، وكاتبا تتلمذ ليسوع، فقد اصبح من المعقول انه يأبى أن يسلّط عليهم الاضواء في مثل هذه المواقف الصعبة. وهناك تفصيل أخير: يشدد متى على "شيوخ الشعب"، للتأكيد على أن هؤلاء الملاكين الكبار كانوا يمثلون الشعب.

"**وكان الذي أسلمه...**". والنص الذي يلي هو مطابق لنص مرقس. إلا أن متى أهمل عبارة "سوقوه محفوظاً" التي بدت له نافلة او مهينة جداً.

---

[٥] بحسب مؤلف انكليزي (الاب ل.نولّ-١٩٤٧) تكون اسرة مرقس هي التي تملك العلية وبستان الزيتون. فبعد العشاء، كان في البيت كثير من الناس حتى اضطر بعضهم إلى النوم في بستان الزيتون. وكان الرجال مع يسوع وتلاميذه قد ذهبوا ليقضوا الليلة؛ وقد يكون الصبي مرقس قد رافقهم، وله من العمر ما بين ١٢-١٤ سنة. وقد نام في زاوية، ملتفاً بشرشف. وعلى ضجة العصابة، استيقظ وتبصّر وهبّ ليرى ما يحدث. وإذ ارادوا أن يطعنوه، هو أيضاً، إلا انه فضّل أن يترك الشرشف بيد الجنود ويهرب عرياناً!

"**ودنا من وقته إلى يسوع**"، هنا نجد الاسلوب اكثر وضوحاً مما لدى مرقس. "**وقال: السلام عليك، رابّي، وقبّله**" (متى ٢٦: ٤٩). عن هذه القبلة، إليكم جواباً ليسوع لم يورده مرقس: "**فقال له يسوع: يا صديقي، افعل ما جئت له**" (متى ٢٦: ٥٠). لقد تبنّت هذه الترجمة وجهة يمكن مناقشتها. فالكلمة اليونانية التي تُرجمت إلى "صديق" تعني رفيقاً أو زميلاً –تلك عبارة لطيفة وحميمة في الوقت ذاته: يا صديقي. أما عبارة "افعل ما جئت له"، فمن الصعب ترجمتها: هناك أولاً معنى حرفي: "لماذا انت هنا". ولَكَم جرى نقاش حول هذه العبارة. فلقد رأى بعضهم فيها سؤالاً: "لماذا أنت هنا؟".. تلك حال ترجمة الفولكاتا (البسيطة) اللاتينية التي ترتَّل يوم السعانين. ولكن هذه الترجمة غير صحيحة. وعوضاً عن ضمير التساؤل، ينبغي قبول التساؤل عن شيء: "ما الأمر الذي من اجله جئت". إلا أن الجملة تبقى عالقة، فكيف يمكن إكمالها؟ هناك مَن يفهمها هكذا: "أنا أعلم لماذا جئت"؛ فيما يفهمها البعض الآخر، كالأب لاكرانج: "قبلة! أمن أجلها جئت؟!". والحل الذي أفضّله يكمن في ان لدينا هنا عبارة تكرَّر، وكأنها مضرب المثل، لتذكير شخص بما يلزم أن يقوم به: "افعل جيداً الامر الذي من اجله جئت"[٦]، "افعل ما جئت له". انه تأنيب فيه عذوبة ولياقة، في آن واحد. ويكون يسوع قد قال: هذا يكفي الآن، فلقد بلغنا إلى الافعال، فقم بعملك. لقد اتصف الرب بالصبر حتى الآن، وكأنه قد غضّ النظر، في محاولة للعودة بيهوذا؛ إلا اننا اصبحنا إزاء النهاية، وهوذا يسوع يوقفه عند حدّه، إذ لم يعد معنى للتقبيل: يا صديق، كفاك تصنّعاً، افعل ما جئت له. ويورد يوحنا عبارة مماثلة في العلية (يو ١٣: ٢٧): لقد كشف يسوع، حين ناوله اللقمة، عن انه يعلم بخيانة يهوذا، لذا قال له: "افعل ما انت فاعلٌ وعجِّل". ويقول لنا الإنجيل ان التلاميذ لم يفهموا، وظنوا ان عليه ان يقوم ببعض الصدقات، او ان يشتري بعض الحاجات لعيد الفصح. إلا ان يسوع كان يفكّر بالخيانة: كفى! قم بعملك.

[٦] إليكم نصّان يؤكدان على هذا المعنى:
في اعمال الشهداء" كاربوس ورفاقه" هناك امراة اسمها اغاثونيكا حملها الجمع على نكران دينها، رحمة بابنها. وها هي تجيب: هو الله الذي سيراف به، أما أنا "فمن اجل هذا أنا هنا". ومعناه: أنا أقوم بعملي، فما عليّ أن أفعله هنا هو أن اعترف بالمسيح واموت؛ والله سيعتني بابني الصغير. وهناك نص آخر: وُجدت مراراً كتابة منقوشة على كؤوس زجاجية قديمة: "افرح، هذا الذي من اجله أنت هنا"، بمعنى: افرح، وكن في ما يعنيك. فأنت هنا كي تشرب.

"**فدنوا وبسطوا ايديهم إلى يسوع وأمسكوه**" (متى ٢٦: ٥٠). والنص مشابه لنص مرقس.

"**وإذا واحد من الذين مع يسوع قد مدّ يده إلى سيفه فاستلّه**" (متى ٢٦: ٥١). يمكننا هنا ان ندلي بملاحظة ذات فائدة فيلولوجية (اصول الكلمات). لم يَكن ضرورياً القول ان احداً مدّ يده ليأخذ السيف، إلا اننا بازاء تعبير بيبلي. فحين أخذ شمشون فكّ حمار للهجوم على اعدائه، قال الكتاب المقدس، بالعبرية أولاً، ومن ثم باليونانية: مدّ يده واخذ فك الحمار (قض ١٥: ١٥). وكذلك حين قاتل داود جليات، مدّ في جعبته واخذ حصاة ليقتله (١صم ١٧: ٤٩). وتبنى متى هذه العبارة البيبلية -انه تفصيل نسجّله باهتمام، لأنه يكشف ان متى غير مرهون كليا بمرقس، وان اسلوبه يكشف عن مصدر آخر.

وضرب خادم عظيم الكهنة، فقطع أذنه" (متى ٢٦: ٥١). وكما كانت الحال مع القبلة، يورد متى هنا جوابا ليسوع لم نجده في نص مرقس: "**اغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك**" (متى ٢٦: ٥٢). ونشعر اننا بازاء مثل شبيه بما جاء في سفر الرؤيا (١٣: ١٠). فالسيف ينادي السيف! إنها سنّة الانتقام البشري. ويضع يسوع نفسه في مستوى أرفع. وسيقول عما قريب لبيلاطس: ليس لي جند، لأن مملكتي ليست من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦). وهنا يضيف متى: "**أوَ تظن انه لا يُمكنني أن أسأل أبي، فَيَمُدّني الساعة بأكثر من اثني عشر فيلقاً من الملائكة؟**" (متى ٢٦: ٥٣). يشير يسوع هنا إلى ان جيشه، أي ملكوته وقضيته، هما من مستوى آخر. فلو كان يشاء، لكان بوسع قدرة الله العظمى ان تكون تحت تصرّفه، وتكون الملائكة في خدمته؛ فإذا سمح ان يلقى القبض عليه، فلأنه يقبل ذلك ويرفض أن تتحول قضيته إلى الصعيد السياسي.

ولكن، لماذا الحديث عن اثني عشر فيلقاً من الملائكة؟ لاشك أن العبارة غريبة. انها توحي بالفيالق الرومانية، أو الافواج. وهل الملائكة هم، إذن، افواج جُمعوا في فيالق؟ ان النصوص التي اكتشفت في قمران تنير الآن هذا السؤال. فبالقرب من البحر الميت، عرّفتنا الوثائق الخاصة بجماعة يهودية معاصرة (لا بل انها سبقت العهد الجديد

بقليل) باعتقاد تحتل الملائكة بموجبه مكانة كبرى، وبالأخص الملائكة الاشرار والملائكة الاخيار. وهناك تمييز بين ابناء الظلمة وابناء النور، وكأننا بازاء معسكرين متعاديين يتعارض فيهما الشر والخير، الشيطان والله. ذلك أن تحت أُمرة أمير الظلمات وأمير الانوار، ليس هناك بشر فقط، بل ملائكة أيضاً. ويصف "ملف الحرب" –وهو كتاب يتناول القتال الكبير والنهائي- كل الاساليب التي تتقاتل بها الجيوش الارضية، ومن فوقها الجيوش الملائكية. فإلى هذه البيئة الفكرية ينتمي كلام يسوع: الملائكة هم معه بمثابة اسوار سماوية، وهم جيشه الحقيقي. فلو شاء، لاستطاع ان يستنفرهم، ولكن:

"كيف تتم الكتب التي تقول إن هذا ما يجب أن يحدث" (متى ٢٦: ٥٤).
وكأن يسوع يقول: لو دافعت عن نفسي، بواسطة ملائكة الله، فلن أموت. إلا أن الاسفار المقدسة تقول بانه يجب ان أموت، لذا بقي عليّ ان أقبل اعتقالي من دون مقاومة. وهكذا يبدو موقف، يسوع، بارادته، سالباً.

وكل ما يلي في الرواية، فهو مطابق لرواية مرقس، وحتى النهاية. وليس هناك ما يُقال فيها سوى ان متى أهمل التفصيل بشأن الشاب العريان الذي لم يكن يهمه، ونفهم لماذا.

رواية لوقا

رواية الاعتقال بحسب لوقا هي بالأحرى قصيرة.

"وبينما هو يتكلم، إذا عصابة يتقدمها المدعو يهوذا أحد الاثني عشر" (لو ٢٢: ٤٧). لا يقول لوقا كلمة عن السيوف والعصي، ولا عن الكهنة والكتبة؛ كما انه لا يتحدث قط عن العلامة المتفق عليها، ولو انه لم يكن يجهل هذه الأحداث. وسنرى فيما بعد كيف أن جواب يسوع ليهوذا يفترض انه رأى ولاشك في القبلة علامة متّفقاً عليها، كما انه يذكر عظماء الكهنة، في الآية ٥٢. فلوقا يحتفظ بهذه المعلومات إلى ما بعد، ويذهب توّاً إلى القبلة ذاتها.

انه يورد كلمة ليسوع تختلف تماما عن تلك التي في متى: **"فقال له يسوع: يا يهوذا، أبقبلة تسلّم ابن الإنسان؟!"** (لو ٢٢: ٤٨). إن الجملة [illegible] جداً، وهي مثقلة

باللاهوت، إذ انها تشدد على المفارقة بين هذه القبلة –وهي علامة الصداقة– وبين الخيانة التي تمخضت عنها. اما عبارة "ابن الإنسان"، فهي لقب مسيحاني هام يستخدمه يسوع حين ينبئ عن مصيره المتّسم بالألم والمجد. وهكذا نجد الطابع المأساوي للمشهد، موجزاً في جملة واحدة: عبر علامة صداقة، ينجز صديق مصير ابن الإنسان! ولما كانت كلمات يسوع التي نقلها متى ولوقا مختلفة، يحق لنا أن نتساءل: ماذا قال يسوع بالضبط؟ لا نعلم! ومن النافل ان نطرح مثل هذا السؤال. ذلك أن الإنجيليين لم ينقلوا لنا كلمات اكيدة في حرفيتها، وكأنها سُجّلت عبر آلة تسجيل. وانما شاء كل منهم، وفق بسيكولوجيته ولاهوته، ان يعكس لنا روح المشهد. فمتى نقل جواباً يليق بيسوع، ولوقا اوجز الوضع بطريقة رفيعة. وكلاهما على حق، طالما انهما عبّرا بعمق عن روح يسوع في لقائه مع يهوذا. هل قيلت هاتان العبارتان، الواحدة تلو الأخرى؟ هل ينبغي ان يكون يسوع قد تلفظ بهما كلتاهما؟ وإذا كان لابد لنا من ان نختار، فبوسعنا ان نعتبر عبارة متى اكثر احتمالاً، دون أن يساورنا الشك، مع ذلك، في صحة عبارة لوقا.

"فلما رأى الذين حوله ما أوشك أن يحدث، قالوا: يا رب، أنضرب بالسيف؟" (لو ٢٢: ٤٩). هنا تختفي مبادرة بطرس التلقائية، وكان هو الذي هجم الأول. بل نرى التلاميذ، بكل احترام، يطلبون من يسوع السماح بالدفاع عنه –وهو امر ضعيف الاحتمال من وجهة النظر النفسية. فلا يمكن ان نتخيل بطرس يقول ليسوع: يا رب، هل يمكنني ان أضرب؟ ولكان يسوع اجابه حالاً بالنفي.

"وضرب أحدهم خادم عظيم الكهنة فقطع أذنه اليمنى"(لو ٢٢: ٥٠). لماذا التركيز على الأذن اليمنى –وهو تفصيل سيؤكده يوحنا؟! قد يكون من الطبيعي بالاكثر أن يقطع شخص أذن عدوّه اليسرى. ويمكن الادّعاء أن بطرس قد ضرب من وراء، غير أن مثل هذه الضربة تصبح جبانة[٧]. وهكذا يكون من الاصح أن نجيب بان بطرس اختار إراديا الأذن اليمنى على اليسرى، كي يسيء بالاكثر إلى الكرامة. فلقد كان الاقدمون، وحتى اليوم ايضا، يعتبرون الاعضاء اليمنى أكثر كفاءة، وبالتالي أكثر إكراماً من الاعضاء اليسرى. وكانت الميشنا (بابا قمّا، ٨: ٦) تفرض غرامة على من يضرب صفعة براحة اليد وتصيب الخد الايسر؛ وتتضاعف الغرامة على من يضرب بظهر اليد، لأنها تبلغ الخد

[٧] ويمكن أيضاً أن نتخيل بطرس "يسراوياً"! ولكن ألا يكون ذلك تبريراً؟

لأنها تبلغ الخد الأيمن. وهناك مخطوطة بردية من مصر تعكس مثلاً آخر: جرى اعتداء على جندي روماني، على يد ناطور القرية واشقيائها. وراح يدافع عن نفسه، ولكي يتخلص من خصومه، قطع أذن الناطور اليمنى. فهذا الجندي، عوضاً عن ان يقتل عدّوه، اكتفى بانتهاك كرامته بقطع أذنه اليمنى. وهكذا تبدو حالة بطرس شبيهة بها.

لم يكن رد فعل يسوع هو ذاته إلا في رواية متى. ذلك أن يسوع، بحسب لوقا، قال: "دعوهم! كفى!" (لو ٢٢: ٥١)؛ انه يأبى مثل هذه الأساليب. فلقد سبق ليسوع، أثناء العشاء (لو ٢٢: ٣٦-٣٨)، أن أعلن، وبطريقة استعارية، عن مجيء وقت يُضطهد فيه ابن الإنسان، بحيث سيتحتم على من كان له رداء، أن يبيعه ليشتري سيفاً. وكان من بين الرسل -وقد أخذوا هذه الكلمات بحرفيتها- مَن أجاب: "يا رب، ههنا سيفان". وحينئذ قال لهم يسوع: "كفى"، بمعنى: انكم لا تفهمون شيئاً من كلامي، فلست عن هذا اتكلم. وهكذا هي الحال هنا: كان لبطرس هبّة شجاعة اعتز بها ولا شك، إلا أن يسوع أوقفه: "كفى".

"ولمس أذنه فأبرأه" (لو ٢٢: ٥١). لوقا هو الوحيد الذي يروي هذه الحركة المؤثرة، لأنه رقيق القلب وطبيب، بينما لا يقول متى ومرقس ويوحنا شيئاً من ذلك، بحيث اعتقدنا أن الخادم ذهب مجروحاً. اما بحسب لوقا، فالرب لم يكن بوسعه أن يسمح بذلك. وهذا لا يعني بالضرورة أن لوقا يخترع، وانما قد يكون التقط تفصيلاً أسقطه سائر الإنجيليين، لأن روحه الطيبة يحلو لها أن تروي الشفاءات.

"ثم قال للذين قصدوا إليه من عظماء الكهنة وقادة حرس الهيكل والشيوخ" (لو ٢٢: ٥٢). تعني لفظة "قادة الحرس" رؤساء شرطة الهيكل. فلقد كان في الهيكل ولاشك شرطة دينية، مهمتها حراسة الأماكن المقدسة-كالحرس السويسري في الفاتيكان!-؛ وكان ضباطها بمثابة رؤساء الحرس. لقد كان واقفاً ازاء يسوع، بحسب لوقا، عظماء الكهنة ورؤساء شرطة الهيكل والشيوخ. وهكذا يكون العظماء، في تلك ليلة الجتسمانية، قد تحركوا أنفسهم للاشتراك في الاعتقال! فلا متى، ولا مرقس، ولا يوحنا، قالوا عن هذا شيئاً. هل حظي لوقا بمعلومة خاصة؟ ألم يكن بالأحرى قد اختصر الموقف؟ الاحتمال الاكبر هو أن الخدم والحرس جاءوا وحدهم إلى الجتسمانية، بينما كان الرؤساء ينتظرون أن يأتوا بيسوع أمامهم. ومهما يكن من شأن السامعين، فنحن

بازاء كلام يسوع ذاته الذي نقله لوقا: "**أعلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي**" (لو ٢٢: ٥٢).

"**ولكن هذه ساعتكم! وهذا سلطان الظلام!**" (لو ٢٢: ٥٣). ونجدنا للحال بازاء موضوع عزيز على لوقا، كما على يوحنا أيضاً: صراع الشيطان ضد المسيح، اي الصدام الكبير بين المملكتين. لقد كان الشيطان من قبلُ، إبان التجربة في البرية، قد ابتعد "حتى يجيء الوقت"، كما لو انه لم يترك يسوع إلا ليلقاه فيما بعد. وهوذا قد حان "الوقت": فحين ذهب يهوذا لدى عظماء الكهنة ليسلم يسوع إليهم، كان لوقا قد سبق فأكّد بان الشيطان هو الذي دخل فيه ودفعه إلى العمل (لو ٢٢: ٣). وبعين المعنى كتب يوحنا (١٣: ٢٧) أن الشيطان دخل في يهوذا حين أخذ اللقمة. وهكذا كشف كلٌّ من لوقا ويوحنا أن التعيس اصبح وسيلة بيد قوة جهنمية. ولَكَم دُحِرَ الشيطان على يد الرب الذي كان يشفي الممسوسين (لو ١٠: ١٧-١٨)، إلا ان الشرير لم يتخلَّ عن الصراع، وقد استرجع الآن قوته. وسيذهب الشيطان بيسوع إلى الموت، ظانّاً انه سيحقق الغلبة عليه، بينما كَمُنَ اندحاره هنا. وهذا هو معنى الكلمة التي نقلها لوقا: انها ساعتكم، انه سلطان الظلمات. وهكذا يسمح الله للشيطان بالعمل؛ انه، على حد تعبير سفر الرؤيا، يسمح لقوى الشر أن تهجم، حتى ان الصدّيقين يسقطون، إلا أن مخطط الله يتم.

رواية يوحنا

يأتي يوحنا بعنصرين جديدين لهما أهميتهما. الأول هو حضور الكتيبة: "**فجاء يهوذا بجرس الهيكل والحرس الذين أرسلهم عظماء الكهنة والفريسيون حتى بلغ ذلك المكان، ومعهم المصابيح والمشاعل والسلاح**" (يو ١٨: ٣). نعرف من قبلُ، عبر مرقس ومتى، ان الحرس الذين أرسلهم عظماء الكهنة هم بمثابة حاشية السنهدريم. كما أن ذكر الفريسيين هنا يُحدث خلطاً بين الشيع، كالفريسيين والصدّوقيين، وبين الطبقات الاجتماعية، من مثل عظماء الكهنة والكتبة. إلا أن ذكر الكتيبة، فهو يبدو موضوع دهشة اكبر. ذلك أن هذه الكلمة توحي بالجيش الروماني، وتعني عدداً من القوات في حدود ٦٠٠ رجل. ويدعم هذا المعطى الجديد المشهد التالي، حين أقتيد يسوع موثقاً بحبل "chiliarque" -وترجمتها الفولغاتا بـ "tribun" (يو ١٨: ١٢). وللحال تطرح

مشكلة كبرى نفسها: إلى مَن تعود مسؤولية محاكمة يسوع وموته، أإلى اليهود أم إلى الرومانيين؟ هناك نظرية يدعمها اليهود بنوع خاص، وحتى اليوم، تؤكد أن الرومان هم الذين أوقفوا يسوع وقتلوه صلباً، بحسب الشرع الروماني في الإعدام. ويفسح يوحنا المجال هنا بأن الرومان هم الذين عمدوا إلى الاعتقال، بالتعاون مع بعض اليهود. وفي كتاب حديث[٨]، ادّعى عالم يهودي ألماني، يعيش في لندن، أن المسؤولية كلها تقع على بيلاطس. فلقد سبق لبيلاطس، من زمن بعيد، أن قال لقيافا: "خلّصني من هذا الرجل الذي يزعجني، وإذا لم تتحرك أنت، فسوف أتدخل أنا". ويجمع قيافا مجلس شوراه (يو ١١: ٤٧ي): "إذا تركناه وشأنه، آمنوا به جميعاً، فيأتي الرومان فيدمّرون حَرَمَنا وأمتنا... أن يموت رجل واحد عن الشعب". وهكذا لا يتصرف قيافا إلا بضغوط رومانية. ويرسل بيلاطس جنوده إلى الجتسمانية، ليكون على يقين من أن أوامره تُنَفَّذ. وبموجبه، لن يكون اليهود مسؤولين عن موت يسوع. هذا الموضوع الخطير سيكون موضوع مناقشة فيما بعد. اما في ما يتعلق باعتقال يسوع، فتجب الملاحظة اننا لسنا بازاء التفسير المحتمل الوحيد. بل بالعكس، يمكن أن نفترض بان اليهود أنفسهم قد اخذوا المبادرة؛ فلقد أوقفوا يسوع، ولكن، لعلمهم بان عليهم أن يردّوه إلى الرومانيين، طالما لم يعد لهم سلطة على قتله، طلبوا إلى الجيش الروماني عدداً من الجنود يضمن لهم النجاح في مهمّة الاعتقال. وبالرغم مما لهذا التفسير من قيمة، إلا أن هناك تفسيراً آخر: الكلمات اليونانية التي ترجمت بـ "كتيبة" و "قائد"، هل تعني بالضرورة رومانيين؟ ليس ذلك بديهياً، إذ ان عبارة "قائد الألف" و "عدد من الجنود" يمكن أن تطلق على قوة أخرى من الشرطة، قد تكون يهودية. وبوسعنا أن نتساءل اخيراً: هل كان يوحنا حاصلاً على معلومات جيدة، او انه أدلى بمعلومات تنقصها الدقة، ويتوجب من ثم أن نقابله مع الازائيين الذين لا يتحدثون عن الرومانيين.

وتقدم لنا الآيات ٤-٩ عنصراً أصيلاً يكمن في موقف يسوع المهيب إبان اعتقاله.

"وكان يسوع يعلم جميع ما سيحدث له، فخرج وقال لهم: مَن تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم: أنا هو. وكان يهوذا الذي أسلمه واقفاً معهم.

---

[٨] بول ونتر: محاكمة يسوع (بالانكليزية)، برلين ١٩٦١؛ أنظر تقريري عنه في "المجلة البيبلية" (بالفرنسية)، ١٩٦١، ص ٥٩٣-٥٩٩.

فلما قال لهم أنا هو، رجعوا إلى الوراء ووقعوا إلى الأرض. فسألهم يسوع ثانية: مَن تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري. أجاب يسوع: قلت لكم اني أنا هو، فإذا كنتم تطلبوني أنا فدَعوا هؤلاء يذهبون. فتمّت الكلمة التي قالها: إن الذين وهبتهم لي لم أدَعْ أحداً منهم يهلك" (يو ١٨: ٤-٩). هذا الطرح المختلف عن طرح الازائيين هو ذو قيمة خاصة. ذلك أن يوحنا يريد بوضوح أن يسلّط الضوء على مهابة الرب، بصفته سيد مصيره. ذلك هو أحد أوجه "المسيح اليوحناني"، الذي يجعلنا، من دون أن تتشوّه الحقيقة، نستشف في يسوع، منذ حياته الأرضية، "المجد" الذي يستمدّه من أبيه، والذي يجب أن يتكلل بالقيامة. فكما يُحيط الرسامون رأس القديسين بهالة، هكذا أحاط يوحنا، بطيب الخاطر، وجه يسوع بتلك العظمة الإلهية التي نراها اقل وضوحاً لدى الازائيين. ويعبّر يوحنا بطريقة اخرى عن ما قالوه من قبل: يسوع يتم الأسفار المقدسة، ويأبى الدفاع عن نفسه، ويقود مصيره. فهو يكشف عن ذاته ويقول: "أنا هو"، وهي عبارة مألوفة في إنجيل يوحنا، لأنها تجعلنا نستشف، بقوة، كرامة يسوع الإلهية -ألم يقل يهوه في سيناء: "أنا هو مَن هو" (خر ٣: ١٤)؟ ذلك أن عبارة "أنا هو" تدل على الكائن الإلهي. وفي الواقع، حين سمع الجند هذه الكلمة، تراجعوا إلى الوراء وسقطوا إلى الأرض. وهذا أمر محتمل جداً. فلا حاجة للمبالغة في ابراز الخوارق، كأنْ نتخيّل هؤلاء الرجال يسقطون كما تسقط الاعمدة لدى زلزال أرضي! بل يكفي انهم، إذ سُحروا بعظمة يسوع، تراجعوا قليلاً واصطدموا بجذور أشجار الزيتون حتى أن بعضهم سقط على ظهره. لم يحتفظ مرقس ومتى بهذا التفصيل الفريد، إلا أن يوحنا سلّط عليه الضوء، لأنه رأى فيه تعبيراً رمزياً عن الحقيقة العميقة: لقد سقط هؤلاء الرجال أمام الرب، ويسوع ارتضى بطيب الخاطر أن يُعتقل، ولم يقبل أن يُمَسّ أحد من اخصائه.

ما عدا هذه العناصر المهمة، يُطلعنا يوحنا أيضاً على تفصيلين. احدهما يتعلق باسم شمعون بطرس الذي لم يرد في أي من الأناجيل الازائية. ومثل هذه التسمية محتملة جداً، وتوافق طباع الرسول: فبطرس أخذ السيف بحركة عفوية وسخية، ولكن عبثاً.

أما التفصيل الآخر فهو اسم الخادم: ملخس. وهذه الملاحظة التي يصعب استنباطها، تكشف عن تقليد قديم لدى القديس يوحنا. فلقد كان يوحنا يعرف بيت عظيم الكهنة، إن لم نقل عظيم الكهنة ذاته، وعلى الأقل كان يعرف الخدم ومن بينهم

ملخس هذا. انه اسم معروف، واسم نبطي على اكثر تقدير، ويدل على خادم خاص، هو عبد لعظيم الكهنة. ذلك أن يوحنا يرى المشهد، ويشير، على مثال لوقا، إلى "الأذن اليمنى"!

أما بقية الرواية، فليس لدى يوحنا من جديد. لا بل نجد الخاتمة قصيرة جداً: **"أفلا أشرب الكأس التي ناولني أبي إياها؟"** (يو ١٨: ١١). وهذا يدل على أن يوحنا يعرف النزاع في الجتسمانية، وإن لم يروِه. انه يستخدم هنا كأس الجتسمانية التي قبلها يسوع، للتعبير عن أن يسوع يتم الكتب.

ذلك هو، إذن، مشهد الاعتقال. انه يستند إلى شهادات أربع تضمنت سمات كثيرة مشتركة، فضلاً عن عدد من السمات الخاصة بأحد الإنجيليين. وهذا ما يُضفي تأكيداً على تاريخية الحدث: وصول يهوذا، اللقاء المتبادل، ضربة السيف: انها معلومات نقلت إلينا، بطرق مختلفة، كي تعرض علينا أوجهاً عديدة للسر. أما الدرس الرئيس الذي يُستخرج من هذا المشهد، فهو شوق يسوع إلى اتمام مشيئة أبيه. وسنجد في المحاكمة التي تلي عين الموقف الجدير بيسوع، هو الذي يحمل خصومه على الفهم بأنه لا يطيعهم إلا بمقدار ما يطيع هو أباه، وهكذا يكون قد قام بدوره كمخلّص.

الفصل الثالث

نكران بطرس

متى٢٦: ٥٧-٥٨؛ ٦٩-٧٥	مرقس ١٤: ٥٣-٥٤؛ ٦٦-٧٢	لوقا ٢٢: ٥٤-٦٢	يوحنا ١٨: ١٢-١٨؛ ٢٥-٢٧
٥٧وأمّا الذين أمسكوا		٥٤فقبضوا	١٢فقبضت
			الكتيبة والقائد وحرس اليهود
يسوع		عليه	على يسوع
			وأوثقوه
فانهم ذهبوا به	٥٣وذهبوا بيسوع	وساقوه	١٣وساقوه
		فدخلوا به	
الى قيافا،			أوّلا الى حنّان، وهو حمو قيافا،
عظيم الكهنة	الى عظيم الكهنة	دار عظيم الكهنة	عظيم الكهنة
			في تلك السنة
			١٤وقيافا هو الذي اشار على اليهود
			أنّه خير أن يموت رجل واحد عن
			الشعب.
وقد اجتمع عنده	فاجتمع		
	عظماء الكهنة		
الكتبة والشيوخ.	والشيوخ والكتبة.		
٥٨وتبعه	٥٤وتبعه		١٥وتبع يسوع
بطرس	بطرس	٥٥وكان بطرس	سمعان بطرس
		يتبع	
عن بعد	عن بعد	عن بعد	
			وتلميذ آخر،
			وكان عظيم الكهنة
			يعرف ذاك التلميذ،
			فدخل
الى دار عظيم الكهنة فدخلها.	الى دار عظيم الكهنة فدخلها.		دار عظيم الكهنة
			مع يسوع.
			١٦أمّا بطرس فوقف على الباب
			في خارج الدار، وخرج التلميذ
			الآخر الذي يعرفه عظيم الكهنة،
			فكلّم البوّابة وأدخل بطرس.
			١٧فقالت الجارية التي على الباب
			لبطرس: "ألستَ انت ايضا من
			تلاميذ هذا الرجل؟" قال:
			"لست منهم".
		٥٥وأوقدوا نارا	١٨وأوقد الخدم والحرس نارا
			لشدّة البرد
		في ساحة الدار في وسطها،	
		وقعدوا معا	ووقفوا
			يستدفئون
وجلس	وجلس	وقعد بطرس	ووقف بطرس
مع الخدم	مع الخدم	بينهم.	
	يستدفئ		يستدفئ
	عند النار.		
			معهم.
ليرى الخاتمة.			

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
[٦٩]وكان بطرس	[٦٦]وبينما بطرس		
جالسا في خارج الدار	في الاسفل،		
في ساحتها،	في ساحة الدار،		
فدنت اليه	جاءت		
جارية	جارية من جواري		[١٧]فقالت الجارية التي على الباب
	عظيم الكهنة،		
	[٦٧]فرأت بطرس	[٥٦]فرأته جارية	لبطرس
		قاعدا	
	يستدفئ	عند اللهيب،	
	فتفرّست فيه	فتفرّست فيه	
وقالت:	وقالت:	وقالت:	
"وانت ايضا كنت	"انت ايضا كنت	"وهذا ايضا كان	"ألستَ انت ايضا من
مع يسوع الجليليّ".	مع الناصريّ، مع يسوع"	معه!"	تلاميذ هذا الرجل؟"
[٧٠]فأنكر	[٦٨]فأنكر	[٥٧]فأنكر	
أمام جميع الحاضرين			
قال:	قال:	قال:	قال:
		"يا امرأة،	
"لا أدري	"لا أدري	إني لا أعرفه".	"لست منهم".
	ولا أفهم		
ما تقولين".	ما تقولين".		
			[٢٥]وكان سمعان بطرس
			واقفا يستدفئ.
[٧١]ثم مضى	ومضى الى خارج الدار		
الى الباب الكبير،	نحو الدهليز،		
		[٥٨]وبعد قليل	
فرأته	[٦٩]فرأته	رآه	
جارية اخرى	الجارية	رجل	
فقالت	فأخذت تقول ثانيا	فقال:	فقالوا له:
لمَن كانوا هناك:	للحاضرين:		
"هذا الرجل	"هذا	"انت ايضا	"ألستَ انت ايضا
كان مع يسوع الناصريّ".	منهم!"	منهم!"	من تلاميذه؟"
[٧٢]فأنكر	[٧٠]فأنكر		فأنكر
ثانيا	ثانيا.		
وحلف قال:		فقال بطرس:	قال:
		"يا رجل،	
"إني لا اعرف هذا الرجل".		لستُ منهم".	"لستُ منهم".
[٧٣]وبعد قليل	وبعد قليل	[٥٩]ومضى نحو ساعة	
دنا	قال		
الحاضرون	الحاضرون		
وقالوا لبطرس:	لبطرس:	فقال آخر مؤكدا	[٢٦]فقال خادم من خدم عظيم الكهنة،
			وكان من أقارب الرجل الذي قطع
			بطرس اذنه:
"حقا،	"حقا	"حقا،	"أما رأيتك انا بنفسي
أنت ايضا	أنت	هذا ايضا	
منهم،	منهم	معه،	معه في البستان؟"
	لأنك	فهو	
فإنّ لهجتك تفضح أمرك".	جليليّ"	جليليّ	
[٧٤]فأخذ يلعن ويحلف قال:	[٧١]فأخذ يلعن ويحلف:	[٦٠]فقال بطرس:	[٢٧]فأنكر بطرس مرة اخرى
		"يا رجل،	
"إني لا أعرف	"إني لا أعرف	لا أدري	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
هذا الرجل".	هذا الرجل		
	الذي تعنونه".	ما تقول".	
عندئذ	[٧٢]عندئذ	وبينما هو يتكلم،	وعندئذ
صاح الديك.	صاح الديك مرة ثانية	اذا بديك يصيح.	صاح الديك.
		[٦١]فالتفت الربّ	
		ونظر الي بطرس،	
[٧٥]فتذكر بطرس	فتذكر بطرس	فتذكر بطرس	
كلمة	الكلمة	كلام	
يسوع	التي قالها له يسوع:	الربّ	
إذ قال:		إذ قال له:	
"قبل ان يصيح الديك	"قبل ان يصيح الديك	"قبل ان يصيح الديك	
	مرتين	اليوم،	
تنكرني ثلاث مرّات".	تنكرني ثلاث مرّات".	تنكرني ثلاث مرّات".	
فخرج من ساحة الدار	فخرج علي عجل	[٦٢]فخرج من الدار	
وبكي	وأخذ يبكي.	وبكي	
بكاء مرّا،		بكاء مرّا.	

بعد أن تأملنا بالنزاع في الجتسمانية واعتقال يسوع، ينبغي أن نجد موضعا، أقله بحسب الانجيليين مرقس ومتى، لمثول يسوع أمام السنهدريم. ولكني أفضّل أن اتبع ترتيب لوقا الذي لا يضع مشهد السنهدريم خلال الليل، وإنما في الصباح الباكر. وتبرز هنا مشكلة سنتناولها فيما بعد. واعتقد, مع القديس لوقا، بأنه لم يحدث خلال الليل سوى نكران بطرس الثلاثي، فضلاً عن استجواب سريع تمّ لدى حنّان بحسب يوحنا.

سنرى يسوع، في هذا الفصل، يُقاد إلى قصر عظيم الكهنة، كما سنشاهد تلميذه المختار ينكره. وان روايات الانجيليين هي من التنوع بمكان بحيث لا نستطيع التفكير بالحصول على لوحة تكون مطابقة بالتمام مع ما حدث. والطريقة الفضلى لفهم الأناجيل تكمن في احترام مضمون كلٍّ منها، كي نستخرج بالتالي، من المقارنة بينها، فكرة شاملة عن المعنى العميق الذي ينطوي عليه المشهد.

رواية مرقس

"وذهبوا بيسوع إلى عظيم الكهنة، فاجتمع عظماء الكهنة والشيوخ والكتبة كلهم" (مر ١٤: ٣٥). كان يسوع قد أصبح سجيناً في الجتسمانية، واقتيد لدى عظيم الكهنة. وتجدر الإشارة إلى أن مرقس لا يسمّي عظيم الكهنة، وذلك مهم، إذ ليس اسمه أكيداً. قد نفكر ولاشك بقيافا عظيم الكهنة الذي كان في الخدمة، ولكن من الممكن أيضاً أن يكون حنان، عظيم الكهنة سابقاً، والذي مازال له نفوذ كبير. فعنده أقتيد يسوع، بحسب يوحنا. ويجب الاكتفاء حاليا بالقول إنهم قادوا يسوع إلى قصر عظماء الكهنة. وهؤلاء، على مثال كل الأسر، كان لهم محل إقامة في أورشليم. ويضيف مرقس أن السنهدريم باجمعه التأم؛ وحين يقال عظماء الكهنة، يقصد في الواقع، الشيوخ والكتبة ايضا، وهي الفئات الثلاث التي يتألف منها السنهدريم. ويقول مرقس أن **"كلهم"**

اجتمعوا؛ وبالتالي، فهو يعتبر أن جلسة السنهدريم سوف تعقد الآن. انه الليل، ولا ينبغي أن نلطِّف هذا النص وندّعي أن مجموعة قليلة هي المقصودة. ولكن بحسب مرقس، هو مجلس اليهود بالكامل. وسنرى أدناه ما المقصود من هذه المعلومة.

"وتبعه بطرس عن بُعد إلى دار عظيم الكهنة، فدخلـــها" (مـــر ١٤: ٥٤). استيقظ بطرس، بعد أن هرب كالجميع، فأراد أن يتبع معلمه. انه سخي، مندفع، يساوره الخوف أحياناً، ومع ذلك كانت له الشجاعة إلى أن يكون أقرب ما يكون من الأحداث التي ستدور. ولكنه يتبع عن بُعد، كي يتجنب ملاحقة الحرس!

من الواضح أن أسلوب مرقس تنقصه الكياسة: "وتبعه إلى داخل، في فناء عظيم الكهنة". لقد لطّفت الترجمة ولاشك من هذه الخشونة، وسيحسّن متّى الإنشاء. ولفظة aulè اليونانية -وباللاتينية aula- يمكن أن تعني، بالفعل، القصر أو الفناء[1]. وبوسعها أن تعني البناية بمجملها، وفي الوقت ذاته الناس الذين في داخلها، أو الفناء الرئيس للقصر.

دخل بطرس، إذن، إلى قصر عظيم الكهنة، **"وجلس مع الخدم يستدفئ عنـــد النار"**. لقد تم تعديل في الترجمة لإضفاء بعض الكياسة على جملة كانت تعني حرفيـــا: "يستدفئ على الضوء"، وتلك هي إحدى هنهنات مرقس المألوفة (يكون الاستدفاء على النار وليس على الضوء!)، ولكنها ملاحظة جميلة وصادقة طالما أن هذا النور ســـيمكّن الخادمة من معرفة بطرس (...)

وينقل مرقس من ثم (١٤: ٥٥- ٦٥) مشهد السنهدريم الذي سندرســـه في الفصل الخامس. لننتقل الآن إلى الآية ٦٦.

"وبينما بطرس في الأسفل، في ساحة الدار، جاءت جارية من جواري عظيم الكهنة" (مر ١٤: ٦٦). "في الأسفل، في الفناء". وتعني اللفظة اليونانية (aulè)، هـــذه المرة، فناء: فمرقس يفكر، بشكل واضح، في التمييز بين الطابق العلوي مـــن القـــصر والطابق السفلي حيث الفناء. انه يتخيل-وقد افترض ذلك، وإن لم يقله- أن السنهدريم عُقد في غرفة من الطابق العلوي، بينما في الأسفل، في الفناء، كان الخدم حول النـــار، في الإنتظار.

---

[1] يقال (la cour) بالفرنسية بمعنى الفناء أو الحاشية. فحين تقال عن لويس الرابع عشر، فليس المقصود فناء توجد فيه نافورة وبلابل، وإنما القصر ذاته وكل الساكنين فيه، وبكلمة: حاشية الملك.

"...جاءت جارية من جواري عظيم الكهنة، فـرأت بطـرس يـستدفئ، فتفرّست فيه وقالت..." (مر١٤: ٦٧).انها تنظر إليه، ولما كان بالقرب من النار، كما يوحي مرقس بذلك، أتاح لها اللهب أن تعرفه. و يعبر الفعل اليوناني عن نظرة نبيهـة وفاحصة، وهي اللفظة ذاتها التي استخدمها مرقس حين نظر يسوع إلى الشاب (مر١٠: ٢١):"حدّق إليه يسوع فأحبه".

"...وقالت : أنت أيضاً كنت مع الناصري، مع يسوع" (مـر ١٤: ٦٧). والناصري يعني من الناصرة. هناك كلمتان يونانيتان هما شـبه مـرادفتين: Nazarènos و Nazôraios، وكلاهما يعنيان "من الناصرة". وقد استخدم لوقا اللفظتين كلتيهمـا. تلك هي ولاشك مسألة الفاظ. فالجارية، إذن، تكهنت أن بطرس كان مـع يـسوع. كيف عرفت ذلك؟ هذا ما لا يقوله مرقس.

"فأنكر قال: لا أدري ولا أفهم ما تقولين" (مر ١٤: ٦٨). يجب ملاحظـة هذين الفعلين اللذين يعطيان الانطباع عن تمتمة. فبطرس لا يدري كيف يتصرف، لـذا فهو يتلعثم: " أ...أ... أنا ما أدري...ما ...ما...ما أفهم ما تقولين!". فلسنا بعـد بازاء نكران علني، لأن بطرس يتظاهر بالدهشة. انه يتملّص، ويسعى إلى إيجاد مخرج من دون أن ينكر.. ذلك هو على الأقل ما يوحي به النص اليوناني. وبحسب عـدد مـن المفسرين، يؤدي النص اليوناني، بشكل ناقص، الأصل الآرامي الذي كان بوسـعه أن يعني: "لست أعرف ذاك الذي تقولينه"، علما بأن اسم الإشارة بالارامية يمكن أن يعني المذكر "ذاك الذي" أو النكرة "هذا الشيء الذي". فإذا تبنّينا هذا المعنى الارامي الأصيل، يكون بطرس بموجبه قد أنكر بوضوح: "لا أعرف يسوع"! ولكني أفضّل الالتزام بالنص اليوناني، كما نجده الآن والذي يتضمن النكرة: "لا أعرف ما الذي تقولين"، فضلاً عن هذين الفعلين اللذين يتسمان بالتمتمة.

"ومضى إلى خارج...". يشعر بطرس أن الوضع أصبح خطيراً، لذا فهو يريد أن يذهب: يخرج خارجاً، ولكن... **"نحو الدهليز"**. وهذا ما يثير الفضول: كان بامكانه أن يذهب، وها هو يتوقف هنا حيث يخضع للسؤال على دفعتين. بوسعنا أن نلاحـظ هذه المفارقة التي يمكن تفسيرها: يخرج، ولكنه يبقى في الدهليز.

ويجب أن نضيف هنا: **وصاح الديك**. من المؤكد ان مخطوطات عديدة لا تحمل هذه الكلمات، وأعتقد أنه يجب إدراجها، لأن مرقس سيقول وسيكرر أن بطرس، وقبل أن يكون الديك قد صاح **مرتين**، يكون قد أنكر ثلاث مرات. وسيصيح الديك مرة أخيرة من بعد الإنكار الثالث، فلا بد أنه صاح مرة من قبل. وإذا اسقطت بعض المخطوطات هذه الكلمات، فذلك ولاشك لأن الديك لم يصح، هنا، لا بحسب متى ولا بحسب لوقا. وهكذا نكون بازاء أول صياح للديك. ومن الغريب الا يكون بطرس قد لاحظ ذلك؛ فلقد كان بالإمكان أن يلفت الصياح انتباهه ويذكّره بكلام يسوع. ولكن يبدو أنه لم يهتم بذلك.

"فرأته الجارية فأخذت تقول ثانيا للحاضرين: هذا منهم!" (مر ١٤: ٦٩). لنلاحظ أننا هنا بازاء الجارية ذاتها التي حدّقت بنظرها إليه. هل يمكننا أن نتخيل أنها لاحقته نحو الدهليز؟ لا، طالما أنها ،كما يبدو، تتحدث إلى الرجال الذين هم على مقربة من النار. وهكذا نرى أن المشهد ينقصه الوضوح، ونجدنا بازاء مفارقة يتوجب أن نجد لها حلا. فالجارية ذاتها تقول للحاضرين: "هذا منهم".

"**فأنكر ثانيا**". الانكار الثاني، لدى مرقس، لم يعبَّر عنه بكلمات، وانما يعلَن عن الفعل فقط: انه أنكر.

"وبعد قليل، قال الحاضرون أيضاً لبطرس: حقا أنت منهم لأنك جليلي" (مر ١٤: ٧٠). "بعد قليل"! كم من الوقت؟ لا ندري، فالتعبير مبهم جدا. "الحاضرون"! وهكذا لم نعد هنا ازاء الجارية، وانما ازاء مجموعة من الناس الذين يقولون: "أنت منهم". ولا يقول مرقس لماذا رأوا في بطرس جليلياً؛ لا يبدو ذلك واضحا. قد يعرفونه من هندامه؟ سيشرح متى أنهم عرفوه من لهجته، ولكن ليس من المستحيل أن يتعلق الأمر بهندامه. فحتى اليوم يُعرف رجل من حبرون (الخليل) من عمامته الخاصة، كما تعرف النساء العربيات، بحسب قراهن، من النقش على ثيابهن. وهكذا عُرف بطرس من هيئته وهندامه.

ويصبح الإنكار الثالث، بعد هذا الهجوم الجديد، أكثر قوة : "**فأخذ يلعن ويحلف: اني لا أعرف هذا الرجل الذي تعنونه"** (مر ١٤: ٧١). ونقرأ هنا باليونانية كلمة (anathematizein) التي تعني اعلن الحَرَم. انها كلمة بيبلية تنفرد بها الترجمة السبعينية، وتعني إما: لعن شخصا، وإما في الغالب: لعن نفسه. هذه الكلمة ليست نادرة

في الكتاب المقدس: "لِيُصبْني كذا وأكثر إذا لم أقل الحقيقة"! وحتى اليوم نسمع في الشرق، أناساً يتخذون اللّه شاهداً، مستنزلين اللعنة على أنفسهم وعوائلهم إذا ما أخطأوا! وهكذا توصل بطرس أن يقول: فليلعنّي الله إن كنت أعرف هذا الرجل! لا شك أن التعبير عنيف، وهو قمة الإنكار. ففي البداية، كان يقول: " لا أفهم ما تقولين"، وفي المرة الثانية اكتفى بالنكران كما يبدو؛ ولكنه في هذه المرة يلتزم ما يقول: "لا أعرف هذا الرجل الذي تعنونه". ولا يمكنه أن يكون أكثر وضوحاً!

"**فصاح الديك عندئذ مرة ثانية**"، لأن الديك، كما رأينا، قد صاح مرة من قبل. "**فتذكر بطرس الكلمة التي قالها له يسوع: قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث مرات**" (مر ١٤: ٧٢). حين ذهبوا من العلية إلى الجتسمانية، كان يسوع قد أعلن أنه يأتي وقت يُضرب فيه الراعي، فتتبدد الخراف. آنذاك قال بطرس: "ولو عثروا بأجمعهم، فأنا لن أعثر!". وكان يسوع قد أجاب: "الحق أقول لك: انك اليوم في هذه الليلة، قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث مرات" (مر ١٤: ٢٧-٣٠). وكان بطرس قد نسي هذه الكلمة؛ ويبدو أن أول صياح للديك لم يذكّره بها. إلا أن هذه المرة وفجأة، من بعد ثلاثة انكارات، يحسّ بخطيئته.

"**فخرج على عجل وأخذ يبكي**". يصعب فهم العبارة اليونانية، وقد حصل تردد كثير حول معناها بالضبط. ان الفعل "خرج" يعبّر حرفيا عن "القى بنفسه على". وقد يتخذ معاني كثيرة بحسب السياقات. انه يعني، بحسب تيئوفيلاكت، الكاتب من العصر البيزنطي: "غطّى (رأسه)". وبموجبه يكون بطرس قد ألقى رداءً أو حجاباً على رأسه...! كي يبكي؟ لا أدري، سيما وانه لم يأتِ هنا ذكر الرداء، كما في المشهد الذي أورده مرقس حين ألقى التلاميذ أرديتهم على الجحش (مر ١١: ٧). ويقترح مفسرون آخرون إضمار "الروح"، فتصبح العبارة: "رمى روحه" بمعنى راح يفكّر. وبموجبه يكون بطرس قد فكّر قبل ان يبكي؟ ذلك تفسير أكاديمي فوق المعتاد! وقد يترجم البعض: "فيما أخذ بالكلام"، إذ ان الفعل يحتمل أحياناً هذا المعنى. وهناك حل أفضل، في نظري، يكمن في اتخاذ الفعل بمعنى "زجّ"[٢]. وهنا يمكن القول بأن بطرس زجّ بنفسه (ضمنياً: إلى الخارج)، أو بلغة دارجة "خلّص نفسه". ويلتقي هذا مع المعنى الذي لدى متى ولوقا.

[٢] **هكذا هي الحال في مر ٤: ٣٧ حين تدفقت الأمواج على السفينة. وفي سفر المكابيين الاول، نرى جرجياس، القائد اليوناني، يزجّ بنفسه على معسكر اليهود، ويقتحمه بحركة عنيفة.**

إلا أن الحل الأفضل –وقد جاء به أيضاً تئوفيلاكت، والذي تدعمه الترجمات القديمة– هو ذاك الذي يتبنى معنى "يتحفّز بعجلة للقيام بأمر ما". والفعل الذي نحن بصدده يتحمل أن يكون له هذا المعنى[٣]. وهكذا يتوجب هنا القول بأن بطرس ارتمى على عجل، في البكاء، بمعنى أنه أطلق التنهدات.

رواية متى

"أما الذين أمسكوا يسوع، فإنهم ذهبوا به إلى قيافا عظيم الكهنة، وقد اجتمع عنده الكتبة والشيوخ" (متى ٢٦: ٥٧). ولّما لم ينقل متى مشهد الشاب الذي هرب عرياناً، فقد ذكّر بالحركة التي مسّت يسوع: "الذين أمسكوا يسوع". ويسمي متى هنا قيافا، بينما لم يوضح مرقس ذلك. فهو ليس على يقين من أن هذه المعلومة صحيحة، طالما سنجد العكس لدى يوحنا؛ وسيتحتم علينا أن نختار! أين "اجتمع الكتبة والشيوخ"؟ ومتى، على مثال مرقس، ودون أن يقول "كلهم"، يفكر ولاشك في السنهدريم. وإذا لم يذكر عظماء الكهنة، فلأنه ظن أنهم موجودون مسبقا في دار عظيم الكهنة. ومهما يكن، فان متى يفترض، كمرقس، أن السنهدريم الأعلى التأم في الليل.

"وتبعه بطرس عن بُعد إلى دار عظيم الكهنة، فدخلها وجلس مع الخدم ليرى الخاتمة" (متى ٢٦: ٥٨). لقد كتب أن بطرس "كان يتبعه" وليس "تبعه". وذلك تغيير صغير في الأسلوب ذو معنى، ذلك أن صيغة الحاضر تؤكد أفضل على المسافة، أي على الطريق الطويل حتى قصر عظيم الكهنة. **"ولما دخل إلى الداخل"**: وهنا تبدو الجملة أكثر وضوحاً مما لدى مرقس، حيث نرى بشكل أفضل المسيرة حتى القصر من جهة، والدخول إلى الداخل من جهة أخرى. **"وجلس مع الخدم"**. ومتى الذي لم تكن له النكهة التي كانت لدى مرقس، لم يلمّح إلى اللهب ولا إلى النار: فهو يرى أن هذه التفاصيل غير ذات أهمية، لذا يهملها، ولَكِم اكتشفنا ذلك في انجيله. ومع ذلك، لوحظت جيداً حركة بطرس الذي يدفّئ يديه لكي يتشجع، ويقبل من ثم أن يُسلّط الضوء على وجهه، إلى حدّ أنهم عرفوه. ولما كان متى أكثر منطقية من مرقس، لم يتوقف

[٣] نعرف، على سبيل المثال، برديّة مصرية جاء فيها أن قرويا أراد أن يسد قناة الماء التي تروي بستان جاره، كي يحصل هو على الماء؛ فوجد أخيراً فرصة سانحة و"تحفّز بسرعة" إلى سد القناة.

عند هذا المشهد، انما قال فقط أن بطرس هو مع الخدم **"ليرى الخاتمة"**. وهذا ما يهتم به متى: بطرس هنا لانتظار ما ستسفر عنه الأحداث.

وهنا، يأتي مشهد السنهدريم، إبان الليل، لدى متى كما لدى مرقس.

"وكان بطرس جالساً في خارج الدار، في ساحتها، فدنت إليه جارية وقالت: وأنت أيضاً كنت مع يسوع الجليلي" (متى ٢٦: ٦٩). لا يقول متى "في الأسفل"، كما قال مرقس؛ وليس لديه حركة التنقل بين الطابق والفناء السفلي. انه يفترض فقط أن السنهدريم التأم في الداخل، في غرفة ما ولاشك. ولما لم يتحدث، لا عن نار ولا عن حطب، فقد أسقط ذلك التفصيل الرائع التي ابدته تلك الجارية، وقد تفرست في وجه بطرس على ضوء اللهب. **"أنت أيضاً كنت مع يسوع الجليلي"**. وجملة متى شبيهة بجملة مرقس، ولكنه يقول "الجليلي"، وقد يكون فعل ذلك ليكشف كيف عُرف بطرس: فالمنطقة هي التي تطبع الشخص أكثر من المدينة. فبالنسبة إلى أهل اليهودية، كانت الجليل مقاطعة أخرى؛ وكان يُعرف سكانها، تماماً كما في فرنسا؛ إذ يكتشف أهل الجنوب أهل الشمال، وبالعكس.

"فأنكر أمام جميع الحاضرين قال: لا أدري ما تقولين" (متى ٢٦: ٧٠). يضيف متى بأن بطرس أنكر أمام الجميع، مما يجعل الأمر أكثر خطورة، سيما وأن جميعهم سمعوا جوابه: "لا أدري ما تقولين". فالنص هو ذاته الذي لدى مرقس، ولكن مع فعل واحد مختلف جعله يفقد تلك التمتمة العفوية ذات المذاق العذب التي طبعت نص مرقس. وهنا، كما في مرقس، يتهرب بطرس، ولا ينكر فعليا.

"ثم مضى إلى الباب الكبير، فرأته جارية أخرى فقالت لمن كانوا هناك: هذا الرجل كان مع يسوع الناصري" (متى ٢٦: ٧١). في رواية متى، لسنا بصدد دهليز، بل باب كبير، فضلاً عن ديك لا يصيح. وفي مرقس، كانت الجارية ذاتها، وليس "أخرى"، ويجب ملاحظة الاختلاف. ومتى الذي لم يكن قد استخدم لقب "الناصري"، في كلام الجارية الأول، استخدمه هنا.

"فأنكر ثانياً وحلف وقال: إني لا أعرف هذا الرجل" (متى ٢٦: ٧٢). لدينا هنا ملاحظتان: يوضح متى جواب بطرس، بينما مرقس تركه ينكر من دون أي توضيح. وهذا يذكّر بما فعله متى في رواية الجتسمانية بصدد الصلاة الثانية؛ ففيما قال مرقس:

ذهب يسوع ليصلي، مكرراً الكلمات ذاتها، أوضح متى فحواها: "يـا أبـت، لـتكن مشيئتك..."، وهو انما ألّف قولاً كي يكون أكثر وضوحاً. وهكذا هي الحال هنا: انـه يأخذ كلمات الآية ٧٤ : "لا أعرف الرجل"، لدى الانكار الثالث، كي ينقل كلامـاً واقعياً، عوضا عن عبارة "أنكر" غير الواضحة التي استخدمها مرقس. وتجب الملاحظـة أيضاً بأن الانكار الثاني لدى متى، يرافقه يمين؛ كما أنه يلطّف من حدة التصعيد، بذكاء يفوق مرقس. ففي المرة الأولى يقول بطرس: "لا أدري ما تقولين"، وفي هـذه المـرة، يصبح الانكار أكثر وضوحاً، إذ يرافقه يمين: "لا أعرف الرجل". وفي المرة الثالثة سيكون أكثر حدة.

"وبعد قليل دنا الحاضرون وقالوا لبطرس: حقاً أنت أيضاً منهم، فان لهجتك تفضح أمرك" (متى ٢٦: ٧٣). "بعد قليل"! فيها من الغموض الذي كان لدى مرقس؛ "الذين كانوا هناك"! ويتعلق الأمر بمجموعة من الأشخاص من دون اسـم. فبطـرس، بحسب متى كما بحسب مرقس، قد توجه نحو الباب؛ والناس الذين في الفناء، في الوسط، اقتربوا منه ولاشك. و "ان لهجتك تفضح أمرك"! هكذا يشرح متى لماذا عرفـوه -ولم يكن ذلك واضحاً لدى مرقس: اللغة واللهجة تُفصحان عن الشخص! فمن كان مـن الشمال، يكتشف للحال من هو من الجنوب، من خلال لكنته، والعكـس بـالعكس. وهكذا هي حال أهل الجليل الذين لا يتكلمون مثل أهل اليهودية.

"فأخذ يلعن ويحلف: اني لا أعرف هذا الرجل. فصاح الديك عندئذ" (متى ٢٦: ٧٤). ذلك تصعيد لدى متى، وقد قاسَ نتائجه أكثر من مرقس: ذلك انّ بطرس، هذه المرة، يحلف مستنزلاً اللعنات. و "صاح الديك"، وليست هي المرة الثانية طالمـا أن ليس لمتى سوى صياح واحد للديك.

"فتذكّر بطرس كلمة يسوع..."، وتشبه هذه الآية تلك الـتي في مـرقس. **"فخرج من ساحة الدار، وبكى بكاء مراً"** (متى ٢٦: ٧٥). "خرج خارجاً"! ولم يكن مرقس قد أوضح ذلك، إلا إذا كانت صيغة الفعل الصعب لديه تؤدي هذا المعنى. وهكذا يبدو متى واضحاً: بطرس يخرج بالتالي إلى خارج؛ فلقد كان ينتظر على الباب قبـل أن يخرج -من دون أن نعلم لماذا- وأخيراً خرج وبكى بمرارة.

رواية لوقا

"فقبضوا عليه، وساقوه، فدخلوا به دار عظيم الكهنة. وكان بطرس يتبع عن بُعد" (لو ٢٢: ٥٤). لم يقل لوقا في مشهد الجتسمانية انهم اعتقلوا يسوع. وبحسب مرقس ومتى، فيما كانوا يطعنون يسوع، استل بطرس سيفه وتدخّل. اما لدى لوقا، فليس الأمر كذلك. ذلك انه سبق أن قال: "لما رأى الذين حوله ما أوشك أن يحدث قالوا: يا رب، أنضرب بالسيف؟". فلكي لا يتم الاعتقال، استل بطرس أو المجهول سيفه. لم يكن لوقا قد قال بعد أنهم اعتقلوا يسوع، وها هو يقولها الآن. انه يستخدم لفظة يونانية تختلف عن مرقس ومتى، وهي أكثر رفعة وأكثر تداولاً: "أمسكوه"، بينما يمكن لعبارة مرقس ومتى "استولوا عليه" أن تترجم بالأفضل بلفظة "ألقوا القبض عليه" الدارجة. ولا يعطي لوقا اسماً لعظيم الكهنة، فلا نعلم إن كان هو قيافا أم حنّان. ومن جهة أخرى، لا يتحدث لوقا عن قصر، بل عن "دار"، مما يترك الانطباع أن المقصود مسكن خاص. وسنرى أيضاً أن جلسة السنهدريم، بحسب لوقا، لا تُعقد عند عظيم الكهنة، وإنما في محكمة خاصة بالقرب من الهيكل. ذلك ان لوقا يميز جيداً بين دار عظيم الكهنة الخاصة حيث يُمضي يسوع الليلة، وبين السنهدريم الذي يتم التوجه إليه في الصباح الباكر (لو ٢٢: ٦٦). ونشعر منذ الآن أن هناك فروقات في التقاليد بين لوقا من جهة، ومرقس/ متى من جهة أخرى، وسيتوجب علينا الاختيار بينها. **"وكان بطرس يتبع عن بُعد"**: وهنا يستخدم لوقا ومتى الحاضر، وهو أكثر تعبيراً من الماضي التام الذي يستخدمه مرقس.

"وأوقدوا ناراً في ساحة الدار، في وسطها، وقعدوا معاً، وقعد بطرس بينهم" (لو ٢٢: ٥٥). لوقا، بصفته كاتباً، يروي جيداً: كانوا جالسين حول النار، ويأتي بطرس ويلتحق بهم. ونجد النار والنور منفصلين بشكل أفضل مما لدى مرقس: فالنار يستدفئ بها بطرس، واللهب يمكّن الآخرين من التعرف عليه: **"فرأته جارية قاعداً عند اللهب، فتفرست فيه وقالت: وهذا أيضاً كان معه!"** (لو ٢٢: ٥٦)."عند اللهَب"، وهي عين اللفظة التي استخدمها مرقس. "فتفرست فيه"، وهي لفظة ينفرد بها لوقا الذي يستخدمها غالباً، وتعني التحديق بشخص إلى حد الكشف عن هويته. إلا أن مجاهرة الجارية: "هذا أيضاً كان معه" ليست مباشرة كما كانت لدى مرقس ومتى اللذين كتبا: "أنت أيضاً".

انها مجاهرة غامضة، إذ انها تتحدث إلى الجميع لتقول أنه "كان معه"، دون أن تُفصح عن اسم يسوع.

"وبعد قليل رآه رجل فقال: أنت أيضاً منهم!" (لو ٢٢: ٥٨). كان مرقس قد قال انها الجارية ذاتها، ومتى انها أخرى، فيما قال لوقا هنا: انه رجل آخر. فالتفاصيل تبدو مختلفة. وفي الصيحة الثانية، ينتقل لوقا إلى الأسلوب المباشر: "أنت أيضاً منهم!". **فقال بطرس: يا رجل، لست منهم**"(لو ٢٢: ٥٨). وهكذا لا يبدو بطرس، بحسب لوقا، كثير الكلام، كما يبدو جوابه أيضاً أقل قوة من المرة الأولى.

"ومضى نحو ساعة، فقال آخر مؤكداً: حقاً، هذا كان معه، فهو جليلي" (لو ٢٢: ٥٩). بوسع هذا التوقيت "نحو ساعة من بعد" ان يصبح معلومة جيدة، ولكن بوسعه أيضاً ان يرجع إلى كفاءة الراوي الذي ينعش روايته بتفاصيل(٤). والهجوم الثالث، بحسب لوقا، يأتي من رجل "آخر"، بينما كتب مرقس ومتى "الحاضرين". انها مفارقات خفيفة جديرة بالملاحظة. ويعود لوقا إلى الأسلوب غير المباشر: "هذا أيضاً كان معه". **"فقال بطرس: يا رجل ما أدري ما تقول"** (لو ٢٢: ٦٠). وهكذا يصبح الانكار الثالث، لدى لوقا، أكثر الانكارات ضعفاً واكثرها شبهاً بالانكار الأول لدى مرقس. لنلاحظ هذا الأسلوب التنازلي لدى لوقا: أولاً "لا أعرف يسوع"، ومن ثم "لست منهم"، وأخيراً "ماذا تقول؟ لا أفهم". ذلك أن وجهة النظر النفسية مغايرة، وقد تكون أقل نجاحاً من وجهة نظر مرقس، ومن متى بالاخص. الا أن لوقا يعود فيفتدي هذا النقص بمعلومة ثمينة جداً:

"وبينما هو يتكلم، إذا بديك يصيح، فالتفت الرب ونظر إلى بطرس" (لو ٢٢: ٦٠-٦١). لوقا هو الوحيد بين الانجيليين الذي ينقل لنا حركة الرب هذه، وهي في غاية الأهمية من وجهة النظر التاريخية واللاهوتية والروحية معاً. إليكم المعطى التاريخي: الرب هنا، في الفناء حيث تجري الأحداث —وهذا ما لم يقله، لا مرقس ولا متى. لوقا لم يقله بعد، ولكنه يدلي بأن الرب التفت؛ ولم يكن منه سوى أن يلتفت، ومعنى هذا أنه هنا في مكان ما، في زاوية من الفناء. فحين أنكر بطرس ثلاث مرات، هوذا الرب يلتفت وينظر إليه. وهكذا، إذا حاولنا أن نوحّد بين الروايات الثلاث،

(٤) في الجتسمانية من قبل، حينما قال مرقس ومتى أن يسوع ابتعد قليلاً، كان لوقا قد أوضح "مقدار رمية حجر".

سيمكننا القول بسهولة أن الرب نزل، في اللحظة ذاتها بالضبط، من الطابق العلوي، ولدى اجتيازه، نظر إلى بطرس. الا اننا لا نجد ذلك في النص، وكأنّ علينا أن نمزج بين لوقا ومتى. فمن دون أن نخلط بين الروايات، لنقرأ لوقا في حد ذاته: لم يَدُرْ الحديث بعد عن السنهدريم الذي لن يلتئم إلا في الصباح ليعقد الجلسة. واستنتج -تلك في نظري الحقيقة التاريخية- أن يسوع قد بقي في الفناء، تلك الليلة، واعتقد بالأحرى -اعتماداً على يوحنا- أن يسوع خضع، ولو بشكل سريع، لاستجواب حنان وبعض الرؤساء، وعلى مستوى شخصي. ومن بعد هذا الاستجواب السريع جداً، تُرك في زاوية من الفناء حيث أُلحقت به الاهانات. ومن ثم كان انتظار لطلوع النهار، وفي هذه الأثناء جرى نكران بطرس. فيسوع سمع كل شيء، وحين أنكره تلميذه للمرة الثالثة، نظر إليه. ولَكَم كانت هذه النظرة مؤثرة! فهي التي حملت بطرس المسكين على ان يجهش في البكاء، وقد هزته نظرة معلمه في الصميم، مقترنة بعتاب رقيق: لقد سبق وقلتها لك، يا عزيزي بطرس!! ومثل هذا المشهد، بقلم لوقا، الكاتب ذي الروح العميقة، كيف يسعنا ألا نعيش منه: فحين يكون هناك نكران نلوم أنفسنا عليه، صغيراً كان أم كبيراً، يجب أن نشعر بنظرة الرب هذه:"لقد وعدتَ بأن تكون أميناً، وهذا ما فعلته!"، وسيتوجب علينا، على مثال بطرس، أن نهتدي.

"فتذكّر بطرس كلام الرب... فخرج من الدار وبكى بكاءً مراً" (لو ٢٢: ٦١-٦٢). بطرس غارق في الدموع، إذ ان الندامة تستحصل الغفران.

قبل أن ننتهي مع لوقا، تجب ملاحظة هذا التفصيل: انه يستخدم هنا عبارة متى ذاتها: "فخرج من ساحة الدار وبكى بكاءً مراً". وهذا يطرح مشكلة على صعيد النقد الأدبي، تتعلق بالقضية الازائية. نحن نلاحظ دوماً أن لوقا ومتى منوطان بمرقس؛ وغالباً ما تُفسَّر أوجه الشبه بينهما عبر مصدرهما المشترك. ولكن حين يكون التشابه بين لوقا ومتى من دون أن يتبعا مرقس، فذلك يطرح مشكلة: من أين يستقيان تعابيرهما المشتركة؟ لا يبدو ان أحدهما عرف الآخر، وذلك بحكم اختلافهما في النصوص ذات الأهمية الكبرى، كصلاة الأبانا أو أناجيل الطفولة.

فلو عرف أحدهما الآخر، لكانا وَفّقا بين روايالهما بشكل أفضل. فكيف نفسّر، إذن، حالة كهذه يكون فيها عين القول متطابقا لدى لوقا ومتى؟ من بين الحلول المختلفة

الممكنة، هناك حل -ويصلح هنا، في اعتقادي- يكمن في التساؤل إلى أي مدى نثق بالتقليد الذي وصلنا عبر المخطوطات؟ وهل لا يكون ناسخ قديم قد عمد إلى تنقيح نص لوقا كي يجعله متطابقا مع نص متى؟ فالكلام الذي أورده لوقا والذي نحن بصدده هنا، لا نجده في كل المخطوطات، أو أنه لا يرد فيها بعين التعابير. لذا من الممكن جداً أن يكون أحد هؤلاء الرهبان الأقدمين الذين كانوا ينسخون المخطوطات -وهم يعرفون الإنجيل عن ظهر القلب- قد أدخل على نص لوقا، وفي مقطع موازٍ، صيغة من لدن متى. ومثل هذه الظاهرة المألوفة في المخطوطات تخلق "توافقات" لم تكن من يد المؤلفين الأصليين، بل من فعل النسّاخ.

رواية يوحنا

"**فقبضت الكتيبة والقائد وحرس اليهود على يسوع وأوثقوه**" (يو ١٨: ١٢). نجد هنا المفردات ذاتها التي جرى الحديث عنها في الفصل السابق. فبوسع الكلمة اليونانية أن تعني "كتيبة"، كما بوسع رئيس القوة العسكرية أن يسمى "قائداً"، إلا أن ذلك ليس أمراً مؤكداً، ولا يمكننا أن نثبت أن المقصود هم جنود رومانيون. "**أمسكوا يسوع وأوثقوه**"، لم يرد ذكر الوثاق لدى أي من الانجيليين الآخرين. وسنجده مرة أخرى لدى يوحنا.

"**وساقوه أولاً إلى حنّان، وهو حمو قيافا عظيم الكهنة في تلك السنة**" (يو ١٨: ١٣). ويبدو يوحنا واضحاً: لقد اقتيد يسوع لدى حنّان، وليس لدى قيافا، كما قال متى. وحنّان هذا أو حنانوس معروف في التاريخ: فبعد أن شغل فترة طويلة منصب عظيم الكهنة، كان له خمسة بنين أصبحوا عظماء كهنة. أما قيافا، فهو، على حد قول يوحنا، صهر حنّان. ويمكننا بحق أن نشكك في معلومة متى التي بموجبها يكون يسوع قد أُقتيد لدى قيافا. ولأسباب سأحدّدها أدناه، اعتبر أن معلومة يوحنا هي أكثر احتمالا وأكثر تاريخية.

تذكّرنا الآية التالية من هو قيافا: "**وقيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خير أن يموت رجل واحد عن الشعب**" (يو ١٨: ١٤). ذلك أن يوحنا يلمّح إلى رواية سابقة (يو ١١: ٤٧-٥٣): كان أعضاء السنهدريم قد اجتمعوا مخافة أن تصبح شهرة

يسوع سبب قلق للرومان؛ واقترح قيافا أن يصفّي يسوع، إذ كان من الأفضل "أن يموت رجل واحد عن الشعب". وكان يوحنا قد أضاف بأن قيافا، عظيم الكهنة، من دون علم منه، تنبأ بأن يسوع سيموت عن الأمة، وليس عن الأمة فحسب، بل ليجمع أيضاً شمل أبناء الله المشتتين". وتجدر الإشارة إلى أن قيافا لم يدخل إلى المسرح بعد، وانما يجري الحديث عنه بصفته صهر حنّان، طالما أن الأحداث جرت في دار حنّان أولاً، خلال الليل.

"تبع يسوع سمعان بطرس وتلميذ آخر، وكان عظيم الكهنة يعرف ذاك التلميذ، فدخل دار عظيم الكهنة مع يسوع. أما بطرس فوقف على الباب في خارج الدار" (يو ١٨: ١٥-١٦). يكتب يوحنا دوماً: "سمعان بطرس". انه يحتفظ بالاسمين، بينما يدعوه الإنجيليون الآخرون بطرس أو سمعان في البداية. مَن هو هذا "التلميذ الآخر" الذي نلاقيه في نصوص أخرى من انجيل يوحنا (٢٠: ٢، ٣، ٤، ٨)؟ كان يُرى فيه غالباً يوحنا الانجيلي ذاته، وذلك ممكن: كأن يكون يوحنا قد كشف عن هويته باسم مستعار خفي. ولكن هناك أيضاً مماثلة مع يوحنا "التلميذ الذي كان يحبه يسوع" (١٣: ٢٣؛ ١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٢٠،٧): هل نحن بازاء عين الشخص؟ سننكب فيما بعد على هذه المشكلة (أنظر الفصل١٠/ التلميذان عند القبر). "دخل مع يسوع دار عظيم الكهنة". والأفضل أن نترجم هنا "قصر" عظيم الكهنة. ذلك أن هذا التلميذ الذي يعرف عظيم الكهنة، كان يتردد بحرية إلى هذا البيت؛ وهكذا أفسح له المجال كي يدخل مع الكل.أما بطرس، فكان عليه أن يبقى عند الباب، لأنه لم يكن معروفاً لدى أهل البيت.

"وخرج التلميذ الآخر الذي يعرفه عظيم الكهنة، فكلّم البوابة وأدخل بطرس" (يو ١٨: ١٦). ويمكن أن نقرأ، وفقاً لترجمة سريانية قديمة، " حارس البواب" عوضاً عن "البوابة"-ويبدو ذلك أكثر احتمالاً- إذ من الطبيعي أن يقف حارس على باب قصر عظيم الكهنة . وهذا الحارس هو الذي يدع بطرس يدخل، وستكون جاريته هي التي ستتكلم من ثم مع بطرس.

"وأوقد الخدم والحرس ناراً لشدة البرد، ووقفوا يستدفئون، ووقف بطرس يستدفئ معهم" (يو ١٨: ١٨). نجد المشهد هنا أكثر وضوحاً وواقعية من مشهد لوقا، ويُخيل إلينا أننا بازاء مشهد ينقله إلينا شاهد عيان.

"فقالت الجارية التي على الباب لبطرس: ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الرجل؟ قال: لست منهم" (يو ١٨: ١٧). نجدنا هنا بازاء جارية، كما في مرقس ومتى، ولكنها مرتبطة بخدمة الباب. كان بطرس، بحسب مرقس، في وسط الفناء، بالقرب من النار، حين فاجأته الجارية؛ أما هنا، فالجارية فاجأته لدى دخوله. ويبقى النكران، لدى يوحنا، غامضاً جداً: " لست منهم، لست من هذا الفريق".

ويضع يوحنا هنا الاستجواب بين يدي حنّان -وسنتناوله في الفصل التالي. فحنّان يسأل يسوع، ويسوع يجيب قليلاً وينال صفعة، وحينذاك، باعتقادي، تجري الاهانات. ذلك أن يوحنا، عبر الاستجواب أمام حنّان، يفصل بين الانكار الأول وبين الإنكار الثاني والثالث.

"وكان سمعان بطرس واقفا يستدفئ. فقالوا له: ألست أنت أيضاً من تلاميذه؟ فأنكر قال: لست منهم" (يو ١٨: ٢٥). كالمرة الأولى، ومن دون زيادة أو نقصان، يؤكد بطرس أنه ليس من الفريق.

"فقال خادم من خدم عظيم الكهنة، وكان من أقارب الرجل الذي قطع بطرس أذنه: أما رأيتك أنا بنفسي معه في البستان؟ فأنكر بطرس ثانياً، وعندئذ صاح الديك" (يو ١٨: ٢٦-٢٧). يشار هنا إلى الخادم بشكل واضح جداً. ذلك أن يوحنا يعرف ملخس بالاسم، كما يعرف حاشية عظيم الكهنة، ويعلم أن أحد أقارب ملخس هو الذي يتهجّم على بطرس:" "أما رأيتك في البستان معه؟". فبحسب مرقس ومتى ولوقا، عُرف بطرس لأنه جليلي؛ أما هنا، فالأمر مختلف بالتمام: عُرف لأنه شوهد معه في الجتسمانية. ويكتفي يوحنا بالقول: "وأنكر بطرس ثانيا"، من دون أن يوضح كلماته. "وعندئذ صاح الديك".

ما قبل تدوين الأناجيل

هكذا نجدنا بازاء اربع روايات لا تتوافق للمشهد ذاته. ومع ذلك يمكننا أن نؤكد بقوة أن المشهد تاريخي، لأن له أولاً شهوداً: هما بطرس والتلميذ الآخر اللذان حضرا الأحداث واستطاعا أن يروياها. ومن جهة أخرى، لا يمكن أن نتصور ان

المسيحيين استنبطوا مثل هذا المشهد الأليم الذي لا يشرِّف القديس بطرس. هناك بعض النقّاد، من مثل كوكيل، يظنون أن كل شـيء قـد اختُـرع لكـي يتحقـق تنبـؤ يسوع:"ستنكرني ثلاث مرات". إلا أن هذه المقولة تُحدث انقلاباً في العناصر: فالمشهد تم حقاً، ويسوع أعلنه، إذ كان لابد أن يحدث. أما غالبية النقّاد، فتعترف بتاريخية هذا المشهد. وما يدعمه أيضاً هي أسئلة يسوع القائم الثلاثية لبطرس، على شاطئ البحيرة، كي يعيده إلى الصفّ: "أتحبني؟" (يو ٢١: ١٥-١٨). وسيكون الجواب تعويضاً عـن النكران. وهكذا هي الحال في لوقا (٢٢: ٣٢) حين أنبأ يسوع بنكران بطرس وهوضه.

إلا أنه لا ينبغي أن يكون المشهد ذاته موضع شك، وانما يجب الاعتراف بـأن التفصيل ليس واضحاً، وقد خفي علينا إلى حدٍّ ما. ذلك أن محاوري بطرس مختلفـون بحسب كل انجيل. فلدى مرقس: جارية، والجارية ذاها، والحاضرون؛ ولدى متى: جارية، وجارية أخرى، والحاضرون. ولدى لوقا: جارية، وآخر، ثم آخر؛ ولدى يوحنا: البوابة، والحاضرون، ومن ثم أحد خَدَم عظيم الكهنة، من اقرباء ملخس. أما المتّهمون، فهم على أنواع، ولا تتوافق أقوالهم مع اجابات بطرس. فكيف نرتّب هذه المفارقات؟ هناك عدد من المفسرين الذين يحملون عن الإلهام والعصمة مفهوماً ضيقاً، ويصرّون على قبول كل التفاصيل في حرفيتها؛ الهم يضيفوها بعضاً على بعض، بحيث يصبح لدينا سبعة أو ثمانية أشكال من الانكار: أنكر بطرس أمام جارية، أمام أخرى، أمام جماعـة الخ... ذلـك تراكم لا يُعقل، فضلاً عن هشاشته! ويسعى آخرون إلى اقامة تناغم بين التفاصـيل، إذ يتخيلون حركات مسرحية من الدخول والخروج: فيخلصون إلى بناء قـصة قـصيرة! والأفضل هو أن نقبل بمدى من الحرية يتمتع بها الكتّاب الملهَمون، في الرواية، على مثال كل الكتّاب. فالشهود، حتى وان كانوا شهود عيان، ينقلون دوماً الحدث ذاته بطـرق مختلفة. وبوسعنا أن نقوم بهذه الخبرة، دون عناء، في الحياة اليومية، إذا ما جعلنا شهوداً عديدين يروون لنا مشهداً راقبوه عن كثب. وسنرى أن جوهر الرواية يبقى هو هو، غير أن كلاً منهم لاحظ تفصيلاً مختلفاً، أو تخيّله على طريقته، حين لم يعد يعـرف ذلـك التفصيل. والمؤلفون الملهمون فعلوا كذلك، إذ ان الروح القدس لم يبدّل هذه الظروف البشرية والطبيعية التي ليس للاهوت فيها شأن. لذا لا ينبغي أن نطالب بتوافق تام، بـل نرتضي بالمقاربة.

قد يكون بوسعنا أن نذهب إلى أبعد. واني أرى من المفيد أن أعرض هنا رأياً جديداً ومعقولاً. ومن دون أن أفرضه، أطرحه بمثابة نموذج لرؤية نقدية تحمل على التفكير. هذا الرأي، كان قد أدلي به مفسر بروتستنتي، هو في الوقت ذاته راعٍ وأستاذ في لوزان[٥]. وكما تحققنا نحن، اكتشف هو أيضاً مفارقة في رواية مرقس: بعد الانكار الأول، يخرج بطرس إلى الخارج...ولكنه لا يخرج! فالعبارة اليونانية "خرج خارجاً"، إذا ما قورنت بمقاطع أخرى من انجيل مرقس، يكون معناها خروجاً حقيقياً (كما هي الحال حين شفى يسوع أعمى خارجاً عن بيت صيدا (مر ٨: ٢٣)[٦]. وهنا، حين نقرأ أن بطرس "خرج خارجاً"، نراه لا ينزل في الداخل: وتلك مفارقة ولاشك. فمرقس يشير إلى انه اتجه "نحو الدهليز"، غير أن هذه العبارة قد تكون أضيفت للتخفيف من المفارقة. ومن جهة أخرى، كما سبق أن لاحظنا، يصيح الديك بعد أول إنكار، كما لو أن المشهد قد انتهى، و لم يشعر بطرس به. والانكار الثاني يكرر الأول بشكل يكاد يكون ذاته: فالجارية هي ذاتها التي، في الواقع، تقول الكلمات عينها، ولعين الأشخاص.

إليكم ما يقترحه البروفسور ماسّون: أليس لدينا في مرقس دمج لروايتين؟ في احداهما، تسأل جارية بطرس فيجيب: "لا أعرفه، لا أفهم ما تقولين". ومن ثم، فيما هو خارج، صاح الديك. أما الرواية الثانية الموازية، فتكون أوردت انكار بطرس على مرحلتين، وكأن الضرورة تقتضي شاهدين لتثبيت أمر ما. وقد تكون هذه الرواية الثانية أضيفت على الأولى، فكوّنت، في نصّنا الحالي، الانكارين الثاني والثالث، ومن ثم ختمت كل من الروايتين بصياح الديك.

ومن الممكن أن تكون الروايتان قد جُمعتا في نص مرقس، مع الإضافة "نحو الدهليز" (مر ١٤: ٦٨) و "من جديد" (مر ١٤: ٦٩)، مما أحدث انكارات ثلاثة، عوضاً عن إنكار أو اثنين. مثل هذا الحل يفسّر المفارقات التي اكتشفناها: صياح أول للديك لم يلفت انتباه بطرس، وتجدد الاتهامات تجاه بطرس وهو يهمّ بالخروج.

---

[٥] ش. ماسّون: نكران بطرس، في مجلة التاريخ والفلسفة الدينية (بالفرنسية)، ١٩٥٧.

[٦] أنظر أيضاً مر ١١: ١٩ و ١٢: ٨.

ولكي نجد دعماً لهذه النظرية، بوسعنا ان نبحث كيف اجتهد متى ولوقا، ومتى بالاخص، في التخفيف من مفارقات مرقس: فقد حذفا أول صياح للديك، و لم يشيرا إلى أن بطرس يخرج، وانما يتوجه نحو الباب. ويضيف يوحنا ذاته مؤشراً مفيداً يخدم هذه النظرية: ذلك أن الانكار الأول لديه، مفصول عن الانكارين الآخرين، بفضل الاستجواب أمام حنّان. ألا يدل ذلك أن هناك روايتين منفصلتين: انكار من جهة، وانكاران من جهة أخرى، وقد جُمعا من ثم؟

وإذا رغبت في عرض هذه النظرية، فلأني اعتبرها قابلة للبرهان ومفيدة. وفي مناسبات أخرى، قد يسعنا أن نلاحظ بأن مرقس عرف تقاليد مختلفة، فسعى إلى جمعها في إنجيله[٧].

ويتوجب على النقد الأدبي والتاريخي، في الفترة التي سبقت تدوين الأناجيل، أن يواجه هذه الصيغ القديمة للروايات والتي التحمت ببعضها من ثم. فالأحداث قُصَّت، واحداً واحداً، وعبر روايات قصيرة متفاوتة في الاختلاف، وعمد المؤلفون، شيئاً فشيئاً، إلى ترتيبها في رواية متناسقة. ليس من الصعب البتة الاعتراف بهذه العملية، فذلك قانون طبيعي يشمل كل المؤلفات الأدبية. ومثل هذا التطور لا يمس الحقيقة الجوهرية بشيء. بل لدينا، بالعكس، سند في الكنيسة التي كانت تحمل هذه الروايات في حضنها، فضلاً عن حماية الروح القدس الذي، بالهامه، وجّه وقاد إنشاء النص الذي بين أيدينا. وهكذا يمكننا أن نطمئن: فالنص الذي نتج عن هذا التكوين الأدبي، والذي قبلته الكنيسة واعتبرته قانونياً، انما هو نص صلد، لا يقدم التفصيل التاريخي الدقيق -بسبب بعض الفروقات المشار إليها- بل المناخ والمشهد العام المعروضين بأربعة أشكال مختلفة، وبضمنها المغزى الأساسي ذاته.

إن هذا المغزى رهيب، ولكنه خلاصي. فإذا أصرّ المسيحيون الأولون على رواية تعثّر رئيس الرسل، فلأنهم شاءوا ولاشك أن يحذّروا من ثقة بالنفس تتجاوز الحدود.

[٧] من المناسب أن نذكّر، في النزاع في الجتسمانية، بالرواية المركزة على "ساعة ابن الإنسان"، والرواية الاخرى التي تتعلق بـ"اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في التجربة". انهما طريقتان لوصف المشهد، وقد دمجهما مرقس (١٤: ٣٢-٤١). وقد يصبح بالامكان أن نفسر، بالطريقة عينها، الواقع الذي بموجبه كان لمرقس جلستان للسنهدريم: فقد كان في حوزته ولاشك، تقليدان منفصلان، وقد شاء أن يدمجهما.

"فمن ظن أنه قائم، فليحذر السقوط" (١قور ١٠: ١٢؛ راجع روم ١١: ٢٠ي؛ غـــلا ٦: ١). إلا انهم في الوقت ذاته، وصفوا دموعه وأعدّوا السبيل لتلقّي غفـــران الـــرب، مؤكدين أن كل خطيئة، مهما عظمت، يمكن أن تُصلَح، إذا ما بكاها المؤمن بحب.

الفصل الرابع

الاستجواب لدى حنّان والإهانات

الاستجواب لدى حنّان

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ١٨: ١٩-٢٤
			١٣وساقوه أولا الى حنّان
			١٩فسأل عظيم الكهنة يسوع
			عن تلاميذه وتعليمه.
			٢٠أجابه يسوع: "إني كلمتُ العالم
			علانية، وإني علمتُ
٢٦ ٥٥بكنتُ كل يوم	١٤ ٤٩كنتُ كل يوم	٢٢ ٥٣كنتُ كل يوم	دائما
	بينكم	معكم	
اجلس أعلّم	أعلّم		
في الهيكل	في الهيكل	في الهيكل	في المجمع والهيكل
			حيث يجتمع اليهود كلهم،
			ولم أقلْ شيئا في الخفية.
			٢١فلماذا تسألني أنا؟ سل الذين
			سمعوني عمّا كلّمتهم به،
			فهُم يعرفون ما قلتُ".
			٢٢فلمّا قال يسوع هذا الكلام، لطمَه
	١٤ ٦٥بوانهال الخدم عليه باللطم.		واحد من الحرس كان بجانبه وقال
			له: "أهكذا تجيب عظيم الكهنة؟"
			٢٣أجابه يسوع: "إن كنتُ أسأتُ في
			الكلام، فبيّن الاساءة. وإن كنتُ
			أحسنتُ في الكلام، فلماذا تضربني؟"
			٢٤فأرسل به حنّان موثقا الى قيافا
			عظيم الكهنة.

الاهانات بحق يسوع النبي

متى ٢٦: ٦٧-٦٨	مرقس ١٤: ٦٥	لوقا ٢٢: ٦٣-٦٥	يوحنا
	١٤ ٦٥وأخذ	٦٣وكان الرجال	
	بعضهم	الذين يحرسون يسوع	
٢٦ ٦٧فبصقوا في وجهه	يبصقون عليه		
ولكموه		يسخرون منه ويضربونه	
	ويقنّعون وجهه	٦٤ويقنّعون وجهه	
ومنهم مَن لطمه،	ويلطمونه		
٦٨وقالوا:	ويقولون:	فيسألونه:	
"تنبَأ!	"تنبَأ!"	"تنبَأ!	
أيها المسيح			١٨ ٢٢فلمّا قال يسوع هذا الكلام،
مَن ضربك؟"		مَن ضربك؟"	لطمه واحد من الحرس كان بجانبه
	وانهال الخدم عليه باللطم.		وقال له:
			"أهكذا تجيب عظيم الكهنة؟"
		٦٥وأوسعوه غير ذلك	
		من الشتائم.	

سننكب الآن على معرفة ماذا حدث في الليلة التي أنكر فيها بطرس معلمه: مثول أمام السلطات اليهودية، ومن ثم إهانات الحقت بيسوع. وسنطرح سؤالين يتعلق كل منهما بأحد هذين المشهدين، إذ ان روايات الإنجيليين لا تتفق.

١ - المثول خلال الليل

رواية مرقس ومتى

يطرح مثول يسوع أمام "عظيم الكهنة" سؤالاً[1]. وسبق أن اكتشفنا في الازائية أن هناك اختلافا بين مرقس ومتى من جهة، وبين لوقا من جهة أخرى. فلدى مرقس ومتى، هناك جلسة للسنهدريم تمت في الليل، فور وصول يسوع القادم من الجتسمانية؛ وتأتي من ثم الاهانات التي تلي الجلسة، ومن بعدها فقط ترد إنكارات بطرس. وكل هذه الأحداث تجري في الليل. وبالعكس، تجري جلسة السنهدريم في الصباح لدى لوقا؛ أما خلال الليل، في أعقاب الوصول من الجتسمانية، فليس هناك سوى الإنكارات والاهانات.

من جهة أخرى، يضع مرقس ومتى جلسة جديدة للسنهدريم في الصباح الباكر، من بعد إنكارات بطرس؛ وفيها يقرر المجلس أن يرسل يسوع إلى بيلاطس. هناك، إذن، جلستان للسنهدريم لدى مرقس ومتى، احداهما في الليل، والأخرى في الصباح. ويمكننا أن نعتقد، للوهلة الأولى، أن لوقا أسقط احدى الجلستين. ولكن يتضح جيداً، من روايته، أن جلسة الصباح هي عين الجلسة الليلية التي رواها مرقس ومتى. فضلاً عن أن الوضع، داخل روايات مرقس ومتى، يبدو غير واضح: لا نرى كيف يمكن ترتيب هاتين

[1] راجع ب. بنوا: يسوع أمام السنهدريم، في "التفسير واللاهوت"، باريس ١٩٦١/ ج١.

الجلستين للسنهدريم. ذلك أن جلسة الليل غريبة: انها تبدو مخالفة للقواعد القانونية، إذ لم يكن يُعقد السنهدريم، بشكل طبيعي، إلا في الصباح، كما هي الحال في القضاء الرسمي في كل بلدان العالم. وكانت صالة المحكمة الملحقة بالهيكل مغلقة خلال الليل، كما كانت الحال بالنسبة إلى الهيكل. وأخيراً، من غير المحتمل، على الصعيد النفسي، أن تجرى هذه الجلسة في الليل: فمن الصعب أن نتخيل أعضاء السنهدريم يخرجون من بيوتهم ليلاً من أجل هذه القضية. لا بل من الطبيعي اكثر انهم انتظروا الصباح الباكر، بعد قضائهم ليلة هادئة. وهكذا لا تبدو هذه الجلسة الليلية للسنهدريم، في حد ذاتها، واقعية. ومن جهة أخرى، لم يرد ذكر جلسة الصباح، لدى مرقس ومتى، إلا بشكل لغزي: انهما ينقلان بايجاز أن السنهدريم كله اجتمع وأرسل يسوع إلى بيلاطس. وليس لدينا ما يشير إلى صدور قرار نظامي. فهل كان ينبغي أن يتم اجتماع آخر من جديد لذلك؟ ونستنتج، من خلال كل هذه العناصر، أن الجلسة التي وصفها مرقس ومتى بانها جرت في الليل، هي ذات الجلسة الصباحية لدى لوقا، لا بل هي الجلسة ذاتها التي وضعاها كلاهما في الصباح. وهكذا نجدنا بإزاء تكرار أدبي لجلسة السنهدريم، رَوَياها وكأنها جرت مرة في الليل ومرة في الصباح.

نسب المفسرون الناقدون، منذ زمن بعيد، هذا التكرار إلى الدمج بين تقليدين، أي بين طبقتين إنشائيتين: نشرة أولى قصيرة جداً مكّنت مرقس ومتى من رواية جلسة الصباح؛ ونشرة أخرى تضمنت تفاصيل جاءتهما بطريق آخر، فكانت جلسة الصباح وراء روايتهما. ويضيف هؤلاء الناقدون، خطأً، أن هذه النشرة الثانية متأخرة في الزمن، ولا قيمة تاريخية لها؛ وفي اعتقادهم أن الحق هو فقط من جانب النشرة المقتضبة بشأن جلسة الصباح. فمع رفضي هذا الحكم المطلق، أعتقد أن ظاهرة انعقاد جلستين للسنهدريم، بحسب مرقس ومتى، تُفسَّر عبر التصاق تقليدين، كما سبق أن رأينا ذلك، مرات عديدة، في مشاهد الجتسمانية وإنكار بطرس.

ولكن لا تزال هناك صعوبة قائمة: إذا عرف مرقس تقليدين مختلفين للجلسة ذاتها، لماذا لم يضع الروايتين جنباً إلى جنب؟ فلقد كان باستطاعته ولاشك أن يضع الرواية المفصّلة عن الجلسة، تماماً بعد النشرة القصيرة. أما لماذا ميّز بين جلستي الليل والصباح؟ فتلك، كما يبدو لي، صعوبة حقيقية لم يجد لها النقّاد حلاً.

رواية يوحنا ولوقا

لدى يوحنا ولوقا، سنجد المؤشرات التي تمكّننا من حل هذه الصعوبة. يـذكر يوحنا مثولَين يتسمان بطابعين مختلفين: مثول أول بين يدي حنّان: **"وساقوه أولاً إلى حنّان"** (يو ١٨: ١٣)، وكذلك استجواب بلسان عظيم الكهنة، ويبدو أنه حنّان ذاته -وقد جرى الحديث عنه (يو ١٨: ١٩- ٢٣). و نقرأ من بعد هذا الاستجواب: **"فأرسل به حنّان موثقاً إلى قيافا عظيم الكهنة"** (يو ١٨: ٢٤). فيوحنا ينقل، إذن، مثولين ليسوع، ليس أمام سلطات السنهدريم، على غرار مرقس ومتى، وانما مرة أولى في الليل، أمام حنّان، ومرة أخرى في الصباح الباكر، أمام قيافا. انها معلومة في غاية الفائدة: فكما هي الحال غالباً لدى يوحنا، أُحتُفظ، بجانب التوسعات اللاهوتية المتأخرة، بذكريات تاريخية ذات قيمة كبرى، ولاسيما في رواية الآلام. وإذا ميّز يوحنا بين حنّان وقيافا، فليس ذلك بدوافع استعارية، وانما لأن في حوزته ذكريات واقعية: إذ ان الأحداث جرت بهذا الشكل.

وإذا عدنا إلى لوقا، في ضوء رواية يوحنا، نلاحظ أن نصه ينسجم بسهولة كبيرة مع نص يوحنا. ففي الواقع، لم يروِ لوقا سوى جلسة واحدة هي جلسة السنهدريم في الصباح؛ أما روايته في الليل، فمن السهل ان نوفّقها مع رواية يوحنا. ذلك أن يسوع، بحسب لوقا، هو في الواقع هنا، على ما يبدو، في زاوية من الفناء بحيث استطاع أن يرى بطرس بعد نكرانه؛ وأنه أُهين من ثم، ونال الضربات من يد الذين كانوا يحرسونه. ويُفسَّر كل شيء بيسر إذا ما اعتبرنا أن استجواباً أولاً أمام حنّان جرى في هذه الليلة بالذات، وانتهى بصفعة الخادم. وسيكون من اليسير أن نفهم بأن رواية هذا الاستجواب شبه الرسمي، طُعمت عليها الرواية بصدد ليلة سَهَر كان يسوع خلالها في الفناء وأتيح له أن ينظر إلى بطرس.

كيف نتخيل هذه الجلسة الليلية التي تبدو محتملة جداً بفضل التكرار الذي أجراه يوحنا من جهة، ومرقس/ متى من جهة اخرى؟ أعتقد أنه ينبغي فهمها انطلاقا من رواية يوحنا التي نرى فيها عظيم الكهنة، وهو يسأل يسوع عن تلاميذه وتعليمه. ولكن ألم يكن قيافا في الواقع عظيم الكهنة؟ لا نتوهمنَّ: فحنّان حموه كان رجلاً ذا شأن، بحيث

احتفظ بلقب عظيم الكهنة[٢]، فعلياً وليس رسمياً. ويعطينا لوقا البرهان على ذلك في احدى ملاحظاته التاريخية التي استقاها من التقليد. ففي الوقت الذي بدأ فيه يسوع رسالته، عدّد لوقا سلطات زمانه (لو ٣: ١-٢): طيباريوس كان امبراطوراً، بنطيوس بيلاطس حاكماً، هيرودس انتيباس أميراً على الربع الخ ... وعظيم الكهنة (بالمفرد) حنّان وقيافا. وهكذا نرى لوقا يسمي حنّان وقيافا وكأن الاثنين كانا عظيمي كهنة، أو بالأحرى كما كتب عظيم الكهنة (بالمفرد): ذلك أن حنّان بدا وكأنه هو عظيم الكهنة، وأن قيافا هو مساعده[٣]: ومثل هذه الملاحظات التي لا صلة لها بمشكلتنا، تبرّر بشكل عام طريقة يوحنا في التعبير (يو ١٨: ١٩)، حين كتب بأن عظيم الكهنة هو حنّان. ذلك أن كل الاستجواب يجري بين يدي حنّان.

ولكن، قبل أن نفسر رواية يوحنا (يو ١٨: ١٩-٢٣)، يطيب لي أن أعكس عرضاً لنظرية نقدية لا أقبلها، ولكنها كثيراً ما طُرحت: وتكمن هذه النظرية في تحويل الآية ٢٤ من يوحنا التي تتحدث عن البعثة من لدن حنّان إلى قيافا. لقد وُجد هذا التحويل في مخطوطة تنقل ترجمة سريانية قديمة ضمن "مجلد"(codex) ثمين محفوظ في دير جبل سيناء، حيث نجد الآية ٢٤ قد حُوّلت إلى ما بعد الآية ١٣. وإليكم سياق الجمل:"١٣ ساقوه أولاً إلى حنّان؛ وهو حمو قيافا عظيم كهنة في تلك السنة. ٢٤ فأرسل به حنّان موثقا إلى قيافا عظيم الكهنة. ١٤ وقيافا هو الذي أشار على اليهود..." . وهكذا، من خلال هذا التحويل بالذات، يكون الاستجواب كله قد تم بين يدي قيافا، طالما أن حنّان لم يحتفظ بيسوع لديه، وانما أرسله للحال إلى قيافا.

لقد أخذ بعض المفسرين، ومن بينهم الأب لاكرانج، هذا الحل بعين الاعتبار، ورأوا أن هذا التحويل مفيد جداً. أما أنا فأشك في الأمر، ولست وحدي. ذلك أني

---

(٢) لقد كان حنّان ذاته عظيم كهنة من عام ٦ ق م (وقد يكون عام ٤) حتى عام ١٥م. وبعد أن ترك منصبه، أصبح ابنه اليعازر عظيم كهنة من عام ١٦ إلى ١٧، ومن ثم صهره قيافا من عام ١٨، وبعدئذ ابن آخر له يوناثان من ٣٦ إلى ٣٧، وآخر تئوفيلس اعتباراً من عام ٣٧، ومن ثم ابن رابع ماتياس، وخامس أنانوس عام ٦٢؛ وباختصار: صهر واحد وخمسة بنين أصبحوا عظماء كهنة. وهكذا كان حنان آنذاك الرجل الذي ترك المنصب، ولكنه نجح في وضع صنائعه فيه كي يواصل قيادة الأمور.

(٣) هكذا هي الحال لدى محاكمة بطرس ويوحنا أمام السنهدريم (رسل٤: ٦)، حين ذكر لوقا أولاً عظيم الكهنة حنّان، ولم يذكر قيافا إلا في عداد بقية الأسرة الضالعة في الكهنوت.

أخشى الا تكون هذه المخطوطة السينائية أو الذين يدعموها، ومـــن بينـــهم قـــورلس الاسكندري، قد أحدثت هذا التصحيح للخروج من المأزق. ذلك الهم استشعروا صعوبة في التوفيق بين الازائيين ويوحنا بشأن هذه الجلسة: لدى قيافا بحسب الازائيين، ولـــدى حنّان بحسب يوحنا؟ وهكذا نكون بازاء تصحيح! وإليكم البرهـــان: لقـــد شـــاءت المخطوطة السينائية أن تضع الترتيب حتى ألها عمدت إلى تحويل آيات أخرى أيضا: لقد وضعت الاستجواب الذي اجراه عظيم الكهنة (يو ١٨: ١٩-٢٣) قبل إنكار بطـــرس (يو ١٨: ١٦-١٨). وفي الواقع نرى أن الإنكار الثاني والثالث، لدى يوحنا، مفصولين عن الأول، بشكل غريب، عبر الاستجواب. ولكي ترتّب المخطوطة السينائية ما اعتبرته خلَلاً، عمدت إلى جعل الإنكار الأول (يو ١٨: ١٦-١٨) يلي الاستجواب، فجمعت، في مقطع واحد، الإنكارات الثلاثة! تلك هي اللمسات التي أجراها ناسخ ذكي سمـــح لنفسه بهذه الحرية! لذا فاني أرفض اتباعه، إذ اعتقد انه من الأفضل الاحتفاظ بالنص كما هو، ومن ثم البحث عن تفسير له بطريقة أخرى؛ علماً بان الحل الذي تقدمـــه هـــذه المخطوطة ليس موفقاً. فقد يكون مرضياً للوهلة الأولى، طالما حصلنا بواسطته على مثول أمام قيافا، لدى كل من يوحنا والازائيين الثلاثة، إلا أن مضمون الاستجواب هـــو في منتهى الاختلاف: ليست هناك أوجه شبه البتة بين أسئلة عظيم الكهنة وأجوبة يسوع، لدى الازائيين من جهة، ولدى يوحنا من جهة أخرى. وهكذا لن نكون قد ربحنا شيئاً، عدا أننا وضعنا لدى قيافا مقطعين مختلفين تماماً. فالأولى بنا القبول بان يكـــون هنـــاك استجواب قام به حنّان ونقله يوحنا -ولم يتحدث عنه الازائيون- إلى جانب استجواب آخر أمام السنهدريم نقله الازائيون وسكت عنه يوحنا.

الاستجواب لدى حنان والجتسمانية

إليكم كيف وصف يوحنا الاستجواب لدى حنّان:

"فسأل عظيم الكهنة يسوع عن تلاميذه وتعليمه. أجابه يسوع: اني كلّمت العالم علانية، واني علّمت دائماً في المجمع والهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم، ولم أقل شيئاً في الخفية. فلماذا تسألني أنا؟ سَلْ الذين سمعوني عما كلّمتُهم به، فهم يعرفون ما

قلت. فلما قال يسوع هذا الكلام، لطمه واحد من الحرس كان بجانبه وقال له: أهكذا تجيب عظيم الكهنة، أجابه يسوع: ان كنت أسأت في الكلام، فبيّن الإساءة. وان كنت أحسنت في الكلام، فلماذا تضربني؟"

تعرض هذه الرواية تفصيلاً مفيداً بوسعه أن يفسّر الفرق بين تقاليد الازائيين وتقليد يوحنا. فجواب يسوع إلى سؤال عظيم الكهنة (يو١٨: ٢٠) يشبه، بشكل غريب، الجواب الذي يضعه الازائيون على لسانه في الجتسمانية: "كنت كل يوم بينكم اعلّم في الهيكل فلم تمسكوني" (مر ١٤: ٤٩؛ متى ٢٦: ٥٥؛ لو ٢٢: ٥٣). هناك شبه كبير مع ما جاء عند يوحنا: " اني علّمت دائماً في المجمع والهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم" (يو ١٨: ٢٠). وهناك ما هو أكثر: في رواية لوقا، دُهشنا حين عرفنا أن كلام يسوع هذا في الجتسمانية موجه إلى عظماء الكهنة ورؤساء الهيكل والشيوخ، كما لو أن اعضاء السنهدريم برمتهم جاءوا ليشاركوا في الاعتقال! ويبدو أن هذا الكلام لم يفه به يسوع سوى مرة واحدة، في المكان الذي وضعه يوحنا على لسانه، أي أمام حنّان، في القصر، ليلاً. أما في تقليد الازائيين، فيكون هذا الكلام قد تحّول من قصر حنّان إلى بستان الجتسمانية.

هناك تفسيران ينتصبان امامنا، وها اني أعرضهما عليكم: اما ان يكون وصف جلسة السنهدريم ليلاً، لدى مرقس والازائيين، قد عوض عن الاستجواب أمام حنّان، حتى ان جواب يسوع اتخذ له مكاناً في مشهد الجتسمانية؛ واما -وهذا الافتراض هو أكثر احتمالاً- أن مرقس ومتى، بعد ان رويا، منذ الجتسمانية، كلاماً أساسياً قاله يسوع ابان استجوابه أمام حنّان، تركا فراغاً في رواية الليل في القصر؛ ولما كان التقليد قد استذكر أن استجواباً جرى خلال الليل، فقد استبقا جلسة السنهدريم لسدّ هذا الفراغ وانسجاماً مع هذا الاستذكار. ذلك هو تفسير ممكن.

وفي كل الأحوال، اعتقد أن الحقيقة التاريخية هي من جانب يوحنا: خلال الليل، جرى الاستجواب أمام حنّان. إلا أن المقارنة مع الازائيين، ولاسيما مع لوقا، قد تتيح لنا التكهّن بان بعض رؤساء الهيكل كانوا مع حنّان. ويُحتمل جداً أن يكون اكثرهم حقداً قد انتظروا، مع حنّان، نتيجة اعتقال يسوع؛ وقد يكونون قد استجوبوه

حال وصوله من الجتسمانية، ومن دون صبغة قانونية، في محاولة للحصول منه على اعترافات.

وها اني أعيد بنية أحداث الليل على الشكل التالي: أعتقل يسوع في الجتسمانية واقتيد إلى دار حنّان. وهناك قضى الليل، لانهم كانوا ينتظرون طلوع النهار ليتمكنوا من عقد جلسة السنهدريم. وخلال هذا السَهر، سأل حنّان وبعض رؤساء الهيكل يسوع عن تعليمه وتلاميذه؛ لم يكن هذا الاستجواب رسمياً، إلا أن سلطة حنّان أضفت ثقلاً على هذا التقصّي الشخصي. ورفض يسوع، بكل مهابة، الإجابة قائلاً: لقد تكلمت دوماً بوضوح، فما معنى هذه الأسئلة الآن؟ لقد قلت أمام الجميع ما كنت أفكر به. وحينذاك صفعه خادم، مما أدّى إلى استهزاء شامل. وفي الوقت ذاته، في الفناء، كان بطرس في نقاش مع الذين راحوا يكثفون الأسئلة. وانتهى به الأمر إلى إنكار معلمه؛ إلا أن يسوع نظر إليه، فتذكّر بطرس كلام يسوع وهرب باكياً.

ويمكننا القول أن استجواب حنّان جرى في غرفة، وأنه لم يطل كثيراً. وحين رأى عظيم الكهنة أن يسوع يرفض الإجابة، أنزله إلى الفناء. وهنا، كان بوسع يسوع أن ينظر إلى بطرس بعد إنكاره، وهكذا يكون يسوع قد بقي هناك حتى الصباح. وفي الصباح الباكر، أُقتيد عند قيافا، أي أمام السنهدريم، حيث جرى استجواب نظامي.

٢ – الاهانات[٤]

يتمخص الاستجواب أمام حنّان عن إهانة خادم صفع يسوع (يو ١٨: ٢٢). ان لهذا المشهد، كما يبدو، صلة حقيقية مع المشهد الذي رواه الازائيون، وقد أُهين فيه يسوع بصفته نبياً (متى ٢٦: ٦٧-٦٨؛ مر ١٤: ٦٥؛ لو ٢٢: ٦٣-٦٥). وحين نمعن النظر في كل من الأناجيل، نكتشف فروقات بين الروايات الثلاث. ولا يمكن البتة أن نخلط بين النصوص كما يجري احياناً: فلكل إنجيلي الحق في أن يُسمِع صوته، طالما أن كلاً منهم حظي بنور الروح القدس بشأن طريقته في عرض الأحداث. لنصغِ، إذن، باحترام إلى ما يقوله كلّ منهم.

[٤] راجع ب. بنوا "الاهانات بحق يسوع النبي: مر١٤: ٦٥" (بالفرنسية)-١٩٦٢

من وجه الاهانات؟

يأتي مشهد الاهانات مباشرة، بحسب مرقس ومتى، بعد مشهد السنهدريم الذي جرى في الليل، ومن المحتمل أن الذين يوجّهون الإهانة هم أعضاء السنهدريم أنفسهم: عظماء كهنة، كتبة لاهوتيون، نبلاء، كل هؤلاء العظماء نزلوا إلى مستوى المبارزة! وحين أعلنوا "أنه يستحق الموت"(مر ١٤: ٦٤)، نرى النص يواصل: **"وأخذ بعضهم يبصقون عليه"**؛ وبوسعنا أن نستنتج بأن المعنيين هم هؤلاء الأشخاص انفسهم (مر ١٤: ٦٥). ويتكلم مرقس من ثم عن خَدَم يلطمونه. فهو، إذن، على ما يبدو، يميّز بين فئتين: أعضاء السنهدريم والخدم.

إلا أن هذا التميز لم يعد ظاهراً لدى متى. فأعضاء السنهدريم أجابوا عظيم الكهنة: " انه يستحق الموت" (متى ٢٦: ٦٦). ويواصل متى قائلاً: "فبصقوا في وجهه" (متى ٢٦: ٦٧). وهنا، كما في مرقس، رؤساء اليهود هم الذين يهينون يسوع. وهذا ما يدهش حقاً: فمن الصعب أن نتخيل هؤلاء القضاة المحترمين، أية كانت مشاعرهم، ينحدرون إلى تعاطي مثل هذه الأساليب.

أما لوقا، فلم يذكر شيئاً من ذلك، وانما كتب: **"كان الرجال الذين يحرسون يسوع يسخرون منه"** (لو ٢٢: ٦٣). فلسنا بإزاء رؤساء عظام، بل بإزاء "شياطين" تعساء، هم أولئك الذين أوقفوا يسوع في الجتسمانية وحرسوه خلال الليل. لقد كان الطقس بارداً، لذا راحوا يقضون الوقت -كما يجري مع الأسف في كل البلدان- في الهزء بسجينهم. ومهما كان الأمر أليماً، إلا أنه يبدو أقل سماجة وأكثر احتمالاً.

ما هي هذه الاهانات؟

يجب ملاحظة فروقات أخرى بين الروايات، في ما يتعلق بطبيعة هذه الاهانات ذاتها: انها، لدى يوحنا، صفعة فقط، أما لدى مرقس ومتى، فهي ليست صفعة حسب، وانما لطمات وبصاقاً أيضاً. والكلمتان "لطمة" و"صفعة" اللتان تكادان تكونان مرادفتين، تؤديان اللفظتين اليونانيتين شبه المرادفتين. ومبدئياً، ان الكلمة التي أترجمها بـ"صفعة" تعني بالأحرى ضربة براحة اليد، والكلمة التي أترجمها بـ"لطمة" تعني بالأحرى ضربة

بقبضة اليد أو ضربة بظهر اليد. ولا يحمل نص لوقا وضوحاً بشأن الضربات ولا بشأن البصاق: " **كانوا يسخرون منه ويضربونه**". انهم يضربون ويسخرون. إلاّ أن لوقا يسجّل تفصيلاً آخر: "**ويقنّعون وجهه فيسألونه: تنبأ من ضربك؟**" (لو ٢٢: ٦٤). ولَكَم تخيلنا هذا الحجاب بمثابة عُصابة على عيني يسوع، بينما توحي الكلمة اليونانية بالأحرى حجاباً يلفّ أعلى الجسم برمته.

يبدو هذا الحجاب موجوداً لدى مرقس، وغائباً لدى متى. وهذا ما يثير صعوبة: إذا كان متى قد عرف مرقس واستلهمه، كما تؤكد ذلك مؤشرات كثيرة، فكيف لم يتحدث هو أيضاً عن حجاب؟ سيما وان غياب الحجاب لديه يضعنا في مأزق: "**فبصقوا في وجهه ولكموه، ومنهم من لطمه، وقالوا: تنبأ لنا أيها المسيح، من ضربك؟**" (متى ٢٦: ٦٧-٦٨). اذا لم يكن يسوع مغطى، فلن يكون من الصعب عليه أن يشير إلى من ضربه، بينما كان عليه، بحسب لوقا، أن يستقرئ. وهكذا حرم متى نفسه، بإهماله الحجاب، من عنصر وصف كان ضرورياً جداً.

هناك مشكلة أخرى على صعيد النقد الأدبي تشغل المفسرين: يورد متى ولوقا عين السؤال: "**من ضربك؟**"، ولا نجده لدى مرقس. ولما لم يكن متى ولوقا قد عرف أحدهما الآخر، فما هو المصدر المشترك الذي كان وراء هذا التفصيل؟ وهنا ليس هو مرقس.

في مثل هذه الحالات، يحسن بنا أن نعود إلى نقد النصوص، أعني إلى فحص النص في المخطوطات القديمة. هناك بالفعل، في ما يتعلّق بالعهد القديم والجديد، ألوف المخطوطات التي يتوجب على العلماء أن يختاروا بينها كي يجدوا البدائل الأكثر أصالة. فبالنسبة إلى الحالة التي نحن بصددها، هناك مخطوطات هامة يُطلق عليها لقب "الغربية" تهمل الحجاب لدى مرقس؛ والترجمة اللاتينية القديمة، ما قبل الفولكاتا، ومخطوطة بيزي (Bezae)، فضلاً عن مخطوطات أخرى ذات قيمة، تدعم كلها هذا الاهمال، بشكل غير مباشر. وأعتقد انها على صواب. ولا أخفي استعدادي على تغيير نص الطبعات الاعتيادية لتبنّي هذا النص الذي يبدو أكثر صحة: "بدأوا يبصقون في وجهه ويلطمونه..."، دون الإشارة إلى الحجاب. وإذا أخذنا بها الرأي، تصبح المشكلة محلولة: فمتى لم يهمل الحجاب الذي تحدث عنه مرقس، بل لم يجده في النسخة الأصلية من نصه. والحجاب الذي ورد حالياً في مرقس يرجع إلى نسّاخ استعاروه، فيما بعد، من لوقا.

وقد تبتسم لنا الفكرة لطرح حل مماثل بصدد الصعوبة الأخرى بشأن عبارة "من ضربك؟". فهناك مخطوطات لانجيل مرقس تتضمن هذه العبارة. فلو كانت على صواب، لكان لنا لدى مرقس التفسير الكافي لهذا التوافق بين متى ولوقا[٥]. ومع ذلك لا أجرؤ على دعم هذا الحل، لأن المخطوطات المذكورة ليس لها سوى سلطة ضعيفة. لنترك الآن هذه المشاكل المعقدة كي نعود إلى المشهد ذاته.

رواية لوقا

لا تتفق روايات الازائيين، لذا ينبغي أن نفهم هدف كل منهم والمعنى الذي يضفيه. ومن السهولة فهم رواية لوقا. ذلك أن الحرس يلعبون على حساب يسوع لعبة الأحجية التي كانت معروفة في كل مكان وفي كل زمان: انهم يغطونه بحجاب ويحملونه على التنبؤ: "من هو الذي ضربك؟". وفي النصوص اليونانية القديمة، توصف هذا اللعبة باسم "موبندا" (muinda): كان على أحد اللاعبين أن يضع يده على عينه يستقرئ الشيء الذي يعرض عليه أو الشخص الذي لمسه. فإذا أصاب، يكون قد ربح، ويترتب على رفيقه من ثم أن يغمض عينيه بدوره. وإذا أخطأ، يتوجب عليه أن يبدأ من جديد في التنبؤ. ذلك هو اللعب الذي مارسه حرس يسوع، بحسب لوقا: لقد غطّوا رأسه، وكان على يسوع أن يستقرئ من ضربه، دون أن يراه. وكما كانت المآخذ على يسوع من مستوى ديني، فهم انما يدفعونه إلى التكلم بصفة "نبي"، طالما ان النبي يعرف كل شيء!

رواية مرقس

تفسير نص مرقس ليس في منتهى السهولة: فيسوع مغطى بحجاب، وها هم يضربونه على خده ويقولون: "تنبأ!"، ومن دون أي تفصيل آخر. وإذا لم يكن هناك ما يدعو إلى التنبؤ، فماذا يعني الحجاب (إذا كان لابد من الاحتفاظ به في النص)؟ ويجيب عدد من المفسرين بأن الحجاب كان جزءاً من هندام الأنبياء: انهم يزعمون أن هناك عادة عربية كان بموجبها عرّاف القبيلة أو "الكاهن" (وهو ما يقابل لفظة كوهين العبرية)

[٥] راجع أعلاه خاتمة رواية لوقا بشأن إنكار بطرس.

يغطي وجهه حين يعلن نبؤاته، لكي يؤكد أن رؤيته الفائقة تتجاوز، بشكل سري، الرؤية الطبيعية. وهكذا يكون الحراس قد أعطوا يسوع حجاب النبي كي يلعب الدور. ففي جلسة السنهدريم التي تسبق الاهانات، بحسب مرقس، كان المتهمون اليهود قد ذكّروا بهذه الكلمة: "لقد قال إني سأهدم هذا الهيكل... وخلال ثلاثة أيام سأبني غيره" (مر ١٤: ٥٨). وهكذا يكون يسوع قد تكلم بصفة نبي! انهم يسخرون منه حين طلبوا منه أن يواصل نبؤاته. إن هذا التفسير هو ذات قيمة. أما إذا لم يكن الحجاب أصلاً من نص مرقس، فمن النافل البحث عن تفسير له.

هناك خصوصية أخرى في نص مرقس: التشابه العجيب مع نص أشعيا (٥٠: ٦). حين نفسر مقطعاً من العهد الجديد، ينبغي دوماً التساؤل هل يمكن تفسيره في ضوء بعض نصوص العهد القديم التي كانت ماثلة في ذاكرة الإنجيلي. ان هذا التساؤل المشروع يتضمن في الغالب جواباً ايجابياً. فمن المؤكد أن اخواننا الأوائل قد قرأوا وأعادوا قراءة العهد القديم وتأملوا فيه، كي يبحثوا عن الإنباءات بصدد حياة يسوع المسيح وآلامه. وكل مرة لاحظوا كلمات أو أحداثاً تحققت فيه، راحوا للحال يهتمون بحفظها، أو على الأقل تبنّوا مفردات العهد القديم بهدف جعل القارئ المسيحي يستشف منها تحقيق مخطط الله.

هناك نصوص عديدة أمامنا تتعلق بالمقطع الذي يهمنا من انجيل مرقس: لقد فكّر بعض المفسرين في نص من سفر العدد (٢٤: ٣-٤): بلعام في هضبة موآب، عبر الأردن، يتنبأ على الإسرائيليين الذين في السهل؛ وقد قيل عنه: "كلام الرجل الثاقب النظر، كلام مَن سمع أقوال الله... من رأى ما يريه القدير، مَن يقع فتنفتح عيناه". وتعني هذه الأسطر ولاشك أن النبي بلعام فتح عينيه على رؤيا كشف له الله فيها عن مستقبل إسرائيل، إلا أن التشابه مع نص مرقس يبدو بعيداً: ليس هناك ما يشير إلى حجاب على عيني بلعام، وانما يقال فقط أن الله فتح عينيه وجعل نظره ثاقباً.

وفكر أيضاً آخرون بسفر الملوك الأول (٢٢: ٢٤): نرى ملوك إسرائيل ويهوذا الذين أعدوا حملة ضد راموث جلعاد، يستدعون أنبياء من السامرة ليعرفوا هل تنجح هذه الحملة. فلقد استشاروهم، إذن، وأجاب الكثيرون منهم بكلمات مجاملة: "ستنتصرون"؛ غير أن أحدهم تجرأ وقال: "ستكون النهاية وخيمة"، وسرعان ما صفع أحد الحاضرين ميخا النبي وقال: "من أين عَبَر روح الرب مني ليكلّمك؟"، إلا أن ميخا

أجابه: "سترى هذا، يوم تدخل فيه مخدعاً ضمن مخدع لتختبئ"، وتمسّك بنبؤته القاسية. ترينا هذه الرواية نبياً نال صفعة وأُثير بشكل ساخر ليتكلم ويفسر الصفعة التي تلقّاها. هناك ولاشك وجه شبه مع مشهد الإنجيل، ولكن، ومن جديد نقول، ليس لدينا ما يفسره بشكل تام.

إليكم وجه شبه آخر من العهد القديم يبدو أكثر جدية: انها نبؤات أشعيا (٥٠: ٦) بصدد عبد يهوه، ذاك الوجه الخفي لمرسل الله الذي سيخلص العالم وإسرائيل والأمم ايضا، عبر الاهانات والعذابات. هوذا أشعيا يقول عنه انه "لم يستر وجهه عن الاهانات والبصاق". انها الكلمات ذاتها التي نحن بصددها: فمن المحتمل جداً أن الإنجيليين، واقله مرقس، استذكروا "العبد" الذي يتكلم عنه أشعيا. ومع ذلك، لا نقول ان الإنجيليين استنبطوا الاهانات والبصاق؛ فالمشهد صادق، لكنهم يروونه مستخدمين المفردات ذاتها التي استخدمها أشعيا، وذلك لكي يعلّموا حقيقة لاهوتية تكمن في أن يسوع يتم ما سبق أن أعلنه الله بشأن عبده.

بهذا الشكل يتخذ مشهد الاهانات الذي رواه مرقس لوناً آخر يختلف كثيراً عن اللون الذي أعطاه لوقا له. فرواية لوقا هي ذات لون لطيف، بحيث يخيل إلينا أننا بازاء لعب في ثكنة، حين يهزأ الجنود بسجينهم. أما رواية مرقس، فهي محاطة بهالة لاهوتية: يسوع يتلقى اهانات العبد المتألم. والقراء المسيحيون الذين يعرفون الكتاب المقدس عن ظهر القلب، كانوا، لدى قراءتهم نص مرقس، يستذكرون للحال نص أشعيا: فعلى مثال العبد خضع يسوع للاهانات، وقد قيل له: "تنبأ!". ألم يكن العبد في الوقت ذاته ذاك النبي الذي كان يتألم من جرى رسالته، وقد أوصله الله إلى الموت، إذ كان ينبغي لرسالته أن تمر بالفشل قبل أن تحقق الخلاص بفشلها بالذات؟ فان يتنبأ، متلقياً الإهانة والبصاق، فذلك كان بالذات دور العبد، وهدف مرقس كان ولاشك التأكيد على أن يسوع يتم نبوءة أشعيا.

رواية متى

هناك اوجه شبه بين رواية متى ورواية مرقس: بصاق وصفعات واستهزاءات تجاه النبي. وهي تتضمن فوق ذلك سؤالاً يحمل على الدهشة "من ضربك؟"، طالما لم يجرِ

حديث بشأن الحجاب. غير أن هناك، لدى متى، كلمة جديدة يجب الانتباه إليها، وان بدت بديهية: انها كلمة "مسيح". ذلك ان استخدام هذه اللفظة لم يكن طبيعياً في الإنجيل. فان لقب "مسيح" قد استحقّه يسوع بقيامته، وهو الاسم الذي أضفاه عليه الإيمان المسيحي. أما آنذاك، فلم يكن يسوع يسمى المسيح، وحين يجري الحديث عنه، فمن النادر جداً أن يقال انه المسيح. فالمسيح يعني الماشيّا. وإذا كان متى قد أورد هذه المناداة الفريدة، فلأنه يعلّق عليها أهمية كبرى. فماذا تعني هذه الإهانة؟

أبدى أحد المفسرين المعاصرين[٦] الملاحظة بأننا غالباً ما نفكر بالمسيح الملوكي. لقد كان اليهود ينتظرون مسيحاً كهذا، ابناً لداود، كان عليه أن يملك ويحرر إسرائيل. لقد كان يسوع هذا الملك، بالمعنى الروحي، على مملكة متسامية، وقد أصبح "كيريوس" أي الرب. إلا أن انتظاراً آخر كان لدى اليهود، هو انتظار مسيح كهنوتي، مسيح يكون عظيم كهنة وليس ملكاً؛ فإلى جانب الملك، كان ينبغي أن يكون عظيم كهنة. ونجد، بنوع خاص، في نصوص قمران -تلك النصوص التي عثر عليها بالقرب من البحر الميت، فجدّدت تساؤلاتنا- انتظاراً لمسيحَيْن: مسيح هارون أو المسيح عظيم الكهنة، ومسيح إسرائيل الذي هو ملك. ففي هذه الكتابات، تعطى المكانة الأولى للمسيح الكهنوتي، ومن ثم للمسيح الملوكي. ألا ينبغي لنا أن نبحث في العهد الجديد، لنجد، وبشكل أكبر، هذا المفهوم عن المسيح عظيم الكهنة؟ ألا توجد نصوص تدعو يسوعٍ "المسيح" بهذا المعنى؟[٧] ففي جلسة السنهدريم، حين سأل عظيم الكهنة يسوع قائلاً: "هل أنت المسيح ابن الله؟"، من المحتمل أنه فكّر في المسيح الكاهن أكثر مما في المسيح الملوكي. وفي الواقع، أُتّهم يسوع بأنه أراد أن يهدم الهيكل ويعيد بناءه، أي أنه أدّعى إقامة عبادة جديدة. فمَن تعنيه العبادة اكثر من الكاهن؟ وهكذا تصبح الدعوى اليهودية ضد يسوع مركّزة على اللقب المسيحاني الذي هو بموجبه عظيم كهنة، أكثر من كونه مسيحاً ملكاً- ويرجّع المشهد هنا صدى ذلك. ذلك أن عظيم الكهنة كان، مبدئياً، نبياً[٨]. وهكذا يبدو ممكناً

---

[٦] ج. فريدرايك، في مجلة بالالمانية، ١٩٥٦

[٧] هكذا هي الحال مع الرسالة إلى العبرانيين التي تسعى إلى تبيان كيف أن يسوع هو عظيم الكهنة الحقيقي.

[٨] كانت النبوءة احدى مواهب عظيم الكهنة. هوذا يوسيفوس، على سبيل المثال، ينسبها إلى يوحنا هرقانس، عظيم الكهنة والملك الحشموني (الاثار اليهودية: ١٣، ٢٩٩؛ الحرب اليهودية ١: ٦٨). ويورد يوحنا في انجيله (١١: ٥١) كلام قيافا: "خير لكم أن يموت رجل واحد عن الشعب"، ويضيف: "ولم يقل هذا الكلام من عنده، بل قاله لأنه عظيم الكهنة، فتنبأ".

جداً تفسير الاهانات في هذا السياق: "تنبأ، يا مسيح". وإذا مزجنا اللقبين، يكون لقب المسيح قد اتخذ كل معانيه: "إن كنت عظيم كهنة، والكاهن الأعظم للعالم الاسكاتولوجي (النهيوي)، أظهر ذلك، وتنبأ!". وإذا كان هذا التفسير لرواية متى صحيحاً، فستتخذ كلمة نبي اطاراً جديداً، وتصبح احدى ميزات عظيم الكهنة المسيحاني التي اختصها يسوع، ورفض اليهود الاعتراف بها.

وهكذا رأينا كيف تمّ عرض الحدث في كل من الروايات الثلاث. ففي القلب من الحدث التاريخي، نجد كلمة "نبي" المشتركة في الروايات الثلاث، وكأنها قطعة صوّان في مقعد من الكلس. تلك هي احدى المعطيات الأكثر رجوحاً: فقد سخروا بيسوع، بصفته نبياً. ومن ثم قدّم كل تقليد الحدث بطريقته الخاصة. من خلال لعب في التكنة، لدى لوقا، بحيث كان لعبارة "تنبأ" معنى مبتذل، أي "يجب أن تقول مَن ضربك؟ وفي رواية مرقس، ترتسم صورة الخادم، النبي المرذول والمهان، والذي يُبصق بوجهه؛ ويسوع هو هذا النبي. أما لدى متى، فيتجلى المسيح النبي، عظيم الكهنة المسيحاني، كما أعلن يسوع عن ذاته أمام السنهدريم ورفضه اليهود. وتتكامل هذه الطروحات، إذ انها تكشف أوجهاً مختلفة عن سر المهانة هذا.

ليس المشهد الذي فسرناه هنا، هو مشهد الإهانة الوحيد في رواية الآلام. فلقد عكس الإنجيليون مشهداً آخر لدى هيرودس انتيباس، وآخر لدى بيلاطس، على يد الجنود الرومان. وهذا المشهد الأخير سنجده في مكانين مختلفين. فهل ينبغي أن نميّز بين خمسة مشاهد من الاهانات؟ كأن يكون مشهد قبل جلسة السنهدريم بحسب لوقا، وآخر بعد الجلسة بحسب مرقس ومتى، ومشهد أمام هيرودس انتيباس بحسب لوقا، وآخر أمام بيلاطس، ابان المحاكمة، بحسب يوحنا، فضلاً عن مشهد أخير أمام بيلاطس، بعد المحاكمة: بحسب مرقس ومتى؟ إلا نجدنا حينذاك بازاء مبالغة في التمييز؟! لا ينبغي، في الواقع، ان نحتفظ من الاهانات سوى بمشهدين كبيرين: احدهما المشهد الذي درسناه، وقد جرى في نهاية الاستجواب لدى حنّان، وليس بعد جلسة السنهدريم؛ والآخر، مشهد الرومان، وقد رواه يوحنا في وسط المحاكمة، ورواه مرقس ومتى في نهايتها، ولكنه ليس في الواقع سوى مشهد واحد، وبوسعنا أن نمزجه مع المشهد الذي رواه لوقا أمام هيرودس انتيباس[٩].

---

[٩] أنظر نهاية الفصل ٦: يسوع أمام بيلاطس.

يبدو مشهدا الإهانة هذان بمثابة القطبين في محاكمة يسوع. فلقد أهانه اليهود بصفته نبياً، وأهانه الرومان بصفته ملكاً. وهذا ما يتناسب مع الملامح العميقة للدعوى: ذلك أن اليهود رفضوا يسوع بصفته قائداً دينياً وعظيم كهنة ومسيحا. ومع أنهم لم يعترفوا به ملكاً، إلا انهم بهذه الصفة قدّموه إلى الرومان. وهكذا أصبحت الدعوى سياسية، وحكم بيلاطس على يسوع بصفته ملك اليهود! فكانت إهانات الرومان بالتالي موجهة إلى المسيح الملك.

وهكذا يبدو الرب أمامنا مهاناً ومحتقراً، وقد رفضه البشر في مختلف ألقابه. احتقره اليهود لكونه النبي الذي رفضوا رسالته، وقد ارتضى بهذه الاهانات على مثال "الخادم" في سفر أشعيا. أما لدى الرومان، فقد رفضه الناس الذين أبوا أن يروا فيه ملكاً، وهو في الواقع الملك الحقيقي.

يترك فينا هذا المشهد انطباعاً عميقاً، ويمنحنا درساً كبيراً، على الصعيدين الروحي واللاهوتي: ذلك أن الرب ردّ بمهابة على اسئلة حنّان عظيم الكهنة وعلى اسئلة رؤساء اليهود؛ لقد أعلن أن ليس في حياته أمر خفي؛ وقبل طوعاً أن يلعب دور النبي، كما سبق الله ان أعلن، أي أن يكون خادماً يرتضي بأن يُهان ويُصفَق بوجهه؛ وهنا يكمن دور النبي: "لا يُزدرى نبي إلا في وطنه وبيته" (متى ١٣: ٥٧)، "لا ينبغي لنبي أن يهلك في خارج أورشليم" (لو ١٣: ٣٣)، هذه المدينة "قاتلة الأنبياء" (متى ٢٣: ٣٧). ويرتضي يسوع بهذا المصير حين يجعل ذاته، بين أيدي البشر، عرضة للإهانة والقتل. ويتوجب على تلاميذه من ثم أن يتقبلوه بهذا الشكل، لبناء ملكوت الله. إذ "ما كان الخادم أعظم من سيده؛ إذا اضطهدوني فسيضطهدونكم أيضاً" (يو ١٥: ٢٠).

الفصل الخامس

يسوع امام السنهدريم

متى ٢٦: ٥٩-٦٦	مرقس ١٤: ٥٥-٦٤	لوقا ٢٢: ٦٦-٧١	يوحنا
		[٦٦] ولما طلع الصباح، واحتشدت	
		جماعة شيوخ الشعب من عظماء كهنة	
		وكتبة. فاستحضروه الى مجلسهم،	
[٥٩] وكان عظماء الكهنة	[٥٥] وكان عظماء الكهنة		
والمجلس كافة	والمجلس كافة		
يطلبون	يطلبون		
شهادة زور	شهادة		
على يسوع	على يسوع		
ليحكموا عليه بالموت،	للحكم عليه بالموت،		
[٦٠] فلم يجدوا،	فلم يجدوا،		
مع أنّه مثل بين ايديهم عدد كثير	[٥٦] ذلك بأنّ أناسا كثيرين		
من شهود	كانوا يشهدون عليه		
الزور	زورا		
	فلا تتفق شهاداتهم.		
ومثل آخر الامر	[٥٧] فقام بعضهم		
شاهدان	وشهدوا عليه		
	زورا		
[٦١] فقالا:	قالوا:		
"هذا الرجل قال:	[٥٨] "نحن سمعناه يقول:		
إنّي لقادر على نقض	إنّي سأنقض		٢ [١٩] "أنقضوا
هيكل الله	هذا الهيكل		هذا الهيكل
	الذي صنعته الايدي،		
وبنائه في ثلاثة ايام".	وأبني في ثلاثة ايام		أقمْه في ثلاثة ايام!"
	هيكلا آخر		
	لم تصنعه الايدي".		
	[٥٩] ولا على هذا اتّفقت شهاداتهم.		
[٦٢] فقام عظيم الكهنة	[٦٠] فقام عظيم الكهنة	٢٣: ٩-١٠	
	في وسط المجلس		
وقال له:	وسأل يسوع:		
"أما تجيب بشيء؟	"أما تجيب بشيء؟		
ما هذا الذي يشهد به	ما هذا الذي يشهد به		
هذان عليك؟".	هؤلاء عليك؟".		
[٦٣] فظلّ يسوع صامتا.	[٦١] فظلّ صامتا		
	لا يجيب بشيء.		
فقال له	فسأله		
عظيم الكهنة:	عظيم الكهنة		
	ثانية		
	قال له:	[٦٧] وقالوا:	
"استحلفك بالله الحيّ			
لتقولنّ لنا			
هل انت المسيح	"أأنت المسيح	"إن كنت المسيح	١٠ [٢٤] "... إن كنتَ المسيح،
ابن الله".	ابن المبارك؟"		
		فقلْ لنا".	فقلْه لنا صراحة".
[٦٤]فقال له يسوع:	[٦٢]فقال يسوع:	فقال لهم:	[٢٥] أجابهم يسوع:
		"لو قلت لكم،	"قلته لكم
		لما صدّقتم	ولكنكم لا تؤمنون..."
		[٦٨] ولو سألتكم	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		لما أجبتم.	
"هو ما تقول،	"انا هو		
وانا اقول لكم:			
سترون	وسوف ترون		
بعد اليوم			
ابن الانسان	ابن الانسان	[٦٩] ولكنّ ابن الانسان	
جالسا	جالسا	سيجلس	
		بعد اليوم	
عن يمين القدرة	عن يمين القدير	عن يمين الله القدير".	
وآتيا	وآتيا		
على غمام السماء".	في غمام السماء".		
		[٧٠] فقالوا جميعا:	
		"أفأنت ابن الله اذا؟"	[٣٦ب] "... لأني قلتُ إني ابن الله.
		فقال لهم:	
		"انتم تقولون اني هو".	
[٦٥] فشقّ عظيم الكهنة ثيابه	[٦٣] فشقّ عظيم الكهنة ثيابه		
وقال:	وقال:	[٧١] فقالوا:	[٣٦ب] "... تقولون انت تجدّف..."
"لقد جدّف،			
فما حاجتنا بعد ذلك الى الشهود؟	" ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهود؟	"ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهادة؟	
ها قد سمعتم التجديف.	[٦٤] لقد سمعتم التجديف،	فقد سمعنا نحن بأنفسنا كلاما من فمه".	
[٦٦] فما رأيكم؟"	فما رأيكم؟"		
فأجابوه:	فأجمعوا على الحكم		
"يستوجب الموت".	بأنه يستوجب الموت.		

يجدر بنا الآن أن نتأمل جلسة السنهدريم، ويُحتمل أنها عقدت في الصباح، كما قالها لوقا، أكثر من انعقادها في الليل، بحسب مرقس ومتى. فالمشهد هام: ذلك أن الشعب المختار قرر، بفم رؤسائه، أن يسلّم المسيح للموت عن طريق السلطة الرومانية.

هذا المشهد رواه الازائيون الثلاثة، ولّمح إليه يوحنا ذاته في مقاطع أخرى من إنجيله. فهو يتضمن، بحسب مرقس ومتى، جملتين: في الحركة الأولى، هناك اتهام الشهود بشأن كلمة قالها يسوع ضد الهيكل؛ وفي الحركة الثانية، يطلب عظيم الكهنة من يسوع أن يقول مَن هو، ومن ثم يعلن يسوع مفهومه عن ذاته وعن رسالته؛ والخلاصة أن السنهدريم قرر أنه يستوجب الموت.

رواية مرقس ومتى

يقول الشهود بحسب مرقس: "**نحن سمعناه يقول: اني سأنقض هذا الهيكل الذي صنعته الأيدي، وأبني في ثلاثة أيام هيكلاً آخر لم تصنعه الأيدي**" (مر ١٤: ٥٨). أما بحسب متى، فالكلام الذي ينقله الشهود عن يسوع هو أقصر: "هذا الرجل قال: اني لقادر على نقض هيكل الله وبنائه في ثلاثة ايام" (متى ٢٦: ٦١). هل هذا الكلام تاريخي؟ هناك نقّاد اعتبروا من غير المعقول أن يتلفظ يسوع بكلام بهذا المستوى من العنف. ما معنى أنه يهدم هيكل أورشليم؟ إلا أن هذا الكلام، له ما يثبته في تقليد العهد الجديد، وإن بصيغ تختلف قليلاً، ليس في نصوص مرقس ومتى المثبتة هنا حسب، وانما في مقاطع أخرى من الإنجيل: عند اقدام الصليب، نرى عابري السبيل يشتمون يسوع، وهم يهزّون رؤوسهم قائلين: "ها ها! أنت يا من تنقض الهيكل وتبنيه في ثلاثة أيام، خلّص نفسك بنفسك وانزل عن الصليب" (مر ١٥: ٢٩ ومتى ٢٧: ٤٠). ويسوع في بدء رسالته، بحسب يوحنا، حين طرد باعة الهيكل، تدخّل اليهود وقالوا له:

"أيَّ آية ترينا حتى تعمل هذه الأعمال؟". أجابهم يسوع: "انقضوا هذا الهيكل، أُقِمْه في ثلاثة أيام" (يو ٢: ١٩). وهناك نص أخير من العهد الجديد يأتي ليعزّز هذه الذكرى (رسل ٦: ١٤): يتهم اليهود اسطفانس قائلين: "هذا الرجل لا يكفّ عن التعرض بكلامه لهذا المكان المقدس وللشريعة. فقد سمعناه يقول ان يسوع، ذاك الناصري، سينقض هذا المكان ويبدّل ما سلّم إلينا موسى من سُنن". وهذه الشهادات المختلفة، تدعم إحداها الأخرى لتؤكد لنا تاريخية كلام يسوع هذا.

لا يبدو هذا الكلام غير معقول، إذا ما فهمناه جيداً. فهو ليس سلبياً حسب، بل هو ايجابي أيضاً: إذ ليس المقصود فقط الهدم بل إعادة البناء. ويسوع، في خطابه الأخروي (مر١٣ ؛ متى ٢٤؛ لو ٢١)، ينبئ بأن أورشليم ستُسلب والهيكل سيُدمّر؛ وفي يوم السعانين (لو ١٩: ٤١-٤٤) سبق يسوع فبكى على المدينة وأنبأ بخرابها. إلا أنه يتحدث أيضاً عن إعادة البناء، ويعني بذلك أنه، بعد العقاب الذي أراده الله، سيتم تجديد، لا بل سيكون هيكل "لم تصنعه الأيدي"، أي عبادة جديدة، وفجر ديني جديد. وتلقى هذه الرؤية بشأن الهيكل صدى لدى معاصري يسوع. لقد كانت هناك أوساط يهودية متطورة وذات روحانية عميقة تحلم بمستقبل ديني أفضل، وتنتظر اليوم الذي فيه يختفي الهيكل بخشونته، ليدع المكان، في الزمن الأخروي، لهيكل جديد، سماوي وروحي. ولقد كان يهود قمران بنوع خاص-وقد عُثر على مخطوطاتهم بالقرب من البحر الميت- ينتظرون هذا التجدد، ويعتبرون جماعتهم بمثابة هيكل. ذلك أن مؤمني قمران ثاروا ضد كهنوت أورشليم، إذ شكّكتهم رؤية الروح الدينية البائسة لدى الأسر الكبرى التي كانت تشرف على العبادة، مع انها لم تكن من نسل هارون الطاهر. لقد هرب هؤلاء الكهنة العصاميون والاتقياء والمتعصبون في آن واحد، إلى البرية، تاركين الهيكل الذي اعتبروه ملعوناً. انهم، في كتاباتهم، ينظرون إلى جماعتهم وكأنها المقدس الحقيقي، "قدس الأقداس"، الهيكل الروحي الحي[1]. ولم تكن غريبة، في مناخ ذلك العصر، فكرة هيكل جديد يأخذ مكان الهيكل الحالي. وهكذا كان بإمكان يسوع أن يُطلق، هو ذاته، فكرة مماثلة بشأن خدمته ورسالته. ولقد كانت، في المسيحية الناشئة،

[1] قانون الجماعة ٨: ٥-٩. ونصوص قمران مفيدة جداً، لأنها تُعَد فكر القديس بولس بشأن الكنيسة بصفتها هيكلاً روحياً (١قور ٣: ١٦؛ ٢قور ٦: ١٦؛ أف ٢: ٢١-٢٢). وكنا نعتقد، في الماضي، انه مفهوم مسيحي جديد. وفي الواقع كان هذا المفهوم قد أُعدّ لدى يهود قمران.

تيارات، يمثلها اسطفانس والهيللينيون والقديس بولس، ادركت بأن النظام القديم محكوم عليه بالانقراض، وأن لا بدّ للهيكل أن يزول. هوذا اسطفانس، في خطابه، يحتج بقـــوة ضد العبادة الأرضية والذبائح، أي ضد الديانة التي يغلب عليها الطابع المـــادي. ولأنـــه تكلّم بحرارة الشباب وجرأتهم، استحق الرجم على يد اليهود الذين لم يَحلُ لهم ذلـــك الخطاب. وباختصار، يتضح أن الكلام الذي نسبه الشهود إلى يسوع، أمام السنهدريم، يحتمل جداً أنه ليسوع، في مضمونه كما في سياقه.

معنى كلام يسوع

ماذا يعني الكلام الذي قاله يسوع؟ فلقد بلغَنا باشكال مختلفة. انه يتحـــدث، بحسب مرقس، عن "هيكل صنعته الأيدي"، وعن هيكل "لم تصنعه الأيـــدي". وهـــذه الصفات التي غابت عن ما يوازيها في متى ويوحنا، قد تكون اضافات انـــشائية. ومـــا دامت تعكس زمناً متأخراً، فمن المرجح أن مرقس قد أضافها؛ وهي، في الواقع، لا تقوم إلا بتفسير معنى الجملة.

إلا أن الأكثر أهمية، هو معرفة ماذا تعني عبارة "في ثلاثة أيام". فيسوع لا يقول فقط انه سيهدم الهيكل ويعيد بناءه، بل يقول بأنه سيفعل ذلك "في ثلاثة أيام". فالتلميح إلى القيامة واضح. ولهذا السبب بالذات، هناك نقّاد أكدوا بأنه لم يكن بوسع يسوع أن يقوم بهذه النبوءة؛ وان المسيحيين هم الذين نسبوها إليه فيما بعد. ليس لدينا أية أسباب تحملنا على أن ننكر على يسوع إعلان قيامته. فإذا كانت هذه الكلمات قد أُضـــيفت، فكان ينبغي أن يقال "في اليوم الثالث"، وهي العبارة الأكثر صحة، لكون يسوع مـــات يوم الجمعة وقام يوم الأحد. وهكذا يتضح ان صيغة "في ثلاثة أيام" لا يُحتمل الها كتبت بعد الحدث؛ ويبدو ألها تتعلق بمعطيات بيبلية وترقى من ثم إلى الرب ذاته.

من المهم أن نلاحظ بأن يسوع، حين تحدث عن الهيكـــل الجديـــد، لمّـــح إلى جسده. هذا ما يقوله القديس يوحنا (يو ٢: ١٩-٢٢): فبعد أن قال يسوع: "انقـــضوا هذا الهيكل، أقمه في ثلاثة أيام"، أضاف: "فقال اليهود: بُني هذا الهيكل في ست وأربعين سنة، أَوأنت تقيمه في ثلاثة أيام؟ أما هو فكان يعني هيكل جسده. فلما قام مـــن بـــين

الأموات، تذكّر تلاميذه أنه قال ذلك، فآمنوا بالكتاب وبالكلمة التي قالها يسوع". وهكذا لم يكتفِ يسوع باعلان تدبير جديد، وانما ترك المجال للتفكير بأن المركز -الهيكل- سيكون جسده بالذات.

ولفهم عمق فكرة يسوع، يجب ربطها بأقوال أخرى من الكتاب المقدس،بدءاً بأقوال يسوع ذاته التي توحي بأنه آت بتجدد. فحين شاءت السامرية أن تحرجه باقامة التضاد بين العبادة على جبل جرزيم والعبادة في أورشليم، أجاب يسوع: "تأتي ساعة فيها تعبدون الآب، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم... ولكن تأتي ساعة -وقد حضرت الآن- فيها العباد الصادقون يعبدون الآب بالروح والحق" (يو ١٤: ٢١-٢٣). هكذا يعلن يسوع عن عبادة وهيكل روحيين لن يكونا رهن المتغيرات الأرضية. وفي مقاطع أخرى من الإنجيل، قيل بانه لا ينبغي وضع خمر جديدة في زقاق عتيقة، ولا خياطة رقعة جديدة على ثوب عتيق (متى ٩: ١٦-١٧ وما يقابله).

ان فكرة جسد يسوع بصفته الهيكل الجديد، يمكن ربطها بمواضيع من العهد القديم. فبحسب حزقيال، كان الله ذاته قد أصبح، إبان الجلاء، بمثابة المقدس للمؤمنين (حز ١١: ١٦). ويُرجّع سفر الرؤيا صدى حزقيال حين يؤكد بأن الله والحَمل سيكونان هيكل أورشليم السماوية (رؤ ٢١: ٢٢).

وحزقيال، ومعه يوئيل وزكريا، بشّروا بأن الهيكل الأخروي سيفجّر ينبوع ماء حي -ويا لها من ثروة لأرض فلسطين شبه الصحراوية!- فيصبح نهراً؛ إذ بعد ألف ذراع تبلغ بهم المياه إلى الركبتين، وبعد ألف ذراع أخرى تبلغ إلى الصدر. ومن هذا الماء العجائبي والطافح تتفجر الحياة (حز ٤٧: ١-١٢؛ يوء ٤: ١٨؛ زك ١٣: ١ و ١٤: ٨). فيسوع يستذكر هذه النبوءات، كما يذكر الصخرة التي منها أخرج موسى الماء في البرية، معلناً بان من جوفه ستجري أنهار ماء حي (يو ٧: ٣٨). وتلك هي أيضاً طريقة اختارها ليماثل بين شخصه والمقدس، بينه وبين الهيكل الجديد.

لَكَم هي عميقة كلمة يسوع هذه! انها توحي بانه يدشّن تدبيراً جديداً، وأن الهيكل الروحي الذي منه سيتفجر ينبوع النعمة، هو جسده بالذات. وهكذا، على هذه الفكرة، يَتطعّم كل ما أضفته عليها القيامة وحياة الكنيسة، أي الأسرار كلها. فالأسرار

في الواقع، بدءاً بالعماذ، ليست سوى تدفق الحياة الإلهية الآتية من جسد الرب. والأسرار هي أكثر من رموز أو مفاهيم: انها علامات حسية وسرية؛ فهي تستخدم الأمور الحسية في هذا العالم الحاضر، وتنقل إلينا طاقات العالم الجديد الذي يعيش فيه المسيح. فمن خلال الأسرار نتناول غذاء من الزمن الأخروي، ونلامس الطهارة والحياة والنعمة الموجودة في جسد المسيح الناهض. والأسرار، من خلال الحركة الحسية التي تتضمنها، تضحي لقاءات ايمان حقيقي مع جسد الرب القائم، وهو حقاً الهيكل الجديد الذي منه تجري الحياة.

كل هذا يحملنا على أن نستخلص بأن كلام يسوع بشأن الهيكل هو محتمل بكل معنى الكلمة. ولكن، ما معنى الحديث، ابان جلسة السنهدريم، عن شهود زور؟ فاذا كان كلام يسوع حلواً وصادقاً، كما بيّناه، فمعنى ذلك أن الشهود لم يكذبوا. إلا ان هناك تفصيلاً صغيراً يبدو خاطئاً: لقد عمد الشهود إلى جعل يسوع يقول، بحسب متى، "سأنقض" أو "اني لقادر على نقض". فهل أعلن المسيح أنه سيهدم بنفسه؟ هوذا يوحنا يقول: لا، وينقل كلام يسوع بهذا الشكل: "انقضوا هذا الهيكل". ويرى يسوع، وكله حزن، ان خطايا البشر ستؤدي إلى خراب الهيكل (لو ١٩: ٤١-٤٤). هو ذاته لم يشأ الخراب، ولكنه سيتدخل من أجل إعادة البناء. فأنْ تنسب إلى يسوع نوايا عنيفة ضد المقدس، فتلك هي شهادة الزور.

ويضيف مرقس بان الشهود غير متفقين في ما بينهم. في الظاهر، راح عظيم الكهنة يلحّ، إذ ان الشهادات كانت متناقضة. أما في العمق، فنحن ندرك –بعد تحليل كلام يسوع هذا– لماذا تدّخل عظيم الكهنة وسأل يسوع: مَن أنت، إذن؟ فاليهود لم يسيئوا الظن حول معنى الكلام ضد الهيكل، لأنهم يشعرون بأن بناء هيكل جديد، انما هو ادعاء مشيحاني يلامس التجديف. وهكذا يصبح مسبقاً كلام يسوع الأول تجديفاً يستحق الحكم بالموت، في نهاية الجلسة.

وان جسامة التجديف التي تضمنها هذا الكلام تستنير في ضوء نصوص سابقة من العهد القديم. فحين يتلقى النبي ارميا من الله مهمة التحدث إلى اليهود ضد الهيكل، قال له الله: "تقول لهم:ان لم تسمعوا لي فتسيروا على شريعتي التي جعلتها أمامكم، وتسمعوا لكلام عبيدي الأنبياء...، فاني أجعل هذا البيت نظير شيلو –وكان قد أصبح

خراباً آنذاك- واجعل هذه المدينة لعنةً لجميع أمم الأرض. فسمع الكهنة والأنبياء وكل الشعب ارميا يتكلم بهذا الكلام في بيت الرب. فلما فرغ ارميا من التكلم بجميع ما أمره الرب أن يكلم به الشعب كله، قبض عليه الكهنة والأنبياء وكل الشعب وقالوا: لتموتنَّ موتاً! لماذا تنبأت باسم الرب قائلاً: إن هذا البيت يكون نظير شيلو، وهذه المدينة تصير خراباً لا ساكن فيها؟" (ار ٢٦: ٤-٩). وهكذا يكون ارميا قد قال مسبقاً ما قاله يسوع باسم الله: "بسبب خطاياكم، سيُهدَم الهيكل وتترك المدينة". انها المعثرة! ولذا هرع الشعب كله ليقتل ارميا. وتدخّل القضاة لاستصدار الحكم. فقال بعضهم: "ان هذا الرجل يستوجب الموت، لأنه تنبأ على هذه المدينة". الا أن ارميا قال لهم: "ان الرب قد أرسلني لأتنبأ على هذا البيت وعلى هذه المدينة بجميع الكلام الذي سمعتموه". و تأثر بعضهم فقال: "هذا الرجل لا يستوجب حكم الموت، لأنه باسم الرب إلهنا كلّمنا" (ار ٢٦: ١١-١٢، ١٦).

وكانت محاكمة يسوع لهم مناسبةً للتذكير بالسَلف: "ميخا المورشتي (نبي آخر) تنبأ في أيام حزقيا... وكان قد كلّم كل شعب يهوذا قائلاً: ... صهيون كحقل تُحرَث، وأورشليم أطلالاً تصير، وجبل البيت مشارف غاب!" (ار ٢٦: ١٨). وهكذا، على مثال ارميا، أعلن ميخا عن خراب الأماكن المقدسة، عقاباً من الله، وكان اليهود قد قالوا آنذاك: هل ينبغي لذلك أن نقتل نبياً؟ وكان من حزقيا الملك وكل يهوذا أن تقبّلوا النبوءة وتابوا.

وفي الفصل ذاته من سفر ارميا، تم استذكار نبي آخر (٢٦: ٢٠-٢٣): أوريا بن شمعيا، من قرية يعاريم، تنبأ على هذه المدينة وعلى هذه الأرض بمثل جميع كلام ارميا، الا أن مصيره كان أسوأ. ذلك أن الملك يوياقيم سعى إلى قتله. وهرب أوريا إلى مصر، إلا أن مرسَلين أتوا به أمام الملك، فقتله بالسيف ورمى جثته في الحفرة العامة.

تلك هي حالات أنبياء تجرأوا على التكلم ضد الهيكل: وتعرّضوا من ثم للموت. وإذا كان ارميا قد نجا في الوقت المناسب، بفضل أصدقاء متنفّذون نجحوا في انقاذه، إلا أن أوريا، من قبله، قد قُتل. وهكذا نفهم احتجاج اليهود حين أخذ يسوع، بدوره، ينبئ بخراب مدينتهم وهيكلهم. ذلك، في نظرهم، تجديف لا يُغتَفَر. وهذا ما دفع عظيم الكهنة إلى طرح السؤال الحاسم: قل لنا، من أنت؟

استجواب عظيم الكهنة

إليكم القسم الثاني من المشهد. "**فقام عظيم الكهنة في وسط المجلس وسأل يسوع: أما تجيب بشيء؟ ما هذا الذي يشهد به هؤلاء عليك؟**" والسؤال هو ذاته في نص متى (٢٦: ٦٢). وباليونانية، يمكن ترجمة الجملة بشكل يختلف قليلاً، بحيث تصبح أداة الاستفهام أداة وصل، فتكون الجملة: "أما تجيب بشيء على ما يشهد به هؤلاء عليك؟". الا أني أفضل الترجمة الاولى.

"**فظل صامتاً لا يجيب بشيء. فسأله عظيم الكهنة ثانية، قال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟** (مر ١٤: ٦١). أما لدى متى، فالنبرة هي أكثر احتفالية: "**استحلفك بالله الحي لَتقولَنّ لنا هل أنت المسيح ابن الله؟**" (متى ٢٦: ٦٣). وهكذا، فان عظيم الكهنة، بحسب متى، وعبر مناشدة رسمية، جعل الله شاهداً لِيُجبر يسوع على التكلم. اما يسوع، فهو يريد أن يسكت، ولكنه ان سكت ازاء هذه المناشدة، فسيكون كمن يهزأ بالله. لذا يجب أن نزن جيداً سؤال عظيم الكهنة. انه يتضمن لفظتين: "المسيح" و "ابن المبارك". ولفظة "المسيح" تؤدي اللفظة العبرية "مشيّح". أما لفظتا "ابن المبارك" أو "ابن الله" -بحسب متى- فلهما المعنى ذاته: ذلك أن "المبارك" هو تعبير آخر لله دون تسميته. ففي زمن العهد الجديد، لم يكن اليهود، بدافع الوسواس، يجرؤون على التلفظ باسم الله. بل كانوا يستعيضون بعبارات أخرى من مثل "أدوناي" (الرب)، السماء، العلي، أو كما هي الحال مع لفظة "المبارك". وهكذا يتضح أن صيغة مرقس هي أقدم من صيغة متى، ولكن المعنى هو ذاته.

ما هو الرباط القائم بين هذين اللقبين: مسيح، وابن الله؟ قد نميل إلى الإجابة السريعة: المسيح هو المرسَل، ابن داود، بينما تعني عبارة "ابن الله" الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس! ذلك صحيح، طالما أن الايمان المسيحي المؤسس على شهادة الرسل والكنيسة الأولى والمجامع المسكونية، قد أعطى للقب ابن الله بُعدَه الحقيقي؛ إلا أن ذلك لا يصح بالنسبة إلى عظيم الكهنة، في فترة الآلام. فماذا يعني ليهودي لقب "ابن الله"؟ كان هذا اللقب، بشكل استعاري، يشير إلى علاقات حميمة مع الله، إلى قربى على مستوى النعمة، إلى حب تجاه شخص أو جماعة من الناس متحدين بالله بشكل متميز، في

اطار من التقوى. وفي الكتاب المقدس، هناك أشخاص عديدون يُـدعَون أبنـاء الله[٢]: الملائكة، لأنهم في الحاشية السماوية، شعب إسرائيل لأنه الشعب الذي اختاره الله وأصبح موضوع حبه: "من مصر دعوت ابني". ويطبَّق هذا اللقب على المشيح وعلى الملك وعلى القضاة وحتى على اليهودي التقي الذي يمارس البرّ[٣]. وهكذا يتضح أن لقب "ابن الله" لا يعبّر بالضرورة عن مساواة الكلمة للآب في الجوهر، وانما عن علاقات الحب الحميمة.

وهنا، وبكل بساطة، أضاف عظيم الكهنة على مفهوم المسيح تفصيلاً بـشأن القربى الخاصة تجاه الله. فلقد قال الله عن الملك-المسيح: "أنت ابني وأنا اليوم ولـدتك" (مز ٢: ٧). ويحتمل ان يكون عظيم الكهنة قد فكّر بالمجادلات في الهيكل حين تحـدث يسوع عن الله بصفته أباه، ولكنه لا يسعُه أن يرى ابن الله في هذا الرجل يسوع، بالمعنى الذي كشف عنه ايماننا، بعد القيامة، وبفضل كل الفكر المسيحي. ولا نقول ذلك لتبرئة اليهود الذين اقترفوا خطأ جسيماً، وانما لكي نتصف بالفطنة والحذر من استخدام عبارة "قتلة الإله". انهم، بالفعل، قتلوا ابن الله، ولكن لم يكن بوسعهم أن يدركوا أنه ابـن الله بالمعنى الكامل. واليوم تحذّرنا الكنيسة من العبارات المعادية التي تكون صـحيحة علـى المستوى اللاهوتي، ولكنها ليست كذلك على المستوى النفسي. إذ من غير الممكن أنهم شاءوا أن يقتلوا الله!

جواب يسوع

كان على يسوع، إذن، أن يجيب هل هو المسيح، ابن الله. ففي انجيل مـرقس، كان الجواب قطعياً: **"أنا هو، وسوف ترون ابن الإنسان..."** (مر ١٤: ٦٢). أمـا في انجيل متى، فالجواب أقل وضوحاً، ويبدو لوقا أكثر قرباً من متى. وإني أميل، بطيب الخـاطر، إلى اعتبار متى أكثر دقة هنا: **"هو ما تقول"** (متى ٢٦: ٦٤). وهذه العبارة، سواء في الارامية أم في اليونانية، انما هي جواب للتهرب، ويمكننا التوسع فيه على الشكل التـالي: "لم أكـن لأقولها من ذاتي، وأنت قلتها، وليس ذلك خطأ، إلا ان بوسعي ان أقولها هكذا"[٤].

---

[٢] راجع ب. بنوا: التفسير واللاهوت، ج١ (بالفرنسية)

[٣] ان هذا الاستخدام المألوف والاستعاري لفكرة البنوّة يحمل الطابع الشرقي، ونجده في العبرية والارامية والعربية.

[٤] كان يسوع، بهذا الشكل، قد أجاب يهوذا حين سأله عن الذي سيسلمه: "أأنا هو، رابّي؟"... "هو ما تقـول" (متى٢٦: ٢٥). وبعبارة أخرى: "لم أضطرّك على قولها، ولكنك قلتها".

وللحال، أضاف يسوع تصحيحاً، فكشف عن مفهومه الخاص. ولكي يقول لعظيم الكهنة: أنا هو المسيح ابن الله، ليس بالمعنى الذي تقصده، أضاف: **"وأنا أقول لكم: سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتياً على غمام السماء"**. فالتصحيح الذي أضفاه يسوع على فكرة عظيم الكهنة هو من الأهمية بمكان، إذ ردّ عليه بنصيّن من العهد القديم.

أول النصين هو المزمور ١١٠: "قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني". فسيجلس الملك/ المشيح عن يمين الله. ولفظة "القدرة": تشير إلى الله بشكل محجوب، دون تسميته. فيسوع يعترف أنه المشيح، ولكن لا كما يتصوره عظيم الكهنة؛ انه ليس ملكاً محارباً يتقدم على رأس الجيش، كما أنه ليس عظيم كهنة يجدّد الهيكل. انه المشيح الذي يتحدث عنه مزمور داود. ولقد سبق يسوع أن أورد هذا المزمور (متى ٢٢: ٤٤) حين سأل اليهود كيف يفسرون أن داود استطاع أن يقول ذلك عن الملك/ المشيح ويدعوه سيده. و لم يدر اليهود آنذاك بماذا يجيبون. ذلك أن يسوع قصد أنه ليس ذاك المشيح الأرضي، المحارب، الذي طالما انتظروه، وانما مشيحاً من منزلة إلهية، ذا كرامة فائقة تتخطى انتظارات اليهود الاعتيادية. وهكذا هي الحال هنا، إذ ان يسوع قال لعظيم الكهنة انه ، بمفهوم المزمور ١١٠، المشيح الجالس عن يمين القدرة.

ويورد يسوع نصاً آخر: **"آتياً على غمام السماء"**. هذه الكلمات مستعارة من سفر دانيال (دا ٧: ١٣). فحين وصف دانيال رؤياه لممالك الأرض، كان قد رُمز إلى ملوكها بالحيوانات الوحشية، كالأسد والدب أو النمر. ومن ثم رأى مملكة القديسين، مختاري الله -تلك "البقية"المدعوة إلى الخلاص المشيحاني-، كما رأى ملكهم الذي هو "مثل ابن انسان، آتٍ على غمام السماء". ولقد استعار يسوع هذه الصورة، ليشرح بان الملك المشيحاني هو شخصية خفية وسماوية. وإذا قيل عنه انه "ابن انسان"، فلإبراز التضاد مع الحيوانات، أي ملوك الأرض. ذلك أن مملكة القديسين سيكون لها ملك، هو كائن بشري، من أصل سماوي، آت على غمام السماء. ولَكَم سبق يسوع فأعلن أنه هو ابن الإنسان، وانه سيأتي ليحقق مملكة القديسين التي تطلع إليها دانيال. وها هو يكررها هنا؛ فبعد أن أوضح أنه، وفق ما أعلنه داود، سيكون المسيح الجالس بالقرب من الآب، هوذا يضيف بانه سيكون أيضاً المسيح ابن الإنسان، السماوي، المكلّل، الآتي على غمام السماء.

وهكذا لا ينفي يسوع تماماً سؤال عظيم الكهنة؛ وهو لا يُنكر أنـه المـسيح، ولكنه يؤكد: "أنا هو، ولكن لا كما تظنون". وهكذا هي الحال حين سأله بيلاطس هل هو ملك –و لم يكن يفكر سوى بملك أرضي– أجاب يسوع: "هو ما تقول، فاني ملك، ولكن مملكتي ليست من ههنا". ففي هاتين الحالتين، حوّل يسوع أفكار متّهميـه مـن مستواهم الأرضي، ورفعهم حقاً إلى المستوى الروحي الذي هو مستواه.

وقال يسوع أيضاً: "سترون". هل سيرى عظيم الكهنة والـسنهدريم المجـيء النهائي، حين يأتي ابن الإنسان للدينونة الأخيرة؟ السؤال هو في منتهى الخطورة: واغتنم الفرصة بعض النقاد ليقولوا أن يسوع قد أخطأ حين أعلن أن المنتهى قريب، بينما لازلنا ننتظره بعد. اننا سنسيء فهم هذا النص إذا ما رأينا فيه إنباءً بالمنتهى: ذلـك ان عبـارة "آت على غمام السماء" ليست مرتبطة بالضرورة بالدينونة الأخيرة. هناك نـصوص في العهد الجديد (على سبيل المثال: ١تس ٤: ١٦-١٧) استخدمت عبارة "غمام" لوصف مجيء يسوع النهائي وارتفاع الموتى الناهضين نحوه. أما بالمعنى الأصلي لـنص دانيـال، فليس المقصود نزول ابن الإنسان نحو البشر، وانما ارتفاعه نحو عرش الله. ففـي رؤيـا دانيال، يرتفع ابن الإنسان على الغمام كي يحصل علـى الـسلطان الأبـدي لمملكـة القديسين. والغمام هو أشبه بدرجات سُلّم يرتقيها ابن الإنسان ليمثل أمام الله السرمدي ويحصل منه على المُلك. تلك هو الصورة التي اسـتعارها يـسوع. فهـو لا يقـول: ستشاهدون ابن الإنسان آتياً نحوكم في منتهى الزمن، بل ستشاهدون غلبة ابن الإنسان الذي كلّله الله وأجلسه عن يمينه. وهكذا يعلن يسوع تنصيبه بصفة مسيح ممجّد. ولـو شاء عظيم الكهنة واليهود أن يفتحوا عيوهم، فسيعاينون المسيح القائم، كما سـيرون الكنيسة تغلب والدين اليهودي يغيب. وبالفعل، ستكون أورشليم خراباً عـام ٧٠، وستأخذ الكنيسة مكانها. بهذا الشكل لم يكن يسوع على خطأ حين أنبأ بأنهم سـيرون هذا التغيير في النظام، حين سيفتتح يسوع القائم من بين الأموات العبادة الجديدة.

ويرفض اليهود قبول هذا الرجل الذي يدّعي انه المسيح الممجد عن يمـين الله، ذاك الذي سيمحو نظامهم الديني. لا، لا يمكن السكوت عن مثل هذا الكلام!

"فشقّ عظيم الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد ذلك إلى الشهود؟ لقد سمعتم التجديف، فما رأيكم؟" (مر ١٤: ٦٣-٦٤). كان تمزيق الثياب حركة طقسية للتعبير

عن الاستنكار[٥]. وأعلن عظيم الكهنة عالياً أنه التجديف. ويرى بعض النقاد أنه قد يمكن لأحد أن يدّعي أنه مسيح، من دون أن يُعتبر مُجدفاً.

لقد كان هناك العديد من هؤلاء المغامرين: يهوذا، اثرونجيس، ثوداس، ابن قُصبة، اعتبروا أنفسهم المسيح، وألبّوا حولهم تلاميذ، وسعوا إلى زعزعة النير الروماني. إلا أن مساعيهم باءت بالفشل؛ ومع ذلك لم يُتهموا بالتجديف بل اعتبروا ناقصي الحسّ السليم. أما هنا، فأين يكمن التجديف؟ لقد طالب يسوع، كما رأينا، بمنزلة ورسالة ليستا من المستوى البشري. وكان من غير المقبول، في نظر اليهود، أن يدّعي أنه ذو منزلة إلهية.

"فأجمعوا على الحكم بأنه يستوجب الموت" (مر ١٤: ٦٤). حذار أن نعتبر ذلك بمثابة حكم شرعي، أو قرار له قوة تنفيذية. ومن الجدير بالذكر أن اليهود لم يعودوا يتمتعون بحق الحكم بالإعدام[٦]، وسيتوجب عليهم أن يرفعوا هذه القضية إلى الحاكم الروماني كي يستحصلوا الحكم بالإعدام. وهكذا يتضح اننا أمام قرار هو من قبيل التمنيّ، لا بل أمام أمنية ذات طابع شخصي –انهم متفقون للمطالبة بموت المتهم–، ولا يمكن أن نعتبره حكماً ذا صفة شرعية. وقبل أن نوضح هذه النقطة، يجدر بنا أن نتساءل: ما هو الدور الذي لعبه الإنشاء في هذا المشهد برمته؟

لقد شكك بعض النقاد في رواية جلسة السنهدريم برمتها، بحجة أنها لا تستند إلى شهود عيان. إلا أن هذا الاعتراض لا قيمة له. فكان يكفي لنيقوديمس أو يوسف الرامي، وهما عضوان في السنهدريم، أن يقّصا ما جرى في الجلسة. ومن جهة أخرى، أليس من السذاجة أن نتخيل جلسة تبقى مجرياتها سرية إلى هذا الحد؟ ذلك يدل على جهل بالناس: فحتى لو كان عليهم أن يحفظوا السرّ، لما امتنع بعضهم من الكلام. أما بشأن واقعية مثل هذه الجلسة، فذلك أمر يفرض ذاته. ذلك لأن مشاورة وقراراً كانا ضروريين كي تُرفع القضية إلى الحاكم. ولكي يتسنى أن يُقدَّم له مبرر جاد، كان لابد أن تُعقد جلسة كهذه. وهكذا تبدو تاريخية المشهد، في جوهره، ذات أسس قوية.

ومتى ما أقررنا بذلك، هل يمكننا أن نطالب بمعرفة تفاصيل المشهد بكل دقة؟ ليس بوسع رواية بهذا القدر من الإيجاز أن تتضمن، لأول وهلة، كل تفاصيل محضر

---

[٥] ذهب بعضهم إلى الاعتقاد بانه كان في الثوب خياطة يمكن فتحها وغلقها من ثم.

[٦] راجع أدناه في رواية يوحنا بشأن حكم الإعدام.

المحاكمة. كما ان الإنجيليين احتفظوا بما هو أساسي، في رواية موجزة ومرتبة بعض الشيء. ولو أمعنا النظر في الرواية ذاتها، لاكتشفنا بعض المفارقات: ان الآيات ٥٧-٥٩ (مر ١٤)، على سبيل المثال، قد أُدرجت، على ما يبدو، في وقت لاحق، لأن الآية ٦٠ تنسجم جيداً مع الآية ٥٦. وان ما يزيد في صحة ذلك، هو أن لوقا لم يورد الكلام عن الهيكل. هل أسقطه عمداً، أو أنه بالأحرى، عرف تقليداً لم يتضمنه أصلاً؟ ونقولها مرة أخرى، أننا نستشعر، وراء نصوصنا، إنشاء سابقاً قد يكون أكثر بساطة، طُعّمت عليه من ثم اضفاءات مختلفة.

رواية لوقا

تختلف رواية لوقا، في نقاط عديدة، عن روايتي مرقس ومتى. فلوقا يميّز، أولاً، وبكل وضوح، لقبَي المسيح وابن الله: "**إن كنت المسيح، فقل لنا**" (لو ٢٢: ٦٧) ومن ثم: "**أفأنت ابن الله إذن؟**" (لو ٢٢: ٧٠). لماذا هذان اللقبان اللذان، لدى مرقس ومتى، دُمجا بشكل وثيق حتى بَدَوا مرادفين، اتخذا هنا قيمة فريدة؟ ألعل لوقا تبنّى عمداً المعنى المسيحي لعبارة ابن الله، فحمّلها أكثر مما استطاع عظيم الكهنة أن يحمّلها؟ انه يفكر في قرائه المسيحيين الذين يدركون تماماً ماذا تعني عبارة "ابن الله"، وقد أصبحت لقباً يفوق لقب "المسيح". وهكذا ثبّت لوقا، بشكل أفضل، هذا التدرج: بدءاً بلقب المسيح، ومن ثم لقب ابن الله[٧]. أما إنشاء مرقس ومتى، فقد احترم بشكل أفضل العقلية اليهودية والتي بموجبها كان لقبا المسيح وابن الله شبه متساويَين.

هناك اختلاف مهم آخر: لقد حذف لوقا التلميح إلى نص دانيال. ويكون يسوع، بحسب لوقا، قد قال: "**لكن ابن الإنسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير**" (لو ٢٢: ٦٩). نحن نجد في النص، عبارة "ابن الإنسان"، ولكن من دون عبارة "آتياً على غمام السماء". لماذا هذا الحذف؟ قد يكون لوقا أراد معالجة الصعوبة التي أشرت إليها انا ذاتي: في الأوساط المسيحية، وفي أعقاب ثلاثين عاماً من البشرى الانجيلية، كان المجيء على غمام السماء يعني المنتهى. لذا لم يشأ لوقا أن يدع قراءه

(٧) **هكذا هي الحال في قسمي الحوار في مشهد البشارة، حيث قُدِّم يسوع بشكل متتابع بصفته المسيح بن داود (لو ١: ٣١-٣٣) ومن ثم بصفته القدوس، ابن الله (لو ١: ٣٥).**

يظنون أن يسوع كان قد أعلن في السنهدريم عن مجيئه القريب، وكذّبته الأحداث من ثم . وهكذا فضّل أن يحذف هذه العبارة الغامضة. وفي كل الأحوال، يتضح ان اختلافات لوقا، بالمقارنة مع روايات مرقس ومتى، تدعونا إلى ألاّ نرى في الروايات الإنجيلية محضراً يعكس بأمانة جلسة السنهدريم.

انجيل يوحنا

إليكم ملاحظة هامة أخيرة: نجد لوقا هنا، مرة أخرى، يشبه يوحنا. في الواقع لا ينقل يوحنا جلسة السنهدريم؛ ولكن، إذا صعدنا إلى أصول الانجيل الرابـع، فـسنلقى مشاهد قريبة من هذا المشهد: يسوع في الهيكل يجادل اليهود بشأن هويته ورسالته. انهم يسألونه: "من أنت؟ هل أنت المسيح؟". و يتحدث يسوع عن علاقته بالآب، فيقـول: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)، أو يقول أيضاً: "قبل أن يكون ابراهيم، أنا هو" (يو ٨: ٥٨). وفي كل مرة تناول اليهود حجارة ليرجموه.

هناك حالة فريدة جداً، نصادفها في هذا المقطع من انجيل يوحنا (يو ١٠) حيث نجد الكلمات ذاتها كما في لوقا. ففي انجيل لوقا، حين سأل عظيم الكهنة: "إن كنـت المسيح، فقل لنا"، أجاب يسوع: "لو قلت لكم لما صدقتم" (لو ٢٢: ٦٧). وفي انجيـل يوحنا (١٠: ٢٤-٢٥)، التفّ اليهود حول يسوع، تحـت رواق سـليمان، كمـا في السنهدريم، وقالوا له: "حتامَ تدخل الحيرة في نفوسنا؟ ان كنت المـسيح، فقلـه لنـا صراحة". فأجاب يسوع: "قلته لكم ولكنكم لا تؤمنون". فالأجوبة متشابهة جداً! ومن ثم يتحدث يسوع عن الأعمال التي يقوم بها باسم أبيه، كما يتحدث عن الخـراف... ويخلص إلى القول: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠). وأخذ اليهود حجارة ليرجمـوه، ولكنه سألهم: "لأيّ عمل (من الأعمال) ترجموني؟" —"من أجل التجديف (كما قالوا له في السنهدريم)، لأنك وأنت انسان تجعل نفسك الله". ويجيب يسوع: "تقولون: أنـت تجدف، لأني قلت إني ابن الله" (يو ١٠: ٣٦). وهكذا نرى أن سياق هذا المشهد يشبه كثيراً مشهد السنهدريم: لقد أعلن يسوع نفسه، أمام اليهود، "مسيحاً" و"ابن الله"، وقال لهم: "انكم لا تصدقونني"، فاتُّهم بالتجديف، وأرادوا أن يقتلوه.

لا يورد الازائيون هذه المجادلة بين يسوع واليهود سوى مرة واحدة، في نهاية رسالته التبشيرية، في حين لَمّح يوحنا مرات عديدة إلى مثل هذه المصادمات في الهيكل. لمن الحق؟ كلا التقليدين هما على جانب من الصحة، ويكمّل أحدهما الآخر؛ ذلك ان كلاً من الانجيليين رتّب الأمور بطريقته الخاصة. اختار الازائيون، بحسب مخطط مرقس، ألا يتحدثوا عن رسالة يسوع في أورشليم: فيسوع لا يصعد إليها سوى مرة واحدة، في الفصح الأخير، فصح الآلام. أما لدى يوحنا، فبالعكس: يصعد يسوع مرات عديدة إلى أورشليم؛ وتبدو وجهة نظره أكثر صحة على الصعيد التاريخي.

مثل هذا الاختلاف في الإنشاء يؤدي إلى الطرح المختلف بشأن المسألة التي تهمنا هنا. فالمجادلات بين يسوع واليهود في الهيكل، كانت في نظري، مألوفة إلى حد ما. ولما كان الازائيون قد أغفلوا الكلام عن رسالة يسوع في أورشليم، فلم يكن بوسعهم أن يرووا كلاًّ من هذه المجادلات؛ لذا آثروا أن يرووها في مشهد واحد. كان يحق لهم أن يفعلوا ذلك، طالما أن المشهد النهائي، مشهد السنهدريم، قد تمّ؛ ولكنهم جمعوا فيه، بخطوط عريضة، مضمون عدد كبير من الجدالات، مع البراهين الأساسية بشأن المسألة -وخلاصتها أن يسوع تكلم ضد الهيكل، واقترح عبادة جديدة، وادّعى أنه المشيح، المسيح، ابن الإنسان... ولم يقبله اليهود.

أما يوحنا، فلقد عزم أن يروي رسالة يسوع في أورشليم برمتها؛ وسبق له أنْ أصدى لهذا الجدال، على دفعات عديدة؛ حتى أن المناقشات ذهبت صُعُداً من مقطع إلى آخر. ولذلك استطاع أن يعفي نفسه من رواية المشهد الأخير.

في هذه الحالة، يكون كلا التقليدان على حق، كلٌّ بطريقته الخاصة، بعد أن رُتّبا إلى حدّ ما. وبوسعنا أن نستفيد من كل منهما: فمع يوحنا، نتخيل أن الجدال بين يسوع واليهود بشأن رسالته، قد بدأ قبل الآلام، عبر نقاشات متكررة في الهيكل؛ أما مع الازائيين، وبالرغم من صمت يوحنا، فنتخيل أن هذه الجدالات وجدت خاتمتها في جلسة السنهدريم، أي في اللقاء الأخير الذي أُتخذ خلاله القرار النهائي ضد يسوع. وهكذا نجد، مرة أخرى، أن الأناجيل الأربعة تتكامل لتعكس تقليداً رصينا ذا مضمون يتسم بالمصداقية، غير أن التفاصيل فيه تختلف وفق وجهة نظر كل منها وأهدافه.

وفي الختام، هناك تعليقان من مستوى قانوني. فإذا كـان مـن الواضـح أن الروايات الإنجيلية لا تقدم تقريراً مفصلاً عن الاستجواب في الجلسة، بل خلاصة لاهوتية وجيزة، فيتوجب علينا حينذاك الا نبحث عما إذا كانت هنـاك انتـهاكات في سـير الدعوى أم لا. فلقد سعت محاولات دفاعية في تاريخ المسيحية -كانت قصيرة المدى في نظري- إلى إدراج سلسلة من الانتهاكات يكون اليهود قد اقترفوها. هـوذا الأبـوان ليمان[٨]، وكلاهما يهوديان مهتديان، استنكرا ٢٧ انتهاكاً، وخَلُصا إلى القول بأن قرار السنهدريم ليست له أية قيمة قانونية. إلا ان إنشاء الأناجيل، في الواقع، لا يسمح بمثـل هذا الطرح، طالما أن النصوص لا تدّعي تقديم رواية كاملة للأقوال والأفعال. فضلاً عن أن هذه المحاولة الدفاعية البائسة أخطأت في صياغة أدلتها، وفق قانون الميشنا -وهو الحق القانوني الذي وضعه ربابنة فريسيون- بينما كان الحق القانوني السائد في زمن يـسوع، هو الذي اعتمده الصدّوقيون[٩]؛ ولا نعرف هذا الحق تمام المعرفة.

من المكن أيضاً أن نطرح سؤالاً أخيراً: هل كان لليهود بعدُ الحـق في حكـم الإعدام؟ فإذا لم يكن لهم هذا الحق، كما قال يوحنا (يو ١٨: ٣١)، يصبح من اليـسير تفسير أحداث الآلام: كان تدخل الرومان ضرورياً بصفتهم سلطة تنفيذية، وقد فرضوا الصلب بصفته عقاباً رومانياً؛ أما مبادرة الحكم، فكانت من مهمة اليهود. ذلـك هـو الطرح المسيحي التقليدي.

وبالعكس، هوذا الطرح السائد لدى اليهود وغيرهم: كان لليهود كل الحق في حكم الموت في ذلك العصر. فلو انهم قتلوا يسوع، كما يتهمهم المسيحيون، لوَجَـبَ عليهم أن يرجموه. غير أن يسوع مات صلباً؛ وهذا يعني أن الرومان هم المسؤولون عن موته. هناك كتاب مهم[١٠], سعى فيه ج جوستر (توفي في حـرب ١٩١٤) إلى إقامـة البرهان بأن اليهود في زمن يسوع، كانوا قد احتفظوا بحق الحكم بالموت. وكان الكتاب

(٨) "قيمة مجلس أصدر حكم الموت ضد يسوع المسيح"، باريس ١٨٨١

(٩) راجع ج بلتزلر: محاكمة يسوع، باريسن ١٩٦٢. الملحق رقم ٧: "قانون العقوبات في الميشنا، هل كان نافذاً في زمن يسوع؟"، ص ٢١٩-٢٣٨ (بالفرنسية)

(١٠) "اليهود في الامبراطورية الرومانية"، باريس ١٩١٤.

قد أثار نقاشاً حاداً لا يسعني أن أدخل هنا في تفاصيله[11]. ومع ذلك تبقى طروحات الاناجيل صحيحة، في نظري، وإنجيل يوحنا بنوع خاص.

وبالفعل، احتفظ الرومان، في كل أرجاء الامبراطورية، بحق الإعدام، وهو حق أساس في سياسة العرش؛ وقد سحبوه من يد السلطات المحلية. ففي كل مكان، في قيرين أو مصر أو اليونان أو غيرها، كان يرجع إلى الحاكم الروماني الحق في الحياة وفي الموت، لا إلى المحاكم المحلية. ولابد أن يكون الأمر كذلك في فلسطين. والمؤرخ يوسيفوس الذي أورد تعيين أول حاكم روماني في شخص كوبونيوس، أوضح أن أوغسطس سلّم إليه الحق في الإعدام (الحرب اليهودية ٢: ١١٧)؛ ولم يقل صراحة أن هذا الحق سُحب من اليهود، لأن ذلك كان أمراً اعتيادياً.

إلا أن هناك بعض الحالات تُعارض هذا التأكيد: لقد قتل اليهود اسطفانس ويعقوب. ويتضح، من خلال تحليل دقيق، أن في كلٍّ من هاتين الحالتين أمراً خارقاً. فبالنسبة إلى اسطفانس، على سبيل المثال، يُحتمل أنه أعدم من دون محاكمة، بيد الجمهور الذي أمسكه ورجمه، وهكذا نجدنا بازاء قتل شعبي؛ سيما وان اليهود استفادوا من غياب السلطة الرومانية المؤقت. فمن المحتمل ان اسطفانس قُتل في الفترة ما بين مغادرة بيلاطس وقدوم مارسلّس الذي خلفه في منصب الحاكم. أما في حالة القديس يعقوب، فقد قال المؤرخ اليهودي يوسيفوس بوضوح (الآثار اليهودية، ٢٠: ١٩٧): كان الحاكم الروماني فستس قد توفي، ولم يكن خلفه ألبينُس قد وصل؛ واغتنم الفرصة أنانوس، آخر أبناء عظيم الكهنة حنّان، فجمع محكمة على عجل أصدرت حكم الاعدام بحق يعقوب ونفذته. واليهود أنفسهم، وقد امتعضوا من هذا العنف، أخبروا عنه الحاكم حال وصوله، وقالوا له: لم يكن لعظيم الكهنة الحق في أن يتصرف هكذا ويقيم محكمة من دون موافقته.

وهكذا تبقى القاعدة العامة صحيحة: لم يكن بوسع اليهود الحكم بالإعدام. ولقد كان للإنجيل الحق في أن يرينا السنهدريم يبحث عن سبب معقول يتقدم به إلى

[11] هناك خلاصة جيدة للمسألة مع المصادر بقلم هولزمستر في "بيبليكا" (بالألمانية). انظر أيضاً ب . بنوا: محاكمة يسوع، في "علم التفسير والكتاب المقدس" (بالفرنسية).

الحاكم. وكان بوسع الحاكم وحده أن يصدر قراراً ذا قدرة تنفيذية، وسيكون هذا القرار قراراً بالصلب، بصفته العقاب الروماني المألوف.

بعد أن انكببنا على المعنى العميق لجلسة السنهدريم، يمكننا أن نأسف لموقف اليهود الذين رفضوا مرسَل الله، مع تجنب وصفهم "بقاتلي" الله: فلقد قالها يسوع والرسل: "انهم لا يدرون ما يفعلون". ويجب بالأحرى أن نخرج بهذه النتيجة: ان يسوع، في هذا الظرف المأساوي الذي كلّل جدالات الهيكل، اعترف رسمياً أمام شعبه وأمام التاريخ وأمام البشرية، بما سبق أن أعلنه مراراً، وبالسبب الذي كان وراء موته، وهو كونه المسيح الروحاني الرفيع الذي يتصف بمنزلة إلهية. فلقد ارتضى يسوع بتنازل مؤقت، وسينتشله أبوه سريعاً ويحظى بالغلبة على غمام السماء، مؤسِّساً، في جسده الممجد، العبادة الجديدة التي ستحيا بها، إلى الأبد، الكنيسة وكل الذين يؤمنون به.

الفصل السادس

يسوع لدى بيلاطس

المثول امام بيلاطس

متى ٢٧: ١-٢؛ ١١-١٤	مرقس ١٥: ١-٥	لوقا ٢٣: ١-٥	يوحنا ١٨: ٢٨-٣٨
١ ولمّا كان الفجر،	١ وما إن كان الفجر،	٢٢ ٦٦ ولمّا طلع الصبح	
عقد	حتى اجتمع	احتشدت	
		جماعة شيوخ الشعب	
جميع عظماء الكهنة	عظماء الكهنة	من عظماء كهنة	
		وكتبة،	
	للمشورة		
وشيوخ الشعب	مع الشيوخ		
مجلس شورى			
	والكتبة		
		فاستحضروه	
	والمجلس كله،	الى مجلسهم.	
في أمر يسوع،			
ليحكموا عليه بالموت.			
		١ ثم قامت جماعتهم كلها	
٢ ثم اوثقوه	ثم اوثقوا يسوع		
وساقوه	وساقوه	فساقوه	٢٨ وساقوا يسوع
			من عند قيافا
وسلّموه	وسلّموه		
الى الحاكم بيلاطس.	الى بيلاطس.	الى بيلاطس.	الى دار الحاكم.
			وكان ذلك عند الفجر، فلم يدخلوا
			دار الحاكم مخافة ان يتنجّسوا
			فلا يتمكنوا من اكل الفصح.
			٢٩ فخرج اليهم بيلاطس وقال:
		٢ واخذوا يتهمونه	"بماذا تتهمون هذا الرجل؟"
			٣٠ فاجابوه: "لو لم يكن فاعل شر
			لما اسلمناه اليك".
		قالوا: "وجدنا هذا الرجل	
		يفتن امتنا، وينهى عن	
		دفع الجزية الى قيصر، ويقول	
		انه المسيح الملك".	
			٣١ فقال لهم بيلاطس: "خذوه
			انتم فحاكموه بحسب شريعتكم".
			قال له اليهود: "لا يجوز لنا
			ان نقتل احدا".
			٣٢ بذلك تم الكلام الذي قاله يسوع،
			مشيرا الى الميتة التي سيموتها.
			٣٣ فعاد بيلاطس الى دار الحاكم،
			ثم دعا يسوع
١١ ومثل يسوع في حضرة الحاكم،			
فسأله الحاكم	٢ فسأله بيلاطس:	٣ فسأله بيلاطس:	
			وقال له:
"أأنت ملك اليهود؟"	"أأنت ملك اليهود؟"	"أأنت ملك اليهود؟".	"أأنت ملك اليهود؟"
			٣٤ اجاب يسوع:
			"أمن عندك تقول هذا
			أم قاله لك فيّ آخرون؟"

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			٣٥ اجاب بيلاطس: "أتراني يهوديا؟
			ان امّتك وعظماء الكهنة اسلموك
			اليَّ. ماذا فعلت؟".
			٣٦ اجاب يسوع:
			"مملكتي ليست من هذا العالم
			لو كانت مملكتي من هذا العالم،
			لدافع عني حرسي
			لكي لا أُسلم الى اليهود
			ولكن مملكتي ليست من ههنا".
			٣٧ فقال له بيلاطس:
			"فأنت ملك اذن!"
فقال يسوع:	فاجابه:	فاجاب:	اجاب يسوع:
"هو ما تقول".	"هو ما تقول".	"هو ما تقول".	"هو ما تقول".
			فإنّي ملك.
			وانا ما وُلدت واتيت العالم
			إلا لأشهد للحق.
			فكل مَن كان من الحق
			يصغي الى صوتي".
			٣٨ قال له بيلاطس: "ما هو الحق؟"
١٢ وكان عظماء الكهنة	٣ وكان عظماء الكهنة		
والشيوخ			
يتهمونه	يتهمونه اتهامات كثيرة.		
فلا يجيب بشيء.			١٩ ٩ب فلم يجبه يسوع بشيء.
١٣ فقال له بيلاطس:	٤ فسأله بيلاطس ثانية:	٢٣ ٩ فسأله بكلام كثير،	١٠ فقال له بيلاطس
	"اما تجيب بشيء؟		"ألا تكلمني؟ ..."
"اما تسمع	انظر		
بكم من الامور يشهدون عليك؟"	ما اكثر ما يشهدون به عليك".		
١٤ فلم يجبه عن أي منها	٥ ولكن يسوع لم يجب بشيء	اما هو فلم يجبه بشيء.	
	بعد ذلك		
حتى تعجّب الحاكم كثيرا.	حتى تعجّب بيلاطس.		
		١٠ وكان عظماء الكهنة والكتبة	
		يتهمونه بعنف	
			١٨ ٣٨ب قال ذلك،
			ثم خرج ثانية الى اليهود
		٤ فقال بيلاطس	فقال لهم:
		لعظماء الكهنة والجموع:	
		"لا اجد في هذا الرجل	"اني لا اجد فيه
		سببا لاتهامه".	سببا لاتهامه.
		٥ فقالوا ملحّين: "انه يثير	
		الشعب بتعليمه في اليهودية	
		كلها، من الجليل الى ههنا".	

يسوع لدى هيرودس ومن ثم أُعيد الى بيلاطس

متى	مرقس	لوقا ٢٣: ٦-١٢	يوحنا
		٦ فلما سمع بيلاطس،	
		سأل هل الرجل جليلي.	
		٧ فلما عرف انه من ولاية	
		هيرودس ارسله الى هيرودس،	
		وكان هو ايضا في اورشليم	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		في تلك الايام.	
		٨ فلما رأى هيرودس يسوع، سرَّ	
		سرورا عظيما، لانه كان يتمنى من	
		زمن بعيد ان يراه لما يسمع عنه،	
		ويرجو ان يشهد آية يأتي بها.	
٢٧ ١٢ وكان عظماء الكهنة	١٥ ٣ وكان عظماء الكهنة		
والشيوخ			
يتهمونه	يتهمونه اتهامات كثيرة.		
فلا يجيب بشيء.			١٩ ٩ب فلم يجبه يسوع بشيء.
١٣ فقال له بيلاطس:	٤ فسأله بيلاطس ثانية:	٩ فسأله بكلام كثيرة،	١٠ فقال له بيلاطس:
	"اما تجيب بشيء؟		"ألا تكلمني؟..."
"اما تسمع	انظر		
بكم من الامور يشهدون عليك؟"	ما اكثر ما يشهدون به عليك".		
١٤ فلم يجبه عن أي منها	٥ ولكن يسوع لم يجب بشيء	اما هو فلم يجبه بشيء.	
		١٠ وكان عظماء الكهنة والكتبة	
		يتهمونه بعنف	
٢٧ ٢٧ فمضى جنود الحاكم...	١٥ ١٦ فساقه الجنود...	١١ فاحتقره هيرودس وجنوده،	١٩ ٢ ثم ضفر الجنود...
٢٨ ... وجعلوا عليه رداء قرمزيا،	١٧ والبسوه ارجوانا...	وسخر منه فألبسه ثوبا براقا	والبسوه رداء ارجوانيا،
٢٩ و... وسخروا منه		وردّه الى بيلاطس	
		١٢ وتصادق هيرودس وبيلاطس	
		يومئذ، وكانا قبلا متعاديين.	

الحكم على يسوع بالموت

متى ٢٧: ١٥-٢٦	مرقس ١٥: ٦-١٥	لوقا ٢٣: ١٣-٢٥	يوحنا ١٨: ٣٩-١٩: ١٦أ
		١٣ فدعا بيلاطس عظماء الكهنة	١٩ ٤ وخرج بيلاطس ثانيا
		والرؤساء والشعب،	
		١٤ وقال لهم: "أحضرتم لديّ	وقال لهم:
		هذا الرجل على انه يفتن الشعب.	
		وها قد حققت في الامر	
		بمحضر منكم، فلم اجد على هذا	"ها إني اخرجه اليكم لتعلموا أني
		الرجل شيئا مما تتهمونه به،	لا اجد فيه سببا لاتهامه".
		١٥ ولا هيرودس، لانه رده	
		الينا. فهو إذاً لم يفعل ما	
		يستوجب به الموت.	
		١٦ فسأعاقبه ثم اطلقه".	
١٥ وكان من عادة الحاكم	٦ وكان		٣٩ ولكن جرت العادة عندكم
في كل عيد	في كل عيد		
ان يطلق للجميع	يُطلق لهم		ان اطلق لكم
سجينا	سجيناً		احدا
أيّ واحد ارادوا.	أيّ واحد طلبوا.		
			في الفصح.
١٦ وكان عندهم إذ ذاك	٧ وكان رجل		
سجين شهير			
يقال له يسوع برأبا.	يُدعى برأبا		
	مسجونا مع المشاغبين		
	الذين ارتكبوا جريمة القتل		
	في الفتنة.		
	٨ فصعد الجمع واخذوا يطلبون		
	مَن كان من عادته ان يمنحهم.		

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
[١٧] فبينما هم مجتمعون،			
قال لهم بيلاطس:	[٩] فأجابهم بيلاطس:		
"مَن تريدون	"أتريدون		أفتريدون
ان اطلق لكم؟	ان اطلق لكم		ان اطلق لكم
أيسوع برأبا			
أم يسوع الذي يقال له المسيح؟".			
	ملك اليهود؟"		ملك اليهود؟".
[١٨] وكان يعلم	[١٠] لانه كان يعلم		
انهم من حسدهم	ان عظماء الكهنة من حسدهم		
أسلموه.	أسلموه،		
[١٩] وبينما هو جالس على كرسيّ			
القضاء، ارسلت اليه امرأته			
تقول: "دعك وهذا البارّ،			
لاني عانيت اليوم في الحلم			
آلامًا شديدة بسببه".			
	[١١] فأثار		
[٢٠] ولكن عظماء الكهنة	عظماء الكهنة		
والشيوخ اقنعوا			
الجموع	الجمع		
		[١٨] فصاحوا	[٤٠] فعادوا الى الصياح
		بأجمعهم	
		"أعدم هذا	"لا هذا،
بأن يطلبوا براب	لكي يُطلق لهم بالاحرى برأبا	وأطلق لنا برأبا"	بل برأبا"
ويُهلكوا يسوع.			
		[١٩] وكان ذاك قد ألقي في	وكان برأبا لصا.
		السجن لفتنة حدثت في	
		المدينة وجريمة قتل.	
			١٩ [١] فأخذ بيلاطس يسوع وجلده.
			[٢] ثم ضفر الجنود اكليلا من شوك
			ووضعوه على رأسه، والبسوه
			رداء ارجوانيا،
			[٣] واخذوا يدنون منه فيقولون:
"السلام عليك يا ملك اليهود!"	"السلام عليك يا ملك اليهود!"		"السلام عليك يا ملك اليهود
[٣٠] .. وجعلوا يضربونه ... على رأسه.	[١٩] ويضربونه ... على رأسه ...		وكانوا يلطمونه.
		٢٣ [١٣] فدعا بيلاطس ...	[٤] وخرج بيلاطس ثانيا وقال لهم:
		[١٤] وقال لهم: ...	"ها اني اخرجه اليكم لتعلموا اني
		وها قد حققت في الامر	لا اجد فيه شيئا لاتهامه".
		بمحضر منكم، فلم اجد على هذا	
		الرجل شيئا مما تتهمونه به ..."	
			[٥] فخرج يسوع وعليه اكليل الشوك
			والرداء الارجواني، فقال لهم
			بيلاطس: "هوذا الرجل!".
	[١٢] فتكلم بيلاطس ثانيا		
[٢١] فقال لهم الحاكم:	قال لهم:	[٢٠] فخاطبهم بيلاطس ثانية	[١٢] فحاول بيلاطس من ذلك الحين
"ايهما تريدون		لرغبته	
ان اطلق لكم؟"		في إطلاق يسوع.	ان يخلي سبيله،
فقالوا: "برأبا".			
[٢٢] قال لهم بيلاطس:			
"فماذا افعل بيسوع	"فماذا افعل		
الذي يُقال له المسيح؟"	بالذي تدعونه ملك اليهود؟"		
			[٦] فلما رآه عظماء الكهنة والحرس،

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
قالوا جميعا:	١٣ فعادوا للصياح:	٢١ فصاحوا:	صاحوا:
"ليُصلب!".	إصلبْه!".	"إصلبْه! إصلبْه!"	"إصلبْه! إصلبْه!"
٢٣ قال لهم:	١٤ فقال لهم بيلاطس:	٢٢ فقال لهم ثالثة:	قال لهم بيلاطس:
"فأي شر فعل؟"	فما الذي فعل من الشر؟"	"فأي شر فعل	
		هذا الرجل؟	
			"خذوه انتم واصلبوه،
		لم اجد	فإني لا اجد فيه
		سببا يستوجب به الموت،	سببا لاتهامه".
		فسأعاقبه ثم اطلقه".	
			٧ اجابه اليهود: "لنا شريعة،
			وبحسب هذه الشريعة يجب عليه
			ان يموت، لانه جعل نفسه
			ابن الله".
			٨ فلما سمع بيلاطس هذا الكلام،
			اشتد خوفه.
			٩ فعاد الى دار الحكومة وقال
			ليسوع: "من اين انت؟"
٢٧ ١٢ وكان عظماء الكهنة	١٥ ٣ وكان عظماء الكهنة		
والشيوخ			
يتهمونه	يتهمونه اتهامات كثيرة.		فلم يجبه يسوع بشيء.
فلا يجيب بشيء.			١٠ فقال له بيلاطس: "ألا تكلمني؟
١٣ فقال له بيلاطس:	٤ فسأله بيلاطس ثانية:		أفلست تعلم ان لي سلطان على ان
	"اما تجيب بشيء؟		اخلي سبيلك، وسلطانا على ان
"اما تسمع	انظر		اصلبك؟"
بكم من الامور يشهدون عليك؟"	ما اكثر ما يشهدون به عليك".		١١ فأجابه يسوع: "لو لم تُعط
			السلطان من علُ، لما كان لك عليّ
			من سلطان، ولذلك فالذي اسلمني
			اليك عليه خطيئة كبيرة".
		٢٣ ٢٠ فخاطبهم بيلاطس ثانية	١٢ فحاول بيلاطس من ذلك الحين
		لرغبته في إطلاق يسوع.	ان يُخلي سبيله، ولكن اليهود
			صاحوا: "إن اخليت سبيله،
			فلست صديقا لقيصر، لان كل مَن
			يجعل نفسه ملكا يخرج على قيصر".
			١٣ فلما سمع بيلاطس هذا الكلام،
			امر بإخراج يسوع، واجلسه على
			كرسيّ القضاء في مكان يسمى
			البلاط ويقال له بالعبرية غبّاثة.
			١٤ وكان ذلك اليوم يوم تهيئة الفصح،
			والساعة تقارب الظهر.
			فقال لليهود: "ها هوذا ملككم!"
فبالغوا في الصياح:	فازدادوا صياحا:	٢٣ فألحّوا عليه باعلى اصواتهم	١٥ فصاحوا:
		طالبين	
			"أعدمه! أعدمه!
"ليُصلب!".	"اصلبه!"	أن يُصلب.	اصلبه!"
		واشتد صياحهم.	
			قال لهم بيلاطس: "أأصلب ملككم؟"
			اجاب عظماء الكهنة: "لا ملك علينا
			الا قيصر!".
٢٤ فلما رأى بيلاطس انه لم			
يستفد شيئا، بل ازداد الاضطراب،			
اخذ ماء وغسل يديه بمرأى من			

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
الجميع وقال: "انا بريء من هذا			
الدم، انتم وشأنكم فيه".			
[٢٥] فأجاب الشعب باجمعه:			
"دمه علينا وعلى اولادنا".			
	[١٥] واراد بيلاطس	[٢٤] فقضى بيلاطس	
	ان يرضي الجمع	باجابة طلبهم.	
[٢٦] فاطلق لهم	فاطلق لهم	[٢٥] فاطلق	
برأبا.	برأبا	مَن كان قد ألقي في السجن	
		لفتنة وجريمة قتل،	
		ذاك الذي طلبوه.	
اما يسوع			
فجلده	وبعدما جلد يسوع		
ثم اسلمه	اسلمه	وأسلم يسوع	[١٦] واسلمه اليهم
ليُصلب.	ليُصلب.	الى مشيئتهم.	ليُصلب.

يسوع الملك عرضة للشتم والسخرية

متى ٢٧: ٢٧-٣١	مرقس ١٥: ١٦-٢٠	لوقا	يوحنا
[٢٧] فمضى جنود الحاكم بيسوع	[١٦] فساقه الجنود	٢٣ [١١] فاحتقره هيرودس وجنوده...	١٩ [٢] ثم ضفر الجنود
	الى داخل الدار		
الى دار الحاكم	دار الحاكم		
وجمعوا عليه	ودعوا		
الكتيبة كلها.	الكتيبة كلها.		
[٢٨] فجردوه من ثيابه			
وجعلوا عليه	[١٧] والبسوه	فألبسه	
رداء قرمزيا،	ارجوانا	ثوبا براقا...	
[٢٩] وضفروا	وكللوه		
اكليلا من شوك	باكليل ضفروه من الشوك،		اكليلا من شوك
ووضعوه على رأسه،			ووضعوه على رأسه،
وجعلوا في يمينه قصبة،			والبسوه رداء ارجوانيا،
ثم جثوا امامه			
وسخروا منه		وسخر منه...	
فقالوا:	[١٨] واخذوا يحيونه فيقولون:		[٣] واخذوا يدنون منه فيقولون:
"السلام عليك يا ملك اليهود!"	"السلام عليك يا ملك اليهود!"		"السلام عليك يا ملك اليهود!"
[٣٠] وبصقوا عليه			
واخذوا القصبة			
وجعلوا يضربونه ب[illegible]لى رأسه.	[١٩] ويضربونه بقصبة على رأسه		وكانوا يلطمونه.
	ويبصقون عليه		
	ويجثون له ساجدين.		
[٣١] وبعد ما سخروا به	[٢٠] وبعد ما سخروا منه		
نزعوا عنه	نوعوا عنه		
الرداء،	الارجوان		
والبسوه ثيابه	والبسوه ثيابه		
وساقوه ليُصلب.	وخرجوا به ليصلبوه.		

بعد ان مثل يسوع امام السلطات اليهودية في السنهدريم، أُقتيد امام الحاكم الروماني بيلاطس. وتحدث الإنجيليون عن هذا المثول الثاني؛ ويوحنا ذاته الذي لم ينقل لنا جلسة السنهدريم، روى باسهاب مثول يسوع امام بيلاطس. يجدر بنا ان ندرس بالتتابع روايات الإنجيليين الاربع، كي نستخرج الرسالة الخاصة بكل رواية.

رواية مرقس

رواية مرقس هي الاكثر بساطة، ولكنها الاكثر تفصيلاً أيضاً، بالرغم من بعض النواقص في الوصف. انه يقدم لنا ما هو اساسي، ويُشعرنا بمنعطفات المأساة، بشكل افضل مما سيفعله متى ولوقا اللذان يُهملان بعض التفاصيل الثمينة. وان سير الاحداث، كما عرضه مرقس، يبدو محتملاً جداً؛ ففيه نكتشف وجهين يفصلهما حدث طارئ.

يتضمن الوجه الاول من الرواية لقاء اولاً بين بيلاطس ورؤساء اليهود (مر ١٥: ٢-٥)؛ ويتقدم الجمع من ثم ليطلب العفو عن سجين بمناسبة الفصح (مر ١٥: ٦-٧)؛ وتتواصل الدعوى اخيراً، في جلسة علنية يشترك فيها الجمع؛ وتنتهي الجلسة بحكم الموت (مر ١٥: ٨-١٥).

وقبل ان ننكب على الجلسة في حد ذاتها، لنُعدْ قراءة مطلع الفصل (مر ١٥: ١): "وما إنْ كان الفجر حتى اجتمع عظماء الكهنة للشورى مع الشيوخ والكتبة والمجلس كله"... وتبدو هذه الجلسة الثانية لاعضاء السنهدريم، صباح الجمعة، قصيرة جداً في روايتي مرقس ومتى. ولا يُقال شيء عن مناقشاتهم سوى انهم "**اوثقوا يسوع وساقوه وسلّموه إلى بيلاطس**" (مر ١٥: ١). وكما شرحنا في الفصل السابق، تجري في الواقع جلسة السنهدريم في الصباح، وليس في الليل. اما بشأن المناقشات في هذه الجلسة، فلقد

اوردها مرقس على انها جرت في الليل (مر ١٤: ٥٥-٦٤). لنأتِ على الفور إلى مشهد المثول بين يدي بيلاطس.

الدعوى، في وجهها الاول، ترينا بيلاطس في جدال مع رؤساء اليهود. "**فسأله بيلاطس: أأنت ملك اليهود؟ فأجابه: هو ما تقول. وكان عظماء الكهنة يتهّمونه اتهامات كثيرة**" (مر ١٥: ٢-٣). ونجدنا للحال بازاء احدى العثرات: فمرقس يذكر الاتهامات من بعد كلام الحاكم. لم يكن بوسع بيلاطس أن يخترع بأن يسوع هو ملك اليهود؛ وإذا قال ذلك، فلانه سبق له أن سمع الاتهامات. فكان ينبغي منطقياً ان تأتي الآية ٣ قبل الآية ٢. وماذا يهمنا طالما رواية مرقس عفوية.

منذ البداية، يظهر مسار الجدال: يسوع، ملك اليهود. حول هذا الادّعاء ستدور الدعوى وتُختَم، وستحمل الكتابة على الصليب: "هذا ملك اليهود". وهكذا، ظاهرياً، ستحكم السلطة الرومانية على يسوع بدافع سياسي.

"**فسأله بيلاطس ثانية: اما تجيب بشيء؟ انظر ما اكثر ما يشهدون به عليك. ولكن يسوع لم يُجبْ بشيء بعد ذلك حتى تعجب بيلاطس**" (مر ١٥: ٤-٥). لقد اجاب يسوع اولاً: "هو ما تقول"، وذلك يعادل قبولاً فَطناً، بمعنى: فليكن، انا ملك، ولكن بمعنى غير الذي تتخيله! بعد هذا الجواب، لم يعد يسوع يقول شيئاً. وهذا الصمت التام يشكّل مفارقة مع الخطابات التي يضعها يوحنا على لسانه. قد يكون مرقس فكّر في موقف الخادم او الحمل الذي كان صامتاً امام الذين يجزّونه (أش ٥٣: ٧).

بعد هذا المدخل الاول الذي يفتتح الدعوى، إذا بنا ازاء فاصل: "**وكان في كل عيد يطلق لهم سجيناً، أيَّ واحد طلبوا**" (مر ١٥: ٦). وهذا ما يُدعى العفو الفصحي: في كل عيد فصح، كان الحاكم الروماني يُطلق سجيناً. وهذه العادة ليس ما يُثبتها سوى الإنجيل. إلا ان هناك حالة شبيهة وُجدت مدونة في رق يوناني من مصر (ب. فيور، ٦١: ٥٩ ت)؛ فلقد قال ضابط مصري للمتهم: انت تستحق الجلد بسبب الجرائم التي ارتكبتها، ولكني احيلك إلى الجمهور". وقورنت هذه المبادرة بمبادرة بيلاطس، وإن كانت مختلفة. فهنا، يبدو ان الامر متعلق بعادة تخص فلسطين -كما سيقولها يوحنا: "جرت العادة **عندكم** ان أُطلق لكم أحداً". وذلك محتمل جداً: فالفصح كان ذكرى

التحرير من مصر والخروج من ارض العبودية والعبور إلى ارض الحرية. وفي كل سنة، في مساء هذا اليوم، كان العبرانيون يستذكرون، خلال عشاء عائلي، هذا الانقاذ الكبير ويرون فيه عربون إنقاذات مقبلة. وكان من المناسب، إذن، احتفاء بهذا العيد، أن يُطلق سراح سجين.

"وكان رجل يدعى برأبّا مسجوناً مع المشاغبين الذين ارتكبوا جريمة القتل في الفتنة" (مر ١٥: ٧). كتب مرقس "الفتنة"، مفترضاً اننا على علم بها. ولكننا لا ندري اية فتنة هي المقصودة، ولا نعرف سوى فتنة إرهابي كان قد قتل شخصاً وسُجن، يُدعى برأبّا. واسم برأبّا ساميٌّ، او، لمزيد من الدقة، ارامي، طالما ان لفظة "بار" تعني ابناً بالارامية او السريانية. وقد طُرحت عدة احتمالات بشأن اصول الاسم: فقد يكون "بارربّا"، بمعنى ابن المعلّم، ابن الرابّي؛ او يكون أيضاً "بارأبّا"، بمعنى ابن ابيه -وتلك طريقة لمناداة شخص مجهول الاسم، وذلك حلّ مُغرٍ: وكأننا بازاء لقب ما.

"فصعد الجمع واخذوا يطلبون ما كان من عادته ان يمنحهم" (مر ١٥: ٨). ويجب ملاحظة هذا التفصيل: "الجمع يصعد"، الامر الذي يعني أن دار الولاية كانت على شرفة المدينة. ومن جهة اخرى، نرى الجمع يطلب العفو المألوف دون ان يفكر بيسوع. ونحن، غالباً ما نتخيل ان يسوع قاده الجمع ورؤساء اليهود إلى دار الولاية.. وذلك خطأ: لم يكن هناك سوى وفد واحد، مكوّن من عظماء الكهنة وبعض رؤساء اليهود، جاء في الصباح الباكر يوقظ بيلاطس. وفي ذلك الوقت كان الجمع منشغلاً في اموره ولا يفكر بيسوع. وبعد فترة اخذ الجمع يفكر في المطالبة بسجين بمناسبة الفصح، فصعد إلى دار الولاية دون ان يفكّر، لا بيسوع ولا ببرأبّا.

اما الوجه الثاني من الدعوى، فقد افتتح بقول بيلاطس: **"أتريدون ان اطلق لكم ملك اليهود ؟"** (مر١٥: ٩). فبيلاطس الذي لم يشأ ان يحكم على يسوع، رأى في هدنة الفصح فرصة فريدة ليتخلص من المسألة. ولما كان الجمع يطالب بسجين، قال بيلاطس: هوذا رجل جاءوا به اليّ. ألا تريدون ان اطلق لكم ملك اليهود ؟ فقد كان يأمل بهذه الطريقة ان يُرضي الجمع، وفي الوقت ذاته يجنّب نفسه مسألة مزعجة. ذلك أن مرقس اضاف: **"لأنه كان يعلم ان عظماء الكهنة من حسدهم أسلموه"**

(مر ١٥: ١٠). وهكذا ادرك بيلاطس موقف كل واحد: الجمع غير مبال، ولا يهمه امر يسوع في هذا الوقت؛ اما الرؤساء، فهم الذين، بدافع من الحسد، يقودون العمليات. وبيلاطس، كي لا يستسلم لرؤساء اليهود، حاول ان يستميل الجمع إلى جانبه، باطلاقه السجين، وفي اعتقاده ان الذين يعارضون يسوع لن يكون بوسعهم من ثم ان يقولوا شيئاً، وهكذا تُنتزع منهم ضحيتُهم! لذا ينبغي النظر جيداً في الموقف النفسي لكل من هذه الاطراف: رؤساء اليهود الذين يقودون المسألة، وهم يبحثون كيف يهلكون يسوع؛ والجمع هو، في حد ذاته، لا ابالي، كما هي الحال مع كل جمع؛ فهو لا يدري بالمسألة، وجاء يُطالب بسجين، أيّاً كان؛ اما بيلاطس، فقد حاول أن يُنهي هذه القضية دون الحكم على يسوع.

ويحدث ان يُقدَّم بيلاطس احياناً وكأنه نصف مسيحي، تأثر بيسوع وسُحر بعظمته وكاد يهتدي! مثل هذه اللوحة شعرية إلى حد كبير! انما ينبغي فقط ان نرى فيه حاكماً رومانياً كغيره، كان له حسٌّ كافٍ ليفهم ان يسوع لا يشكل خطراً، وان الاتهام الذي وُجِّه إليه لا اساس له، وان هذا الرجل المسكين الواقف هنا صامتاً هادئاً، لم يفعل سوءاً البتة. ومن جهة اخرى، كان بيلاطس سعيداً في مجابهته رؤساء اليهود الذين طاب له أن يمارس ضدهم شبه حرب باردة، على طول الخط، وقد ازعجته شكاواهم ومطالباتهم. لقد ادرك ان الرؤساء اليهود يرغبون في الحكم على هذا الرجل، وسيبذل قصارى جهده كي لا يستجيب لهم. فمن الخطأ، إذن، ان نحيط رأس بيلاطس بهالة من القداسة، كما فعلت ذلك بعض الكتابات المسيحية المنحولة! وفي الوقت ذاته ليس هو ذاك المجرم الاكبر في العالم. انه حاكم روماني بسيط، لم يكن في الامس يفكر بيسوع، وقد لا يفكر به قط في الغد. انه يرى بان هذا الرجل بريء، مهما قال عنه الرؤساء اليهود؛ ولما اراد ان يتخلص من هذه الورطة، سعى إلى استمالة الجمع ضد الرؤساء.

"فأثار عظماء الكهنة الجمع لكي يُطلق لهم بالاحرى برأبّا" (مر ١٥: ١١).

لا يشاء الرؤساء اليهود ان يدَعوا يسوع ينجو، لذا راحوا يثيرون الجمع ويقترحون عليه اسم برأبّا قائلين: "كيف يمكن اطلاق يسوع؟ ألا تعقلون؟ اطلبوا بالاحرى برأبّا، انه رجل أثبت جدارته، وهو الذي قاد الانتفاضة حتى انه أقدم على القتل! اما يسوع هذا،

فماذا فعل لكم؟ وماذا بوسعه ان يفعل؟". وحينذاك اقتنع الجمع -ونعرف ما هي الجموع- وراح يطالب، بهتافات عالية، باطلاق برأبّا واعدام يسوع. وهكذا افلح عظماء الكهنة في تحويل الجمع وتأليبه ضد يسوع.

كان هذا الجمع، في الواقع، من جانب يسوع -ويجب ان نقولها، حتى وإن لم يكن ذلك ظاهراً هنا؛ وكتبها مرقس من قبلُ في إنجيله. فحين طرد يسوع الباعة من الهيكل (مر ١١: ١٨)، ثار ثائر عظماء الكهنة وارادوا إهلاكه، ولكنهم خافوه "لأن الجمع كله كان معجباً بتعليمه". وحين سال يسوع الكتبة بشأن ابن داود، سجّل مرقس هذه الملاحظة: "وكان من الناس جمع كثير يصغي إليه مسروراً" (مر ١٢: ٣٧).وفيما يبدي الرؤساء امتعاضهم وهم يشعرون انهم مهاجَمون، يبدو الربابنة عاجزين عن الاجابة، اما الجمع الذي طاب له ان يرى الاقوياء ينتابهم الفشل، فقد اصطفّ، بطيب الخاطر، إلى جانب يسوع. وفي وقت لاحق، لما حاك الرؤساء المؤامرة ضده، ساعين إلى قتله، قالوا: "...لا في حفلة العيد، لئلا يحدث اضطراب في الشعب" (مر ١٤: ٢)، إذ انهم يُحسّون أنّ الجمع ليس مضموناً. وهكذا كان الجمع، إذن، من جانب يسوع؛ إلا ان عظماء الكهنة نجحوا في تأليبه إلى جانب برأبّا ضد يسوع.

وحاول بيلاطس أن يمسك بيده القضية من جديد: **"فماذا افعل بالذي تدعونه ملك اليهود ؟"** (مر ١: ١٢). واخطأ بيلاطس البائس حين اعاد إلى الذاكرة هذا اللقب الذي يزعج الجمع: "ملك اليهود"، مما اثارهم بالاكثر. "فعادوا للصياح: اصلبه!" (مر ١٥: ١٣). وهكذا اثير الجمع بشكل ذكي، فراح يصرخ، على مثال كل الجماهير، ويزداد صراخه دون ان يفهم لماذا !

وصمد بيلاطس مرة اخرى حين قال: **"فما الذي فعل من الشر؟ فازدادوا صياحاً: اصلبه ! واراد بيلاطس ان يرضي الجمع، فاطلق لهم برأبّا، وبعد ما جلد يسوع أسلمه ليُصلب"** (مر ١٥: ١٤-١٥). وانتهى الامر ببيلاطس إلى الاستجابة. ومع ان مرقس لم يُدلِ بايضاح أكبر، يُخيّل إلينا ان بيلاطس قد ملَّ ولم يعد يدري كيف يخرج من المأزق: الجمع يريد موته، فليكن له ما يريد! وحينذاك أطلق برأبّا المجرم، وأسلم يسوع بعد ان جلده. وسننكب لاحقاً على مشهد الجلد.

رواية متى

تقترب رواية متى كثيراً من رواية مرقس، ولكنها تهمل بعض التفصيلات المفيدة، بحيث ان سير الاحداث يصبح اقل وضوحاً. ولكنه من جهة اخرى، يأتي ببعض اضافات[1].

لدى متى، كما لدى مرقس، يُقاد يسوع امام القضاء. ويسأله بيلاطس: **"أأنت ملك اليهود؟ -هو ما تقول"** (متى ٢٧: ١١). فاليهود يتهمون، ويسوع يصمت.

ان الوجه الاول من الدعوى -وفيه يتهجم عظماء الكهنة على يسوع- عرضه متى (٢٧: ١٢-١٤) بطريقة مرقس ذاتها. ومن ثم ذكّر متى، مقتفياً آثار مرقس، بالعفو الفصحي وظهور برأبّا (متى ٢٧: ١٥ -١٦). وتجدر الاشارة إلى ان متى يدعوه **"سجيناً شهيراً"**. وهذا يجعلنا نفهم لماذا اخذ الجمع للحال جانب هذا الرجل: انه إرهابي شهير كان قد قاد الانتفاضة ووقف بوجه السلطة الرومانية.

لا يقول متى ان الجمع صعد ليطالب بالعفو الفصحي، بل يبدو ان الجمع كان حاضراً منذ البداية. وهكذا اختفى هذا التفصيل الثمين الذي احتوته رواية مرقس، ومعه ذلك المشهد الرائع.

في رواية متى، بدا بيلاطس أحمق حين سأل: **"من تريدون ان اطلق لكم: أيسوع برأبّا ام يسوع الذي يقال له المسيح؟"** (متى ٢٧: ١٧). وأخطأ بيلاطس حين لفظ اسم برأبّا ووضعه على مستوى واحد مع يسوع. وكان من البديهي ان يختار الجمع ذلك الثائر. اما لدى مرقس، فلقد بدا بيلاطس اكثر مهارة، إذ لم يذكر برأبّا -وهو يأمل ان ينساه الجمع- بل عرض عليهم يسوع الذي قاده إليه الرؤساء اليهود: "خذوه، ها اني اطلق لكم سجينكم".

وتضمنت رواية متى بالتالي نقصاً اخيراً: **"وكان يعلم انهم من حسدهم أسلموه"** (متى ٢٧: ١٨). وتشير عبارة "انهم" إلى كل اليهود، وليس فقط إلى عظماء الكهنة. ففي رواية مرقس، انما عظماء الكهنة هم الذين يحسدون، بينما كان الجمع من جانب يسوع؛ وقد غاب هذا التفصيل من رواية متى.

---

[1] يورد متى ٢٧: ٣-١٠ موت يهوذا. ويستحق هذا الحدث، في حد ذاته، المناقشة، إلا إنه ليس بذي شأن كبير، وسبق لي ان تناولته في مكان آخر؛ راجع "علم التفسير واللاهوت"، باريس ١٩٦١ (بالفرنسية).

من جهة أخرى، تضمنت رواية متى ثلاث اضافات. الاولى قد لا تكون اصيلة: في بعض المخطوطات سُمي برأبّا "يسوع برأبّا"، وكأن اسمه الأول يسوع، ولقبه برأبّا. وهكذا يكون بيلاطس قد قال: "أتريدون ان اطلق يسوع برأبّا ام يسوع المسيح ؟". ومثل هذه الموازاة تصبح مؤثرة إذا كان الرجلان، كلاهما، يحملان اسم يسوع. وليس ذلك مستحيلاً طالما ان اسم يسوع كان مألوفاً. إلا ان المخطوطات التي عكست هذه الاضافة ليست ذات وزن، ومن المحتمل ان يكون التقليد قد شاء ان يدعم المشهد بهذه الموازاة. وبالتالي ليس هذا التفصيل بذي شأن.

هناك لمحة اخرى اضافها متى، هي حلم زوجة بيلاطس: **"وبينما هو جالس على كرسي القضاء، ارسلت إليه امرأته تقول: دعك وهذا البار، لأني عانيت اليوم في الحلم آلاما شديدة بسببه"** (متى ٢٧: ١٩). ومتى هو الوحيد بين الإنجيليين يروي هذا الحدث، ويبقى متحفِّظاً. وتُسمّي الأناجيل المنحولة هذه المرأة: بروكولا. إلا ان متى لم يُسمِّها. والتفاصيل التاريخية التي ينفرد انجيل متى باضافتها، ليست اكيدة البتة، فقد يتعلق ذلك بتقليد متأخر. وحركة امرأة حاكم تطلب إلى زوجها ألا يحكم على سجين، هي من قبيل الفولكلور، إذ نجدها في روايات اخرى، ولدى الربابنة في بابل[٢]. ومن المحتمل ان دخول هذه الحكاية في رواية متى قد تم بتأثير غريب. علما بان هذا التفصيل ذاته، لا اهمية له تذكر.

اما الاضافة الاخيرة لدى متى، فهي الاكثر خطورة: **"فلما رأى بيلاطس انه لم يستفد شيئاً، بل ازداد الاضطراب، اخذ ماء وغسل يديه بمرأى من الجمع وقال: انا بريء من هذا الدم، انتم وشأنكم فيه! فاجاب الشعب باجمعه: دمه علينا وعلى اولادنا!"** (متى ٢٧: ٢٤-٢٥). ان حركة غسل الايدي معروفة في الكتاب المقدس، وهي تعني ان الشخص يتنصّل عن مسؤوليته في الجريمة. كما ان لهذه الحركة، والكلام الذي يرافقها، خلفيات بيبلية. فشريعة سفر تثنية الاشتراع تطلب من سكان مدينة جرت فيها حادثة قتل، أن يغسلوا ايديهم فوق العجْلة المذبوحة قائلين: "ايدينا لم تسفك هذا الدم" (تث ٢١: ٦). كما هي الحال مع المزمور الذي يتلى في القداس لدى الغسل: "بالطهارة اغسل يديّ" (مز ٢٦: ٦)، إذ ان هذه الحركة هي تعبير طبيعي عن البراءة.

---

[٢] تلموذ بابل، في مرجع بالالمانية عن علاقة التلموذ والمدراش بالعهد الجديد، بقلم شراك بيلليربيك.

وان صيغة "انزال الدم على رأس شخص" هي الاخرى عبارة بيبلية. فحين قتل يوآب، بطريق الخيانة، أبنير قائد جيش شاول، قال داود: "انا ومملكتي بريئان امام الرب للأبد من ابنير بن نير: فليقع على رأس يوآب وعلى كل بيت ابيه!" (٢صم ٣: ٢٨-٢٩ انظر أيضاً ٢صم ١: ١٦). وان ما يدعو إلى الدهشة هو ان بيلاطس، الحاكم الروماني، يقوم بحركة بيبلية! ان بوسع هذه الحركة ذات الرمز العفوي، ان تكون ولاشك مألوفة على صعيد شامل. اما كلام الشعب الذي انفرد متى بنقله، فهو يتصف بقوة غريبة، لأنه عكس تحمّل الشعب اليهودي المسؤولية الكاملة في موت يسوع. وبهذه العبارة شاء متى ان يكشف، بطريقة بيبلية قوية، عن المعنى العميق الذي ينطوي عليـــه المـــشهد. لـــيس بالضرورة ان يكون اليهود قد تلفظوا حرفياً بهذا الكلام. فكما هي الحال في كثير مـــن التفاصيل في الإنجيل -ولاسيما إذا كانت معزولة او متأخرة- لا يسوغ لنا أن نبحـــث فيها عن الدقة التي يتسم بها محضر محاكمة؛ ذلك ان حقيقة التفاصيل تكمن في التعلـــيم الاساسي الذي يمكن استخلاصه من الاحداث. وهنا تكمن الحقيقة: وهي ان الجمهور اليهودي، بالرغم من معارضة الحاكم الروماني، أراد موت يسوع. وإذا سلّمنا بمسؤولية اليهود، ففي نطاق الحوار بين اليهود والمسيحيين، لا ينبغي ان نشدد فقط على اقـــوال كهذه قد تحفر هوّة بين الجماعتين. هناك ولا شك مآخذ ذات اساس، ولكنـــها ثقيلـــة ومؤلمة على الصعيد النفسي، بحيث تسدّ الطريق بوجه اي تقارب. والكنيسة اليوم تطلب منا ألا نركّز على ما يفصل، بل ان نجعل الارادة الصالحة والتفاهم المتبادل يسودان. ذلك ان قولاً كهذا، مع انه صحيح في حد ذاته، يجب ان يبقى في المستوى العميق من لاهوت متى. ويجب ان نتذكر كلمات اخرى قالها يسوع من شأنها ان تعيد التوازن: "انهـــم لا يدرون ما يفعلون!" (لو ٢٣: ٣٤). لقد تصرف اليهود ولا ريب ضد يسوع، ولكن من يستطيع ان يحكم على مسؤولية الإنسان؟ هوذا بطرس الذي، بعد أن ذكّر يهود أورشليم بأنهم قتلوا يسوع، اضاف: "واني اعلم، ايها الاخوة، انكم عملتم ذلك بجهالة، وهكـــذا رؤساؤكم أيضاً" (رسل ٣: ١٧؛ راجع ١٣: ٢٧). وهكذا نجدنا بازاء موقف ســـليم: موقف لا يشاء أن يبرِّر البتة، ولكنه يمنع من تغذية مشاعر الحقد الـــتي تحـــول دون اي تفاهم متبادل

رواية لوقا

اما مخطط لوقا، فيختلف كثيراً: انه يتخلى عن التمييز الذي ركّز عليه مرقس في مشهد اول بين بيلاطس والرؤساء اليهود، وفي مشهد ثانٍ بين بيلاطس والجمع. ونرى لوقا، من جهة اخرى، يكمّل مرقس، ولاسيما في البداية، بشأن هدف الاتهام. فمرقس ومتى لا يقدّمان اي مأخذ واقعي؛ بل يقولان ان عظماء الكهنة اتهموا يسوع، ولكن ما هي التهمة؟ وكيف عرف بيلاطس ان يسوع يدّعي انه ملك اليهود؟ لذا شعر لوقا بالحاجة إلى ان يوضح الأمر.

"واخذوا يتهمونه قالوا: وجدنا هذا الرجل يفتن امّتنا، وينهى عن دفع الجزية إلى قيصر، ويقول انه المسيح الملك" (لو ٢٣: ٢). تلك هي دوافع ثلاثة للاتهام، من شأنها ان تهزّ حاكماً رومانياً. فبيلاطس لا يهمه إن كان يسوع هو المسيح أم لا، وانما يهمه ان يعرف إذا كان هذه الرجل يقود ثورة، فيترتب عليه حينذاك ان يتدخل؛ وهكذا هي الحال إذا كان هذا الرجل يمنع من دفع الجزية، او يدّعي انه ملك. فلوقا يستخدم حياة يسوع بمهارة، إذ يوجز المآخذ التي سجّلها عليه اليهود وقدّموها إلى بيلاطس، وهمهُّم أن تأخذ القضية اهمية في عينيه: يسوع هو ثائر، يسوع يرفض دفع الجزية، يسوع يدّعي الملوكية. إلا ان هذه الاتهامات ليست كلها صحيحة! طالما ان يسوع لم يمنع من دفع الجزية لقيصر، وقد قال بالعكس: "أدّوا إذن لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله" (متى ٢٢: ٢١). ولكن، اما كان ينبغي ان تُغيَّر اقواله كي تُقلق الحاكم ؟ وهكذا يبيّن لوقا جيداً كيف ان اليهود يتحولون من تهمة "المسيح" إلى تهمة "الملك": ذلك ان المسيح هواللقب المشيحاني الذي يهمهم، اي اللقب الديني الذي أُخذَ عليه امام السنهدريم، وقد رفضوا ان يعترفوا به ليسوع؛ ولكنهم غيّروه إلى لقب الملك كي يقبل الحاكم الاتهام الموجّه إليه. فالمسيح هو المشيح، الملك المشيح؛ واستخدم اليهود هذه الموازاة بين اللقبين كي يُعطوا للقضية طابعاً سياسياً. ذلك هو معنى المؤامرة؛ اي ان اليهود بدّلوا الاسباب الدينية التي همّهم بأسباب سياسية من شأنها أن تلفت انتباه الحاكم. لذلك ستنتهي المحاكمة بقرار سياسي: الموت على صليب، وسيكون سبب الاتهام مكتوباً: "ملك اليهود". وكان لا بد لليهود، كي يهزّوا السلطة الرومانية، أن يتدبّروا الامور بهذا الشكل.

فعلى سؤال بيلاطس: "**أأنت ملك اليهود؟**" اجاب يسوع: "**هو ما تقول**"، كما لدى مرقس ومتى (لو ٢٣: ٣). "**فقال بيلاطس لعظماء الكهنة والجموع: لا اجد في هذا الرجل سببا لاتّهامه**" (لو ٢٣: ٤). وتجب ملاحظة هذه الجملة التي تكررت ثلاث مرات (لو ٢٣: ٤؛ ٢٣: ١٤؛ ٢٣: ٢١). ولدى يوحنا أيضاً، سيؤكد بيلاطس ثلاث مرات: "لا اجد فيه سببا لاتّهامه" (وتلك هي واحدة من نقاط التلاقي الكثيرة بين لوقا ويوحنا). وهذا التصريح هو من الاهمية بمكان: الحاكم الروماني، بعد ان استجوب يسوع، لم يجد فيه أي ذنب ! ويشدد لوقا على هذا الأمر، من اجل قرائه في العالم اليوناني الروماني، ومن اجل السلطة الرومانية ذاتها. ذلك ان إنجيله، مع سفر اعمال الرسل، قد كُتبا بهدف الدفاع، كي يبين للرومان أن ليس في المسيحية ما يُخشى، لا من بولس، ولا من يسوع. ففي سفر الاعمال، يذكّر لوقا بكل المشاهد التي مُثل فيها بولس امام السلطات الرومانية، من دون أن يؤخذ عليه أي ذنب. وهكذا في الإنجيل، اهتم لوقا ان يبين للسلطات العامة في الامبراطورية الرومانية بان المسيحيين لم يتآمروا ضد الامبراطورية قط. لذا كتب بعناية قائلاً: اضطر حاكمُكم في أورشليم إلى محاكمة يسوع الذي قيل عنه انه ادّعى الملوكية، ولكنه حين استجوبه، اعترف ثلاث مرات: "لا اجد فيه اي ذنب". ولكي يتسنى لبيلاطس ان يعترف بانه لم يجد في يسوع ذنبا، تحاور معه واجرى تحقيقاً بسيطاً. وان نصوصنا الإنجيلية هي بهذا القدر من الايجاز بحيث أجاب يسوع بكلمة فقط: "هو ما تقول". وينبغي ان يُعوَّض عن صمت الروايات الازائية.

يسوع امام هيرودس

هنا يندرج مشهد خاص بلوقا. لقد ألحّ اليهود قائلين ان يسوع "**يثير الشعب بتعليمه في اليهودية كلها، من الجليل إلى ها هنا**" (لو ٢٣: ٥). ورأى بيلاطس مخرجاً آخر لهذه الدعوى العسيرة؛ انه يُرسل يسوع إلى هيرودس، في محاولة منه للتخلص من هذه القضية. وكان هيرودس انتيباس، احد ابناء هيرودس الكبير، اميرا على الجليل؛ وكان يصعد إلى أورشليم بمناسبة الاعياد. ولم يكن يسكن في قصر ابيه -وقد اصبح قصر الحاكم، اي دار الولاية. وحين يأتي إلى أورشليم حاجّاً، كان يسكن، بصفة شخصية، قصر الحشمونيين العائلي، في المحلة اليهودية القديمة -وقد اصبح خراباً اليوم-

من المدينة العربية الحالية، في الجهة السفلى من كنيسة القيامة، وكان يشرف على وادي تيروبيون. لما كان بيلاطس على علم بوجود هيرودس في أورشليم بمناسبة عيد الفصح، ارسل إليه يسوع.

فلما رأى هيرودس يسوع، سُرَّ سروراً عظيماً لأنه كان يتمنى من زمن بعيد ان يراه ...ويرجو ان يشهد آية يأتي بها" (لو ٢٣: ٨). واخذ هيرودس يسأله، إلا ان يسوع لم يجب بكلمة، في الوقت الذي كان عظماء الكهنة يواصلون اتهامهم. وراح هيرودس، الغاضب والمغتاظ، يهزأ به؛ ولكي يستخف به، ألبسه رداءً رائعاً، قد يكون برّاقاً في اهدابه؛ ثم أعاده إلى بيلاطس. **"وتصادق هيرودس وبيلاطس يومئذ، وكانا قبلاً متعاديَين"** (لو ٢٣: ١٢).

لَكَم وُجِّهَ نقد إلى هذه المشهد! فاعتبر بعض العلماء انه غير تاريخي: كأن لوقا استنبطه انطلاقاً من المزمور٢. وهو المزمور ذاته الذي استشهد به بطرس ويوحنا حين نَجَوا من السنهدريم وصلّيا مع الاخوة (رسل ٤: ٢٧): "لماذا ضجّت الامم، وبالباطل تمتمت الشعوب؟ ملوك الارض قاموا، والعظماء على الرب ومسيحه تآمروا؟" (مز ٢: ١). وفسّر بطرس ويوحنا المزمور على النحو التالي: "تحالف حقا في هذه المدينة هيرودس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عبدك القدوس يسوع". فلقد رأيا، في هذا المزمور٢، الإعلان النبوي عن تحالف بيلاطس وهيرودس ضد يسوع. فالمسيحيون طبقوا، إذن، هذا النص على مشهد هيرودس وبيلاطس؛ ولكن هل يمكننا ان نقول بانهم اخترعوا حقيقة مثول يسوع بين يدي هيرودس كي يخرجوا بهذا التفسير للمزمور؟ ذلك، في نظري، تحوير للاحداث. فنص المزمور غامض جداً، ولا يكفي لوحده أن يكون دافعاً لاختراع المشهد. ان مثول يسوع امام هيرودس قد جرى، وانطلاقاً من الحدث ذاته جرت عملية تطبيق المزمور. فالتطبيق جاء بعد الحدث، وليس العكس.

ويبدو، من جهة اخرى، ان لوقا كان مطّلعاً بالكفاية على التقاليد المتعلقة بهيرودس، وقد يكون ذلك عن طريق منايين، صديق طفولة التترارخس (رسل ١٣: ١). ألا يكون لوقا قد أعدّ هذا اللقاء بين يسوع وهيرودس، حين اضاف، اعلاه، على رواية مرقس:"وهيرودس كان يحاول ان يراه" (لو ٩: ٩)؟ ألم يكن قد اشار إلى شبه موعد

ضربه يسوع للتترارخس: "في تلك الساعة دنا بعض الفريسيين، فقالوا له: اخرج فاذهب من هنا، لأن هيرودس يريد ان يقتلك. فقال لهم: اذهبوا فقولوا لهذا الثعلب: ها اني اطرد الشياطين واجري الشفاء اليوم وغدا، وفي اليوم الثالث ينتهي امري. ولكن يجب عليّ ان اسير اليوم وغدا واليوم الذي بعدهما، لأنه لا ينبغي لنبي ان يهلك في خارج أورشليم" (لو ١٣: ٣١ -٣٣).

ان ارسال يسوع عند هيرودس يبدو محتملاً؛ فهناك حالات شبيهة في القضاء: قاضٍ يحيل قضية محكوم عليه إلى حَكَم، ويطلب رأيه[٣] في الاقل. وهيرودس، لم تكن له صلاحية في اليهودية، ولكن كان بالامكان استشارته. وطاب لبيلاطس ان يجعل اميراً يهودياً يأخذ على عاتقه مهمة الحكم على يسوع! ونعلم، من جهة اخرى، ان العلاقات كانت متوترة بين بيلاطس وهيرودس. فقد كان يطيب لهيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير، ان يتّهم الحاكم الروماني لدى روما، سيما وان له فيها اصدقاء؛ لذا كان بيلاطس يحذره، ويسعى إلى مصالحته. فأن يُخضع له بيلاطس حالة احد مواطنيه، فتلك حركة كياسة كان بوسعها أن تدغدغ هيرودس وتسهم في تحسين علاقاتهما. كل ذلك يبدو محتملاً. فحتى لو لم يتسلم لوقا رواية متكاملة عن هذا المشهد، وحتى لو انه أكملها بتفاصيل من المشاهد المحيطة، فاني اعتقد اننا بازاء حدث اصيل، هو بمثابة مفاجأة مفيدة في مجرى الدعوى. وسنرى ادناه ان مشهد السخرية في دار هيرودس، في وسط الدعوى، يتصل كثيراً بالاهانات التي لقيها يسوع لدى بيلاطس والتي ينقلها يوحنا أيضاً في وسط الدعوى.

وما ان عاد يسوع من لدن هيرودس، قال بيلاطس للجمع: **"لم اجد على هذا الرجل شيئا مما تتهمونه به، ولا هيرودس... فسأعاقبه ثم أُطلقه"** (لو ٢٣: ١٤-١٦). هكذا حاول بيلاطس، مرة اخيرة، ان ينقذ يسوع، من خلال الاقتراح باطلاقه بعد معاقبته. ولما لم يحصل على مطالبة الجمع باطلاقه، بمناسبة عفو الفصح، و لم يتخذ هيرودس موقفا إلى جانبه، سعى بيلاطس إلى ايجاد حلّ ثالث يكمن في عقاب معتدل: "لمرضاتكم سوف اجلده ومن ثم اطلقه، ألا يكفي ذلك ؟" إلا ان مسعى بيلاطس باء

---

(٣) راجع ي. بيكرمان: ملاحظات بشأن رواية دعوى يسوع في الأناجيل القانونية، في مجلة "تاريخ الاديان"، ١٩٣٥ (بالفرنسية).

بالفشل، إذ ألحّ الجمع: "**أعدم هذا وأطلق لنا برأبّا**" (لو ٢٣: ١٨)[٤]. وكما هي الحال في انجيلي مرقس ومتى، نرى الجمع يطالب بموت يسوع ويطلب الحرية لبرابّا؛ وحاول بيلاطس ان يصمد. إلا ان الجمع صرخ: "**اصلبه ، اصلبه!**" (لو ٢٣: ٢١). وللمرة الثالثة اعلن بيلاطس: "**فايَّ شرٍ فعل هذا الرجل؟ لم اجد سببا يستوجب به الموت. فسأعاقبه ثم أُطلقه**" (لو ٢٣: ٢٢). ولما استمر الجمع في الالحاح، أصدر بيلاطس حكمه: "**فقضى بيلاطس باجابة طلبهم ... وأسلم يسوع إلى مشيئتهم**" (لو ٢٣: ٢٤-٢٥). وهذه الكلمات، اختارها لوقا اختياراً: اليهود هم الذين "طلبوا" قتل يسوع، وبيلاطس أسلمه إلى "مشيئة" اليهود، كما تعني اللفظة اليونانية. وإذا كتب لوقا بهذا الشكل، فلأنه شاء التأكيد على ان الحاكم لم يشأ الاستجابة؛ وهكذا يتضح ان ليس هو الذي اراد موت يسوع، بل اليهود هم الذين طالبوا به وأرادوه وحصلوا عليه.

رواية يوحنا

يهمل يوحنا عدداً من السمات والتفاصيل الواردة لدى الازائيين، ولكنه يضيف حدثين. لنلاحظ اولاً حركة المشهد: خارجاً عن دار الولاية، وفي داخل دار الولاية: فاليهود "**لم يدخلوا دار الحاكم مخافة ان يتنجسوا فلا يتمكنوا من اكل الفصح**" (يو ١٨: ٢٨)، في ذلك المساء عينه! هذه المعلومة ثمينة جداً. ذلك ان عيد الفصح احُتفل به تلك السنة يوم الجمعة مساء. وهذا يعني ان يسوع، يوم الخميس، استبق ليتورجياً الفصح اليهودي. فقد احتفل بعشاء، هو عشاء فصحي على الصعيد اللاهوتي، وفي خلاله اقام الفصح المسيحي اي الافخارستيا. إلا ان الفصح، بالمعنى الحقيقي، فقد احتفل به يسوع على الصليب، حين كان هو ذاته الحمل. وليس ذلك اقل روعة!

بقي الجمع، إذن، في الخارج، بينما كان يسوع في الداخل امام محكمة دار الولاية وسيتنقّل بيلاطس من الداخل إلى الخارج، وبالعكس؛ وهذه الحركة "المسرحية"

---

(٤) الآية ١٧ في طبعاتنا، وقد أهملت في مخطوطات هامة، هي ولا شك غير اصيلة، لذا لم نثبتها هنا.واليكم فحواها: "وكان لا بدّ له، بداعي العيد، ان يُطلق لهم سجينا". انها ترجّع صدى تقليد مرقس ومتى، وقد رأى ناسخ، بدافع من غيرته المفرطة، أن ينسبها إلى لوقا.

هي التي ترسم كل الحوار. والحوار ذاته مفصَّل جداً لدى يوحنا، إذ يحتوي على أقوال تفوق كثيراً ما هي عليه لدى الازائيين. فيوحنا، من خلال هذا الحوار المتسم بالطابع اللاهوتي المألوف، يعرض علينا المفاتيح الرئيسة للمأساة.

يشرح يوحنا اولاً لماذا يسوع صُلب ولم يُرجم. والسبب واضح جداً: فلو قتل اليهود يسوع، لكانوا رجموه؛ وهذا يعني ان الصلب هو فعل الرومان. ويؤكد يوحنا: لم يكن يحق لليهود ان يحكموا عليه بالموت، وبالتالي حصلوا من الحاكم ان ينفذ فيه الحكم عوضهم، لذلك مات المسيح مصلوباً. وتسعى مقدمة الرواية (يو ١٨: ٢٩-٣٢) إلى اقامة الدليل على ذلك. هوذا بيلاطس يقول لليهود: "**بماذا تتهمون هذا الرجل ؟ فاجابوه: لو لم يكن فاعل شر لما اسلمناه إليك. فقال لهم بيلاطس: خذوه انتم فحاكموه بحسب شريعتكم**". ذلك ان بيلاطس يتكلم بسخرية، ولَكَم تروق السخرية ليوحنا ! اجاب اليهود غاضبين: "**لا يجوز لنا ان نقتل احداً**". وهذه هي خلاصة يوحنا ذات الايحاء العميق: "**بذلك تمّ الكلام الذي قاله يسوع مشيرا إلى الميتة التي سيموتها**" (يو ١٨: ٢٩-٣٢). وهذا واضح جداً: يسوع مات مصلوباً، لأن اليهود لم يكن بوسعهم ان يحكموا عليه بالموت، ولكنهم استطاعوا ذلك، بعون السلطة الرومانية. ويعتبر هذا المعطى التاريخي جوهرياً في توزيع المسؤوليات.

ويطرح يوحنا من ثم حواراً جديداً مبنياً بناء محكما (يو ١٨: ٣٣ - ٣٨). ولا يتعلق الامر باختزال، وانما بطرح لاهوتي وضع فيه يوحنا، على لسان بيلاطس، اقوالاً قد لا يكون تلفظ بها حرفياً؛ او انه بالاحرى جعل يسوع يقول اشياء لم يكن بوسع بيلاطس ان يفهمها. فيوحنا يجعل المناقشة على مستوى يكون بوسع القارىء المسيحي ان يفهمها؛ انه يبرِّز، كما هي طريقته غالبا، المعنى العميق الذي تتضمنه الاحداث؛ وهنا بالذات يبرز المعنى الحقيقي من التهمة التي مفادها "يسوع-ملك". لقد سبق الازائيون فرَوَوا ان يسوع الذي أُتهم بانه ملك، قد اجاب بنعم؛ ولكنهم لم يقولوا غير ذلك قط، بحيث اصبحنا في حرج. فهل هذا المأخذ جاد؟ ألم يكن الرومان على حق في العقاب؟ هوذا يوحنا يشرح لنا عن اية ملوكية يجري الحديث.

حين طلب بيلاطس، كما لدى الازائيين: "**أأنت ملك اليهود؟**"، اجاب يسوع: "**أمن عندك تقول هذا ام قاله لك فيّ آخرون**" (يو ١٨: ٣٤). وهذا يعني: هل

رأى الرومان انفسهم، في يسوع، مشاغباً خطيراً ؟ ام ان اليهود هم الذين دسّوا هذه الشُبهة ؟"**اجاب بيلاطس: أتراني يهودياً؟ ان أمتّك وعظماء الكهنة أسلموك إليّ"**؟ (يو ١٨: ٣٥). لقد اعترف بيلاطس شخصيا ان لا مأخذ له ضد يسوع، وانما اليهود هم الذين اتّهموه. وسأله بيلاطس: "**ماذا فعلت؟**". ويشرح يسوع بوضوح، او بالاحرى، هو يوحنا الذي يجعل يسوع يفسّر، من اجل القارئ المسيحي، ما هي مملكته: انا ملك، ولكن "**ليست مملكتي من هذا العالم**". فانا ملك، ولكن ليس بالمعنى الذي تظنه يا بيلاطس. "**لو كانت مملكتي من هذا العالم، لدافع عني حَرَسي لكي لا أُسلَمَ إلى اليهود. ولكن مملكتي ليست من هاهنا**" (يو ١٨: ٣٦). من الواضح ان بيلاطس لم يفهم شيئاً من ذلك. وها هو يواصل: "**فانت ملك، إذن ؟ اجاب يسوع: هو ما تقول، فاني ملك. وانا ما وُلدت وأتيت العالم إلا لأشهد للحق. فكل من كان من الحق يصغي إلى صوتي**" (يو ١٨: ٣٧). هكذا يتضح ان المسيح، بحسب يوحنا، يتوجه إلى قراء مسيحيين، إذ ان مثل هذه الاقوال تفوق قدرة بيلاطس على استيعابها. وحين قال بيلاطس: "**ماهو الحق؟**"، فهذا السؤال يعني بوضوح، في نظر يوحنا، ان الحاكم الروماني تجاوزته اقوال يسوع، ولم يعد يفهم شيئاً. فلقد اعتقد، اولاً، انه بازاء دعوى اعتيادية، وظن انه بازاء مشاغب، وهوذا المتهم يتحدث إليه عن مملكة ليست من هذا العالم، وعن الحق! وحينذاك "**خرج بيلاطس ثانية إلى اليهود فقال لهم: اني لا اجد فيه سبباً لاقامه**" (يو ١٨: ٣٨). ويوحنا، عبر هذا الحوار، شرح اللقب الشهير الذي سيوضع على الصليب: "ملك اليهود"، وهو اللقب الذي كان اليهود يستخدمونه ليقولوا للمسيحيين ان يسوع حُكم عليه بالموت لأسباب سياسية. ولكن المقصود، كما قالها يسوع لبيلاطس، ملوكية ليست من هذا العالم، ولا تشكّل بالتالي تهديداً للإمبراطورية الرومانية.

ويبلغ يوحنا بعدئذ إلى السبب الثاني الذي كان حاسماً بالنسبة إلى اليهود، وهو السبب الديني. فالجمع صرخ: "**اصلبه! اصلبه! قال لهم بيلاطس: خذوه انتم فاصلبوه، فاني لا اجد فيه سببا لاقامه**" (يو ١٩: ٦). **اجابه اليهود: لنا شريعة، وبحسب هذه الشريعة يجب عليه ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله**" (يو ١٩: ٧). وهكذا ينجلي السبب الحقيقي. فبقدر ما كان مأخذ "ملك اليهود" اختراعاً خدّاعا، لا بل حجة، بقدر ذلك يصبح السبب الحقيقي هو ادّعاء يسوع انه ابن الله؛ وهنا يتجلى اعتراف اليهود بهذا

المأخذ. بهذه الطريقة، سعى يوحنا، بهدف تعليمنا، إلى تحليل الخطوط الرئيسة لهذه الدعوى: السبب السياسي الكاذب والسبب الديني الحقيقي. فالمأخذ بانه "ملك اليهود" لا قوة له، ولا يمكن ان يقلق الحاكم الروماني. اما المأخذ الحقيقي الذي يغذّيه اليهود في قلبهم فهو انه: "جعل نفسه ابن الله". إلا ان بيلاطس لا يفهم شيئاً من هذه القضية، بل "**اشتدّ خوفه... وقال ليسوع: من أين انت؟ فلم يجبه يسوع بشيء... أفلستَ تعلم ان لي سلطاناً على ان أخلي سبيلك وسلطاناً على ان اصلبك؟**" (يو ١٩: ٩-١٠). وحينئذ اجاب يسوع بمهابة: "**لو لم تُعطَ السلطان من عَلُ، لما كان لك عليّ من سلطان**" (يو ١٩: ١١). وهكذا حمل يسوع بيلاطس على ان يفهم انه اداة لا غير في هذه القضية. وما ان ازدادت قناعة الحاكم من ان يسوع لم يفعل سوءاً، سعى من جديد إلى إخلاء سبيله.

ويشرح لنا يوحنا في الآيات التالية (يو ١٩: ١٢- ١٦) كيف ان بيلاطس لم يُذعن إلا بدافع من التخويف. لقد فهم بان ملوكية يسوع هي من مستوى لا يهدد روما؛ اما بشأن لقب ابن الله، فهو لم يخشَهُ، كما لم يفهمه أيضاً. فلماذا، إذن، أسلم بيلاطس يسوع ؟ هوذا يوحنا يجيبنا : تحت تأثير الخوف، وبسبب التهديد. لقد قال الازائيون بكل بساطة : شاء بيلاطس أن يرضي الجمع؛ اما يوحنا، فكشف عن تهديد اليهود: "**إن أخليت سبيله، فلست صديقاً لقيصر، لأن كل من يجعل نفسه ملكاً يخرج على قيصر**" (يو ١٩: ٢٠)، بمعنى: إذا كنت تريد أن تحمي يسوع، فأنت تقاوم قيصر. حينذاك شعر بيلاطس ان القضية اصبحت جادة، وانه اصبح مُهدّداً بوشاية ضده لدى روما. فلقد كان بوسع اليهود ان يتهموه لدى طيباريوس، ويضحي مركزه بالتالي مهدَّداً. ومنذئذ كان على بيلاطس أن يقرر. فمن "الليتوستروتوس" -ومعناه مكان مرصوف بالحجارة، او شرفة مرصوفة بحجارة ملونة- وامام دار الولاية[٥]، جلس الحاكم

[٥] سبق لي ان شرحت عن موقع دار الولاية المذكورة في الأناجيل، واعتقد انه ليس قلعة انطونيا في شمال غرب الهيكل، بل هو قصر هيرودس القديم في غرب المدينة (راجع "علم التفسير واللاهوت"). واليوم اركز بالاكثر على المعنى المحتمل لكلمة ليتوستروتوس: شرفة مرصوفة بحجارة ملونة امام مدخل القصر. وفضلاً عن البراهين الادبية التي طرحتها لصالح قصر هيرودس، ينبغي اضافة الادلة الآثارية التي تعارض نظرية قلعة انطونيا: بركة ستراوثيون الموجودة في دير سيدة صهيون كانت مكشوفة ابان حصار عام ٧٠ (راجع يوسيفوس: الحرب اليهودية ٥: ٤٦٧) والرصف الذي يغطيها (ويراد اعتباره انه الليتوستروتوس) هو من عهد ادريانس. ففي زمن يسوع، كانت قلعة انطونيا محصورة في موقع المدرسة الاسلامية الحالية، ما بين الشارع وفسحة الهيكل.

على كرسي القضاء، ليقوم بمسعى أخير: "**ها هوذا ملككم**" (يو ١٩: ١٤). إلا ان اليهود رفضوه: "**أعدمْه! لا ملك علينا إلا قيصر**" (يو ١٩: ١٥).

"**وحينئذ أسلمه إليهم ليصلب**" (يو ١٩ : ١٦). "**والساعة تقارب الظهر**" (يو ١٩: ١٤). وقد ادلى يوحنا بهذه الملاحظة لانها الساعة التي يبدأ فيها الاعداد للفصح، بدءاً بإزالة كل خبز خمير. وهي أيضاً الساعة التي تبدأ فيها الاستعدادات للفصح النهائي، عبر صلب الحمل: يسوع.

الاهانات والجلد

يجب ان نعود إلى مشهد "هوذا الرجل" في وسط الدعوى، وقد تركناه جانبا (يو ١٩: ١-٥). لقد اعطى بيلاطس الضوء لجلد يسوع. وضفر الجند اكليلاً مع اشواك، ووضعوه على راسه. وراحوا يحيّونه بصفته "ملك اليهود"، وهم يلطمونه. ومن ثم قاد بيلاطس يسوع امام الجمع، مكلّلاً باكليل الشوك : "**هوذا الرجل**".

يشبه هذا المشهد كثيراً المشهد الذي رواه كل من مرقس ومتى في ختام الدعوى. فبحسب روايتهما، ومن بعد صدور الحكم، قاد الجند يسوع إلى داخل دار الولاية، وكلّلوه بالاشواك، وألبسوه ارجواناً، وسخروا به محيّين اياه بصفة "ملك اليهود". ونرى ان الامر يتعلق بالحدث ذاته. ولكن اين هو موقع هذا المشهد؟ هل في نهاية الدعوى، كما يقول مرقس ومتى، ام في وسطها، كما يقول يوحنا؟

قد يكمن الحل في التمييز بين الجلد وبين الاهانات. فالجلد كان بمثابة التمهيد الاعتيادي والطبيعي للصلب. وبوسع الموت صلباً ان يطول كثيراً، لذا كان المحكوم عليه يُجلد بقسوة حتى الدم، كي يتم إضعافه بحيث يصبح الموت اسرع. ولما كان الجلد تمهيداً مباشرا للصلب، اعتقد ان مرقس ومتى أحسنا وضعه بعد الحكم، ومباشرة قبل التوجه إلى الجلجلة. وعلى العكس، يجد مشهد الاهانات موقعه في وسط الدعوى؛ فبيلاطس عرض يسوع على الجمع كي يحمله على الشفقة: "هوذا الرجل"، وكأنه يقول: "ألا يكفي كل هذا؟ دعوه يمضي الآن". ويستند مشهد الاهانات هذا على المشهد الذي رواه لوقا في دار هيرودس. ففي وسط الدعوى، وبحسب لوقا ويوحنا، تلقى يسوع الاهانات من لدن هيرودس وبيلاطس؛ انه، برأيي، حدث واحد. فيسوع، بَعد ان أُهين وأُلبس ثوباً بائساً،

لدى هيرودس، عاد امام بيلاطس بزيّ غريب. وكان جند الحاكم ولا شك قد زادوا على ما فعله حرس هيرودس، وحين نظر بيلاطس إلى المتّهم في هذا الوضع المزري، اتخذها فرصة لإرضاء الجمع.

اقترح، إذن، وضع مشهد الاهانات التي تعرض يسوع-الملك، في وسط الدعوى، كما يقول لوقا ويوحنا، ووضع مشهد الجلد في نهايتها، كما يروي مرقس ومتى. ويحتمل ان يكون هذان المشهدان القصيران والمتشابهان قد تناديا؛ ففي كلا التقليدين -يوحنا ولوقا من جهة، ومرقس ومتى من جهة اخرى- نجد ان مشهد الاهانات ومشهد الجلد قد اقترنا، تارة في وسط الدعوى، وتارة اخرى في نهايتها، بينما كانا منفصلين تاريخياً. ومثل هذا التحويل في موقع المشاهد ليس نادراً في التقليد الإنجيلي، ولا ينبغي أن يحملنا على الاستغراب. انها الضريبة الضرورية التي ترافق كل تقليد شفهي، إلا انها لا تعرّض للخطر قط الحقيقة التاريخية الاساسية.

لقد سعت الأناجيل الاربعة بالتدريج إلى ابراز الخطوط الرئيسة للمأساة. ويتضح من دراستنا ان اليهود -كما يؤكد الطرح المسيحي- هم المسؤولون عن موت يسوع، وانهم استخدموا السلطة الرومانية لتنفيذ مخططهم. ولكنهم مسؤولون بقدر ما يكون جمع لا اسم له مسؤولاً، جمع يثيره رؤساء متعامون. فما يبرّر اليهود، هو انهم لم يعرفوا ما فعلوا، كما قالها يسوع ذاته. اما الحاكم الروماني، فقد انحنى بجبانة، وكان عاجزاً عن ان يفهم عظم الوضع الذي لا شبيه له، وقد تجاوزته الاحداث، فلم يرَ في يسوع سوى محكوم عليه كغيره كثيرين[٦].

إلا ان الرب ذاته هو الذي يهمنا في الاساس: فلقد بدا لنا عظيماً في بساطته، ولاسيما في صمته الذي لَكَم شدّد عليه مرقس، وهو صمت الحمل امام الذين يجزّونه؛ كما بدا عظيماً في كلماته الموزونة والرائعة إلى حد كبير، والتي وضعها يوحنا على لسانه، وقد طرح، لاهوتيا، باي معنى يكون يسوع ملكاً وابن الله، وكيف ان محاكمته تجاوزت كل الدعاوى الصغيرة المألوفة. فالرب يقف بمهابة فائقة، بالرغم من الاهانات التي تعرض لها، وبالرغم من اكليل الشوك والجلد والحكم الذي خضع له دون أن يقول كلمة.

---

[٦] راجع ب. بنوا: دعوى يسوع في "علم التفسير واللاهوت" حيث حاولت ان اوازن بين الدوافع والمسؤوليات في الحكم على يسوع.

الفصل السابع

الارتفاع على الصليب

درب الصليب

متى ٢٧: ٣٢	مرقس ١٥: ٢١	لوقا ٢٣: ٢٦-٣٢	يوحنا ١٩: ١٦ب-١٧أ
	٢١ وسخّروا		
٣٢ وبينما هم خارجون		٢٦ وبينما هم ذاهبون به	
صادفوا			
		امسكوا	١٦ب ... فأمسكوا يسوع
رجلا قيرينيًا	احد المارة		
اسمه سمعان	سمعان	سمعان	
	القيريني	وهو رجل قيرينيّ	
	ابا الاسكندر وروفس		
	وكان آتيا من الريف	كان آتيا من الريف	
فسخّروه		فجعلوا عليه الصليب	
ان يحمل صليب يسوع.	لحمل صليبه	ليحمله خلف يسوع.	١٧ فخرج حاملا صليبه
		وتبعه جمع كثير من الشعب،	
		ومن نساء كنّ يضربن الصدور	
		وينحن عليه.	
		٢٨ فالتفت يسوع اليهنّ فقال:	
		"يا بنات اورشليم، لا تبكين	
		عليّ، بل ابكين على انفسكنّ	
		وعلى اولادكنّ.	
		٢٩ فها هي ذي ايام تأتي يقول	
		الناس فيها: طوبى للعواقر	
		والبطون التي لم تلد، والثديّ	
		التي لم ترضع.	
		٣٠ وعندئذ يأخذ الناس يقولون	
		للجبال: اسقطي علينا،	
		وللتلال: غطّينا.	
		٣١ فاذا كان يُفعل ذلك بالشجرة	
		الخضراء، فأيًّا يكون مصير	
		الشجرة اليابسة؟".	
		٣٢ وسيق ايضا آخران مجرمان	
		ليُقتلا معه.	

الصلب

متى ٢٧: ٣٣-٤٣	مرقس ١٥: ٢٢-٣٢أ	لوقا ٢٣: ٣٣-٣٨	يوحنا ١٩: ١٧ب-٢٤
٣٣ ولما وصلوا	٢٢ وساروا به	٣٣ ولما وصلوا	١٧ب فخرج ...
الى المكان الذي يقال له	الى المكان المعروف	الى المكان المعروف	الى المكان الذي يقال له
جلجثة	بالجلجثة		
أي مكان الجمجمة،	أي مكان الجمجمة.	بالجمجمة	مكان الجمجمة
			ويقال له بالعبرية جلجثة.
٣٤ ناولوه	٢٣ وقدّموا اليه		
خمرا ممزوجة بمرارة	خمرا ممزوجة بمرّ		
فذاقها			
وابى ان يشربها.	فلم يتناولها.		

يوحنا	لوقا	مرقس	متى
[١٨] فصلبوه فيه،	صلبوه فيه	[٢٤أ] ثم صلبوه	[٣٥أ] فصلبوه
وصلبوا معه		[٢٧] وصلبوا معه	[٣٨] ثم صُلب معه
آخرَين	والمجرمَين	لصَّين،	لصّان،
كل منهما	احدهما عن اليمين	احدهما عن يمينه	احدهما عن اليمين
في جهة	والآخر عن الشمال	والآخر عن شماله	والآخر عن الشمال.
وبينهما يسوع			
	[٣٤] فقال يسوع: "يا أبت،		
	اغفر لهم، لانهم لا يعلمون		
	ما يفعلون		
	ثم اقتسموا	[٢٤ب] واقتسموا	[٣٥ب] ثم اقتسموا
[٢٤ب] فتمّت الآية: "اقتسموا ثيابي،	ثيابه	ثيابه	ثيابه
وعلى لباسي اقترعوا".	مقترعين عليها.	مقترعين عليها	مقترعين عليها.
فهذا ما فعله الجنود.		ليعرفوا ما يأخذ كل منهم.	
			[٣٦] وجلسوا هناك يحرسونه.
		[٢٥] وكانت الساعة التاسعة	
		حين صلبوه.	
[١٩] وكتب بيلاطس		[٢٦] وكتب	
		في عنوانه	
رقعة			
وجعلها			[٣٧] ووضعوا
على الصليب			فوق رأسه
		علة الحكم عليه	علة الحكم عليه
وكان مكتوبا فيها:	[٣٨] وكان ايضا فوقه كتابة		كُتب فيها:
"يسوع الناصريّ	خُطَّ فيها: "هذا		"هذا يسوع
ملك اليهود"	ملك اليهود".	"ملك اليهود"	ملك اليهود".
[٢٠] وهذه الرقعة قرأها كثير من			
اليهود، لان المكان الذي صُلب			
فيه يسوع كان قريبا من المدينة.			
وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية			
واليونانية.			
[٢١] فقال عظماء كهنة اليهود لبيلاطس			
"لا تكتب: ملك اليهود،			
بل اكتب، قال هذا الرجل:			
اني ملك اليهود".			
[٢٢] اجاب بيلاطس: "ما كُتب			
قد كُتب".			
		[٢٧] وصلبوا معه	[٣٨] ثم صُلب معه
[١٨ب] ...آخرَين	[٣٣ب] والمجرمَين	لصَّين،	لصّان،
كل منهما في جهة	احدهما عن اليمين	احدهما عن يمينه	احدهما عن اليمين
	والآخر عن الشمال	والآخر عن شماله	والآخر عن الشمال.
وبينهما يسوع			
[٢٣] واما الجنود، فبعدما صلبوا يسوع،		[٢٨]	
اخذوا ثيابه وجعلوها اربع			
حصص، لكل جندي حصة. واخذوا			
القميص ايضا وكان غير مخيط،			
منسوجا كله من اعلاه الى اسفله.			
[٢٤] فقال بعضهم لبعض: "لا نشقّه،			
بل نقترع عليه، فنرى لمَن يكون".	[٣٤ب] ثم اقتسموا	[٢٤ب] واقتسموا	[٣٥ب] ثم اقتسموا
فتمّت الآية: "اقتسموا ثيابي،	ثيابه	ثيابه	ثيابه
وعلى لباسي اقترعوا".	مقترعين عليها.	مقترعين عليها	مقترعين عليها.
فهذا ما فعله الجنود.		ليعرفوا ما يأخذ كل منهم.	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		[٣٥] ووقف الشعب هناك ينظر.	
[٣٩] وكان المارة يشتمونه	[٢٩] وكان المارة يشتمونه		
وهم يهزون رؤوسهم	وهم يهزون رؤوسهم		
[٤٠] ويقولون:	ويقولون:		
"يا ايها الذي ينقض الهيكل	"يا ايها الذي ينقض الهيكل		
ويبنيه في ثلاثة ايام،	ويبنيه في ثلاثة ايام،		
خلّص نفسك	[٣٠] خلّص نفسك		
إن كنتَ ابن الله،	إن كنتَ ابن الله،		
فانزل عن الصليب".	فانزل عن الصليب".		
[٤١] وكذلك	[٣١] وكذلك		
كان عظماء الكهنة	كان عظماء الكهنة		
		والرؤساء	
	والكتبة		
يسخرون	يسخرون	يهزأون	
فيقولون	فيقول	فيقولون:	
مع الكتبة			
والشيوخ:			
	بعضهم لبعض:		
[٤٢] "خلّص غيره	"خلّص غيره	"خلّص غيره	
من الناس	من الناس		
ولا يقدر	ولا يقدر		
ان يخلّص نفسه.	ان يخلّص نفسه.	فليخلّص نفسه،	
	[٣٢] فلينزل الآن		
	المسيح	إن كان مسيح الله	
هو ملك اسرائيل،	ملك اسرائيل،	المختار".	
فلينزل الآن			
عن الصليب	عن الصليب		
	لنرى		
فنؤمن به	ونؤمن.		
[٤٣] اتكل على الله، فلينقذه الان،			
إن كان راضيا عنه.			
فقد قال: انا ابن الله".			
٢٧: ٤٨	١٥: ٣٦	[٣٦] وسخر منه الجنود ايضا،	١٩: ٢٩
[٣٧] ووضعوا	[٢٦] وكُتب	فدنوا وقرّبوا اليه خلاً	[١٩] وكتب بيلاطس
فوق رأسه	في عنوانه	وقالوا:	رقعة
علة الحكم عليه	علة الحكم عليه	[٣٧] "إن كنت ملك اليهود	وجعلها
		فخلّص نفسك!"	على الصليب
كُتب فيها:		[٣٨] وكان ايضا فوقه كتابة	وكان مكتوبا فيها:
"هذا يسوع		خُطّ فيها: "هذا	"يسوع الناصريّ
ملك اليهود".	"ملك اليهود".	ملك اليهود".	ملك اليهود"

اللصان

متى ٢٧: ٤٤	مرقس١٥: ٣٢ب	لوقا ٢٣: ٣٩-٤٣	يوحنا
[٤٤] وكان اللصان	[٣٢ب] وكان	[٣٩] واخذ احد المجرمَين	
المصلوبان معه	اللذان صُلبا معه	المعلّقين على الصليب	
هما ايضا يعيّرانه	هما ايضا يعيّرانه.	يشتمه فيقول:	
مثل ذلك			
		"ألستَ المسيح؟	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		فخلص نفسك وخلصنا!".	
		[٤٠] فانتهره الاخر قال: أوما تخاف	
		الله وانت تعاني العقاب نفسه!	
		[٤١] اما نحن فعقابنا عدل، لاننا	
		نلقى ما تستوجبه اعمالنا.	
		اما هو فلم يعمل سوءا.	
		[٤٢] ثم قال: "اذكرني يا يسوع	
		اذا ما جئت في ملكوتك".	
		[٤٣] فقال له: "الحق اقول لك:	
		ستكون اليوم معي في الفردوس".	

في ما يتعلق بطريق الصليب والصلب، ليس هناك إشكال قانوني، ولا سر لاهوتي كبير يتوجب فك لغزه، بل هناك تأمل عميق نقوم به بشأن بضع دقائق هي في غاية الاهمية: فبعد الحكم على يسوع، أُقتيد إلى موقع العذاب. لا يعطينا الإنجيليون التفاصيل التي كنا نتمناها، ومع ذلك فهي، على قلّتها، لمن يُحسن القراءة، غنية بالمعلومات حول هذه الاوقات العظمى.

سمعان القيريني

حَكم بيلاطس على يسوع، ومن ثم جُلد، إذ ان الجلد كان بمثابة التمهيد القانوني للصلب. وحينذاك قاده الجند. وكتب الازائيون الثلاثة: **"وبينما هم خارجون، صادفوا رجلا قيرينياً اسمه سمعان"** (متى ٢٧: ٣٢؛ مر ١٥: ٢١؛ لو ٢٣: ٢٦). وقيرين بلد في شمال افريقيا، يقع بين مصر وطرابلس؛ وكان سمعان يهودياً من هذه المنطقة يسكن أورشليم. ويبدو انه كان معروفاً لدى المسيحيين طالما ان مرقس اوضح انه "ابو الاسكندر وروفس". وإذا اطلق مرقس اسماً عليهما، فليس لانهما يضيفان فائدة على المشهد بحد ذاته، وانما لأن الجماعة المسيحية تعرفهما جيداً[1]. سمعان هو، إذن، مسخّر: فقد كتب مرقس "سخّروا"؛ واللفظة اليونانية تأتي من الفارسية، ونجد فعلاً شبيهاً لها بالفرنسية (angarier) بمعنى جنّد شخصاً في خدمة عامة. ورأى جنود القوة الرومانية هذا الرجل يمرّ، فدفعوه إلى مساعدة يسوع.

[1] من الممكن ان بولس، في رسالته إلى اهل روما (١٦: ١٣)، لمّح إلى روفس هذا بالذات. وهذا الاسم الروماني النادر، قد يكون اتخذه يهودي في روما حيث يرجح ان مرقس كتب فيها إنجيله. ويكون مرقس قد تعرف عليه مع بولس. ومثل هذه التفاصيل التي تهم قراء ذلك العصر، تبدو أصيلة جداً.

"كان آتياً من الريف" (مر ١٥: ٢١) او من الحقول. ولهذا التفصيل الصغير اهميته في جدال شهير حول الفصح. هل نحن في عشية الفصح ام في نهار الفصح؟ فاذا كان الازائيون على حق، فمعنى ذلك ان العشاء الفصحي احتُفل به مساء الخميس، ونجدنا في غمرة عيد الفصح. وإذا كان يوحنا على حق، فلن يُحتفل بالفصح إلا في مساء الجمعة. وهذا الرجل العائد من الحقول هو بمثابة البرهان بين هذين الرأيين. فالذين يؤيدون ان الفصح لم يكن قد بدأ، يدركون جيداً ان هذا الرجل كان عائداً من الحقول: فقد اشتغل قبل وقت الراحة الفصحية. اما الآخرون، فهم مُحرجون في تفسير عودة هذا الرجل من الحقول في غمرة عيد الفصح، ولكن لهم اجوبة جاهزة، كما هي العادة دوماً في مثل هذه الحالات: قد يكون ذهب لرؤية حقله دون ان يشتغل فيه؛ ويضيفون للحال بانه لم يكن له متسع من الوقت للعمل إلا في الصباح -وكأن هذا العمل لا يكفي!-؛ او اخيرا انه كان عائداً من الضواحي، من بيت آخر. وانا شخصياً، إذ اعتقد بان يوحنا على حق، أرى من الطبيعي ان يكون هذا الرجل قد اشتغل في حقله، وكان عائداً للاحتفال بعيد الفصح الذي كان على وشك الابتداء.

طلب الجند من سمعان ان يحمل الصليب، وكأن السبب هو لأن يسوع الذي أنهكه عذاب الجلد، لم يعد قادراً على حمله. وفي عذاب الصلب، كان من الطبيعي ان يحمل المحكوم عليه، هو ذاته، صليبه، سواء الصليب كله، أم ما يدعى (patibulum) اي الخشبة العرضانية التي تشكّل أعلى الصليب، إذ ان الوتد العمودي يبقى مثبتاً بشكل دائم. ومهما يكن، فلقد طُلب إلى سمعان ان يحمل الصليب، مما يعني انه حمله بكليته. وبالرغم من ان اللوحات ترسم عادة يسوع حاملاً الصليب وسمعان رافعاً مؤخرته، فاني اعتقد ان هذا الرجل، في الواقع،كان له شرف حمل الخشبة كلها على كتفه.

ونتساءل: ما هي المسافة التي أعان سمعان خلالها المعلّم؟ يقول متى: "بينما هم خارجون"؛ وإذا صحَّ الخروج من باب دار الولاية، فيكون يسوع قد أُعين طيلة المسافة؛ اما إذا كان الخروج من أحد ابواب المدينة، فيكون يسوع قد حمل صليبه فترة، ومن ثم جاء هذا الرجل ليساعده حين بلغ أطراف الريف. وإذا كانت دار الولاية في مكانها التقليدي منذ القرون الوسطى، كان درب الصليب يقطع المسافة التي ما زالت تُكرَّم حتى اليوم؛ وإذا ينبغي -كما اعتقد- ان يكون موقع الدار في قصر هيرودس، فحينذاك يتخذ

درب الصليب الوجهة المعاكسة تقريباً. وفي الحالتين، كان لا بد لدرب الصليب ان يمر بالمدينة. ولا ينبغي ان نتخيل انهم خرجوا من المدينة على الفور، سواء من الباب الشمالي -في الموقع الحالي لباب دمشق، على وجه التقريب- ام من الباب الذي كان بالقرب من قصر هيرودس. وكان من ضمن عقاب الصلب أن يمر المحكوم عليه بالمدينة كي يصبح عبرة[٢]. واثناء عبوره المدينة، وفق عادة الرومان، يكون عارياً ويُضرب ويُسخر به. إلا ان يسوع، وفق الإنجيل، استعاد ثيابه، ولكن توجب عليه ان يمر بالمدينة. وبموجبه يكون قد نزل من قصر هيرودس، او "برج داود" الحالي، عبر "زقاق داود" الحالي وإلى الاسواق الثلاث الموازية والتي اجتازها نحو الشمال، للبلوغ إلى الباب الذي هو حالياً "نزل الكسندر". وما ان خرج من هذا الباب، حتى بلغ للحال إلى الجلجلة القريبة جداً[٣].

قال يوحنا ان يسوع خرج **"حاملاً صليبه"** (يو ١٩: ١٧)، ولا يشير قط إلى سمعان القيريني. وليس ذلك لأنه ينفي حدث سمعان القيريني -وهو مشهود له في الواقع- بل لأن الإهمال مقصود حتماً. فلقد شاء يوحنا ان يحارب هرطقة وُلدت في زمانه، هي الهرطقة "الظاهرية". وهذه الهرطقة -ويأتي اسمها من الفعل اليوناني (dokein) ومعناه "يتظاهر"- تدّعي بان يسوع، في الوقت الحاسم من الآلام، غاب عن الانظار واخذ مكانه آخر. فبحسب هذه الهرطقة، لا يكون يسوع قد تألم على الصليب، بل حلّ محلّه آخر، بحيث ان يسوع "تظاهر" فقط بانه تألم ومات. ويوحنا الذي كان على علم بهذه الهرطقة اجاب: لقد حمل يسوع صليبه بنفسه؛ وهكذا رفض شطط الظاهرية، ولم ينكر ان سمعان القيريني جاء لمساعدة الرب.

ان مشهد سمعان القيريني أصيل، وهو بمثابة مثال لنا. وحين كتب لوقا: **"جعلوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع"** (لو ٢٣: ٢٦)، فهو انما فكّر بشكل واضح في

---

(٢) كتب بلوت عن محكوم عليه: "ليحمل خشبته **(patibulum)** عبر المدينة" -انظر أيضاً يوسيفوس (الاثار اليهودية، ٢٠، ١٣٦): امر قلوديوس بان يساق المحامي سيلر عبر مدينة اورشليم على مرأى من الجميع قبل ان يُعدم.

(٣) موقع الجلجلة التقليدي الذي خلّدته كنيسة القيامة منذ عهد قسطنطين الملك يتلاءم جيداً مع خريطة اورشليم في زمن يسوع: ويقع غير بعيد من دار الولاية، الى الخارج من زاوية السور، وعلى مقربة من المدينة، وفي طرف طريق هام كان يؤدي إلى البحر الغربي. وإذا اضاع المسيحيون الاولون كثيراً من المواقع الإنجيلية، فمن الصعب ان ينسوا الموقع الاكبر لموت المسيح وقيامته. وان إقامة "ساحة هدريانس" في هذا المكان أسهمت في ترسيخ هذه الذكرى. لذا، استناداً إلى تقليد جاد، عمدت "الامبراطورية المسيحية" في بداية القرن الرابع إلى الحفاظ على هذا الموقع وتكريمه.

تحقيق كلمة الإنجيل، إذ قال يسوع: "من لم يحمل صليبه ويتبعني، لا يستطيع ان يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٢٧). وهكذا استخدم لوقا الصيغ ذاتها كي يبيّن أن لنا، في سمعان القيريني، نموذج المسيحي الذي يحمل صليب المسيح ويتبع معلّمه.

الصليب

يتوجب علينا هنا ان نحدّد شكل الصليب. الإنجيل لا يفعل ذلك، ولكننا نعرف اداة العذاب هذه بواسطة الرومان. فالصليب كان بمثابة العذاب الاكثر قسوة، بعد عذاب مَن يُحرق حيًّا؛ انه عذابٌ شائن كان من نصيب العبيد او الذين ليسوا مواطنين رومان. ومن المحتمل ان يكون الصليب عبارة عن وتد عمودي يُرفع فوقه المحكوم عليه بالاعدام او يُعلّق عليه، وراسه إلى فوق او إلى الاسفل، بحسب الحالات. كما يمكن ان يجري الإعدام بواسطة مشنقة، يكون فيها راس المحكوم عليه مقيداً؛ وقد يحدث احياناً ان المحكوم عليه، بعد ان يُعلّق، يُجلد حتى الموت. وغالباً ما يكون الصليب في شكل خشبة أُفقية فوق وتد عمودي، تكوّن معه شكل T؛ او أيضاً شكل الصليب (patibulum) التقليدي، حين كانت ترتفع قطعة خشب فوق الخشبة الافقية. ويطلعنا الإنجيل على ان صليب يسوع كان من هذا النموذج ، طالما وُضعت فوق راس يسوع كتابة، مما يفترض ان هناك امتداداً عمودياً من فوق. وهكذا يبدو الشكل التقليدي لصلباننا محتملاً.

على درب الصليب

يشير لوقا إلى اللقاء مع بنات أورشليم، على الطريق. ولا يوجد أي تفصيل يثبته الإنجيل في ما يتعلق بدرب الصليب: اللقاء مع مريم واللقاء مع فيرونيكا وسقوط يسوع ثلاث مرات، كما يرسمها درب الصليب الحالي، تعود إلى تقاليد متأخرة.

إلا ان اللقاء مع مريم يبدو اكثر احتمالاً؛ انها ستكون عند اقدام الصليب. وكان لا بد لمريم ان تتبع ابنها وتكون بالقرب منه إلى اقصى ما امكنها، ونعلم ان للمحكوم عليه الحق في التكلم مع ذويه. و لا يقول لوقا ان يسوع تحدث إلى مريم، ولكن يطيب لنا لو تحدث إليها.

ويبدو سقوط يسوع تحت الصليب ثلاث مرات هو الاخر محتملاً؛ وكان من الطبيعي ان تسعى التقوى الشعبية إلى توسّع لم تقم به النصوص المقدسة.

اما بشأن اللقاء مع فيرونيكا، فيتوجب عليّ ان اقول ان هذه الحكاية هي اقل ضماناً. فلقد ظهرت في القرن الرابع بمثابة تجميع عدة قصص. والمرأة هي في الاساس تلك المتروفة التي تحدث عنها الإنجيل، والتي شخصها الغرب بمرتا، وفي الشرق بـ"بيرينيس" -ومنه أُشتق اسم فيرونيك، وهو صيغة اخرى للاسم ذاته. وبحسب الحكاية، تكون هذه المرأة قد ذهبت لمقابلة طيباريوس كي تشكو بيلاطس؛ وبعد ان استخبر طيباريوس عن الاحداث، اعدم حاكمه، وفي اثر مشاهدته صورة ليسوع كانت فيرونيك / بيرينيس قد طلبت أن تُرسَم، اهتدى! ويقال تارة ان الصورة رُسمت بأمر منه، وتارة اخرى ان الرب سمح بطبع وجهه على المنديل الذي مُسح به وجهه. ولا يتمتع أي شيء من كل هذا بسلطة الإنجيل.

اللقاء مع بنات أورشليم

وهنا يجب ان نعود إلى معطيات الإنجيل. فبحسب لوقا، **"تبعه جمع كثير من الشعب، ومن نساء ..."**. و لوقا يحب الجماهير، كما يحب التقوى الشعبية ولاسيما تقوى النساء. ذلك ان قلبه الرقيق والحنون يتحسس التقوى، ويتأثر بالعناية التي تحيط النساء بها المعلم، ولَكَم لمّح إليها، في إنجيله، وعلى عدة دفعات. انه يصف هنا نساء أورشليم اللواتي يقرعن صدورهن ويندبن يسوع. و يبدو حضورهن محتملاً، لأننا نعلم، عبر نصوص يهودية[٤]، ان نساء المدينة المعروفات يأخذن مهمة إعداد خمر معطَّر -وسيجري الحديث عنه فيما بعد- للمحكوم عليه كي يُهدّئه ويخفف من ألمه. ولا يقال الهن يحملن بانفسهن هذا الشراب، بل يُعددْنه، وقد يقدّمنه هن انفسهن. فتلك النسوة الرحيمات جئن ليساعدن يسوع ويبكين عليه؛ فإن لم يكنّ تلميذات، فهن على الاقل متعاطفات وخدومات.

يقول يسوع لهن: **"يا بنات أورشليم، لا تبكين عليّ، بل ابكين على انفسكن وعلى اولادكن. فها هي ذي ايام تأتي يقول الناس فيها: طوبى للعواقر والبطون التي لم**

[٤] راجع ستراك – بيلليربيك: تفسير العهد الجديد والتلمود والميدراش، جـ١، ١٩٢٢ (بالالمانية).

تلد، والثدي التي لم تُرضع. وعندئذ يأخذ الناس يقولون للجبال: اسقطي علينا وللتلال: غطينا. فاذا كان يُفعل ذلك بالشجرة الخضراء، فاياً يكون مصير الشجرة اليابسة؟" (لو ٢٣: ٢٨ -٣١). هذا الحديث الطويل يستعيد عدداً من اقوال العهد القديم او الإنجيل.

يأتي التعنيف الموجه إلى التلال: "اسقطي علينا، غطينا" من النبي هوشع (هو ١٠: ٨)، ويستخدمه سفر الرؤيا (رؤ ٦: ١٦).. اما جملة "طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد"، فهي تذكّر كثيراً بالخطاب الرؤيوي الذي أورده لوقا (لو ٢١: ٢٣). وليس من المستحيل ان يكون لوقا قد شاء ان يضفي على حديث يسوع مع النساء بعض الاستشهادات.

إلا ان بداية حديث يسوع ونهايته (لو ٢٣: ٢٨ و٣٢)، فانهما تنسجمان جيداً مع الوضع، بالرغم من صيغة المثل التي اتسمت بها الآية الاخيرة. ونعرف كثيراً من هذه الامثال لدى اليهود، وإليكم بعض النماذج[٥]: إذا سقط اللهب فوق الارز، فماذا تفعل الزوفاء بالحائط؟ وإذا أُصطيد لوياتان (المسخ البحري بالنسبة لليهود) بشص، فماذا تفعل الأسماك في ماء من دون عمق؟ وإذا وقع الشص في سيل ماء حي، فماذا تفعل مياه الصهاريج؟ إن كلاً من هذه الامثال، كما هي الحال هنا، يقدّم التضاد بين قوّة وضعف. وهناك امثال يهودية تبدو اكثر قرباً، فيها يرد كلا النوعين من الخشب: حين يكون عودان يابسين وآخر اخضر، يلتهم اليابسان العود الاخضر. وإذا اشتعل النار في الغابات الرطبة، فماذا تفعل الغابات اليابسة؟ (وهذا المثل الاخير يرقى إلى القرن العاشر فقط). وهكذا يكون يسوع قد أورد مثلاً كان بالامكان مقاربته مع نصّين من العهد القديم، احدهما نبؤة من حزقيال: "هاءنذا أُضرم فيك ناراً، فتلتهم فيك كل شجر رطب وكل شجر يـ ـس" (حز ٢١: ٣)، والآخر من سفر الامثال: "إذا كان البار يُجزى في الارض، فكم بالاحرى الشرير والخاطئ" (مثل ١١: ٣١). والتضاد عفوي: إذا كان البار يُبتلى هكذا، فماذا يكون حال المذنب؟ ونعرف أيضاً كلمة احد الربابنة من القرن ٢ ق.م.، وقد قال لابن اخيه الكافر الذي كان يسخر به، وهو في طريقه إلى الصلب: "إذا كان مثل هذه الامور تقع على الذين يفعلون ارادة الله، فماذا يكون من امر الذين يذنبون إليه؟".

[٥] راجع ستراك-بيلليربيك، المصدر ذاته، جـ٢، ١٩٢٤.

وهكذا استخدم يسوع كلمة كان بوسع الجميع ان يفهموها، ومن خلالها كشف عن وضعه: ما دام الحكم عليه ظالماً، فليس هو الذي ينبغي أن يبكوه، بل بالاحرى ينبغي البكاء على المذنبين: عليكم يا بني إسرائيل، وعلى اولادكن ايتها النسوة المسكينات. قد تبدو وكأنها كلمة تأنيب، ولكنها مليئة بالرأفة. وسيقول يسوع بعد قليل: "اغفر لهم!". وهنا نستشعر ان المطلوب، لا أن نأسف عليه، بل على الذين حكموا عليه.

وفي هذا المكان بالذات من الإنجيل، انفرد لوقا -هو الذي يعرف كيف يخفف من حدة النتائج- باطلاعنا على ان مجرمين كانا أيضاً مع يسوع. ويظهر هذا اللصّان في الأناجيل الاخرى بشكل اكثر فظاظة.

الجلجلة او الجمجمة

وصلوا إلى المكان المسمى "جلجثة". ولفظة "جولجولثا" هي الصيغة الارامية للفّظة العبرية "جولجوليث" والتي تعني "جمجمة". وحُذفت "لام"واحدة باليونانية فاصبحت "جلجثة" (Golgotha)، فيما اصبحت بالسريانية "غوغولتانتو"، وتعني الجمجمة.

لماذا أُعطي هذا الاسم لهذا المكان؟ يقال انه سُمّي هكذا، لأنهم كانوا يقطعون رؤوس المحكوم عليهم. وهناك اسطورة تكون جمجمة آدم بموجبها قد وُجدت فيه: فالمعبد المسمّى باسم آدم، في كنيسة القيامة، مدين باسمه إلى هذا الاعتقاد. وكأن دم المسيح قد جرى على رأس آدم، ومن هنا جاءت الرسوم التي تجعل جمجمة في مؤخرة صلباننا. هذه الاسطورة مغلوطة ولا ريب، وسبق للقديس هيرونيمس (القرن ٤) ان احتجّ عليها، حين سمع احد الواعظين يرويها في الجلجلة ويصفق له الجمع. فاذا كانت هذه الاسطورة، من وجهة النظر التاريخية، تركيبة خيالية، إلا انها حقيقة رائعة، من وجهة النظر اللاهوتية: ذلك ان دم المسيح، آدم الجديد، قد طهّر آدم الاول.

نعود إلى الطوبوغرافية (رسم الامكنة ووصف طبيعتها). فليس بسبب هذه الاسطورة المسيحية البتة، سُمي المكان، في زمن يسوع، موقع الجمجمة (...)[٦].

بلغ يسوع إلى الجلجلة. وكتب مرقس، بحسب قوة الكلمة اليونانية "**ساروا به**"، وحرفياً: "حملوه" (مر ١٥: ٢٢). يستخدم مرقس هذه الكلمة حين يتعلق الامر بشخص يصعب عليه ان يتحرك بنفسه: كان يحملون المرضى إلى يسوع (مر ١: ٣٢)، كالمخلع (مر ٢: ٣) والاصم الابكم (مر ٧: ٣٢) والاعمى (٨: ٢٢) والصبي المصاب بالصرع (مر ٩: ١٧). ففي كل هذه الحالات، كان المعني محمولاً، او أقله كانوا يسيرون به، إذ لم يكن بوسعه ان يسير لوحده. وإذا استخدم مرقس هذه الكلمة هنا، عن قصد، فلأنه يريد ان يشير بان يسوع هو في حالة من الانهيار التام، فكانوا يساعدونه ويمسكون بيده ليبلغوا به إلى قمة الجلجلة.

حينئذ، وبحسب مرقس، "**قدّموا إليه خمرا ممزوجة بمُر**" (مر ١٥: ٢٣). ذلك مُحتمل جداً: فالخمر الممزوجة بمر تشكّل شراباً مسكرا كان يُعطى للمحكوم عليهم، كي يفقدوا الوعي ويقل ألمهم. هوذا سفر الامثال يوجّه هكذا: "أعطوا المسُكِرَ للمشرف على الموت، والخمر لذوي النفوس المُرّة، فيشربوا وينسوا شقاءَهم ولا يعودوا يذكرون عناءَهم" (مثل ٣١: ٦). وهكذا، رحمةً بالبائس المحكوم عليه، كان من الاعتيادي أن يخدّروه. إلا ان يسوع لم يشرب من هذه الخمر. فلقد اراد ان يحمل، بشكل تام، وبوعي كامل، الألم الذي ارسله إليه الآب.

اما متى فيتكلم عن خمر ممزوجة بمرارة، وهذا يبدو اقل احتمالاً. لقد كان المُـرّ بخوراً يعطّر ويجعل الخمر مسكرة، اما المرارة فيصعب فهمها. من المحتمل ان متى كتب هنا بد [illegible] لاهوتي. وقد يكون فكّر في احد تلك المزامير الكثيرة التي استُخدمت لفهم الآلام، حين شكى المزمّر المسكين كيف سقوه خلاً (مز ٦٩: ٢٢). ويتحدث متى فيما بعد عن الخل (متى ٢٧: ٤٨)؛ وهكذا وضع هنا (متى ٢٧: ٣٤) المرارة عوضاً عن المُرّ.

---

[٦] يروي المؤلف ان ابناء الحي القدامى كانوا يسمّون المكان "الراس"، إذ توجد هناك أكمة صخرية قد تكون في اصل اسم الجمجمة ! ويقول ان بعضهم ذهب إلى تشخيص الجلجلة في اكمة اخرى إلى الشمال من باب العمود، ولا اساس من الصحة لهذا الافتراض (المعرب).

الصلب

"لمّا صلبوه" (متى ٢٧: ٣٥) -"ثم صلبوه" (مر ١٥: ٢٤)- "صلبوه فيه" (لو ٢٣: ٢٣). لقد آثر الإنجيليون الايجاز بشأن هذه اللحظة التي يكون فيها الألم عظيماً جداً. ماذا نعرف عن الصلب؟

كانت هناك طريقتان لتثبيت المحكوم عليه على الصليب، سواء بقيود ام بمسامير. لا توضح الأناجيل ذلك في روايات الالام، ولكن في روايات القيامة سيتحدث لوقا ويوحنا عن آثار المسامير، كما ان التقليد المسيحي اعترف دوماً بان يسوع سُمِّر. وبولس، في رسالته إلى القولوسيين شبّه يسوع بصك الدَين الذي كانت الشريعة اليهودية تبرزه ضد الخاطئ، وقد محاه بموته، فقال بان هذا الصك "سُمِّر" على الصليب، في شخصه (قول ٢: ١٤). واغناطيوس الانطاكي، في رسالته إلى اهل ازمير، وانجيل بطرس (وهو الإنجيل المنحول من القرن الثاني)، وبرنابا وميليتون ويوستينس وايريناوس وكليمنضس الاسكندري وترتليانس، هؤلاء الآباء كلهم تحدّثوا عن مسامير. فالتقليد يتمتع إذن بقوة. إلا ان صعوبة واحدة تبرز: لا يورد النص الإنجيلي هنا المزمور ٢٢: ١٧ "ثقبوا يديّ ورجليّ"، مع انه ينطبق جداً. ويبقى نص المزمور غامضاً، إذ انه يختلف بحسب قراءته، بالعبرية او اليونانية او اللاتينية او السريانية، بحيث ان تطبيقه على يسوع لم يكن، في نظر القدامى، بالسهولة التي نظنّها اليوم. وفي الواقع، لم يبدأ تطبيقه إلا مع القديس يوستينس في القرن الثاني.

أما بشأن مكان المسامير بالتحديد، فذلك أيضاً لم يوضّح. ويَعتقد الكثيرون ان مكانها ليس في راحة اليد -لكانت مُزقت للحال تحت ثقل الجسد- بل في قلب العظم، في المعصم. ومنديل تورينو الذي تبقى اصالته موضوع شك، مع ان روعته مؤثرة، ترتسم فيه المسامير بهذا الشكل.

ومع ذلك، لم يكن موضع المسامير يكفي لضمان تعليق جسد بشري طيلة ساعات. لذا يُحتمل ان يُصار إلى وضع قطعة خشب بين الساقين يكون من شأنها ان تسند ثقل الجسد. وتحدث آباء الكنيسة عن هذا "الكرسي"[٧]، حتى ان يوستينس راح

---

[٧] **يوستينس: حوار ٩١: ٢؛ ايريناوس: ضد الهرطقات ٢/ ٢٤: ٤؛ ترتليانس، ضد الأمم ١: ١٢**

يشبه يسوع على الصليب، بحاكم جالس على عرشه[٨]. اما اوغسطينس، فقد جعل من المسيح على الصليب معلّما يلقي تعليمه من على منبره الرفيع[٩].

وكان هناك بالتالي، كما يبدو، مسنداً تحت الاقدام كي يمنع الجسد من الانهيار. ونعرف ذلك، بشكل خاص، من خلال رسم البالاتان[١٠]، وهو كاريكاتير من القرن ٣، رسمه وثني شاء ان يسخر من زميل مسيحي له: فلقد رسم المسيح على الصليب برأس كبير، مع هذه الكتابة: "اليكسامينوس يسجد لله"! ومع كونها سخرية، إلا ان الوثيقة ذات فائدة: فهي ترينا الصليب بالشكل الذي وصفناه هنا، وقد أُلحق به عود او لوح صغير. وغالباً ما تمثّل صلباننا هذا المسند الذي يبدو محتملاً.

هل صُلب يسوع عارياً بالتمام؟ كانت تلك هي القاعدة لدى الرومان، وهكذا اعتقد أيضاً آباء الكنيسة؛ هوذا احدهم، اوغسطينس، يشبّه عري يسوع بعري نوح[١١]. ومع ذلك من المحتمل ان الرومان، في فلسطين، قد تجنبوا جرح الحساسية اليهودية التي كانت مرهفة جداً في هذا الصدد. فالشريعة اليهودية كانت تفرض ان يلف المحكوم عليه بقطعة قماش حول الكليتين، والرجل من امام، والمرأة من الامام ومن الوراء. وكان الإنجيليون قد سبقوا واوضحوا ان ثياب يسوع أعيدت إليه إبان درب الصليب؛ فمن المحتمل، إذن، ان يكون الجنود قد تركوا له، وهو على الصليب، خرقة حول الورك. وبالفعل بدا رسم البالاتان، وفيه وشح المسيح المصلوب بثوب قصير.

اللصان

صُلب مع المسيح فاعلا سوء، على حد قول لوقا ويوحنا -اما مرقس ومتى، فسيقولان ذلك في ما بعد، بينما كان من المنطق ان تُدرج هذه الاشارة هنا- واحد عن اليمين، والآخر عن الشمال، ويسوع في الوسط. هل هذا الوصف تاريخي ام لا؟

---

(٨) الدفاع الاول ٣٥: ٦.

(٩) تفسير القديس يوحنا ١١٩: ٢

(١٠) راجع دار مبيرك وساكليو: معجم الاثار القديمة اليونانية والرومانية (بالفرنسية)

(١١) ضد فوست ١٢: ٢٣

يطرح النقّاد هذا السؤال بسبب نص من اشعيا (٥٣: ١٢) فيه يعلن النبي عن آلام عبد يهوه: "أُحصي مع الأثمة". وسبق يسوع ان طبق على ذاته هذا القول، بعد العشاء الاخير: "اقول لكم: يجب ان تتم فيّ هذه الآية: وأُحصي مع المجرمين" (لو ٢٢: ٣٧). ويُخيل لبعض النقاد ان اللصّين أُبتُكرا كي يتحقق هذا النص. لا اظن ذلك. اولاً، لو كان الأمر كذلك، فلكان النص أُورد للدلالة على انه تحقق. وليس لنا هنا شيء من ذلك. وفي الواقع، لا نجد هذا النص إلا في بعض المخطوطات (في مرقس ١٥: ٢٨)، ولكن هذه الآية ليست أصيلة، انما هي اضافة لا نجدها في المخطوطات الموثوق بها. ومن جهة اخرى، تبدو عبارة "أُحصي مع الاثمة" في غاية الغموض، ولا تتيح استنباط اللصّين.

هناك اعتراض آخر، لم تكن بموجبه الشريعة اليهودية تسمح باصدار حكمين او بتنفيذ حكمين في اليوم ذاته. إلا ان هذه المقولة هي نظرية من المشنا، وقد نشأت في المدارس اليهودية بعد خراب أورشليم، حين لم يعد مثل هذه الإعدامات. وفي الواقع، يذكر التاريخ اليهودي، في ذلك العصر، أحكام صلب نُفذت بالمئات، وعلى سبيل المثال تلك الاحكام التي امر بها الكسندر ينّي، احد الملوك الحشمونيين، ومن ثم تلك التي اصدرها حكام رومانيون[١٢]. فلا صعوبة، إذن، في القول بان قد أُعدم مع يسوع شخصان تعيسان كانا ينتظران حتفهما: وكان يُراد أن يُصفَّيا هما أيضاً قبل الفصح[١٣].

ولوقا، هو الوحيد بين الانجيليين، حفظ لنا قولاً ثميناً ليسوع. ففي ابان صلبه، قال يسوع: **"يا أبتِ، اغفر لهم، لانهم لا يعلمون ما يفعلون"** (لو ٢٣: ٣٤). وهذه الآية أُهملت في عدد من المخطوطات المهمة، كالنسخة الفاتيكانية ونسخة بيزي وبضع قصاصات من مخطوطات باللاتينية القديمة وترجمات قبطية وسريانية. وهذا ما يحمل عدداً من النقاد على القلق. ومع ذلك يجب ان نعتبر هذه الآية أصلية، إذ ان عدداً من آباء الكنيسة يثبتونها، ومنذ القدم، منذ القرن الثاني -وهو أقدم ما لدينا- من امثال هيجيزيب

[١٢] يوسيفس: الآثار اليهودية ١٣: ٣٨٠ (الكسندر ينّي)؛ ١٧: ٢٩٥ والحرب اليهودية ٢: ٧٥ (كوينتيليوس فاروس)؛ الآثار اليهودية ٢٠: ١١٩ والحرب اليهودية ٢: ٢٤١ (اومّيديوس كودراتوس)؛ الحرب اليهودية ٢: ٣٠٦ (جيسيوس فلوروس).

[١٣] إذا كان ينبغي ان يعتبر وجود هذين اللصّين تاريخياً، فليس الامر هكذا في ما يتعلق باسميهما. فلقد شاعت الاسطورة ان تعوض عن صمت الانجيل بشأن اسميهما، فاعطت لهما اسماء مختلفة: الذي عن اليمين دُعي زواثان، يوناثاس، ديسماس، طيطس؛ والذي عن اليسار دُعي شمّاثا، سَمّا، مكّاتروس، جستاس، دوماخوس. وليس لهذه الاسماء اية قيمة تاريخية.

وطظيانس وايريناوس؛ كما يعرفها، في القرن الثالث والرابع، اوريجانس والمواعظ الكليمنضسية واعمال بيلاطس واوسابيوس واثناسيوس وغريغوريوس النيصّي وباسيليوس وديودورس ويوحنا فم الذهب وهيلاريون واوغسطينس.

ومع ذلك، أنْ تكون هذه الآية مضافة، فذلك قليل الاحتمال؛ إذ لماذا نجدها لدى لوقا وليس لدى مرقس ومتى؟ ذلك يعني ان لوقا احتفظ بهذا القول الذي يعكس جيداً توجّهه. فهو ذاك الانسان الرقيق والرحوم الذي طاب له ان ينقل لنا كلمة الرب هذه، وقد تأثر بها كثيراً: يسوع من اعلى الصليب يطلب إلى ابيه الغفران والرحمة[١٤]. قد تكون هذه العبارة أُهملت فيما بعد، سواء عرضاً في بعض المخطوطات القديمة، ام بفعل تصليح متعمَّد: لم يرتضِ الناسخ ان يكون يسوع قد غفر لليهود!

أما يسوع، فقد فكّر باليهود اكثر فما فكّر بالرومان. انه يعرف انهم المذنبون الحقيقيون، ويطلب لهم الغفران. ولنقلها: ألا تصدم هذه العبارة المتسامحة جداً بعض المعادين للسامية، في هذا العصر، وقد يعمدون إلى حذفها؟! إلا انه يتوجب علينا أن نعتبرها عنصراً مهما في هذه الجدلية: اليهود مذنبون، ولكنهم قد يُعذرون، لأنهم لم يدركوا حقاً ما فعلوه.

اقتسام الثياب

اقتسم الجنود ثياب يسوع واقترعوا على ما يعود إلى كل منهم. ويروي الازائيون ذلك بايجاز كبير (مر ١٥: ٢٤؛ متى ٢٧: ٣٥؛ لو ٢٣: ٣٤).

وسرعان ما يتبادر المزمور ٢٢ إلى الذهن، وهو احد المزامير التي تنطبق جيداً على الآلام: "يقتسمون بينهم ثيابي ويقترعون على لباسي" (مز ٢٢: ١٩). والسياق بالذات هو ذو معنى عميق؛ ففي الايات السابقة نقرأ: "احصوا كل عظامي" و "كلاب كثيرة احاطت بي". ولَكَم استُخدم هذا المزمور لوصف آلام الرب؛ ولا عجب ان يفكر الإنجيليون فيه. ولكن يجب ان نقولها، هنا أيضاً: انهم لم يخترعوا هذا التفصيل كي

(١٤) في سفر اعمال الرسل، لَكَم قال لوقا لليهود بفم بطرس او بولس: "لقد تصرفتم بجهل" (رسل ٣: ١٧؛ ١٣: ٢٧). كما جعل اسطفانس يقول لدى استشهاده، مقتدياً بالمعلم: "يا رب لا تحسب عليهم هذه الخطيئة" (رسل ٧: ٦٠).

يتمكنوا من تطبيق المزمور، وانما يحتفظون به، من بين تفاصيل اخرى كثيرة، أهملوها لانهم لم يجدوا لها صدى في الاسفار المقدسة. فالإنجيليون يؤثرون رواية تفاصيل تُتم الكتب، مستخدمين صيغ النص الكتابي ذاتها، كي يكتشف القراء المسيحيون النبوءة على الفور. فاقتسام الثياب هو حدث محتمل، إذ كان من العادة أن يُعطى ما تبقّى، لدى المحكوم، لمنفذي الحكم عليه.

وقدّم يوحنا في هذا الصدد تفاصيل اكثر، لأنه شاء ولا شك ان يبين إتمام الكتب: "**اخذوا ثيابه وجعلوها اربع حصص، لكل جندي حصة**" (يو ١٩: ٢٣). وكان يحرس يسوع اربعة جنود، كما سيجري لبطرس فيما بعد، في سجن أورشليم؛ وهذا ما يسمى "رهط" (tetradion) (رسل ١٢: ٤). اما "**القميص، وكان غير مخيط، منسوجاً كله من اعلاه إلى اسفله**" (يو ١٩: ٢٣)، فلم يشاؤا شقّه، فاقترعوا عليه. "**فتمّت الآية: اقتسموا ثيابي، وعلى لباسي اقترعوا**" (يو ١٩: ٢٤). وهكذا أكّد يوحنا، لا بل انه بالغ في التأكيد! فالمزمور، وفق القافية السامية، لم يكن يميز بين القميص والثياب، إذ ان الكلمتين بالعبرية مرادفتان. اما يوحنا، فلقد شاء ان يتبين القطعتين المختلفتين في الهندام اللتين اتشح بهما يسوع، بحسب العادة اليونانية في ذلك العصر: "كيتون" (kitôn)، اي الثوب الداخلي، و"هيماتيون" (himation)، وهو شكل معطف خارجي شبيه بالعباءة العربية فوق الثياب. ويوضح يوحنا بقوة ان احدى قطعتي الهندام أُقتسمت، والاخرى أُقترع عليها. ومثل هذا الإلحاح يوحي برمزية مقصودة: فهو إذا أحبّ التفاصيل، فبسبب مدلولها العميق. فما هو هدف يوحنا هنا؟ ليس ذلك في منتهى الوضوح. فالقميص غير المخيط حمل البعض على التفكير بالكنيسة الواحدة التي لا ينبغي لها ان تنقسم. إلا ان مثل هذه الفكرة هي من زمن متأخر، ولم تظهر إلا مع القديس قبريانس حين كانت وحدة الكنيسة مهدّدة. ومع ان هذا التفسير يتضمن طرحاً لاهوتياً رائعاً، ولكن ليس ما يؤكّد ان يوحنا قد فكّر به. هل شاء الرسول ان يلمح إلى ثوب يوسف، ذلك الثوب المنسوج والموشّى الذي غمسه اخوته بالدم لكي يوهموا اباهم يعقوب انه قد مات (تك ٣٧: ٢٣-٣٣)؟ ام فكر يوحنا بثوب عظيم الكهنة، الذي يقال انه كان قطعة واحدة، وقد شبهه الفيلسوف فيلون بالعالم ذي العناصر الاربعة؟ هل هو ثوب اللوغوس الذي يوحّد العالم؟ قد يُخشى ان يذهب بنا البحث عن رموز بعيدة جدا، إلى تجاوز مقاصد يوحنا!

ساعة الصلب

"وكانت الساعة التاسعة حين صلبوه"! هكذا كتب مرقس (١٥: ٢٥). والساعة الثالثة هي بالنسبة لنا الساعة التاسعة من الصباح. اما بحسب يوحنا، فقد حُكم على يسوع ظهراً (يو ١٩: ٢٤). كيف التوفيق بين هذه المعطيات المتباينة؟ لَكَم صُبَّ الاهتمام، منذ زمن بعيد، على هذا الموضوع، حتى ذهب البحث بعيداً جداً. بعضهم يتَلاعب بالنصوص ويشاء مرقس ان يتحدث عن إدانة، ويوحنا عن صلب، والعكس هو الصحيح. آخرون، ومِن بينهم اوغسطينس، يدّعون ان مرقس تحدث عن صلب يسوع "باللسان" ... بمعنى الإدانة؛ بينما يعتقد آخرون ان المخطوطات تنقصها الدقة.

يجب بالاحرى الاعتراف ان كلاً من الإنجيليين يتابع هدفاً خاصاً به. فالساعة السادسة ظهراً، لدى يوحنا، لها معنى ليتورجي يعلن عن بدء الفصح: حُكم على يسوع في الوقت الذي بدأ فيه الفصح اليهودي. واتّبع مرقس عدًّا بسيطاً بثلاثة اوقات من ثلاث ساعات، كما كان يفعل الرومان: اجتماع السنهدريم عُقد في الفجر، اي في الساعة الاولى (مر ١٥: ١)؛ وفي الساعة الثالثة جرى الصلب، وفي الساعة السادسة أطبقت الظلمات، وفي الساعة التاسعة حدث الموت؛ ذلك هو تقسيم بخطوط عريضة. ولما كان لكل من مرقس ويوحنا طريقته في العدّ، فمن الافضل أن نتخلى عن الاختيار. ويبدو يوحنا اقرب إلى الواقع: شُغلت فترة الصباح باجتماع السنهدريم والدعوى امام بيلاطس، ومن ثم هيرودس، ومن جديد امام بيلاطس؛ وساعة الظهر لم تكن ساعة متأخرة للحكم؛ اما الصلب، فلم يكن بوسعه ان يتم إلا في حدود الساعة الواحدة بعد الظهر.

الكتابة على الصليب

يدهشنا جداً الاتفاق التام بين الإنجيليين الاربعة بشأن العنوان على الصليب. إذ ان كلهم ينقلون العبارة المركزية ذاتها: **"ملك اليهود"**. إلا ان هناك بعض الاختلافات. لم يذكر مرقس سوى هذه العبارة (مر ١٥: ٢٦). اما متى فاضاف: **"هذا يسوع ملك اليهود"** (متى ٢٧: ٣٧). وفيما كتب لوقا: **"هذا ملك اليهود"** (لو ٢٣: ٣٨)؛ اشار

يوحنا إلى أنه "**يسوع الناصري ملك اليهود**" (يو ١٩: ١٩). فاللقب المنسوب هو مشترك بين الكل، ويبدو انه تاريخي بالتمام.

وكان من عادة الرومان أن توضع علّة الحكم فوق راس المحكوم عليه. فمن المحتمل، إذن، ان يكون بيلاطس قد تصرف على هذا النحو، واني اعتقد بان سبب الحكم على يسوع، بالرغم من الاختلافات الطفيفة بين الإنجيليين، يقوم بشكل رئيس في ادّعائه انه ملك اليهود. ولقد سبق ان شعرنا بذلك ابان الدعوى: انه السبب الذي قدّمه اليهود للرومان، وإن لم يكن مطابقاً للواقع؛ واللقب الذي لا يُحتمل، بالنسبة لهم، هو لقب المسيح، ابن الله. وفهم بيلاطس جيداً ان هذا السبب السياسي لم يكن سوى حجة، إذ لم تكن هناك ثورة حقيقية، ولكنه وافق على إصدار الحكم عن جبانة. وتبنى بيلاطس هذه الحجة كونها السبب الوحيد الذي كان بوسعه أن يقدّمه، في سجلاّته، إلى الامبراطور: "جعل نفسه ملك اليهود".

واضاف يوحنا توضيحاً هو كثير الاحتمال: "**وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية**" (يو ١٩: ٢٠). لقد كانت الكتابة قد خُطّت بالعبرية او الآرامية، والمقصود واحد، إذ ان اللفظة كانت تعني اللغتين في ذلك العصر: انها لغة البلاد، بينما كانت اللاتينية لغة الحكومة، واليونانية اللغة الوسَط. فالرومان كانوا يتكلمون اللاتينية في ما بينهم، وليس مع اهل فلسطين الذين لم يكونوا يفهمونها؛ وحين لا يُحسنون العبرية او الآرامية، كانوا يتكلمون معهم اليونانية. فاللغة المشتركة بين الشعب والادارة كانت اليونانية، وهذا ما اثبتته مؤخراً الوثائق المكتشفة في صحراء اليهودية: سندات عائلية وعقود الخ... تخص اليهود، وُجدت مكتوبة باليونانية. وكما هي حال الإنكليزية في البلدان العربية اليوم، كان كثيرون يعرفون اللغة اليونانية؛ وقد يكون يسوع وتلاميذه عرفوا بالكفاية هذه اليونانية المحكية.

"**وهذه الرقعة قرأها كثير من اليهود، لأن المكان الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة**" (يو ١٩: ٢٠). وهذا يصح في الجلجلة الحالية. ففي ذلك العصر، كان سور المدينة يمرّ من "خان الاقباط"، ومن تحت "الكنيسة اللوثرية"، ويدور ليمرّ من تحت "نزل الكسندر"، ويمتد على طول طريق "سوق الزيت"، وينزل من ثم على مدى درب الآلام الحالي. فالجلجلة كانت، إذن، خارج المدينة، ولكنها كانت قريبة جداً، في زاوية

الاسوار، بالقرب من باب. وكان كل الذين يخرجون من المدينة للتوجه إلى البحر، يمرون من هذه التلّة الصخرية ويشاهدون المصلوبين. وكانت العادة لدى الرومان ان يصلبوا خارج المدينة، ولكن في مكان قريب، بحيث يتاح للجميع مشاهدة المصلوبين[١٥].

لم يأت بيلاطس ليشهد تنفيذ الحكم. وانما ذهب اليهود إلى قصره ليحتجوا: "**لا تكتب: ملك اليهود، بل اكتب: قال هذا الرجل اني ملك اليهود**". أجاب بيلاطس: "**ما كُتب قد كُتب**" (يو ١٩: ٢١-٢٢). وتدهش الصيغة السامية -اكثر منها يونانية (الماضي والحاضر)- للجواب (فعلان في صيغة الماضي: ما كتبتُ). ومهما يكُن، فبيلاطس لم يعد يريد ان يسمع شيئاً عن هذه القضية: كفى ما فعلت من تنازلات، وها اني سلّمته اليكم؛ والآن اتركوني، فلقد كتبت ما اردتم، فلا مجال للعودة إلى الموضوع بعدُ.

مواقف الحاضرين

ما هي مواقف الحضور: الجمع والرؤساء واللصين؟

"**وكان المارّة يشتمونه وهم يهزّون رؤوسهم ويقولون: يا ايها الذي ينقض الهيكل ويبنيه في ثلاثة ايام، خلّصْ نفسك فانزل عن الصليب**" (مر ١٥: ٢٩-٣٠ ومتى ٢٧: ٣٩-٤٠). ويستخدم مرقس ومتى المزامير او نصوصاً اخرى من الكتاب المقدس، من مثل "جميع عابري الطريق... صَفَروا وهزّوا رؤوسهم" (مراثي ٢: ١٥)، و"كل من يمّر بها (أورشليم المخرّبة) يدهش ويهز راسه" (ار ١٨: ١٦)، ولاسيما "جميع الذين يرونني يسخرون بي ويغفرون الشفاه ويهزّون الرؤوس" (مز ٢٢: ٨). هذه الحركة مألوفة في الكتاب المقدس: ذلك ان هزّ الرأس يُعبر عن الاحتجاج او الاحتقار. وقد استشهد الازائيون عن قصد بهذه العبارة؛ ولكن، حتى وإن كان هذا الوصف تقليدياً، فواقعه محتمل.

ويضع الإنجيليون على لسان المارّة ذلك الكلام عن الهيكل، وقد قيل ابان الدعوى: انه يوجز ادعاء الرب يسوع الفريد بكونه سيهدم الهيكل ويعود يبنيه في ثلاثة

[١٥] راجع شيشرون IN VERREM ,66

ايام. وهوذا الجمع يذكّر يسوع به، وهو على الصليب. وينبغي ملاحظة عبارة "ها ها!" التي استخدمها مرقس، وهي لا تعني "أسفاً!" بل هي علامة سخرية واستهزاء. اما عبارة "**خلص نفسك**"، فهي تلمّح إلى كل الشفاءات التي اجراها يسوع لانقاذ الناس وإعادة الصحة إليهم؛ والآن جاء دوره في ان يُنقذ نفسه! ومثل هذه المآخذ تبدو محتملة، حتى وإن كان الازائيون قد صاغوها انطلاقاً من الاسفار المقدسة والإنجيل.

ويصوغ عظماء الكهنة والكهنة والكتبة مآخذ تكاد تشبهها، ويضيف متى إليهم الشيوخ: "**خلّص غيره من الناس، ولا يقدر ان يخلص نفسه! فليترل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب، لنرى ونؤمن**" (مر ١٥: ٣١-٣٢). فرؤساء اليهود يقولون: "ملك إسرائيل"، وليس ملك اليهود! ويجب ملاحظة هذا الفارق الدقيق، إذ الهم لا يعترفون بالمعنى السياسي للإدانة؛ الهم يستخدمون لفظة "ملك إسرائيل" ذات المعنى الديني. فيسوع كان قد أدّعى انه المسيح، لذا فهم يهزأوون به. ويوضح لوقا: "**مسيح الله، المختار**" (لو ٢٣: ٣٥). ولفظة "المختار" هي لقب لخادم يهوه (اش ٤٢: ١)، وقد قصده الصوت السماوي ابان عماذ المسيح: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت" (متى ٣: ١٧). وفي مشهد التجلي، يوضح لوقا في هذا الاتجاه المرجع من اشعيا: "هذا هو ابني الذي اخترتُه؛ له اسمعوا" (لو ٩: ٣٥).

"**لنرى ونؤمن**". تبدو هذه الكلمات في إنجيل مرقس غريبة، لألها تستعيد حرفيا الكلام الذي قاله اليهود ليسوع: "اي آية تأتينا بها انت فنراها ونؤمن بك؟" (يو ٦: ٣٠). وهكذا نراهم يطلبون اعجوبة لن يصنعها يسوع، هو الذي اجرى آيات كثيرة ولم تُجدِ نفعاً. لذا فان معجزة اضافية ستكون من دون فائدة؛ لقد حضرت ساعة موته.

ويضيف متى مرجعاً من المزمور (٢٢: ٩): "**اتكل على الله، فلينقذه الآن، إن كان راضياً عنه!**" (متى ٢٧: ٤٣). وتلمّح بالتأكيد خاتمة الآية "**فقد قال: انا ابن الله**" إلى فاتحة سفر الحكمة. ذلك ان هذا السفر يضع على المسرح بارّاً يضطهده الكفّار الذين يقولون عنه: "يزعم ان عنده علم الله ويسمّي نفسه ابن الرب. صار لَوْماً على افكارنا... أمسينا في عينيه شيئاً مزيَّفاً... يتباهى بان الله ابوه. فلننظر هل اقواله صادقة، ولنختبْر كيف تكون عاقبته. فان كان البار ابن الله، فهو ينصره وينقذه من ايدي مقاوميه... لنحكمْ عليه بميتة عار، فانه سيُفتَقَد بحسب اقواله" (حك ٢: ١٣-٢٠).

هذه الكلمات تكاد تكون نبوية، وقد قيلت بشأن البار التقي، قدوس إسـرائيل. ورأى فيها متى، وبحق، صورة يسوع المضطهد، لذا استخدمها لوصف سخريات اعدائه. فهذه الاهانات الموجهة إلى البار المثالي تتحقق الان في يسوع الذي أعدمه المنافقون.

وينفرد لوقا في الإصداء لاستهزاءات الجنود الرومان. فمع استخدامه الاشـارة إلى الخل –وسيرد ذكره، فيما بعد، لدى مرقس ومتى– رسم لوحة شاملة: انـه، بعـد إهانات اليهود (لو ٢٣: ٣٥)، يصف اهانات الرومان (لـو ٢٣: ٣٦-٣٨)، ومـن ثم اهانات اللصّين التي ستكون بمثابة خلاصة (لو ٢٣: ٣٩). ويتـسم بناؤهـا الانـشائي بالمهارة، ولكنه يبدو محتملاً جداً، إذ من الممكن جداً ان يكون الجنود الرومـان قـد انضموا إلى جوق اليهود فأيدوا سخرياتهم.

اما بشأن اللصّين، فقد كتب مرقس ومتى بانهما عيّرا يسوع. إلا ان لوقا كان اكثر دقة: فيما كان احدهما يعيّره، كان الآخر يصلّي. كيف نوفق بين هذه الاختلافات لدى الازائيين؟ يمكننا القول بان مرقس ومتى بقيا في العموميات، ولكن يمكننا أيضاً ان نعتقد بان لوقا اختار هذين اللصّين بمثابة نموذجين يجسّدان الدوافع المحرّكة لكل مـشهد الآلام. فاللص الشرير يجسّد اليهود ومآخذهم: "**ألست المـسيح؟ فخلّـص نفـسك وخلصنا**". انه الدافع الديني تجاه يسوع "المسيح". اما اللص الصالح، بـصفته نموذجـاً للرومان، فهو ينطلق من الدافع السياسي ليبيّن انه من دون اهمية: "**أوَما تخاف الله وانت تعاني العقاب نفسه! اما نحن فعقابنا عدل... اما هو، فلم يعمل سوءاً**" (لو ٢٣: ٤٠-٤١). انها كلمات بيلاطس، وهوذا اللص الصالح يتوجه إلى يسوع الملك: "**اذكرني يـا يسوع إذا ما جئت في ملكوتك**" (لو ٢٣: ٤٢).

فمن دون ان ننفي ان اللصّين تكلّما هكذا، يمكننا الاعتقاد بان لوقا، بمهـارة، ذكّر بقطبي المحاكمة: من جهة، الشعب اليهودي الذي رفض يسوع بصفته مسيحاً، ومن جهة اخرى، الشعب الوثني الذي لا يرى اي سوء في ملوكية المسيح ويدرك انه بريء.

هوذا يسوع يجيب: "**الحق اقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس**" (لـو ٢٣: ٤٣). ولفظة "فردوس" هي كلمة فارسية تعني "بستاناً"، وقد اخذت تُـستخدم، منذ زمن بعيد، للدلالة على مكان الخلود. ماذا اراد يسوع ان يقـول هنـا؟ هـل ان الصعود، كما ظن بعضهم، يتم للحال، هنا، وقبل القيامة؟ وهل سيُفتح الفردوس قبـل

الفصح والقيامة؟ لا. يكفي ان نفهم هذه اللفظة بمعنى الحياة مع الله، حيث سيدخل اللص مع يسوع، منذ لحظة موته. انه لن يذهب إلى الجحيم، بعيداً عن الله، بل سيكون منذ الآن مع يسوع، كما ذهب لعازر المسكين، في المثل، إلى حضن ابراهيم (لو ١٦: ٢٣). وكأن يسوع قال للصّ الصالح ما معناه: فور موتك، ستكون من الجهة الجيدة!

سنُخطئ إذا ركزّنا على حسابات زمنية. فالمسافة شاسعة بين زمن البشر حين تجسّد يسوع على الارض، وبين زمن الله في تدبيره الخلاصي. وكما ان يسوع صعد إلى السماء منذ قيامته، وانتظر ردحاً من الزمن قبل ان يُظهر نفسه للبشر، هكذا الحال هنا مع اللص: لا ينفي البتة دخولُه المباشر إلى الفردوس ضرورةَ انتظاره- على غرار كل قدّيسي العهد القديم- ان يفتح السماء يسوع القائم، صبيحة الفصح. انه الضمان، له كما لكل الذين يطلبون المغفرة من الرب ساعة الموت، بان يكونوا بالقرب منه، ساعة الموت، في بستان الله، في انتظار القيامة الاخيرة.

الفصل الثامن

موت يسوع

متى ٢٧: ٤٥-٥٦	مرقس ١٥: ٣٣-٤٢	لوقا ٢٣: ٤٤-٤٩	يوحنا ١٩: ٢٥-٣٠
٢٧ [٥٥] وكان هناك	١٥ [٤٠] وكان ايضا هناك	٢٣ [٤٩] ووقف	[٢٥] هناك وقفت
		عن بعد	عند صليب يسوع
		جميع اصدقائه	
كثير من النساء	بعض النساء	والنسوة...	
ينظرن عن بعد...	ينظرن عن بعد		
[٥٦] منهنّ	منهن		
			امّه واختُ امّه
			مريم امرأة قلوبا
			ومريم المجدلية
مريم المجدلية	مريم المجدلية		
ومريم ام يعقوب	ومريم ام يعقوب الصغير		
ويوسف	ويوسى		
وام ابني زبدى	وسالومة		
			[٢٦] فرأى يسوع امه والى جانبها
			التلميذ الحبيب اليه. فقال لامه:
			"ايتها المرأة، هذا ابنك".
			[٢٧] ثم قال للتلميذ: "هذه امك".
			ومنذ تلك الساعة،
			استقبلها التلميذ في بيته.
[٤٥] ومن	[٣٣] ولما	[٤٤] وكانت الساعة نحو	١٩: ١٤
الظهر،	كان الظهر،	الظهر،	
خيَّم الظلام	خيَّم الظلام	فخيَّم الظلام	
على الارض كلها	على الارض كلها	على الارض كلها	
الى الساعة الثالثة	حتى الساعة الثالثة.	حتى الثالثة،	
		[٤٥] لان الشمس قد احتجبت.	
آ ٥١	آ ٣٨	وانشق حجاب المقدس	
		من الوسط.	
[٤٦] ونحو الساعة الثالثة،	[٣٤] وفي الساعة الثالثة،		
صرخ يسوع	صرخ يسوع		
صرخة شديدة	صرخة شديدة		
قال:	قال:		
"إيلي، إيلي،	"ألوي، ألوي،		
لمَا شبقتاني؟"،	لمَا شبقتاني؟"،		
أي	أي		
"الهي، الهي،	"الهي، الهي،		
لماذا تركتني؟"	لماذا تركتني؟"		
[٤٧] فسمع	[٣٥] فسمع		
بعض الحاضرين هناك	بعض الحاضرين		
فقالوا: "انه يدعو ايليا".	فقالوا: "ها انه يدعو ايليا".		
			[٢٨] وبعد ذلك، كان يسوع يعلم
			ان كل شيء قد انتهى، فلكي
			يتم الكتاب، قال: "انا عطشان".
			[٢٩] وكان هناك اناء مملوء خلاً.
[٤٨] فأسرع لوقته	[٣٦] فأسرع		
واحد منهم	بعضهم		
وأخذ اسفنجة	الى اسفنجة	٢٣: ٣٦	فوضعوا اسفنجة
فبللها بالخل	وبللها بالخل		مبتلة بالخل
وجعلها	وجعلها		
على طرف قصبة	على طرف قصبة		على ساق زوفى

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
وسقاه.	وسقاه،		وادنوها من فمه،
[٤٩] فقال سائر الحاضرين:	وهو يقول:		
"دعنا ننظر	"دعونا ننظر		
هل ايليا يأتي فيخلصه!".	هل يأتي ايليا فينزله".		
			[٣٠] فلما تناول يسوع الخل،
[٥٠] وصرخ ايضا يسوع	[٣٧] وصرخ يسوع	[٤٦] فصاح يسوع	
صرخة شديدة	صرخة شديدة	بأعلى صوته	
		قال:	قال:
			"تمّ كل شيء".
			ثم حنى رأسه
		"يا ابتِ، في يديك	
		اجعل روحي".	
		قال هذا	
ولفظ الروح.	ولفظ الروح.	ولفظ الروح.	واسلم الروح.
[٥١] واذا			
حجاب المقدس	[٣٨] وحجاب المقدس		
قد انشقّ شطرين	انشقّ شطرين	٢٣: ٤٥	
من الاعلى الى الاسفل،	من الاعلى الى الاسفل.		
وزُلزلت الارض			
وتصدّعت الصخور			
[٥٢] وتفتّحت القبور، فقام			
كثير من اجساد القديسين الراقدين.			
[٥٣] وخرجوا من القبور بعد			
قيامته، فدخلوا المدينة المقدسة			
وتراءوا لاناس كثيرين.			
[٥٤] واما قائد المائة	[٣٩] فلما رأى قائد المائة	[٤٧] فلما رأى قائد المائة	
	الواقف تجاهه		
والرجال الذين كانوا معه			
يحرسون يسوع، فانهم لما رأوا			
الزلزال وما حدث		ما حدث	
خافوا خوفا شديدا			
	انه لفظ الروح هكذا،		
		مجّد الله	
وقالوا:	قال:	وقال:	
"كان هذا	"كان هذا الرجل	"حقا هذا الرجل	
ابن الله حقا".	ابن الله حقا".	كان بارا".	
		[٤٨] وكذلك الجماهير التي احتشدت،	
		لترى ذلك المشهد فعاينت ما حدث،	
		رجعت جميعا وهي تقرع الصدور.	
[٥٥] وكان هناك	[٤٠] وكان ايضا هناك	[٤٩] ووقف	[٢٥] هناك وقفت
		عن بعد	عند صليب يسوع
		جميع اصدقائه	
كثير من النساء	بعض النساء	والنسوة	
ينظرن عن بعد	ينظرن عن بعد		
وهنّ اللواتي تبعن يسوع		اللواتي تبعنه	
		من الجليل	
من الجليل ليخدمنه،			
		وكانوا ينظرون الى تلك الامور.	
[٥٦] منهنّ	منهنّ		
			امّه واختُ امّه
			مريم امرأة قلوبا

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
مريم المجدلية	مريم المجدلية		ومريم المجدلية
ومريم لم يعقوب	ومريم ام يعقوب		
	الصغير		
ويوسف	ويوسي		
وام	وسالومة		
ابني زبدى			
	[41] وهنّ اللواتي تبعنه وخدمنه		
	حين كان في الجليل، وغيرهنّ		
	كثيرات صعدن معه الى اورشليم.		

اليكم الآن الساعات الاخيرة من الآلام، مع كلمات الـرب الاخـيرة علـى الصليب، وموته، والظواهر التي رافقته.

النساء القديسات عند اقدام الصليب

مع ان الإنجيليين الازائيين لم يذكروهن إلا بعد موت يسوع، يجدر بنا الاعتقاد بأن النساء القديسات كن عند اقدام الصليب، وذلك سيسمح باقامة موازاة بين كـلام يسوع لأمه، فضلاً عن سائر أقوال المسيح المنازع.

من بين الاصدقاء المجتمعين على مسافة من الصليب، كانت هناك النساء اللواتي تبعن يسوع من الجليل؛ فلقد تبعن المعلم وخدمنه بسخاء ملؤه الحب، طيلـة تنقلاتـه المستمرة، لا بل صعدن إلى أورشليم. ليس من السهل تشخيصهنّ جميعاً، إذ ان تسميتهن تختلف لدى الإنجيليين.

لا يمكن ان نتردد بصدد **"مريم من مجدلة"**، وقد ذكرها الجميع؛ الها تـسمّى باسم قرية صغيرة في نواحي بحيرة طبرية، وهي من هذه القرية ولا شك. وهذه المرأة التي اخرج منها يسوع سبعة شياطين (لو٨ : ٢)، ستكون من اكثر النساء تعلقاً بـالرب. ويبدو، بحسب اناجيلنا، الها خاطئة استحقت ان تكون اولى من رأته قائماً مـن بـين الاموات، وسمعته. ولا بد من تمييزها عن الخاطئة التي ارتمت وبكت عند قدمي يـسوع (لو ٧: ٣٦-٥٠)، وبأولى حجة عن مريم من بيت عنيا، اخت مرتا ولعازر.

هناك امرأة اخرى ذكرت من ثم: **"مريم ام يعقوب ويوسف"** (متى ٢٧: ٥٦) او **"ام يعقوب الصغير ويوسي"** (مر ١٥: ٤٠)، ولا فرق بينهما في الواقع. فيعقـوب ويوسي هذان قد وُصفا بصفتهما من "اخوة يسوع" (مـر ٦: ٣ ومـتى ١٣: ٥٥)؛ والحديث، ولا شك، هو عن ابناء عم او خال، وقد تتوضح قرابتهما بفضل امهما.

هناك امرأة ثالثة ذكرت هنا: **"ام ابني زبدى"** بحسب متى، وهي **"سالومي"** بحسب مرقس. ومن المحتمل ان المقصود المرأة ذاتها، وهي سالومي زوجة زبدى وام يعقوب الكبير ويوحنا.

ولتوضيح هوية أولاء النساء، يجب الرجوع إلى الإنجيل الرابع. فيوحنا يسمّي اربع نساء: **"امه"**، أي ام يسوع، **"واخت امه"**، وهي اخت للعذراء، **"ومريم امرأة قلاوبا"**، واخيراً **"مريم من مجدلة"** (يوحنا ١٩: ٢٥). سبق أن عرفنا مريم من مجدلة؛ كما ان مريم ام يسوع، لا تثير مشكلة. إلا ان بعضهم يتساءل هل ان مريم، امرأة قلاوبا، و"اخت امه" هما امرأة واحدة ام امرأتان. من المحتمل جداً ان يكون المقصود امرأتين، إذ من المدهش ان اخت العذراء القديسة تسمى مريم على مثالها. ولكن، ألا تكون "اخت امه" هي سالومي امرأة زبدى التي يتحدث عنها الازائيون؟ في هذه الحالة، يكون يعقوب ويوحنا ابني خالة يسوع. ومن جهة اخرى، ألا تكون مريم التي لقلاوبا التي يذكرها الإنجيلي الرابع، هي مريم ام يعقوب ويوسي التي يتحدث عنها مرقس ومتى؟ من المعتقد ان قلاوبا هو شقيق يوسف؛ وحينئذ تكون امرأة قلاوبا زوجة اخيه، ويكون بالتالي ولداها يعقوب الصغير ويوسي ، ابني عم يسوع، لأن اباهما هو اخو ابيه الشرعي. ومهما كانت النتائج التي حصلنا عليها معقولة، إلا اهَا تبقى غير مؤكدة، طالما أن التشخيصات غير مثبتة. وسبق الاب لاكرانج ان عرض هذه التشخيصات في احد تفاسيره[١]، فيما طرح، في تفسير آخر، تشخيصا آخر[٢]. ومن النافل التوقف عند هذا الموضوع الذي هو بالتالي ثانوي بالنسبة إلى بحثنا الرئيسي.

اولاء النساء سيكُنّ حاضرات ابان انزال يسوع من على الصليب، ووضعه في القبر،كما لدى زيارة القبر صبيحة القيامة.

يسوع وامه

كتب يوحنا آيتين في غاية الاهمية: **"فرأى يسوع امه وإلى جانبها التلميذ الحبيب إليه. فقال لامه: ايتها المراة، هذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هذه امك. ومنذ تلك**

(١) تفسير إنجيل يوحنا، الطبعة الرابعة، ص ٤٩٣.

(٢) تفسير إنجيل مرقس، الطبعة الرابعة، ص ٩٣.

الساعة استقبلها التلميذ في بيته" (يو ١٩: ٢٦-٢٧). تشعرنا هذه الكلمات بتعليم عميق، إذ انها تتجاوز مشاعر الاهتمام البنوي التي تهدف إلى توفير سند لمريم في عزلتها، اثر غياب يسوع. ولكن لا ينبغي ان نهمل المعنى المباشر لهذا الكلام، كونه يشكّل برهاناً هاماً ضد اولئك الذين يدّعون ان لمريم اولاداً آخرين بعد يسوع. وتجاه هذا الرأي المنتشر بين البروتستنت، يمكن الرد: لو كان ليسوع اخوة من مريم، لانتفت الحاجة إلى ان تُعهد إلى التلميذ الحبيب.

إلا ان هنا ما هو اكثر من حركة اهتمام بنوي، كما رأى فيها آباء الكنيسة القدامى، من امثال يوحنا فم الذهب وقورلس الاسكندري واوغسطينس. ولكن، منذ القرن ١٢، ومع الاب روبير (Rupert)، ولا سيما منذ القرن ١٥، مع دني الكرتوزي (Denys le Chartreux)، عرف علم التفسير واللاهوت نشأة امومة مريم الروحية. فالتلميذ الذي يحبه يسوع ليس فرداً عادياً، وانما يمثل تلاميذ المسيح كافة؛ ففي شخصه يُسلَّم هؤلاء التلاميذ لحماية مريم التي اقيمت أماً لهم.

وتجدر الملاحظة إلى ان يسوع قال أولاً: "يا امرأة، هوذا ابنك"، أي انه توجّه إلى مريم أولاً، وليس إلى يوحنا. فلو كان يشاء فقط ان يعهد بأمه إلى شخص ما، لقال: "يا يوحنا، هيذي امك، اهتم بها"، ولقال لمريم: "ماما، ستذهبين معه"! انما بدأ يسوع بالعذراء، وهي التي تلقّت مهمة، لا بل انها أُختيرت لتتبنى هذا التلميذ بصفة ابن، ومن خلاله، تلاميذ يسوع بأسرهم. ذلك ان كل تلاميذ المسيح الحقيقيين، اولئك الذين يعملون اراداته ويتبعون وصاياه ويحبونه، هم ممثّلون بشكل رمزي في شخص التلميذ المفضَّل، وقد وَكَلَهم يسوع جميعاً، بصفة ابناء، إلى امه. لقد اصبح هذا التفسير اللاهوتي، أكثر فاكثر، مقبولاً لدى الكاثوليك؛ وترى الكنيسة هنا احد الاسس البارزة لأمومة مريم الروحية؛ لذا كان من الضروري التعمق فيه بمساعدة مقاربات بيبلية.

يرى المفسرون، بطيب الخاطر، في هذا المشهد، وبشكل لا يقبل الشك، صدى لمشهد قانا. ففي ذلك الحين أيضاً، تكلم يسوع مع امه منادياً اياها "يا امراة"؛ وهذه اللفظة ليست لفظة احتقار، بل هي بالأحرى فريدة ومليئة بالاحترام، طالما انها تبرز دور المرأة والأم. في قانا قال يسوع لمريم، في حضرة التلاميذ: "ماذا تريدين مني، ايتها المرأة؟ ان ساعتي لم تأت بعدُ" (يو ٢: ٤)، كما لو انه يعطي موعداً. والآن، جاءت ساعته،

هذه الساعة التي هي، في نظر يوحنا، ساعة الصليب. لذا استعاد يسوع هذه العبارة: "يا امرأة، هذا ابنك"، كي يقيم مريم في دور لم يكن بالامكان، إلى حد الآن، ان تلعبه.

هل يتوجب علينا أن نبحث بالاكثر ونرى في مريم نموذجاً لحواء الجديدة؟ هكذا اعتقد عدد من المفسرين: كأن يوحنا، في هذا المقطع، قد لمّح إلى بداية سفر التكوين، إلى ذاك المشهد الذي تلقت فيه حواء العقاب، بعد الخطيئة، ولكنها تلقت أيضاً الوعد بخروج امرأة من نسلها تنتصر على الحيّة المجرِّبة (تك ٣: ١٥). هل فكّر يوحنا في هذا النص وجعل من مريم امتداداً لحواء؟ غالباً ما كشف يوحنا، في إنجيله، بأن الشيطان عدو، كان على يسوع ان يدحره بانتصار الصليب؛ ولكن لا شيء هنا يشير بوضوح إلى مرجع مقصود بصدد ام البشر الاولى في الفردوس الارضي.

إلا ان هناك وجهاً آخر يبدو اكثر قرباً: الأم الكنيسة، إذ تبدو مريم تشخيصاً مدهشاً لها. ونجدنا بازاء "نموذجية" عميقة لا يمكننا التوقف عندها طويلاً؛ ذلك ان مريم تحقق في التاريخ نموذج "ابنة صهيون"، على حد تعبير الانبياء القدامى. ففي العهد القديم، تُشخِّص "ابنة صهيون" هذه، الجماعة المشيحانية، الشعب المختار، وبنوع خاص تلك البقية الامينة التي التأمت من جديد في أورشليم، بعد الجلاء؛ انها تضم في حضنها "المساكين" والوضعاء والاتقياء الذين ينتظرون الخلاص. وفي هذا الوسط الوضيع والخاشع، اعدّ الله مجيء المشيح، وكان هؤلاء "المساكين" بمثابة المهد للكنيسة المسيحية. ومنهم خرج زكريا واليصابات، يوسف ومريم، وبالتالي يسوع الذي توجهت بشراه بشكل خاص إلى هؤلاء "المساكين". ولوقا، في انجيل الطفولة، راى في مريم نموذجاً كاملاً لتلك النفوس الطاهرة والمتواضعة التي طالما انتظرت الخلاص وقبلته. ومشهدا البشارة والزيارة، مع نشيد "تعظم نفسي الرب"، يقدمّانها في هذا الضوء: مريم هي ابنة صهيون التي انبأ عنها الانبياء، والتي تبتهج لأن الله معها[٣]؛ لقد حضر الله فيها واتخذها عروساً، إذ اعطى لها ولداً هو الملك المسيح. ففي نشيد "تعظم نفسي"، تسبّح ابنة صهيون الاله الذي حطّ الاقوياء ورفع المتواضعين؛ وكان من الضروري أن يوضع هذا النشيد على لسان مريم! ولوقا لم يكن الوحيد الذي عرض هذه النموذجية. فلقد رأى يوحنا في مريم، والكنيسة الاولى من بعده، التعبير الشخصي المجسّد عن الكنيسة التي

---

[٣] كلمات الملاك بحسب لوقا ١: ٢٨ هي صدى لصفنيا ٣: ١٤-١٥ وزكريا ٩: ٩ ويوئيل ٢: ٢١-٢٧.

تنجب الشعب المشيحاني. وتنجب ام يسوع، به ومعه، هذا الشعب الجديد الذي سيتفجّر من قيامته؛ فمريم تحمل في أحشائها هؤلاء الابناء كافة، كما حملت يسوع ذاته.

وفي رؤية فصل ١٢ من سفر الرؤيا، ليست المرأة التي تظهر في السماء وعلى القمر، وما بين الكواكب، مريم حسب؛ بل انها اولاً الكنيسة التي تلد المسيح في الألم، والتي يحميها الله ذاته في البرية ضد هجمات الشيطان؛ ولكنها أيضاً مريم التي تمثّل جماعة القديسين، أي الكنيسة.

واعتقد، مع عدد كبير من المفسرين، ان المقصود هنا، في هذه الساعة الاحتفالية، هو ميلاد الكنيسة: فالكنيسة يلدها يسوع على الصليب، من قلبه المطعون، وتتلقى مريم رسمياً، في هذا الوقت بالذات، مهمة حماية الكنيسة. ذلك انها منذ ان اصبحت ام يسوع بالحبل والولادة، تلقت ضمنياً هذه المهمة؛ وفي الوقت الذي فيه أنجب يسوع الكنيسة، وبشكل تام، في ألم الصليب والموت، كانت مريم هناك تتم عملها بصفة أم. وبهذا المعنى هي مشارِكة في الفداء. ولكن يجب الحذر بشأن معنى هذه العبارة: لا تفعل مريم شيئاً إلا في صلة وثيقة مع ابنها؛ فلا يمكن القول ان مريم خلّصت الجنس البشري، ما دام يسوع هو المخلّص الوحيد. ومع ذلك، ففي ولادة الكنيسة، عبر ألم الصليب، لم يكن يسوع لوحده. فلقد كان، بقلبه البشري، وفي ألمه البشري، بحاجة إلى سند: وكانت مريم امه بالقرب من الصليب. لقد ساعدته على القبول وعلى عطاء كل شيء؛ وهكذا بصفتها أماً، اشتركت في ولادة الكنيسة.

من الخطأ، في رأيي، التحدث عن مريم بصفة "العذراء الكاهن"؛ فهي ليست كاهناً. ويسوع هو الكاهن الوحيد، والذي يمثّله سرّياً الكهنة الحاليون. اما مريم، فهي ام الكاهن الاعظم، وهي وحدها تلعب هذا الدور. انها ساعدت ابنها على إتمام الذبيحة. ومنذئذ كل النعم التي تأتينا من يسوع -ومنه وحده، كونه الينبوع الوحيد للخلاص- انما تأتينا على يدي مريم. ومريم -وهي في المجد بجانب ابنها- تشارك في توزيع النعم، كما شاركت، من موقعها المتواضع والرفيع كأم، في الحصول على النعمة[٤].

ذلك ما تضمنته، بايجازها المؤثر، تلك الكلمات المليئة بالبساطة: "ايتها المرأة، هذا ابنك"، "ايها الابن، هذه امك".

---

[٤] من البديهي ان الخلاص يأتي بيسوع وحده، وانه خلّص مريم كما خلّصنا. ولكنها، في منزلتها، بصفتها الأم التي اختارها الله، شاركت بشكل فريد في عمل الخلاص، وتلقت في الوقت ذاته مسؤولية حمايتنا نحن ابناء الله كافة.

كلمات يسوع الأخيرة

"**في الساعة التاسعة**" (أي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر)، بحسب مرقس ومتى، "**صرخ يسوع صرخة شديدة قال: ألوي ألوي لمّا شبقتاني، أي: الهي الهي لماذا تركتني؟**" (مر ١٥: ٣٤ ومتى ٢٧: ٤٦). "صرخ صرخة شديدة"! لا ينبغي أن نأخذ حرفياً هذه الصيغة البيبلية التي تُستخدم عادة كمدخل لكلام ذي مهابة. ليس المقصود صراخاً من دون كلمات، طالما ان مرقس ومتى يوضحان المفردات الآرامية ومعانيها. إلا ان هناك اختلافات: فان لفظة "ايلوي" ذات سمة اكثر ارامية، بينما لفظة، "ايلي" هي اكثر عبرية؛ ولفظة "ليما"، لدى متى، هي اكثر ارامية من "لاما"، بحسب مرقس. اما الجملة التي اوردها متى، فهي تبدو أكثر قرباً مما استطاع يسوع ان يقول، إذ انها تفسّر، بشكل افضل، الخطأ في اسم النبي ايليا. ومن الممكن، وفق ملاحظة ادلى بها مؤخرا احد العلماء[٥]، ان يقال، في ذلك الزمن، "الهي" وتلفظ بصيغة "إيليا" –ونلقى هذه الصيغة في مخطوطات البحر الميت– وهكذا نفهم، بشكل افضل، توهُّم السامعين. ومهما يكن، فمن الملاحظ ان الإنجيليين أدّوا الكلمات الآرامية كما تُلفظ، كما فعلوا مع بعض كلمات الرب المؤثرة: "إفّاتاح"، "رابّوني"، "أبّا". فهذه الكلمات، احتُفظ بها كما تلفّظ بها يسوع، وهذا ما يثبت بالتاكيد اصالتها. ولَكَمَ هي مثيرة هذه العبارة! ان يكون الآب قد تخلّى عن يسوع!!

لقد انكبّ علم التفسير المسيحي، منذ زمن بعيد، على هذه العبارة. وقُدّمت افتراضات كثيرة لتفسير تخلّي الله هذا. لقد رأى فيها بعض آباء الكنيسة، ولاسيما آباء الكنيسة اللاتين، عبارة مجازية: ذلك ان يسوع يتكلم باسم البشرية الخاطئة، وفي شخصه، تخلّى الله عن كل الخطأة! هكذا اعتقد كل من اوريجانس واثناسيوس وغريغوريوس التريتري وقورلس الاسكندري واوغسطينس. فالآباء اللاتين كانوا مُحرَجين جداً، إذ ان المزمور ٢٢، بعد هذه الآية، يواصل قائلاً: "... كلمات زئيري"، بينما يقول النص العبري "أنيني". لم يكن بوسع يسوع انَ يتكلم عن خطاياه! ومن ثم كانت الانسانية الخاطئة، إذن، تتكلم من خلاله. ولكن، هل يمكننا ان نقول ان الله يتخلى عن الخاطئ؟!

---

[٥] راجع أ. غيّوم: "متى ٢٧: ٤٦ في ضوء مخطوطات البحر الميت / سفر اشعيا"، ١٩٥١ (بالانكليزية).

وهوذا اوسابيوس وابيفانوس يقدمان تفسيراً ثانياً اكثر تعقيداً: تحدّثت الطبيعة البشرية في يسوع إلى طبيعته الالهية، وقد تذمرت نحو الكلمة لانه سوف يترك الطبيعة البشرية في القبر بعض الوقت! إلا ان هذا التفسير لا يُرضي: حتى بعد الموت، بقيت طبيعة المسيح البشرية، جسداً ونفساً، متحدة بالكلمة.

والتفسير الاخير، الحرفي، والاكثر بساطة، هو الذي دافع عنه، من بعد ترتليانس وثئودوريه وامبروسيوس وهيرونيمس، القديس توما الاكويني والعصر الوسيط وكثير من المحدثين: ان يسوع، في وجدانه العميق، شعر حقاً ان أباه تركه. وإذا كنا ندرك ما هو المقصود، فسيكون ذلك صحيحاً جداً. لسنا بازاء يأس، مهما اعتقد بعضهم من امثال اندريه جيد، الذين استغلوا هذه العبارة كي يدّعوا بان يسوع مات يائساً. لا ينبغي، بالتأكيد، الخوف من التعامل بجد مع خيبة يسوع؛ ولكن يجب ان نتكلم عن خيبة وليس عن يأس. ذلك لأن اليأس يعني ان الانسان فقد ثقته بالله، اما الخيبة فتتضمن فقط حزناً عميقاً وشدة. ذلك ان يسوع، بمشيئة الآب، اراد ان يذوق الموت البشري وظروفه المأساوية. وتركه ابوه، لا للهلاك، وانما تحت رحمة الشر والخطأة. ففي الجتسمانية، طلب يسوع ان يبتعد عنه الموت، ولكنه انحنى امام مشيئة الآب؛ وعلى الصليب، رفض يسوع ان يشرب الخمر المعطَّرة، كي يذوق، حتى الثمالة، كأس الموت البشري. وتكمن شدة هذا الموت بشكل واضح -وهو لكل منا ماساة كبرى- في شعور الانسان بانه متروك: الكل يتخلون عنك، وتجد نفسك وحيداً بالتمام ازاء الاله الدّيان. فيسوع الذي يمثّل البشر كافة، شعر ان الله تركه؛ ولكنه ذهب، بمحض ارادته، حتى التلاشي، حتى الألم الشامل. لقد شعر، امام الله، ان خطيئة العالم اكتنفته، ومن هنا جاءت خيبته المريعة. فلقد تركه الله في أيدي الخطأة، ايدي الرومان واليهود.

لا نخف من الاعتراف بشدة الرب: ولا ينبغي ان نُلبس الآم المسيح هذه غطاءً ظاهرياً، كما لو انه لم يتألم حقيقة، طالما انه كان يعلم بكل ما سيجري. لا ينبغي البتة ان نُفرغ هذا السر العميق من جوهره، بعملية تلطيف. فيسوع، ابن الله، عاش انساناً بكل معنى الكلمة، وشاء ان يذوق الموت البشري في وجهه الاكثر مأساوية.

ان خيبة يسوع الحقيقية تعطي لهذه العبارة تبريراً، ولكن يجب أيضاً ملاحظة نقطة اخرى هامة: ذلك ان هذه العبارة هي قول من الكتاب المقدس، لا بل هي الآية الاولى من المزمور ٢٢ -و لَكَم اضفى هذا المزمور من السمات على رواية الآلام. وحين

تلفظ يسوع بهذه الكلمات، فهو لم يخترعها، وانما اراد ان يبيّن بان الاسفار المقدسة تتم فيه، وان المزمّر كان قد أعلن شكواه الخاصة. وفضلاً عن ذلك، فان المزمور ٢٢ الذي يُفتتح بالكآبة، يُختم في الثقة. ومن المعلوم بالنسبة إلى قراء يهود ومسيحيين، ان كل نص يُستشهد به، يُذكّر بالمقطع الذي يليه. فلقد كان الناس يعرفون الاسفار عن ظهر القلب؛ وكانت البداية وحدها تكفي لمواصلة المزمور كله. علماً بأن الثلث الاخير من المزمور ٢٢ يعبّر عن ثقة البائس النهائية: "سأبشّر اخوتي بأسمك، وفي وسط الجماعة أسبحك... فانه لم يزدرِ بؤس البائس... وإذا صرخ إليه، كان سميعاً" (مز ٢٢: ٢٣-٢٥). وهكذا يترك يسوع المجال مفتوحاً: بعد الخيبة يأتي الخلاص، وبعد الألم يأتي الظفر. فهو انما يقدّس شكاوانا بشكواه الخاصة، إلا ان ثقته بالله تبقى كاملة.

هكذا يبدو هذا القول اصيلاً؛ ولم يكن بوسع المسيحيين البتة ان يخترعوا كلمات بهذا الحجم من المأساوية والقسوة. فلا نخشاها، إذ انها تلقي ضوءاً كبيراً على ألم يسوع، وتجعله اكثر قرباً من معاناياتنا الخاصة.

وحين سمع الحاضرون شكوى يسوع، ظنوا انه ينادي ايليا. ذلك ان لفظة "ايلي" التي تعني "يا الهي" تشبه، إلى حد ما، اسم ايليا؛ وكادوا يعتقدون، او اعتقدوا حقيقة ان يسوع ينادي ايليا. فاليهود في الواقع، كانوا يعتبرون النبي ايليا بمثابة ذاك الذي يأتي لمرافقة المدنفين على الموت، وكان بنوع خاص نبي الازمنة الاخروية. وكما كان اخنوخ، بحسب الكتاب المقدس (تك ٥: ٢٤)، هكذا كان ايليا ذاك النبي الذي صعد إلى السماء دون ان يموت: فلقد رُفع ايليا عند نهر الاردن، على عربة من نار (٢مل ٢: ١١). وكان التقليد يعتقد بانه سيأتي في الازمنة الاخيرة، كما كان ملاخي (٣: ٢٣) قد اعلن. وسبق يسوع وقال بان ايليا عاد في شخص يوحنا المعمذان. لذا قال بعضهم: "ها انه يدعو ايليا" (مر ١٥: ٣٥).

"فاسرع بعضهم إلى اسفنجة وبلّلها بالخل وجعلها على طرف قصبة وسقاه، وهو يقول: دعونا ننظر هل يأتي ايليا فيُنزله" (مر ١٥: ٣٦). وتعمّدت الترجمة ان تكون شعبية لتحترم نبرة المتكلمين. ونحس هنا بالهزء والشر: إذا كان ينادي ايليا، فينبغي اعطاؤه خلاًّ لإطالة حياته. وكان الرومان يعطون في الواقع خلاً للمحكومين لإنعاشهم

وإجبارهم على التألم لمدة اطول؛ وكانوا يضعون أيضاً خلاً على الجروح لاستثارتها. وهكذا كان الحاضرون، في رواية مرقس، يهزأون بشكل عنيف: لا ينبغي ان يموت طالما ان ايليا سيأتي!

اما نص متى (٢٧: ٤٨-٤٩)، فيعكس انطباعاً مختلفاً: احد الحاضرين، وبحركة عطف، يأخذ اسفنجة ليروي بالخل عطش يسوع[٦]. والآخرون هم الذين يقولون: **"دعنا ننظر هل يأتي ايليا فيخلّصه"** (متى ٢٧: ٤٩). فلدى مرقس، الشخص الذي يعطي الخل هو ذاته يقول: "دعونا ننظر هل يأتي ايليا فيُنزله". وهكذا نجد، بحسب متى، حركة عطف تجاه يسوع العطشان. بينما تمتزج هذه الحركة، لدى مرقس، بالسخرية.

وبالرغم من هذه الاختلافات الصغيرة، يُحتمل جداً ان يكون للنصيّن اساس مشترك يتحقق فيه مقطع من المزمورين الكبيرين المتعلقين بالآلام: "وفي عطشي سقوني خلاًّ" (مز ٦٩: ٢٢). وكان متى قد سبق وذكر المرارة في بداية الآلام -وقد مزجت بالخمر عوضاً عن المُرّ- وها هو الآن يتحدث عن الخل. ولا اعتقد ان هذا الموضوع قد اختُرع لتطبيق المزمور، إذ انه معقول جداً.

ويضفي يوحنا على روايته صيغة تختلف قليلاً. ولما كان يهمه ان يبين بأن يسوع يحقق الاسفار المقدسة، فقد حرص على التأكيد ان يسوع **"كان يعلم ان كل شيء قد انتهى، فلكي يتم الكتاب قال: انا عطشان"** (يو ١٩: ٢٨). ذلك ان يوحنا يفكر في المزمور: "في عطشي سقوني خلاًّ" (مز ٦٩: ٢٢). ولقد استخدم يسوع ذاته عطشه -وهو عطش حقيقي، لا بل عطش قاس- ليتم الكتب التي أنبأت بألمه. وبحسب يوحنا، يكون الجند قد ثبّتوا الاسفنجة المبلّلة بالخل على غصن زوفى. انه امر غريب، إذ ان الزوفى هي نبات صغير قابل للالتواء، لم يكن بوسعه قط أن يُستخدم لمدّ اسفنجة نحو فم انسان في مثل هذا الارتفاع. فمن الصعب ان نتخيل الامر: وقد ظن بعضهم ان الزوفى قد ثُبتت على رأس قصبة؛ فيما تخيل آخرون ان هناك خلَلاً في النص: عوضاً عن كلمة (hyssôpô)، حمل النص اليوناني كلمة (hyssô) التي تعني "رمح"؛ وهكذا يكون

---

[٦] ليس المقصود خلاً صافياً، وانما شراباً منعشاً يسمّى "posca " الذي كان يستخدمه الرومان. والكتيبة الرومانية التي صلبت يسوع كانت تحمل معها مطّارة من هذا الشراب لإرواء عطشها. فحين انطلقت صرخة يسوع، اعطاه احد الجنود منه ليشرب.

الجنود قد اخذوا رمحاً ليوجّهوا الاسفنجة المبلَّلة بالخل. تبدو هذه النظرية فريدة، ولكن من الصعب قبولها: انها كلمة يصعب على يوحنا استخدامها؛ فضلاً عن ان الرمح هو سلاح جنود الفيلق، في حين لم يكن في ذلك الزمن، بأورشليم، سوى قطعات مساعدة. ومهما يكن من امر هذه القضية الصغيرة التي لم تجد حلاً مرضياً، يجب التذكير بأن الزوفى كان غصناً طقسياً استُخدم للطخ دم الحمل الفصحي (خر ١٢: ٢٢)؛ وهذا يتناسب جيداً مع موت يسوع على الصليب، بصفته الحمل الفصحي الجديد. ويوحنا وحده يوضح: "**فلما تناول يسوع الخل...**" (يو ١٩: ٣٠). وهكذا يكون يسوع قد شربه ليتم الكتب، بينما كان قد رفض الخمر المعطَّر.

واليكم الآن كلمة يسوع الاخيرة. لم يدونها مرقس ومتى، وانما كتبا: "**صرخ يسوع صرخة شديدة**" (مر ١٥: ٣٧)، او "**وصرخ أيضاً صرخة شديدة**" (متى ٢٧: ٥٠). و أشار لوقا أيضاً إلى ان يسوع "**صاح باعلى صوته**" (لو ٢٣: ٤٦). ولا ينبغي أن نأخذ هذه الكلمة بمعنى مأساوي، كأن نرى فيها صرخة غريبة هي، في نظر البعض، علامة يأس، بينما هي، في نظر آخرين، برهان على ان يسوع ما زال محتفظاً بقوته. فهذه العبارة التي هي اشبه بردّة، نلقاها في اغلب الاحيان: حين بدأ بولس بالكلام متوجّهاً بالكلام إلى مقعد لسترة (رسل ١٤: ١٠)، او حين توجه الحاكم فستس بالكلام إلى بولس (رسل ٢٦: ٢٤)، وحين كان هناك مرضى شفاهم يسوع فأخذوا يسبحون الله (لو ١٧: ١٥ و ١٩: ٣٧)، او حين راح يسوع ينادي لعازر (يو ١١: ٤٣). ففي كل هذه الحالات، لا توحي هذه العبارة بصرخة شاذة. لذا يجب تفسير كلمات الإنجيل وفق استخداماتها الواقعية في ذلك الحين[٧]. وهكذا، إذن، لم يطلق يسوع صرخة خارقة العادة، وانما قال بصوت شديد كلمة اوضحها كل من لوقا ويوحنا.

"**ها قد تم**"! هكذا كتب يوحنا. اما لوقا فكتب: "**يا أبتِ، في يديك اجعل روحي**" (يو ١٩: ٣٠؛ لو ٢٣: ٤٦). هل ينبغي لنا ان نختار بين هذين القولين؟ ليس ذلك ضرورياً، إذ ان كلاً منهما محتمل. والقول الذي نقله يوحنا يحقق رغبة يسوع

(٧) من السذاجة ان نعطي لكل الكلمات عين القوة التي لها في الأصل. ويعطي المؤلف شاهدين عن عبارات كان لها في الأصل معنى، ومن ثم فقدته أو لم يبقَ له عين القوة... ويدعو إلى تجنب التعامل الحرفي مع الكلمات الذي يؤدي احيانا إلى معان مضادة (المعرب).

الواضحة في إتمام الكتب. والكلمة اليونانية "تمّ"، استخدمت خصيصاً في هذا المعنى. "كل شيء قد تمّ"، فقد تحققت ارادة ابي، أي المخطط الذي اعلنت عنه الكتب. ومنذ بداية الآلام، كان يريد يسوع ان يحتمل كل ما كان متوقعاً؛ اقتسام الثياب، الخل... وهكذا تصبح هذه الكلمة رائعة جداً، إذ يعلن فيها يسوع، كعامل جيد في نهاية النهار: "عملي قد أُنجز، بوسعي ان اذهب"!

اما لدى لوقا، فليس الكلام اقل روعة: "استودع روحي بين يديك". وهذا القول ذو الصدى النفسي العميق، جاء من المزمور: "في يديك استودع روحي" (مز ٣١: ٦). وهذا المزمور الذي نتلوه في صلاة الفرض، كان الربابنة يدعون إلى تلاوته في صلاة المساء. ففي المساء يودع الانسان ذاته بين يدي الله، او في مساء حياته، اي الموت. فمن المحتمل جداً ان يكون يسوع قد تلاه في مساء حياته: "يا ابتِ، في يديك استودع روحي".

ويستحيل علينا جدا ان نقرر إن كان يسوع قد تلفظ بهذا القول وليس بذاك، او بهذا القول قبل ذاك. انما يجب ان نتلقى الأناجيل كما هي، وكلاًّ منها بحسب التقاليد الخاصة المحتملة، ونتلقاها بالفرح، ونتخلى عن مزج لا يمكن ان نقوم به. فكل هذه الاقوال ذات السلطة، بفضل إلهام الكتّاب، تساعدنا في الحصول على لمحات ووجهات مختلفة من ذات الرب العميقة. ذلك ان الحزن الكامل الذي انتاب طبيعته المتروكة لقوى الشر، تعقبه الثقة المتفائلة التي يتصف بها العامل الذي أتمّ عمله: "ها قد تمّ"، وكأنه يقول لأبيه: "استودع لك روحي، واترك لك الآن مهمة القيام بالباقي...القيامة!"

وبعد ان قال هذا الكلام "**لفظ الروح**"، بحسب مرقس ولوقا، او "**ترك روحه تذهب**"، بحسب متى، او "**أسلم الروح**"، بحسب يوحنا. والكلمات هي قصيرة جداً بالنسبة إلى حقيقة بهذا المستوى. إلا ان في مثل هذه الحالات، يكون التحفظ او الصمت هو الافضل. فالإنجيليون الاربعة يعلنون، من دون اية رومانسية، خلاصة العمل الذي به اكمل يسوع خلاص البشر، بشكل نهائي. واشار يوحنا إلى انه "حنى رأسه"، وهكذا نجدنا بازاء شاهد عيان. ومن النافل ان نبحث هنا عن معنى رمزي: فيسوع يحني رأسه كأي مدنف على الموت؛ إذ من بعد النفَس الاخير، ينحني الرأس، وكل الذين يرونه يدركون ان الحياة قد ذهبت.

الظواهر التي رافقت موت يسوع

رافقت هذا الموت المأساوي -هو في الوقت ذاته موت هادىء وواثق- ظواهر شاء الإنجيليون ان يبرزوا من خلالها البُعد الخارق لهذا الحدث: الظلمات التي خيمّت على الارض بين الساعة السادسة والساعة التاسعة -من الظهر حتى الثالثة بعده-، حجاب الهيكل الذي انشق، قائد المئة الذي يعترف ان يسوع هو ابن الله، بعض الموتى الذين يقومون (بحسب متى وحده).

وهنا يجب أن نأخذ بالاعتبار الاسلوب الادبي لهذا الوصف: لنقل من جديد بأننا لسنا بازاء لقطات فوتوغرافية فورية، ولا بازاء تحقيق مباشر من موقع الاحداث، وانما ازاء رواية ذات مضمون بيبلي وهدف لاهوتي. ومن دون أن ننفي مبدئيا الاحداث الخارقة، يحق لنا ان نتساءل: لماذا رُويت على هذا النحو؟ أليس لدى المؤلفين رغبة في التذكير بمواضيع بيبلية قد تحققت؟

تلك طريقة مألوفة في الكتاب المقدس للتعبير عن يوم يهوه، اليوم النهيوي الكبير، عبر ظواهر كونية، وعبر زعزعة العالم، ترافقها ظلمات وفوضى في الكواكب. وهنا يتدخل تصور شرقي يطيب له ان يستخدم كليشيات دون التقيد بحرفيتها، وذلك للتعبير عن فكرة عميقة او عن حقيقة روحية. يكفي ان نورد عدداً من نصوص الانبياء للتذكير بهذه المواضيع البيبلية التي تغذى منها الإنجيليون. هوذا ما كتبه صفنيا: "يوم حنق ذلك اليوم! يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلمة وديجور، يوم غيم وغمام مظلم" (صف ١: ١٥). ويصف يوئيل أيضاً يوم يهوه: "من وجهه ارتعدت الارض ورجفت السماء، واظلمت الشمس والقمر، وسحبت الكواكب ضياءها" (يوء ٢: ١٠). وفي مكان آخر: "واجعل الآيات في السماء وعلى الارض، دماً وناراً واعمدة دخان. تنقلب الشمس ظلاماً، والقمر دماً!" (يوء ٣: ٣-٤). وهوذا عاموس النبي يبدو اكثر قوة واكثر قرباً من النصوص الإنجيلية: "ويكون في ذلك اليوم، يقول السيد الرب: أني اغيّب الشمس عند الظهيرة وأُعتّم الارض في رائعة النهار، واحوّل اعيادكم نوحاً وجميع اناشيدكم رثاء، واضع المسح على كل حقو، والقُرَع على كل رأس، واجعلها كمناحة على وحيد، ونهايتها كيوم مرير" (عا ٨: ٩-١٠). انه يذكر أيضاً تفصيلاً يوحي بتمزّق حجاب الهيكل: "رايت السيد واقفاً على المذبح، فقال: إضربْ تاج

العمود، ولترتجف الاعتاب" (عا ٩: ١). وكان عاموس قد قال في آيات سابقة: "أفلا ترجف الارض بسبب ذلك ؟" (عا ٨: ٨). وهكذا نرى، لدى عاموس، ان الارض ترتجف والسماء تُظلم في وسط الظهيرة، وتحدث كوارث في الهيكل، ويُنتشل موتى من الشيئول: "إن خرقوا مثوى الاموات، فمن هناك تأخذهم يدي" (عا ٩: ٢).

وهكذا نرى ان هناك طريقة اعتيادية، لدى الكتّاب البيبليين في وصف يوم يهوه. ففي نظر الإنجيليين، يبدو يوم موت يسوع هو يوم يهوه الكبير، يوم العقاب، ويوم بداية الزمن النهيوي. فمن الطبيعي أن يستخدموا لوصفه صوراً تقليدية استقوها من الاقوال النبوية.

ويسوع، في خطابه الرؤيوي، كان قد أعلن عن نهاية أورشليم او عن نهاية العالم، بفضل هذه الصور الكونية ذاتها. ولكي نفهمها جيداً، يجب ان نأخذ بعين الاعتبار المفارقة الشرقية التي غالباً ما تخفى عن الفكر الغربي. وإليكم، على سبيل المثال، في ما يتعلق بالاسلوب الادبي، ما كان يُقال لدى اليهود عن موت ربابنة مشاهير[٨]: "حين توفي ر.آشا، اصبحت الكواكب مرئية في قلب الظهيرة.... وحين توفي ر.حنان، تساقطت التماثيل ... وحين توفي ر.حانينا، انغلق بحر طبرية... وحين توفي ر. اشحاق، تكسرت سبعون عتبة منزل في الجليل ... وحين توفي ر. شموئيل، انغلقت الارزات في إسرائيل... وسقطت حزمة نار من السماء وكوّنت جداراً بين نعشه وموكب التشييع، وحدثت صاعقة وبروق في العالم مدة ثلاث ساعات". وازاء مثل هذه الموازاة، سيكون بوسعنا ان نميّز الظواهر المختلفة المذكورة في الأناجيل، دون ان نبالغ في وجهها الخارق، ونبحث بالأولى عن معناها اللاهوتي.

الظلمات

لا يمكن ان يكون هناك كسوف حقيقي ابان اكتمال البدر في الفصح، إذ ان الكسوف لا يحدث إلا في فترة البدر الجديد. ولم يتكلم لوقا ذاته عن كسوف؛ ولفظة eklipontos، انما تعني فقط ان الشمس انخفض ضياؤها. وإذا انتفى الكسوف، فبامكاننا ان نتخيل سماوات مظلمة —وذلك ليس من النادر في فصل الربيع؛ ويقول الاب لاكرانج

[٨] تلمود فلسطين، عبوداً زارا، ٣: ٤٢

ان "السماء الحالكة"، انما هو تلك الايام التي تكون فيها الشمس رمادية اللون وشاحبة كالقمر، في مناخ مضطرب. وقد يكون الله قد اطلق ريحاً رملية مظلمة، ورأي فيها المسيحيون، بحق، اكتمال الظلمات التي اعلنها الانبياء ليوم يهوه. لذا فمن السذاجة التحدث عن تدفّق براكين جبل حوران، كما طرح بعض المفسرين!

انشق حجاب الهيكل

هذا الحدث أيضاً، لا ينبغي ان نأخذه حرفياً. فلقد اشار الاب لاكرانج إلى ان بوسع ريح عاتية ان تقتلع خيمة؛ وهذا ممكن أيضاً، حتى وإن كان حجاب الهيكل اكثر متانة من خيمة البدو.

ينبغي، اذن، أن نسير فوراً باتجاه الرمزية: ماذا تريد الأناجيل ان تقول؟ سيما وانها لا تعير اهتماماً كبيراً للتفاصيل الغريبة. فهذا الحجاب هو رمز، إذ انه الفاصل الذي يُبعد الوثنيين عن الديانة اليهودية. ومن المحتمل ان المقصود هو حجاب القدس اكثر مما حجاب قدس الاقداس؛ فقد كان يحجب الهيكل الداخلي عن الناس الذي هم في الفناء، يهوداً كانوا ام وثنيين بالاخص. وكان هذا الحجاب يحمي، بشكل خاص، سر الديانة، اي حميمية يهوه في داخل هيكله. فأن يمزّق الحجاب، فذلك يعني نفي السر وتجاوز الخصوصية. وهكذا لن تعود شعائر العبادة اليهودية امتيازاً خاصاً بشعب، بل تصبح مفتوحة للجميع، اي حتى للوثنيين. وهذا هو معنى هذه الظاهرة العميق.

وهناك تطبيق اكثر دقة يمكن ان يشمل يسوع ذاته. فالرسالة إلى العبرانيين، استخدمت الرمزية ذاتها لتقول ان يسوع فتح "السبيل إلى المقدس" السماوي، "سبيلاً جديدة حية فتحها لنا من خلال الحجاب، أي جسده" (عب ١٠: ١٩– ٢٠). وهكذا يصبح حجاب الهيكل جسد المسيح بالذات، الممزّق والمائت؛ فبموته دخل في المقدس السماوي، كي يواصل، منذ الآن، ليتورجيا الكاهن الاعظم السماوي.

ذلك هو العمق اللاهوتي الذي تضمنه هذا التفصيل الوارد في الأناجيل. فلقد رُوي لتعليم المسيحيين بان العبادة اليهودية أُبطلت بموت المسيح، واصبحت الديانة شاملة؛ وان يسوع ذاته، بدخوله هو الاول إلى المقدس السماوي، فتح سبيل الخلاص لكل البشر.

اعتراف قائد المئة

هذا الحدث مُحتمل جداً: ذلك ان قائد المئة كان في الحراسة، في خدمة الزامية. وهو، بحسب مرقس، يتعجب من موت يسوع: **"لما رأى قائد المئة الواقف تجاهه انه لفظ الروح هكذا، قال: كان هذا الرجل ابن الله حقاً"** (مر ١٥: ٣٩). فلقد كان قد راى كثيراً من المعدومين، غير ان هذا الموت لم يكن له مثيل. و لم يكن بوسع قائد المئة أن يقول "ابن الله"، بالمعنى الذي يقصده ايماننا المسيحي المتطور؛ كما لم يكن بوسع هذا الوثني ان يدرك -اكثر من عظيم الكهنة- ما سيعلنه، فيما بعد، مجمع نيقية وبعد عناء كثير. قد يكون باستطاعته ان يستخدم العبارة التي اوردها لوقا والتي تبدو اكثر احتمالاً: **"حقاً هذا الرجل كان بارًّا"** (لو ٢٣: ٤٧)، أي بريئاً. وقائد المئة، بحسب متى، لم يكن متعجباً من موت يسوع، وانما بالزلزال، وكأنه بازاء حدث يفوق الطبيعي، حدث سماوي كانت فيه يد الله.

وفي كل الاحوال، لم يكن اهتمام الإنجيليين، بالدرجة الاولى، بقائد المئة، سيما وانهم لم يذكروا اسمه[٩]، إذ انه في نظرهم، رمز للعالم الوثني، وممثل لروما. ذلك ان بيلاطس بقي في قصره، اما هذا الضابط، فهو يمثل الامبراطورية عند اقدام الصليب؛ وبلسانه، اعترفت الامبراطورية ان يسوع هو ابن الله، او أنه على الاقل بريء. ففي الوقت الذي يتمزق فيه حجاب الهيكل -ويترتب من ثم على الديانة اليهودية ان تنفتح- هوذا العالم الوثني يعلن: هذا الموت مثير للدهشة، وهذا الرجل هو بحق قديس. ونجدنا مع فجر دخول الوثنيين في سر الخلاص.

قيامة بعض الموتى

هذا الحدث نقله متى وحده. لقد سبق ان كتب: **"... وزلزلت الارض، وتصدّعت الصخور"** (متى ٢٧: ٥١). نحن، إذن، بإزاء الوصف البيبلي التقليدي ليوم يهوه. ففي العصر البيزنطي، على سبيل المثال، حين كانوا يرسمون القيامة او الثالوث،

(٩) هناك تقليد يطلق على قائد المئة اسم "لونجين"، وينسب إليه مصلّى في كنيسة القيامة. إلا ان هـــذا الاســـم، في الواقع، يرجع إلى ان كلمة رمح باليونانية هي: **lonchè** .

كان هناك نموذج جاهز: الشخوص، الموضوع، الالوان الخ... هكذا هي الحال، إلى حد ما، في ما يتعلق بالكتاب المقدس. فلكي يصفوا يوم يهوه، كانت الالوان متوقعة: الظلمات، الكواكب المظلمة، الزلازل... كان لا بد ان يكون لها مكان في هذا الوصف. ومتى يستقي من هذا التقليد. وليس محظوراً علينا ان نفكر بزلزال حقيقي؛ ولكن ليس من الضرورة ان نعتقد بأن الشق في الصخرة التي تبدو في مكان الجلجلة ناتج عن ذلك!

إلا ان تتمة الوصف تبدو اكثر غرابة: **"تفتّحت القبور، وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين، وخرجوا منْ القبور بعد قيامته، فدخلوا المدينة المقدسة وتراءوا لأناس كثيرين"** (متى ٢٧: ٥٢-٥٣). ماهو المقصود من هذا المقطع الذي يصعب فهمه؟ يتفق النقّاد على الاعتقاد بان هؤلاء القديسين هم اشخاص من العهد القديم، كالآباء ابراهيم واسحق ويعقوب وداود. ولكن عن اية عودة إلى الحياة يدور الحديث؟ هناك عدد من آباء الكنيسة يتحدثون عن عودة إلى حياة هذا العالم، يعقبها موت جديد. وبموجبه نكون بازاء معجزة، أي علامة قدرة. تلك هي الحال مع الانبعاثات في الإنجيل، كما جرى في احياء لعازر. إلا ان سياق النص يستبعد مثل هذا التفسير: هل يمكننا ان نتخيل ابراهيم خارجاً من قبره ومتجولاً في أورشليم، على مدى يومين او ثلاثة، ويموت من ثم من جديد ؟ إن مثل هذه الرؤية للامور هي من الغرابة بمكان بحيث تحملنا على البحث عن شيء آخر غير القيامة المؤقتة.

يعتقد اغلبية آباء الكنيسة، ومعهم اللاهوتيون المعاصرون، انه ينبغي التفكير بقيامة نهيوية (اسكاتولوجية). فنحن بازاء تحقيق ما اعلنه الانبياء بأن الموتى سيقومون في منتهى الازمنة. لم يكن بوسع صدّيقيّي العهد القديم ان يدخلوا إلى السماء قبل ان يكون يسوع قد فتحها، وكان عليهم ان ينتظروا في موضع مؤقت، يدعى "اليمبوس". وما ان أُنجز الخلاص، فمن الثابت ان ابواب اللمبوس فتحت، وان موتى العهد القديم دخلوا إلى الفردوس، من دون اجسادهم ولا ريب، وانهم بلغوا إلى السعادة المعدّة للنفوس، في انتظار القيامة الاخيرة. ذلك هو بوضوح ما اراد متى ان يعلّمنا اياه هنا: لقد اشترك قدّيسو العهد القديم في قيامة المسيح، ودخلوا معه في الزمن النهيوي (الاسكاتولوجي). انهم يتراءون في المدينة المقدسة، ولكنها ليست بالضرورة أورشليم الارضية، وانما هي بالاحرى مدينة السماء المقدسة، أورشليم السماوية، كما تدعوها الرسالة إلى العبرانيين

(١١: ١٠؛ ١٢: ٢٢-٢٣؛ ١٣: ١٤)، وكما يدعوها سفر الرؤيا (٣: ١٢؛ ٢١: ٢-١٠؛ ٢٢: ١٩). ان كلام متى لاهوتي اكثر من كونه تاريخياً بالمعنى المادي، وهكذا فهمه كثير من آباء الكنيسة[١٠]. انه تعبير رائع، مليء بالصور وغني بعقيدة النزول إلى الجحيم. فهذه العقيدة التي تضمنها قانون ايماننا، تعني ان يسوع نزل إلى الجحيم، لا ليقاتل الشيطان، طالما انه أحرز النصر بالصلب، وانما لكي يفتح الباب للنفوس المخلّصة. فالمسيح يحرر من الشيئول كل الذين كانوا ينتظرون الخلاص في الماضي، ويُدخلهم معه إلى الفردوس. وهكذا تصف عبارات متى القليلة هذه العقيدة؛ ذلك ان موتى العهد القديم لا ينبعثون الآن بمعنى الكلمة الحالي، وانما سينبعثون في آخر الازمنة، ولكنهم يشتركون، منذ الآن، في مجد المسيح الناهض، ويدخلون منذ الآن في المدينة المقدسة.

تلك هي الاحداث التي ترافق موت الرب وترسم مجيء يوم يهوه، اي افتتاح الزمن الجديد الذي يبدأ بموت يسوع. فان زمن العالم الذي كان يسود فيه الشيطان قد بلغ حدّه مبدئياً. ومع يسوع، بدأ زمن جديد سيسطع في الواقع بقيامته، في غضون يوم ونصف، إلا ان هذا الزمن، مع يسوع، سيكون حاسماً.

هذا الزمن الجديد، بالنسبة لنا نحن المسيحيين، قد جاء، ولكنه أيضاً قيد المجيء؛ لقد سبق لنا أنْ اتحدنا بالرب، واخذنا نعيش، بواسطة النعمة والايمان، في هذا الزمن النهيوي، مع المسيح الممجَّد؛ ومع ذلك، هناك جزء من ذواتنا ما زال في عالم الخطيئة، عالم آدم العتيق. ويترتب على كلٍ منّا ان يترك هذا العالم القديم ويقوم من جديد بدرب الصليب، كما أتمه يسوع: تلك هي الحياة المسيحية برمتها. نحن نعلم ان المعلم قد قطع الطريق من اجلنا، وانه اعطى للموت البشري معنىً وقيمة فدائيَين؛ ولذلك لنا الثقة، بأن كل شيء قد رُبح مسبقاً. ولم يبقَ لنا ولا شك سوى ان نموت، ستكون تلك مهمتنا الكبرى ويجب ان تعدنا لها حياتنا كلها. فالموت هو الذبيحة الكبرى، وهو عطاء ذواتنا الكامل الذي يجعلنا نعبر من هذا العالم إلى الآخر. فما كان عقيماً ومأساوياً اصبح مثمراً وسهلاً، لأن يسوع مات من اجلنا.

---

[١٠] ان تفاصيل هذا الكلام، إذا اخذناها حرفياً، يصعب تصديقها: اجساد القديسين تقوم يوم الجمعة العظيمة، ولكنها تنتظر يوم احد القيامة لتخرج بعد قيامة المسيح! انها لا تخرج من القبر إلا بعد القيامة، إذ لا يسعها ان تدخل الفردوس قبل يسوع، ولكنها قد أُنقذت من اليمبوس منذ ان ظفر يسوع بالموت.

الفصل التاسع

دفن يسوع

طعن يسوع بالحربة

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ١٩: ٣١-٣٧
			٣١ وكان ذلك اليوم يوم التهيئة، فسأل اليهود بيلاطس ان
			تُكسر سوق المصلوبين وتُنزل اجسادهم، لئلا تبقى على
			الصليب يوم السبت، لان ذاك السبت يوم مكرَّم.
			٣٢ فجاء الجنود فكسروا ساقي الاول والآخر
			اللذين صلبا معه.
			٣٣ اما يسوع، فلما وصلوا اليه ورأوه قد مات،
			لم يكسروا ساقيه،
			٣٤ ولكن واحدا من الجنود طعنه بحربة في جنبه،
			فخرج لوقته دم وماء.
			٣٥ والذي رأى شهد، وشهادته صحيحة،
			وذاك يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم ايضا.
			٣٦ فقد كان ها ليتم الكتاب: "لن يُكسر له عظم".
			٣٧ وورد ايضا في آية اخرى من الكتاب:
			"سينظرون الى مَن طعنوا".

دفن يسوع

متى ٢٧: ٥٧-٦١	مرقس ١٥: ٤٢-٤٧	لوقا ٢٣: ٥٠-٥٦	يوحنا ١٩: ٣٨-٤٢
٥٧ وعند المساء،	٤٢ وكان المساء قد اقبل،		٣٨ وبعد ذلك
	ولما كان ذلك اليوم يوم التهيئة		
	أي الذي قبل السبت،		
جاء رجل	٤٣ جاء	٥٠ وجاء رجل	جاء
غنيّ من الرامة			
اسمه يوسف	يوسف	اسمه يوسف	يوسف
	الرامي،		الرامي
	وهو عضو وجيه في المجلس،	وهو عضو في المجلس	
		وامرؤ صالح بارّ	
		٥١ لم يوافقهم على قصدهم	
		ولا عملهم، وكان من الرامة	
		وهي مدينة لليهود.	
وكان هو ايضا	وكان هو ايضا	وكان	
	ينتظر	ينتظر	
	ملكوت الله.	ملكوت الله.	
قد تتلمذ ليسوع.			وكان تلميذا ليسوع
			يُخفي امره خوفا من اليهود
	فحملته الجرأة		
٥٨ فذهب الى بيلاطس وطلب	على ان يدخل الى بيلاطس ويطلب	٥٢ فذهب الى بيلاطس وطلب	فسأل بيلاطس
			ان يأخذ
جثمان يسوع.	جثمان يسوع.	جثمان يسوع.	جثمان يسوع،
	٤٤ فتعجّب بيلاطس ان يكون		
	قد مات، فدعا قائد المائة		
	وسأله هل مات منذ وقت طويل.		
	٤٥ فلما تحقق الخبر من القائد،		
فأمر بيلاطس ان يسلّم اليه.	سمح بالجثمان ليوسف.		فأذن له بيلاطس.
			فجاء فأخذ جثمانه.
			٣٩ وجاء نيقوديمس ايضا، وهو

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			الذي ذهب الى يسوع ليلا من قبلُ،
			وكان معه خليط من المر والعود
			مقداره نحو مائة درهم.
	٤٦ فاشترى يوسف كتانا		
	ثم انزل يسوع عن الصليب،	٥٣ ثم انزله عن الصليب	
٥٩ فأخذ يوسف الجثمان			٤٠ فحملوا جثمان يسوع
ولفه	فلفه	ولفه	ولفوه
في كتان خالص،	في الكتان	في كتان	
			بلفائف مع الطيب، كما جرت عادة
			اليهود في دفن موتاهم.
			٤١ وكان في الموضع الذي صُلب
			فيه بستان، وفي البستان
٦٠ ووضعه	ووضعه	ووضعه	
في قبر له	في قبر	في قبر	قبر
جديد			جديد
كان قد حفره في الصخر.	حُفر في الصخر	حُفر في الصخر	
		ولم يكن قد وُضع فيه احد.	لم يكن قد وُضع فيه احد.
ثم دحرج	ثم دحرج		
حجرا كبيرا	حجرا		
على باب القبر	على باب القبر.		
وانصرف.			
			٤٢ وكان القبر قريبا
			فوضعوا فيه يسوع
		٥٤ وكان اليوم يوم التهيئة	بسبب تهيئة السبت عند اليهود.
		وقد بدت اضواء السبت.	
٦١ وكانت هناك	٤٧ وكانت		
مريم المجدلية ومريم الاخرى	مريم المجدلية ومريم ام يوسى		
		٥٥ وكانت النسوة اللواتي جئن	
		من الجليل مع يسوع يتبعن يوسف،	
	تنظران	فأبصرن	
جالستين			
تجاه القبر		القبر	
		وكيف	
	اين وُضع.	وُضع فيه جثمانه.	
		٥٦ ثم رجعن واعددن طيبا	
		وحنوطا، واسترحن راحة السبت	
		على ما تقتضي به الوصية.	

حراسة القبر

متى ٢٧: ٦٢-٦٦	مرقس	لوقا	يوحنا
٦٢ وفي الغد، أي بعد يوم التهيئة للسبت، ذهب عظماء			
الكهنة والفريسيون معا الى بيلاطس			
٦٣ وقالوا له: "يا سيّد، تذكّرنا أن ذاك المضلل قال إذ كان			
حيا: "سأقوم بعد ثلاثة ايام،			
٦٤ فمُر بان يُحفظ القبر الى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه			
فيسرقوه ويقولوا للشعب: قام من بين الاموات، فيكون			
التضليل الأخر اسوأ من الاول".			
٦٥ فقال لهم بيلاطس: "عندكم حرس، فاذهبوا واحفظوه			
كما ترون".			
٦٦ فذهبوا وحفظوا القبر، فختموا الحجر واقاموا عليه حرسا.			

تروي الأناجيل الاربعة دفن يسوع. و قد تعرضت تاريخية هذه النصوص، بنوع خاص، للطعن من قبل النقاد: فالذين يدّعون نفي قيامة المسيح، وجب عليهم ان يهدموا الادلة التي عرضتها الأناجيل، واعني بها القبر الفارغ والترائيات. سنتحدث فيما بعد عن الترائيات، اما بشأن القبر الذي وُجد فارغاً، فلقد كان يقوم احد الأدلّة في أن يسوع لم يُدفن، او انه دُفن في قبرين متتاليين، ومن ثم اخطأوا في القبر. فلكي نفهم هذه الاعتراضات ونفنّدها، يتوجب علينا اولاً أن نزن جيداً ما تقوله النصوص.

رواية مرقس

"وكان المساء قد اقبل، ولما كان ذلك اليوم يوم التهيئة -أي الذي قبل السبت- جاء يوسف الرامي، وهو عضو وجيه..." (مر ١٥: ٤٢-٤٣). انه مساء الصلب. والكلمة اليونانية التي تُرجمت بـ"تهيئة"، تعني عشية السبت: والمقصود هو "ايريف شبّات" المعروف لدى اليهود، لما له من قيمة خاصة، كونه الإعداد للسبت، كما اوضح ذلك مرقس لقرائه الذين لم يكونوا يعرفون هذه العبارة الخاصة بالديانة اليهودية. ويوسف هو رجل من الرامة، القرية المعروفة في الكتاب المقدس[1]. فنحن بازاء شخص تاريخي كانت الجماعة المسيحية تعرفه جيداً. انه عضو في المجلس، اي في السنهدريم. ومجلس اليهود هذا كان يتألف من عظماء كهنة وكتبة ووجهاء من كبار الملاّكين؛ ولا بد ان يوسف ينتمي إلى هذه الطبقة الاخيرة. وعلى كل حال، انه رجل له من النفوذ ما مكّنه من القيام بمسعى لدى بيلاطس. **"كان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله"**، على حد تعبير مرقس، وهذا لا يفترض انه كان تلميذاً ليسوع. فيوسف الرامي هو بالاحرى

[1] كثيراً ما تُشخّص الرامة مع القرية العربية رنتيس الواقعة في غرب عبود. هناك علماء آخرون يقترحون امكنة اخرى، إلا ان رنتيس تحظى بقبول اكبر

واحد من تلك النفوس ذات الاستعداد الطيب التي تتوق إلى الخلاص، والمهيّأة لتلقّي البشرى السارة. ولا شك انه كان متعاطفاً مع يسوع.

"فحملته الجرأة على ان يدخل إلى بيلاطس ويطلب جسد يسوع" (مر ١٥: ٤٣). وبالفعل، كان يقتضي قدر من الشجاعة للتوجه إلى بيلاطس، في اعقاب تلك الصبيحة المنهكة التي فيها ناضل بيلاطس –بفتور والحق يقال– ضد اليهود، كي لا يسلّم يسوع. وانتهى بيلاطس بالرضوخ، ولكنه لم يكن فخوراً؛ وعلاوة على ذلك، فلقد ازعجه اليهود الذين ارادوا ان يغيّروا عنوان الصليب، وصرفهم من دون ان يستجيب إلى طلبهم. وهل كان بالامكان القيام بمحاولة جديدة؟ هكذا خشي يوسف، وبحق، ألا يُستقبل جيداً.

إلا ان بيلاطس اصغى إليه، و**"تعجب ان يكون يسوع قد مات"** (مر ١٥: ٤٤). ذلك ان الصلب، في الواقع، لا يؤدي بالضرورة إلى موت سريع؛ فالموت يتعلّق بتدفق الدم. فاذا لم يكن الجلد دامياً إلى حد كبير، وإذا لم يكن المحكوم عليه قد سُمّر، او حتى لو كان قد سُمّر ودمهُ تخثّر بسرعة، فبوسعه ان يبقى على الصليب يئن ويصرخ على مدى يومين او ثلاثة. وهذا ما كان الرومان يعرفونه، لذا تعجّب بيلاطس. وبالفعل، مازال اللصّان على قيد الحياة، بينما يسوع مات، لأنه ولا شك فقد كثيراً من الدم إبان الجلد، وأيضاً لأن الله شاء ان يموت في الساعة التي فيها تكتمل الذبيحة.

"فدعا (بيلاطس) قائد المئة وسأله هل مات منذ وقت طويل. فلما تحقق الخبر من القائد، سمح بالجثمان ليوسف" (مر ١٥: ٤٤–٤٥). وينبغي ملاحظة لفظة "سمح": فأنْ يكون بيلاطس قد اعطى الجسد هدية، قد يبدو ذلك طبيعياً؛ ولكننا نعرف ان فيرّيس الحاكم الذي طالما هاجمه شيشرون، لم يخش من بيع اجساد المعدومين، ليربح المال بكل الطرق[٢]. اما بيلاطس، فقد وهب الجثمان ليوسف.

"واشترى يوسف كتاناً، ثم انزل يسوع عن الصليب، فلفّه في الكتّان" (مر١٥: ٤٦). يتحدث مرقس عن كتّان، وباليونانية sindôn اي شرشفاً كبيراً. وسيكون هذا التفصيل مفيداً؛ اما يوحنا، فقد استخدم لفظة اخرى. ذلك ان الامر يتعلق

---

[٢] راجع شيشرون: **in verrem، ٥: ٤٥–٥١**

بالطريقة التي دُفن بها يسوع، كما يتعلق بالمنديل المقدس. فالازائيون لا يتحدثون سوى عن كتّان يُلفّ به الجثمان، ولا يرد الحديث عن لفائف ولا عن اطياب.

"ووضعه في قبر حُفر في الصخر" (مر ١٥: ٤٦). هكذا كانوا يدفنون في كل مكان من فلسطين؛ ومرقس يوضح ذلك من اجل مسيحيي الخارج الذين لا يعرفون عادات أورشليم. ذلك ان الدفن كان يجري، في مناطق اخرى، في قلب الارض، او كانوا يشيّدون اضرحة أو اهراماً أو ابراجاً أو قبوراً. اما في أورشليم المبنية على الصخر، فكان من السهل أن تُنقر حُجرة في الصخر. وهذه الحُجرة -وقد اصبحت القبر المقدس- لم تختفِ إلا في اعقاب ألف سنة، بفعل خليفة معتوه أمر بهدمها، ومع ذلك بقيت حتى الآن، نتوءات صخرية من هذه الحُجرة تحت القبر المقدس. **"ثم دحرج حجراً على باب القبر"** (مر ١٥: ٤٦). وبالامكان، حتى اليوم أيضاً، مشاهدة قبور قديمة في أورشليم، أُغلقت بصخرة دائرية: قبر هيلين من اديابين المعروف بـ "قبر الملوك"، هو من اروع الشواهد. (لقد كان في دير القديس اسطفانس بالقدس حجر رحى مماثلة، ولم يَبقَ سوى قاعدة الحجر). وهذه الطريقة في الإغلاق على القبر لم تكن شاملة، بل كانت متداولة نسبياً.

حين انتهى يوسف من الدفن، لم يذكر مرقس انه ذهب، وانما اشار فقط: **"وكانت مريم المجدلية ومريم ام يوسي** -وقد سبق له أن ذكرهما- **تنظران اين وُضع"** (مر ١٥: ٤٧). فالنساء لم يقمن باي شيء من ذواهن، وانما نظرن جيداً لأهن كنّ عازمات على العودة.

رواية متى

تختلف رواية متى قليلاً عن رواية مرقس؛ وإذا كانت اكثر فقراً في التفاصيل، كالمعتاد، إلا ان متى اضاف بعض المعلومات التي همّه كثيراً، ولأسباب روحية او لاهوتية.

"وجاء عند المساء -ولا يوضح متى انها عشية السبت- **رجل غني من الرامة اسمه يوسف"** (متى ٢٧: ٥٧). انه يصفه بالغني، سواء لأنه كان غنياً في الواقع، ام لأن

الوجهاء هم عادة اغنياء، أم بسبب نص من اشعيا استطاع المسيحيون الاولون ان يطبّقوه على يسوع: "جُعل قبُره مع الاشرار، وضريحُه مع الاغنياء" (اش ٥٣: ٩). وهذا النص العسير لا يُفهم بشكل تام، وهو من مجموعة اناشيد "عبد يهـوه". فمن الممكن ان المسيحيين الاولين —وقد تمنوا ان تكتمل كل النبؤات بيسوع— شاءوا ان يروا في يوسف ذاك الغني الذي تكلم عنه اشعيا. ولقد اوضح متى -افضل من مرقس- ان يوسف **"كان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع"** (متى ٢٧: ٥٧). فعوضاً عن ان يكون يهودياً صالحاً ينتظر الملكوت، اصبح يوسف تلميذاً، اي مسيحياً قبل الاوان!

"فذهب إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع. فأمر بيلاطس بان يُسلّم إليـه" (متى ٢٧: ٥٨). فالنص شبيه بنص مرقس، ما عدا تلك التفاصيل العذبة.

"فاخذ يوسف الجثمان ولفّه في كتّان خالص" (متى ٢٧: ٥٩). ومتى، احتراماً منه لجسد الرب المقدس، أصرّ بأنه وُضع في كتّان نقي. لقد طاب له هذا التأكيد، مع انه يبدو بديهياً. وهكذا هي الحال مع القبر "الجديد": **"ووضعه في قبر له جديد كان قد حفره في الصخر"** (متى ٢٧: ٦٠). وان لهذا التفصيل اهميته، لا فقط بدافع الاحترام الذي يكنّه تجاه يسوع، وانما أيضاً لأنه يشرح بان يسوع المعدوم والمعذّب، أُتيح له ان يُدفن في قبر؛ سنعود بعد قليل إلى هذه النقطة. ويوضح متى أيضاً ان هذه القبر يعود إلى يوسف الرامي، وهذا ما لم يقله مرقس. كان بوسعنا ان نعتقد بان يسوع وُضع في قبر وُجد هناك عرضاً. اما مع متى، فالوضع يتخذ تفسيراً: ذلك ان يوسف يملك قبراً قريباً جداً من مكان الصلب، وكان لابد له أن يهتم بالأمر. انها حركة رائعة تدل على الاحترام والتقوى والاكرام تجاه يسوع.

"ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف" (متى ٢٧: ٦٠). يوضح متى، منذ الآن، ان الحجر كبير، إذ ان هذا التفصيل سيكون مفيداً لأحداث الاحد صباحاً. وسيقول لنا مرقس ان النسوة كن مهتمات لمعرفة كيف السبيل إلى ازاحة الصخرة على ضخامتها.

"وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الاخرى جالستين تجاه القبر" (متى ٢٧: ٦١). ذلك ان أولاء النسوة كنّ حاضرات في الدفن، وكنّ ينظرن.

رواية لوقا

"وجاء رجل اسمه يوسف، وهو عضو في المجلس، وامرؤ صالح بارّ" (لو ٢٣: ٥٠). تلك هي الطريقة التي يطيب للوقا ان يؤكد بها على الصفات الاخلاقية والروحية. فمرقس قال عن يوسف انه وجيه، وقال متى انه غني، وهوذا لوقا يلفت الانتباه إلى اخلاق يوسف؛ فلما كان انساناً تقياً، فهو يشير إلى انه كان صالحاً، فاضلاً ومن ثم "بارًّا"، يحفظ الشريعة. وهكذا يمتدح لوقا الاشخاص الذين يستعرضهم خلال رواياته: زكريا (لو ١: ٦) والشيخ سمعان (لو ٢: ٢٥)، ويرسم ملامحهما بشكل لطيف.

"لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم" (لو ٢٣: ٥١). يضيف لوقا هنا تفسيراً ضرورياً. ذلك اننا، بحسب روايتي مرقس ومتى، كان يحق لنا نتساءل كيف يمكن لعضو في السنهدريم ان يكون متعاطفاً مع يسوع؛ ألم يكن المجلس برمته قد حكم عليه بالموت؟ إلا ان لوقا يُعلمنا ان اعضاء السنهدريم لم يكونوا كلهم على اتفاق: كان هناك عدد من الشجعان قد صوّتوا ضد موت يسوع، او اقله لم يصوِّتوا! ويوسف هو من بين هؤلاء، وقد يكون معه أيضاً نيقوديمس وآخرون:..

"كان من الرامة وهي مدينة لليهود، وكان ينتظر ملكوت الله" (لو ٢٣: ٥١). على مثال مرقس، لم يقل لوقا انه تلميذ، بل رجل تقي فقط. ولا تضيف الآيات التالية (لو ٢٣: ٥٢ –٥٣) شيئاً يذكر. وعلى غرار متى، يشير لوقا إلى ان القبر كان جديداً: **"قبر حُفر في الصخر لم يكن قد وُضع فيه احد"**.

وفي النهاية فقط، يضيف لوقا تفصيلاً بشأن الزمن ليفسّر ما جرى: **"وكان اليوم يوم التهيئة، وقد بدت اضواء السبت"** (لو ٢٣: ٥٤). والكلمة اليونانية "بدأت تضيء" تشكل صعوبة: انها تستخدم عادة للفجر. إلا ان السبت اليهودي يبدأ في المساء؛ وحين يحلّ الليل، كيف يمكن ان يُقال بان السبت بدأ يضيء؟ لذا ينبغي القبول باستخدام واسع لهذه الكلمة التي تشير إلى بداية فترة يكون فيها الضوء على وشك المجيء. كما يمكننا ان نعتقد، مع عدد من العلماء البارعين، ان المقصود هو نور غير نور النهار، كأنه نور كوكب فينوس الذي يُنبئ عن بداية الليل، طالما انه يلمع عند غروب الشمس. ويمكن اخيراً ان نفكّر، كما يوحي بذلك الاب لاكرانج، بالمصابيح التي يوقدها

اليهود من اجل السبت: فتلك الشموع الموقدة مساء الجمعة، في مدينة عامرة بالتقوى، هي بمثابة إضاءة شاملة.

"**وكان النسوة اللواتي جئن من الجليل مع يسوع يتبعن يوسف، فابصرن القبر وكيف وُضع فيه جثمانه**" (لو ٢٣: ٥٥). والنساء القديسات لا ينظرن فقط أين، بل أيضاً كيف دُفن يسوع. ويخيل إلينا، وبشكل اوضح مما كتبه مرقس، انهن عازمات على العودة وعلى معرفة كيف يجدنه.

"**ثم رجعن وأعددن طيباً وحنوطاً**" (لو ٢٣: ٥٦). لم نجد هذه الملحوظة، لا في مرقس ولا في متى. فالنسوة سبقن وفكرن بجلب الحنوط والطيوب صباح الاحد، وذهبن ليعددنها. لا يُقال انهن اشترينها؛ ذلك لأن الاسواق تكون، في الواقع، مغلقة طالما ان السبت يأتي منذ مساء الجمعة؛ لذا ينبغي ان نفترض ان عندهن طيوباً، وذلك ممكن جداً. وعلى كل حال، هوذا لوقا يقول: "**واسترحن راحة السبت، على ما تقضي به الوصية**" (لو ٢٣: ٥٦). وهذا ما يفسّر انهن لن يذهبن إلى القبر إلا صبيحة الاحد.

رواية يوحنا

رواية يوحنا معقدة، وهي تختلف إلى حد كبير عن رواية الازائيين. انها مكوّنة من ثلاثة اقسام: بدءاً بمقطع متميز جداً، ليس له ما يقابله لدى كل من مرقس ومتى ولوقا (يو ١٩: ٣١-٣٧)؛ ومن ثم يأتي تدخل يوسف الرامي، وهو شبيه جداً بما رواه الازائيون (يو ١٩: ٣٨)؛ واخيراً قسم ثالث حيث يدخل نيقوديمس إلى مسرح الاحداث، وهو مقطع له كثير من الشبه مع الازائيين، إلى جانب اختلافات أيضاً (يو ١٩: ٣٩-٤٢). وهذه الاقسام الثلاثة أجرى النقد الادبي تمييزاً بينها.

لنتفحص اولاً القسم الاول الذي ينفرد به يوحنا، في محاولة لتقييم واكتشاف المعنى العميق الذي ينطوي على هذه العبارات.

"**وكان ذلك اليوم يوم التهيئة، فسأل اليهود... لئلا تبقى على الصليب يوم السبت -لأن ذاك السبت يوم مكرّم**" (يو ١٩: ٣١). كان مرقس قد ذكر "التهيئة"، ولكن من دون ان يشرح لماذا. اما هنا، فهوذا يوحنا يشرح: ما دمنا في عشية السبت،

فالضرورة تقضي بانزال الاجساد عن صلبانها، كي لا تنجّس جثث المصلوبين يوم السبت الكلي القداسة. لقد كان سفر تثنية الاشتراع قد طلب، حتى من دون التلميح إلى السبت: "إذا كانت على انسان خطيئة تستوجب الموت، فقُتل وعلّقتَه على شجرة، فلا تَبتْ جثته على الشجرة، بل في ذلك اليوم تدفنه، لأن المعلّق لعنة من الله، فلا تنجّس ارضك التي يعطيك الرب الهك اياها ميراثاً" (تث ٢١: ٢٢- ٢٣). ذلك ان كل معلّق على الصليب ملعون؛ وسيستخدم بولس هذا النص الشديد ليقول لأهل غلاطية بان المسيح خضع للعنة الشريعة: "صار لعنة لأجلنا" (غلا ٣: ١٣). فبالنسبة إلى اليهود، يُعتبر كل معلّق على خشبة انساناً نجساً؛ وإذا ما بقيت جثته معروضة طيلة الليل واليوم الثاني، فهي تنجّس ارض إسرائيل. لذا كان يتوجب، منذ المساء، ان يُدفن، فكيف إذا كان اليوم التالي يوم سبت، وهو يوم مقدسٌ، وكم بالحري إذا كان، على حد تعبير القديس يوحنا "**ذاك السبت يوماً عظيماً**". ذلك ان هناك تراكماً في العظمة، إذ كان هذا السبت ذاته يوم عيد الفصح. فحين يقع يوم الفصح في سبت، يصبح ذلك العيد عيداً خارقاً: فليس بوسع اليهود أن يتحمّلوا بقاء جثث على الصلبان، لذا يطلبون من الحاكم ان تُدفن. وقد تصدمنا مثل هذه الضرورة، ونحن نعلم ان الجثة "النجسة" هي جسد الرب يسوع المسيح! إلا ان يسوع ذاته شاء ان يختبر العار التام قبل ان يبلغ إلى القيامة: هكذا تخلص منه البشر ودفنوه!

"**سأل اليهود بيلاطس ان تُكسر سوق المصلوبين وتُنزل اجسادهم**" (يو ١٩: ٣١). هنا تجب الملاحظة ان اليهود هم الذين يطلبون. ويوحنا لم يتحدث بعدُ عن يوسف الرامي. هناك نقّاد يستخدمون هذا التفصيل كي يميّزوا بين دفنات مختلفة، في محاولة منهم لتفسير القبر الفارغ، ومن دون ان يكون قد أُفرغ ! لقد طلب اليهود ان تُكسر سوق المصلوبين، لأنهم يفترضون ان اجسادهم ما زالت على قيد الحياة: وتُكسر سيقان هؤلاء البائسين كي يوقفوا حياتهم، ومن ثم يُخلوا اجسادهم.

"**فجاء الجنود فكسروا ساقي الاول والآخر اللذين صُلبا معه. اما يسوع، فلما وصلوا إليه ورأوه قد مات** –كما تعجّب بيلاطس والجند انه قد مات– **لم يكسروا ساقيه، لكن واحداً من الجنود طعنه بحربة في جنبه، فخرج لوقته دم وماء**" (يو ١٩: ٣٢ – ٣٤). لقد قام الجندي بحركة لم تكن ضرورية؛ وكأنه بدافع الفضول شاء ان يتحقق من موت يسوع. وهذه الاحداث محتملة: فأن يُراد كسر الساقين، وأن

ذلك لم يتم بالنسبة إلى يسوع المائت، وأن طعنة رمح قد جرت، وأن دما وماء قد خرجا ... كل ذلك محتمل جداً. ويقول الاطباء ان، لدى المصلوب البائس، يتبقى دم في القلب، وان بفعل التعليق بالذات، يتجمع سائل مَصلي حول القلب، بحيث يصبح بوسع ضربة رمح ان تجعل هذا السائل الشبيه بالماء يجري.

لا يسجّل يوحنا هذه التفاصيل —وهي محتملة من وجهة نظر فيزيولوجية— لكي يقصّ علينا حدثاً عابراً: لا، فالأمر يتعلق بيسوع! لذا يرى يوحنا، في هذا الحدث، معنى لاهوتياً عميقاً، كما توحي به الاية التالية: "**والذي رأى شهد، وشهادته صحيحة، وذاك يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم أيضاً**". وهكذا نجدنا بازاء شهادة احتفالية. وينبغي ان نلاحظ هاتين اللفظتين: "الذي"، و"ذاك": مَن هو المقصود؟ "الذي" رأى وشهد، فهو انما ولا شك الإنجيلي، ولماذا لا يقول: "انا رايت وأشهد"؟ هل نحن بازاء طريقة في الكلام معروفة لدى الساميين؟ كأن يتم التحدث بالمجهول بدافع التحفظ او التواضع؟ ومثل هذا التواضع قد يصبح خاطئاً اكثر منه مقنعاً.

هناك تفسير آخر ممكن: ليس يوحنا هو المتكلم، وانما تلاميذه الذين نشروا الإنجيل. فلإنجيل يوحنا تاريخ ادبي طويل؛ومن الممكن ان انشاءَه النهائي لم يتم إلا في حوالي نهاية القرن الاول، بعد موت القديس يوحنا. وهناك مؤشر آخر في نهاية الإنجيل (يو ٢١: ٢٣): كأن تلاميذ يوحنا يتحدثون هنا عن معلمهم، وهو ذاك الذي رأى وأدى الشهادة، ونحن نؤكد انه يقول الحق؛ ففي هذه الحالة، يصبح من الطبيعي استخدام لفظة "الذي" في صيغة المجهول.

هناك مسالة اخرى تُطرح: مَن تعني لفظة "ذاك" ؟ انه يسوع المسيح. ويوحنا، في رسالته الاولى، ينادي بشهادة يسوع مشيراً إليه بلفظة "ذاك الذي". انها صيغة احترام: لا يُسمّى يسوع، بل يكفي ان يُقال "هو". هكذا كان الفيثاغوريون يفعلون تجاه معلمهم[٣]. وهكذا هي الحال هنا: فتلاميذ يوحنا لا يشهدون لمعلمهم حسب، وانما يتخذون الرب يسوع شاهداً على كلامهم، لكيما يؤمن القاريء بما يُروى.

[٣] **إاليكم بعض النصوص من رسالة يوحنا الاولى: "من قال انه مقيم فيه، وجب عليه ان يسير كما سار ذاك" (١يو ٢: ٦). "كل من كان له هذا الرجاء فيه، طهّر نفسه، كما ان ذاك هو طاهر" (١يو ٣: ٣). "تعلمون ان ذاك قد ظهر ليزيل الخطايا، ولا خطيئة له" (١يو ٣: ٥).**

الدم والماء

ماذا يختفي من عمق كبير وراء هذا التفصيل الذي نقله القديس يوحنا؟ يرى يوحنا هنا إتمام نصين من الاسفار المقدسة: "لن يكسر له عظم" و "سينظرون إلى من طعنوا".

النص الاول هو من سفر الخروج (١٢: ٤٦) ومن سفر العدد (٩: ١٢). يصف هذا المقطع رتبة الفصح ويتحدث عن الحمل الفصحي: "في بيت واحد يؤكل، ولا تُخرج من البيت شيئاً من اللحم إلى الخارج؛ وعظما لا تكسروا منه". واية كانت اصول هذا الطقس، يهمنا انه يحظر كسر عظام الذبيحة الفصحية. ولما لم يكسر الجنود ساقي يسوع، راى يوحنا في هذا التفصيل البسيط علامة على ان يسوع هو الحمل الفصحي. وهكذا يلتحق بالطرح اللاهوتي العميق جداً الذي قدمه القديس بولس حين كتب إلى القورنثيين قائلاً: "قد ذُبح حمل فصحنا، وهو المسيح" (١قور ٥: ٧). ويتحدث سفر الرؤيا بالمعنى ذاته: "ورأيت ... حملاً قائما كأنه ذبيح" (رؤيا ٥: ٦ و ١٢). إن هذه المماثلة بين يسوع والحمل الفصحي هي في منتهى الصدق، وتعطي معنى الافخارستيا: يحتل يسوع مكان الفصح اليهودي، هو الذي ذُبح على الصليب، في الوقت الذي كان اليهود يذبحون الحملان.

والنص الثاني هو من النبي زكريا: "سينظرون إلى الذي طعنوه" (زك ١٢: ١٠). يعجز المفسرون عن تفسير هذا النص العسير جداً، لذا يطرحون حلولاً مختلفة. يفكر بعضهم في العبد المتألم بحسب اشعيا: شخص غامض سيُطعن، ومن ثم يثير مناحة كالتي تجري لإبن وحيد، وينوح كل إسرائيل عليه ويقرع صدره. ويرى آخرون في هذا النص تلميحاً إلى موت الملك يوشيا، في مجدّو بالجليل، حين اراد ان يقاوم الفرعون نكو؛ فهذا الوريث على عرش داود -وقد قتل في ساحة حرب- يكون قد مكّن من التفكير بموت عتيد غامض لملك من نسل داود. ويترجم آخرون النص العبري بشكل مختلف: فالاصل العبري لا يتحدث عن رجل مطعون، وانما يقول الله: "فينظرون إليّ أنا الذي أهانوه". وبموجب هذا النص يتشكى الله لكونه أُهين في شخص رسوله، ويقول عن نفسه انه الراعي الذي يُباع بثلاثين من الفضة (زك ١١: ١٢).

ومهما يكن من المعنى الاصلي لنص زكريا، فمن المؤكد ان المسيحيين الاولين رأوا فيه معنى كاملاً وطبقوه على المسيح المصلوب والمطعون. ونجد هذا التطبيق أيضاً في سفر الرؤيا: "ها هوذا آت في الغمام. ستراه كل عين حتى الذين طعنوه، وتنتحب عليه جميع قبائل الارض" (رؤ ١: ٧).

لقد رأى يوحنا في طعنة الرمح إتمام قول نبوي، كما استشفّ سرًّا، بشكل واضح، في الدم والماء الجارين من جنب المسيح. ما هي هذه الرمزية؟ لا ندري ذلك بشكل اكيد. فآباء الكنيسة انفسهم تردّدوا: كثيرون منهم فكروا في سر الفداء، إذ ان الدم، لدى يوحنا كما في مجمل العهد الجديد، هو التعبير عن الثمن المدفوع، الثمن الذي دفعه يسوع عن الخطايا. اما الماء، فقد كان يعبّر عن العماذ، وذهب بعضهم إلى التوضيح بانه دلالة على الافخارستيا والعماذ، لا بل على سائر الاسرار. وهناك عدد من آباء الكنيسة فكّر في الكنيسة، وهي تخرج من جنب المسيح. بينما رأى اخرون انها النعمة، او الروح الذي يخرج من المسيح؛ وكان يسوع ذاته، بحسب انجيل يوحنا، قد اختصّ هذه الكلمة من الكتاب المقدس: "ستجري من جوفه انهار من الماء الحي" (يو ٧: ٣٨-٣٩). ففي كل الكتاب المقدس، وفي انجيل يوحنا خاصة، نرى ان الماء هو رمز الروح ورمز الحكمة والنعمة والحياة الالهية؛ وبهذا المعنى يكون قد تفجرت انهار ماء حي من جسد المسيح المائت.

هذه التفاسير المختلفة تلتقي، إذ ان الحياة الروحية التي تخرج من المسيح هي الاسرار، والكنيسة هي التي تحيا بها. وبامكاننا ان نجمعها في رؤية واحدة، ونعترف مع القديس يوحنا بالرمزية العميقة التي ينطوي عليها الماء والدم اللذان خرجا حقاً من جنب المسيح: فمن المسيح الذي مات من اجلنا تفجرت وما زالت تتفجر انهار من الماء الحي التي هي الاسرار والنعمة. لنتذكر الشهود الثلاثة الذين ورد ذكرهم في رسالة يوحنا الاولى: "الماء والدم والروح" (١ يو ٥: ٦).

ان موضوع الماء والدم هذا، يجد ما يقابله، بشكل مدهش، في الديانة اليهودية. هناك "هجّادة" من الكتابات الرابينية[٤] تنقل لنا بان موسى، حين ضرب الصخرة مرتين بعصاه، أخرج منها دماً وماء معاً. و لا يخلو هذا التقليد المتأخر من غرابة، إلا أن هذا التقارب أيضاً يثير الدهشة. ومن غير المحتمل ان تكون الكتابات الرابينية قد قلّدت

[٤] الخروج الكبير ٣ (٧٠ أ)

الإنجيل، إذ ان لنصوصها بُعداً مختلفاً جداً: ذلك ان الدم الذي خرج من الصخرة، يرمز إلى العقاب الذي استحقه موسى حين قال كلمة قاسية بحق الإسرائيليين. ومع ذلك، إذا كان التطبيق مختلفاً، فهناك واقع لا مناص منه، وهو ان من صخرة موسى خرج دم وماء! ومما لا شك فيه هو ان المسيحيين الاولين رأوا في موسى الذي رافق الشعب المختار في البرية، نموذجاً للمسيح. ألم يكتب القديس بولس قائلاً: "والصخرة كانت المسيح" (١قور ١٠: ٤). وفي رسالته الاولى إلى اهل قورنتس، ألم يتكلم عن الاسرار، حين رأى في عبور البحر الاحمر وفي ماء البرية، كما في السلوى والمن، النماذج التي كانت تعدّ اسرار العهد الجديد. وإذا كان المسيحيون قد مثّلوا يسوع فعلاً بصخرة موسى، وإذا كان اليهود قد قالوا، من جهة اخرى، أن قد خرج دم وماء من هذه الصخرة، فمن الغريب ألا نشعر ان هناك مماثلة عميقة في التطبيق الذي اجراه هنا يوحنا. ومن دون اية مبالغة، نقول بأن هذه الصور المشتركة وهذه الرمزية جديرة بالاهتمام[٥]

ان الرمزية التي طبّقها القديس يوحنا على حقيقة شاهدها في جثمان الرب يسوع، لهي في منتهى الروعة والعمق. وهذا التفصيل الذي انفرد به القديس يوحنا هو خاص به هو وحده: ذلك ان له موهبة في تقييم احداث واقعية وملموسة يستخرج منها رموزاً لاهوتية رائعة.

تدخل نيقوديمس

في الآية التالية، نجد لدى القديس يوحنا، رواية قريبة جداً من رواية الازائيين، يوجز فيها الاحداث: **"بعد ذلك جاء يوسف الرامي، وكان تلميذاً ليسوع** -كما قال متى- **يخفي أمره خوفاً من اليهود، فسأل بيلاطس ان ياخذ جثمان يسوع، فأذن له بيلاطس. فجاء فأخذ جثمانه"** (يو ١٩: ٣٨). يجب ان نلاحظ موقف يوسف الشبيه بموقف نيقوديمس، حين جاء ليلتقي بيسوع (يو ٣: ٢). إلا ان خلاصة الازائيين هذه

[٥] ان موضوع الدم والماء لدى الانسان يعكس مفهوماً قديماً وساذجاً بشأن الفيزيولوجية. هناك ميدراش رابيني آخر "اللاوي الكبير" ١٥(١١٥ج) يقول بأن الانسان مكوّن بالتساوي من ماء ودم: فاذا كان فاضلاً، تتوازن العناصر فيه؛ وإذا أخطأ، فهناك عنصر سيتغلب: إذا كان ماءً فسيصبح مُستسقياً، وإذا كان دماً فسيكون ابرص. ومثل هذه الفيزيولوجية القديمة تسمح بتطبيقات كثيرة، ولنا منها تطبيق على صخرة موسى؛ غير ان تطبيق يوحنا يفوقه إلى حد كبير.

تطرح مشكلة: كيف التوفيق بين مسعى يوسف وبين مسعى اليهود الذي نقله يوحنا اعلاه (يو ١٩: ٣١).

انها الرواية الثالثة التي يظهر فيها نيقوديمس (يو ١٩: ٣٩ -٤٢). ويوحنا كان قد ذكره سابقاً، كما يتم التذكير بذلك هنا: **"وجاء نيقوديمس أيضاً، وهو الذي ذهب إلى يسوع ليلاً من قبل، وكان معه خليط من المر والعود مقداره نحو مئة درهم"** (يو ١٩: ٣٩). وهذا ما يبدو جديداً. ذلك ان الازائيين لم يتحدثوا، لا عن طيوب ولا عن حنوط. فالمر والصَبْر هما روائح او عيدان ذات عطر قد تستخدم لتطييب جثة. ومئة درهم تقابل ٣٢،٧٠ كغم، وتلك كمية هائلة: فقد تكون مؤونة رجل ثري وسخي، وقد يحمل أيضاً هذا الرقم المدّور (١٠٠) رمزاً: ألم يُدهن يسوع، من قبلُ، بدرهم (حقّة) من الناردين (يو ١٢: ٣)؛ وها نحن الآن بازاء مئة ضعف.

"فحملوا جثمان يسوع ولفّوه بلفائف مع الطيب، كما جرت عادة اليهود في دفن موتاهم" (يو ١٩: ٤٠). وقد أدت ترجمة أورشليم بـ"لفائف"، إلا ان هذه الترجمة يمكن ان تُناقش. فبوسع الكلمة اليونانية ان تعني قطع قماش بسيطة؛ ويستخدمها بعض المفسرين -وبسبب المنديل المقدس- في محاولة لتقييم معلومة يوحنا بانها الكتان الذي ذكره الازائيون. وسنعود فيما بعد إلى هذا الموضوع. من جهة اخرى، نرى يوحنا يستشهد بالعادات اليهودية. وبالحقيقة، ليس هناك دليل واضح ان اليهود كانوا يدفنون بهذه الطريقة؛ إلا اننا نعلم انهم كانوا يدهنون الجثث بالزيت، غير ان الطيوب لا تبدو مفترضة في المصادر الرابينية. ومع ذلك، فان يوحنا يبدو على معرفة جيدة، وباستطاعته ان يضفي معلومة اصيلة.

"وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يكن قد وُضع فيه احد" (يو ١٩: ٤١). البستان هو عنصر جديد يبدو معقولاً جداً: ففي ضواحي المدينة، بالقرب من الاسوار، يكون رجل قد أعدّ له قبراً في بستان؛ والذين يعرفون أورشليم وضاحيتها يفهمون ذلك جيداً. ويحدّد يوحنا، على مثال متى، ان القبر "جديد "، ويبدو يوحنا هنا انه يوجز متى ولوقا ويكملهما.

"وكان القبر قريباً فوضعوا فيه يسوع بسبب تهيئة السبت عند اليهود" (يو ١٩: ٤٢). ولا يضيف هذا التفصيل الاخير شيئاً على رواية الازائيين.

تلك هي رواية يوحنا. انه يأتي بمعلومات مفيدة، إلا انها تثير مسألتين ينبغي لنا أن نتفحصهما: اولاً، كيف نوفق مسعى اليهود مع مسعى يوسف؟ ومن ثم، كيف نوفق بين طيوب نيقوديمس وبين الطيوب التي ستحملها النساء القديسات، يوم الاحد صباحاً، كما جاء في رواية الازائيين؟

من الممكن ان نقول بان مسعى اليهود ومسعى يوسف لا يتناقضان: فيوسف هو واحد من اليهود؛ وحين طلب عدد من اليهود إنزال الاجساد، انفصل عنهم وعزم ان يقوم بخطوة اكبر، وتكفّل بدفن جسد يسوع. ويبدو هذا الدمج ممكناً، بالرغم من ان يوحنا لا يقول ان القبر هو قبر يوسف.

وفي الواقع، يجب بالاحرى ان نعترف بان هناك تقليدين متجاورين. فعبارة "بعد ذلك"، في الآية ٣٨، تعطي الانطباع بوصل ادبي. ويكون الانشاء النهائي لإنجيل يوحنا قد جمع بين روايتين متوازيتين: في احداهما يقوم اليهود بمسعى، دون التوضيح عمن قام به؛ وفي الاخرى، يقال ان يوسف هو الذي قام به. وهذه المشكلة الصغيرة، سنجدها أيضاً فيما بعد.

اما بشأن التطييب، فمن الضروري جداً ان نختار: إذا كان نيقوديمس حقاً قد أنفق هذه الكمية من الاطياب، فلماذا تعزم النساء على القيام بتطييب الجسد صباح الاحد؟ وبموجب الازائيين، لم يستخدم يوسف الرامي اي طيب لضيق الوقت؛ وقد تكون النسوة تواعدن على العودة يوم الاحد صباحاً لحمل الطيب. اما بموجب يوحنا، فكل شيء قد تم طالما ان مئة درهم من الطيب قد أُنفق.

يمكننا ان نجد إجابة اولى في قلب النسوة: هناك طيوب وُضعت، إلا اننا نريد ان نحمل بأنفسنا تقدمتنا للرب مع طيوبنا! ولكن صعوبات هامة اخرى تنتصب في رواية الازائيين، ونخص بالذكر حجر الرحى التي يصعب جدا على النساء رفعها. ونقل مرقس انهن تساءلن بشأنها: "مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟". كيف سرن في الطريق إلى القبر دون ان يفكرن في الأمر؟ ومن جهة اخرى، لا يزال يسوع جثة، في نظرهن، ولا يعلمن انه قد قام؛ هل يُحتمل انهن شئن، بعد ٣٦ ساعة، أن يرفعن هذه الجثة؟ فضلاً عن ان متى، إذا حق له ان يذكر حرساً وجنوداً وضعوا اختاماً على القبر، فكيف يمكن للنساء ان يأملن الدخول إلى القبر؟

نحن ملزمون ان نختار بين يوحنا والازائيين. لمن الحق؟ وكما كانت الحال مع الفصح، يجب ان نختار، طالما ان الروح القدس سمح بتقاليد لا تتوافق. انا شخصياً اختار يوحنا: لقد كان شاهداً، كما يبدو، وهو الذي سمّى نيقوديمس، فَلِمَ لا تكون الطيوب محتملة. وما هو رأينا، حينذاك، في رواية الازائيين؟ في الواقع، نحن بصدد مرقس ولوقا فقط؛ فمتى لا يتحدث عن طيوب، بل يفترض حراساً، كما يفترض القبر مختوماً، لذا لم ينسب إلى النسوة العزم على الدخول إليه؛ انه يروي بأهن ذهبن إلى القبر، الاحد صباحاً، كي "يرين"، كما حين نعود إلى قبر صديق لنضع باقة من الزهور ونصلي. ومتى لم يقل اكثر من ذلك، مما جعله اكثر مصداقية. فمن المحتمل ان مرقس ولوقا اللذين يجهلان تقليد يوحنا، شاءا ان يجعلا دافعاً لمسعى النساء، فتخيّلا اهن ذهبن يحملن الطيوب. وهكذا يُصبح الامر ايحاء اكثر من كونه ذكرى واقعية، إلا ان فضله يكمن في انه شدّد على التكريم الذي يؤدى لجسد يسوع.

• هكذا تُفسَّر بالتالي الصعوبات الداخلية، في رواية يوحنا، بوجود ثلاثة عناصر متداخلة في نصّه: مسعى اليهود، والعظام غير المكسورة التي ترجع إلى تقليده الشخصي (يو ١٩: ٣١–٣٧)، ومن ثم المقطع بشأن يوسف الرامي (يو ١٩: ٣٨)، واخيراً تدخّل نيقوديمس الذي يعكس، في آن واحد، ملامح ينفرد بها، إلى جانب ملامح اخرى متشابهة مع الازائيين (يو١٩: ٣٩–٤٢). وان مثل هذا الاهتمام في استكمال الرواية، بمساعدة عناصر مستقاة من الازائيين، نجده في نصوص أخرى من انجيل القديس يوحنا؛ فبفضل هذه الاضافة نصبح بازاء توافق افضل بين الأناجيل[٦].

حراسة القبر

هناك اضافة اوردها متى وحده: حراسة القبر: "**وفي الغد، اي بعد يوم التهيئة للسبت، ذهب عظماء الكهنة والفريسيون معا إلى بيلاطس وقالوا له: يا سيّد، تذكّرنا ان ذاك المضلّل قال إذ كان حياً: سأقوم بعد ثلاثة ايام. فمُرْ ان يُحفَظ القبر إلى اليوم**

[٦] سنجد ادناه إنشاء مماثلاً، لدى اكتشاف القبر فارغاً، كما لدى التراائي لمريم المجدلية (يو ٢٠): فهذا المقطع يشتمل على قطعة خاصة بالتقليد اليوحناي، وقطعة من التقليد اليوحناي الممتزج بتقليد الازائيين، وبين الاثنين هناك آية مأخوذة من الازائيين. وهذا ما يدعم تحليلنا الادبي بشأن المقطع المقصود.

الثالث، لئلا يأتي تلاميذه فيسرقوه ويقولوا للشعب: قام من بين الاموات، فيكون التضليل الآخر اسوأ من الأول. فقال لهم بيلاطس: عندكم حرس، فاذهبوا واحفظوه كما ترون. فذهبوا وحفظوا القبر، فختموا الحجر وأقاموا عليه حرساً" (متى ٢٧: ٦٢-٦٦).

يحمل النص اليوناني: "عندكم حرس"، وقد يُفهم بطريقتين: إمّا "إليكم حرس، ها انا اعطيكم"، وحينذاك سيكونون جنوداً رومانيين؛ وإمّا "عندكم حرس يهود، جنود الهيكل، خذوهم"، وحينئذ يقيم اليهود حرّاساً ويختمون الحجر.

هذا المقطع لمتى -وسنرى تتمته فيما بعد، حين سيكون الحجر قد دُحرج، ويضطر الحراس على الكذب (متى ٢٨: ١١ -١٥)- يثير عدداً من الاعتراضات. فليس من المعقول ابداً ان ينتظر اليهود اليوم التالي للدفن كي يقيموا حراسة؛ ولو كان التلاميذ ارادوا ان يسرقوا الجثة، لكانت الليلة الاولى هي المؤاتية؛ فهل يُعقل انهم ينتظرون يومين او ثلاثة ليسرقوها، لو كانت لهم نية في ذلك؟ ومن جهة اخرى، اليوم التالي هو سبت، فكيف يمكن لاناس أتقياء ان يقوموا بمسعى لدى بيلاطس في يوم الراحة؟ واخيرا، أليس من الغريب ان يفكّر الفريسيون في قيامة يسوع، في حين ان التلاميذ انفسهم لم يفكروا بها؟ وعلاوة على ذلك، فلا مرقس ولا لوقا ولا يوحنا، لم يتحدثوا قط عن هذه الحراسة. ومن اجل كل هذه الاسباب، اصبحت هذه المعلومة التي وردت لدى متى موضوع شك.

ان مقطع الحراس يعكس مجادلة ، في اعقاب القيامة، تُستشف من الرواية الموازية: يردّد اليهود حتى اليوم ان جسد يسوع قد سُرِق (متى ٢٨: ١٥). ويبدو ان متى قد أجاب على نزاعات كانت قائمة بين يهود ومسيحيين، بعد الاحداث بثلاثين او اربعين سنة. فلقد كان اليهود يتهمون المسيحيين بسرقة جسد معلّمهم كي يجعلوا الناس يؤمنون بقيامته، وهوذا متى يكتب لدحض افترائهم. وهكذا يتضح ان هذا التقليد متأخر؛ ولا يعني بالضرورة انه اختُرع. ومع ذلك لا ينبغي ان يُعطى اهتمام كبير لهذا التفصيل الذي لفتنا الانتباه إلى العديد من عناصره اللامعقولة.

القيمة التاريخية لهذه الروايات

يجدر بنا الآن ان نشير إلى القيمة التاريخية الاساسية لدفن يسوع. فمهما كان من شأن التفاصيل، بوسعنا أن نؤكد بقوة ان يسوع دُفن. ومع ان هذا الامر يبدو بديهياً، إلا ان هناك نقّاداً، بهدف نفي القيامة، استناداً إلى القبر الفارغ، ادّعوا ان يسوع لم يُدفن، او أنه دُفن في قبر مجهول. هناك البعض، من امثال لوازي وكوينبرت، يؤكدون ان جسد يسوع قد تُرك على الارض، او زُجّ به في "حفرة المعدومين". ومثل هذا الادّعاء يصطدم، لا بمعارضة الروايات الإنجيلية حسب، وانما أيضاً بمعارضة نصوص ثمينة للقديس بولس: ففي حوالي عام ٥٧، حين كتب بولس إلى القورنثيين، أدلى بتقليد عريق: "سلّمت إليكم قبل كل شيء ماتسلّمته انا أيضاً، وهو ان المسيح مات من اجل خطايانا، كما ورد في الكتب، وانه قُبر وقام في اليوم الثالث..." (١قور ١٥: ٣-٤). وشهادة هذا التقليد العريق تصادق على رواياتنا.

وفي سفر اعمال الرسل، يقيم الدليل خطاب بطرس، بعد العنصرة، انطلاقاً من المزمور: "لا تدع قدوسك ينال منه الفساد" (مز ١٦: ١٠)؛ وبهذا الصدد، يقول بطرس بان داود، صاحب المزمور، عرف الفساد، وقبره ما زال معروفاً حتى اليوم؛ فذلك يعني ان داود تحدث عن شخص آخر، هو المسيح (رسل ٢: ٢٧ -٣١). وتفترض هذه المحاجّة، كما يبدو، ان يكون قبر المسيح المعروف هو أيضاً، فارغاً.

والعادات اليهودية ذاتها تقاوم، بشكل قاطع، ان يكون يسوع قد حُرم من الدفن. فلقد كان لليهود احترام كبير للجسد، وفي الوقت ذاته حرص شديد على طهارة البلد، بحيث لم يكن بالامكان البتة ان يتركوا مصلوبا ملقى على الارض. وتؤكد الكتابات اليهودية بان المصلوبين كانوا يدفنون من دون أي اشكال[٧]: فلقد كان هناك سردابان محفوظان لهذه الغاية، في مكان تنفيذ الحكم، احدهما معدّ للمرجومين والمحروقين، والآخر للغرباء ومقطوعي الرأس. و لم تكن إهانتهم مقبولة؛ وإذا لم يدفنوا في سراديب أسرهم، فلأن جسدهم الملعون والنجس لا ينبغي ان ينجس، بملامسته، جثث الابرار. وإذا ما وُجد، بطريق الصدفة، قبر جديد لم يُستخدم بعدُ، فلم يكن هناك مانع

[٧] الميشنا، مقال في السنهدريم ٦: ٥؛ انظر التلموذ بابل ٤٧ أ

من استخدامه؛ ففي حالة يسوع، يصبح هذا الاجراء ذا فائدة، نظرا إلى القبر "الجديد" الذي "لم يكن قد وُضع فيه أحد". ولم يكن هناك أي اعتراض قانوني، إذا ما وُضع فيه جسد المصلوب. كما لم تكن لليهود اية نية لاهانة جثث المصلوبين؛ فما أن تحقق الموت، تصبح الجثة اليابسة، طاهرة -وكأن العقاب قد طهّرها- وكانت عظامها تُجمع لتدفن في سرداب الاسرة. ويقول المؤرخ يوسيفس، وبشكل واضح، في كتابه "الحرب اليهودية" (٤: ٣١٧) بان لليهود احتراماً كبيراً للاجساد "حتى ان الذين صُلبوا نتيجة الحكم عليهم بالاعدام، كانوا يُرفعوا قبل غياب الشمس ويُدفَنوا". ويصف يوسيفس هنا شريعة يهودية من دون ان يفكر في الانجيل[٨] . لذا لا يمكن الظن بان يسوع قد بقي دون دفن.

هناك نقاد مقتنعون بهذه البديهية، قد تبنّوا موقفاً آخر: يسوع دُفن، ولكن ليس على يد يوسف الرامي. ذلك هو، على سبيل المثال، رأي م. كوكيل[٩]. فلقد دفنه اليهود، كما قال القديس يوحنا، اي ان اولئك الاعداء وضعوه في المقبرة الجماعية او في قبر مجهول. والمسيحيون، فيما بعد، وبدافع دعم لتقواهم -وقد شعروا بالمهانة بسبب هذا الدفن المغفل بأيدي الاعداء- عمدوا إلى استنباط يوسف الرامي والقيام بدفن مشرّف بأيد صديقة. فبالنسبة إلى كوكيل، يكون المسيحيون الاولون قد آمنوا ان المسيح قام بروحه فقط؛ وبعد ذلك بزمن طويل، تخيلّوه قائما بجسده. وهكذا كان عليهم ان يخترعوا هذه القصة عن رجل تقي وضع يسوع في قبر معروف، ظنوا انه كان فارغاً. ويعتقد كوكيل، في الواقع، ان هذا القبر الذي وضعه فيه اليهود الاعداء، اصبح مجهولاً بالتمام، وكان اكتشافه فارغاً امراً مستحيلاً!

هناك جواب قاطع وحاسم تجاه هذا الموقف، يكمن في شخص يوسف الرامي. انه شخص تاريخي؛ فنحن نعلم وظيفته وقريته؛ ومن خلال الروايات الإنجيلية نشعر انه انسان من لحم وعظم. فلو كان المسيحيون قد تخيلّوا، بعد الحدث، دفنة بايد صديقة، لكانوا نسبوها إلى بطرس او يعقوب او إلى شخص آخر من شخصيات الإنجيل. واين

---

(٨) بهدف الادعاء بان يسوع لم يُدفن، استخدم بعضهم كلمة لأحد اساقفة افسس عام ٥٣٦ الذي، بشطحة الواعظ الشعرية قال: ان "يسوع أُلقي عرياناً ومن دون قبر؛ إلا ان النص ذاته استدرك للحال قائلاً بان يوسف الرامي جاء ليدفنه. تلك هي إذن نتيجة نبرة خطابية، وليست تقليداً تاريخياً بشأن يسوع المتروك دون قبر.

(٩) الايمان بقيامة يسوع في المسيحية الاولى، باريس ١٩٣٣، ص ١٢١-١٥٥.

كان بامكانهم ان يجدوا يوسف الرامي -ولم يرد ذكره في مكان آخر- إلا في الواقع؟ فهذا الشخص انما هو معطى تاريخي ثمين فرض نفسه على الإنجيليين كلهم، وهو في حد ذاته يشكل ضمانا لدفن يسوع. وكما بيّنت اعلاه، من المحتمل جداً ان يكون هذا الشخص المؤثر استطاع ان يقوم بمسعى لدى بيلاطس، للحصول على سماح بالدفن. اما ان يكون تلميذاً، فقد تكون تلك مبالغة: لقد قال عنه مرقس ولوقا انه وجيه كان ينتظر ملكوت الله، ومن ثم اصبح تلميذاً لدى متى ويوحنا، وتلك هي حركة تصاعدية في التقليد. ومن الممكن ان يعمد المسيحيون إلى تجميل صورة الشخص، فجعلوا منه مسيحياً اكثر مما كان في الواقع؛ فهناك حالات مماثلة في انجيل منحول، حين اهتدى بيلاطس فيما بعد واصبح قديساً! وإذا ما نزعنا عن يوسف الرامي كل مبالغة، فسيعود يهودياً وجيهاً ورجلاً مستقيماً كان قد عارض الحكم على يسوع؛ ومن بعد الآلام، أبدى احترامه تجاه "هذا الرجل"، فدفنه دفنة لائقة.

هناك نقّاد آخرون يقبلون ان يكون يوسف الرامي قد دفن يسوع، ولكنهم يبحثون عن طريقة يجعلون معها اكتشاف القبر الفارغ امراً مستحيلاً. ذلك هو رأي ج بالدنسبيرجر[١٠]. هناك دفنتان، في نظره: مرة اولى، وفوراً بعد الموت، دفن اليهود يسوع، مع المصلوبين، في مقبرة جماعية مجهولة؛ ولما حلّ المساء، حصل يوسف من بيلاطس، لا الحق في دفن يسوع، وانما الحق في تحويله. وذهب فأخذ الجسد من المقبرة الجماعية ونقله إلى قبر اكثر لياقة، هو قبره. اما النساء فلم يشاهدن سوى الدفنة الاولى؛ وحين عدن يوم الاحد صباحاً، تعجبن من رؤية القبر فارغاً. انهن لم يعلمن ان يوسف وضع جسد يسوع في قبر آخر؛ وهكذا يكون ايماننا قد بُني على وَهم جسيم!

مثل هذا البناء المركّب يفتقر إلى اساس، وهو يلامس القصة الخيالية. ذلك ان بالدنسبيرجر يعترف بمسافة بين الدفنة الاولى وبين الدفنة الثانية على يد يوسف الرامي. ولكن يسوع، في الواقع، كان قد مات في حوالي الساعة الثالثة او الرابعة بعد الظهر، ولم يكن جسده قد أُنزل عن الصليب إلا في حدود الساعة الخامسة والنصف او السادسة، لذا لم يكن هناك متسع لأكثر من دفنة. ومن جهة اخرى، فان هذا المؤلف يؤسس

---

[١٠] "القبر الفارغ" في مجلة التاريخ والفلسفة الدينية (بالفرنسية)، مجلد ١٢، ١٩٣٢/ ص ٤١٣- ٤٤٣؛ مجلد ١٣، ١٩٣٣ / ص ١٠٥- ١٤٤؛ مجلد ١٤، ١٩٣٤ / ص ٩٧- ١٢٥.

نظريته على تحليل غريب لأصول الكلمات. ذلك ان الروايات الإنجيلية تستخدم كلمتين مختلفتين للاشارة إلى القبر: mnêma و taphos. انهما مرادفان، بالرغم من حروفهما المختلفة -كما هي الحال بالفرنسية مع كلمتين sépulcre و tombe- واستخدمهما مرقس ومتى بهدف التنوّع، كما نفعل نحن. غير ان بالدنسبيرجر يصرّ ان يرى فيهما مؤشراً لدفنتين مختلفتين: احداهما في mnèmeion والاخرى في taphos. وعلاوة على ذلك، يبدو له الحجر الذي دُحرج على الباب غير معقول: ذلك ان حجراً اسطوانياً وباباً، يبدوان له طريقتي إغلاق لا يمكن التوفيق بينهما! وكأن هناك قبراً له باب، بينما هناك قبر آخر له حجر اسطواني؛ وهكذا يعتقد ان الإنجيليين قد خلطوا! وفي الواقع، يتضح انه هو الذي لا يعرف القبور الفلسطينية التي يتضمن فيها الباب مدخلاً يُدحرج بوجهه حجر. وهكذا يفتقر علمه المكتبي إلى الواقعية، وليس بوسع القصة التي يقدمها أن تزعزع صلابة الرواية الإنجيلية.

وخلاصة القول، يجب ان نفسّر لماذا لم تستطع النسوة المشاركة في عملية الدفن، وانما فقط في حضور مراسيمه. ان الاعتراض قائم: لو كانت النسوة هناك، لَكُنّ هن اللواتي دفنّه. وعليه يجب الرد بأن الدفن ليس مهمة النساء الاعتيادية، ولا سيما في مثل تلك الظروف! فماذا كان بوسع نساء جليليات، فقيرات ومجهولات، ان يفعلن تجاه محكوم عليه، صُلب على يد السلطة العامة، وحرسه ضابط مع رجاله؟ والتلاميذ أنفسهم، لم يكن بوسعهم ان يفعلوا شيئاً، حتى وإن ارادوا ذلك. فكان ينبغي ان يأخذ احد الشيوخ على عاتقه مهمة الذهاب لدى الحاكم واسترحامه. وهكذا اكتفت النسوة بالمشاهدة من دون ان يستطعن هنّ القيام بشيء؛ وهذا هو الواقع المعقول. لذا يستحق يوسف الرامي تقديرنا وإعجابنا، وهكذا يكون الدفن الذي تم بمحضر من النسوة احد المعطيات ذات القيمة التاريخية. انه اساس قويم عليه يمكننا ان نرسي حقيقة القبر الذي وجده فارغاً كل من النسوة وبطرس ويوحنا.

القسم الثاني

روايات القيامة

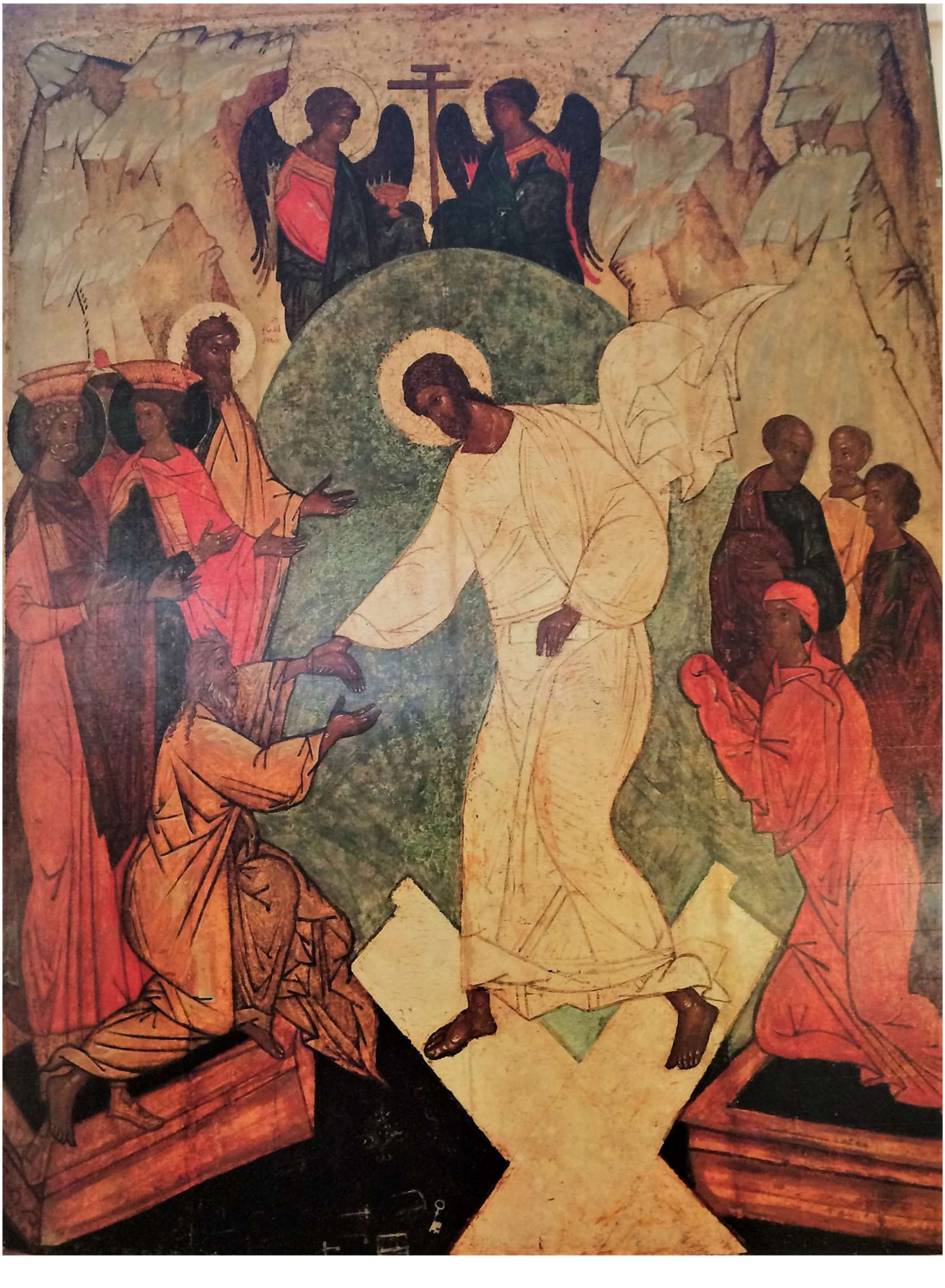

ايقونة النزول الى الجحيم (بيزنطية): نحن بازاء المسيح الممجد. بحلته البيضاء الناصعة، وبحريته التي لم يقو عليها الموت.. وفي يده ملف الاسفار المقدسة التي وجدت فيه اكتمالها. انه نازل الى مثوى الاموات –وقد داست قدماه ابواب الجحيم– ليقيم الراقدين الذي اشرق عليهم نور القيامة. وفيما هو ينتشل آدم وحواء –رمز البشرية جمعاء–، يسرع كل الابرار الى استقباله...

الفصل العاشر

القبر الفارغ

النساء عند القبر

متى ٢٨: ١-٨	مرقس ١٦: ١-٨	لوقا ٢٤: ١-١١	يوحنا ٢٠: ١
[١] ولما انقضى السبت	[١] ولما انقضى السبت		
	اشترت مريم المجدلية		
	ومريم ام يعقوب وسالومة		
	طيبا ليأتين فيطيّبنه.		
وطلع فجر	[٢] وعند فجر	[١] وعند فجر	
يوم الاحد	الاحد	يوم الاحد	[١] وفي يوم الاحد
جاءت مريم المجدلية	جئن الى القبر	جئن	جاءت مريم المجدلية
ومريم الاخرى			
تنظران القبر.		الى القبر	الى القبر
	وقد طلعت الشمس.		عند الفجر، والظلام لم يزل مخيِّما
		وهن يحملن	
		الطيب الذي اعددنه.	
	[٣] وكان يقول بعضهنّ لبعض:		
	"من يدحرج لنا الحجر عن		
	باب القبر؟"		
[٢] فاذا زلزال شديد قد حدث،			
ذلك بان ملاك الرب نزل			
من السماء وجاء			
	[٤] فنظرن		
	فرأين	[٢] فوجدن	فرأت
الى الحجر فدحرجه	أن الحجر قد دُحرج،	الحجر قد دُحرج	الحجر قد أزيل
		عن القبر.	عن القبر.
	وكان كبيرا جدا.		
	[٥] فدخلن	[٣] فدخلن	[١١ب] فانحنت نحو القبر وهي تبكي.
	القبر		
		فلم يجدن	
		جثمان الرب يسوع.	
		[٤] وبينما هنّ في حيرة من ذلك،	
	فأبصرن	إذ حضرهنّ	[١٢] فرأت
	شابا	رجلان	ملاكَين في ثياب بيض
وجلس عليه.	جالسا عن اليمين		جالسَين حيث وُضع جثمان يسوع،
[٣] وكان منظره كالبرق			
لباسه ابيض كالثلج.	عليه حلة بيضاء	عليهما ثياب براقة،	
[٤] فارتعد الحرس	فارتعبن.	[٥] فخفن	
		ونكسن وجوههنّ نحو الارض.	
خوفا منه			
وصاروا كالاموات.			
[٥] فقال الملاك	[٦] فقال لهنّ:	فقالا لهنّ:	[١٣] فقالا لها:
للمرأتين			"لماذا تبكين ايتها المرأة؟"
"لا تخافا انتما،	"لا ترتعبن!		
انا اعلم			
انكما تطلبان	انتنّ تطلبن	"لماذا تبحثن	
يسوع المصلوب.	يسوع الناصري المصلوب		
		عن الحي بين الاموات؟	فاجابتهما: "أخذوا ربي،
	انه قام		ولا ادري اين وضعوه".
[٦] انه ليس ههنا،	وليس ههنا،	[٦] انه ليس ههنا،	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
فقد قام		بل قام.	
كما قال.			١٧ فقال لها يسوع: "... بل اذهبي
			الى اخوتي، فقولي لهم:
تعاليا فانظرا الموضع	وهذا هو المكان		
الذي كان قد وُضع فيه.	الذي كانوا قد وضعوه فيه.		
٧ وأسرعا في الذهاب	٧ فاذهبن		
الى تلاميذه وقولا لهم:	وقلن لتلاميذه ولبطرس		
		أذكرن كيف كلمكن	
		إذ كان لا يزال	
انه قام من بين الاموات			
وهاهوذا			
يتقدمكم	انه يتقدمكم		
الى الجليل	الى الجليل	في الجليل	
فهناك ترونه.	وهناك ترونه		
ها اني قد بلّغتكما".	كما قال لكم".		
		٧ فقال: يجب على ابن الانسان	
		ان يُسلم الى ايدي الخاطئين،	
		ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث"	
			"اني صاعد الى ابي وابيكم،
			والهي والهكم".
		٨ فذكرن كلامه.	
٨ فتركتا	٨ فخرجن	٩ ورجعن	
القبر	من القبر	من القبر	
مسرعتين	وهربن		
	لِما أخذهنّ		
	من الرعدة والدهش		
	ولم يقلن لأحد شيئا		
وهما في خوف	لأنهن كنّ خائفات.		
وفرح عظيم			
وبادرتا الى التلاميذ		فأخبرن الاحد عشر	١٨ فجاءت مريم المجدلية واخبرت
تحمرن البشرى.		والآخرين جميعا	التلاميذ بأن: "قد رأيت الرب"،
		بهذه الامور كلها.	وبأنه قال لها ذاك الكلام.
		١٠ وهنّ مريم المجدلية وحنّة	
		ومريم ام يعقوب،	
		وسائر النسوة اللواتي معهنّ	
		أخبرن الرسل بتلك الامور.	
		١١ فبدت لهم هذه الاقوال	
		اشبه بالهذيان ولم يصدقوهنّ.	

بطرس والتلميذ الآخر عند القبر

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ١٢	يوحنا ٢٠: ٢-١٠
			٢ فأسرعت وجاءت الى
			سمعان بطرس والتلميذ
			الآخر الذي احبّه يسوع، وقالت
			لهما: "اخذوا الرب من القبر،
			ولا نعلم اين ضعوه".
		١٢ غير ان بطرس قام	٣ فخرج بطرس
			والتلميذ الآخر

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		فأسرع الى القبر	وذهبا الى القبر
			[4] يسرعان السير معا.
			ولكن التلميذ الآخر
			سبق بطرس فوصل قبله
			الى القبر
		وانحنى	[5] وانحنى
		فلم يرَ	فأبصر
		الاّ اللفائف،	اللفائف ممدودة،
			ولكنه لم يدخل.
			[6] ثم وصل سمعان بطرس
			كان يتبعه، فدخل القبر
			فأبصر اللفائف ممدودة،
			[7] والمنديل الذي كان حول رأسه
			غير ممدود مع اللفائف،
			بل على شكل طوق خلافا لها،
			وكان كل ذلك في مكانه.
			[8] حينئذ دخل ايضا التلميذ الآخر
			وقد وصل قبله الى القبر،
			فرأى وآمن.
			[9] ذلك بأنهما لم يكونا قد فهما
			ما ورد في الكتاب
			من أنه يجب أن يقوم من
			بين الاموات.
		فانصرف	[10] ثم رجع التلميذان
		الى بيته	الى بيتهما.
		متعجبا مما جرى.	

ترائي المسيح لمريم المجدلية

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ١١-١٨
	١٦: ٩-١٠		[11] اما مريم، فكانت واقفة عند القبر في خارجه تبكي. فانحنت نحو القبر وهي تبكي.
			[12] فرأت ملاكين في ثياب بيض جالسَين حيث وُضع جثمان يسوع، احدهما عند الرأس، والآخر عند القدَمين.
			[13] فقالا لها: "لماذا تبكين ايتها المرأة؟" فاجابتهما: "أخذوا ربي، ولا ادري اين وضعوه".
			[14] قالت هذا، ثم التفتت الى الوراء، فرأت يسوع واقفا، ولم تعلم انه يسوع.
			[15] فقال لها يسوع: "لماذا تبكين ايتها المرأة وعمّن تبحثين؟". فظنّت انه البستاني، فقالت له: "سيدي، اذا كنتَ
			انت قد ذهبتَ به، فقل لي اين وضعته، وانا آخذه".
			[16] فقال لها يسوع: "مريم!". فالتفتت وقالت له بالعبرية: "رابّوني!"، أي يا معلم.
			[17] فقال لها يسوع: "لا تمسكيني، إني لم اصعد بعدُ الى ابي، بل اذهبي الى اخوتي،
			فقولي لهم: اني صاعد الى ابي وابيكم، والهي والهكم".
			[18] فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ بأن: "قد رأيت الرب"، وبأنه قال لها ذاك الكلام.

ترائي المسيح للنساء

متى ٢٨: ٩-١٠	متى	مرقس	يوحنا
[9] واذا يسوع قد جاء للقائهما فقال			٢٠ [17] فقال لها يسوع:
لهما: "السلام عليكما!" فتقدّمتا			"لا تمسكيني ...
وأمسكتا قدميه ساجدتين له:			

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
١٠ فقال لهما يسوع:	٢٨ ° فقال الملاك للمرأتين:	٦ فقال لهنَّ:	
"لا تخافا!	"لا تخافا ...	"لا ترتعبن! ..."	
إذهبا	٧ وأسرعا في الذهاب	٧ فاذهبن	بل اذهبي الى اخوتي،
فبلّغا اخوتي أن يمضوا	الى تلاميذه وقولا لهم:	وقلن لتلاميذه ولبطرس	فقولي لهم:
	انه قام من بين الاموات		
الى الجليل،	وهاهوذا يتقدمكم الى الجليل	انه يتقدمكم الى الجليل	"اني صاعد الى ابي وابيكم ..."
فهناك يرونني".	فهناك ترونه.	وهناك ترونه كما قال لكم".	
	ها اني قد بلّغتكما".		

الجنود المرتشون

متى ٢٨: ١١-١٥	مرقس	لوقا	يوحنا
١١ وبينما هما ذاهبتان، جاء بعض رجال الحرس الى المدينة، واخبروا عظماء الكهنة بكل ما حدث.			
١٢ فاجتمعوا هم والشيوخ، وبعدما تشاوروا اعطوا الجنود مالا كثيرا.			
١٣ وقالوا لهم: "قولوا ان تلاميذه جاءوا ليلا فسرقوه ونحن نائمون".			
١٤ واذا بلغ الخبر الى الحاكم، ارضيناه ودفعنا الاذى عنكم".			
١٥ فأخذوا المال وفعلوا كما لقنوهم، فانتشرت هذه الرواية بين اليهود الى اليوم.			

لكي ندرس اكتشاف القبر فارغاً، يجدر بنا أن نبدأ بفحص رواية الازائيين سوية، منتبهين إلى تفاصيل وصفهم. وننكب من ثم على رواية القديس يوحنا.

النساء القديسات عند القبر

في أي وقت ذهبت النساء إلى القبر؟ كتب لوقا: "**في اليوم الأول من الأسبوع**" (لوقا ٢٤: ١)، وكتب مرقس: "**لما انقضى السبت**"(مر ١٦: ١)، وكتب متى : "**بعد السبت**" (متى ٢٨: ١)؛ فالحدث يجري، إذن، بشكل اعتيادي، الأحد صباحاً. ولا يمكن أن يكون السبت مساء، بعد غروب الشمس، إذ ان الإنجيليين يوضحون: "**وطلع فجر اليوم الأول من الاسبوع**" (متى ٢٨: ١)؛ "**باكراً جداً**" (لوقا ٢٤: ١) ؛ "**عند الفجر**" (مر ١٦: ٢)؛ وهذا يعني ان مسعى النساء قد تمّ في الصباح الباكر. فلم يذهبن منذ نهاية النهار القانوني للسبت، وانما انتظرن الفجر كي يسرن في الطريق.

ويسميهن الإنجيليون من جديد: **مريم المجدلية**، وهي في المقدمة، إذ ستلعب الدور الرئيس؛ ومن ثم **مريم الاخرى** بحسب متى، او **مريم ام يعقوب** بحسب مرقس، والتي هي مريم ذاتها، ام يعقوب ويوسي، ولقد ورد عنها الكلام من قبل؛ ويضيف مرقس إلى هاتين المرأتين **سالومة**.

ويشير مرقس إلى انهن " **اشترين طيباً ليأتين ويطيّبنه**" (مر ١٦: ١). ولا يذكر لوقا ذلك هنا، لانهن، في نظره، ومنذ مساء الجمعة، كنّ قد أعددن الطيب. اما متى، فلا يروي شيئا من ذلك، لانه وضع حراساً عند مدخل القبر، ولا يتخيّل ان للنسوة نية للدخول إلى هذا القبر المختوم؛ لذا فهو لا يتكلم عن طيب. وعرضُه للاحداث هو اكثر احتمالاً، كما سبق أن اقترحت ذلك في الفصل السابق؛ فبموجبه "**جاءتا تنظران القبر**" (متى ٢٨: ١)، كما تذهب نساء تقيات إلى قبر شخص عزيز ليصلّين ويبكين.

وبحسب مرقس ولوقا، جاءت النساء لكي يقمن علنا بتطييب جسد يسوع. **"وكان يقول بعضهن لبعض: من يُدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ "** (مر ١٦:٣). وذلك، اما لان تفكيرهن بالامر جاء متأخرا! واما لأن مرقس هو الذي، من دون انتباه، ترك للقارئ ان يكتشف من ثم هذه الصعوبة. ومع ذلك لم تكن تلك الملاحظة دون فائدة: فإن قلق النسوة يُعدّ الدهشة امام القبر المفتوح من ذاته، من دون أي تدخّل. **"فنظرن، فرأين الحجر قد دُحرج، وكان كبيراً جداً"** (مر ١٦: ٤). وهكذا نلتقي من جديد اسلوب مرقس المباشر، والذي يخرج توًّا من قلمه. انه يوضح ان الحجر كان كبيرا، في الوقت الذي تحصل فيه النتيجة؛ ذلك ان ضخامة هذا الحجر المدحرج، بفعل يد إلهية، تشعرنا بعظمة التدخّل السماوي. ويقول لوقا هو الآخر: **"فوجدن الحجر قد دُحرج عن القبر"** (لو٢٤: ٢).

وهوذا متى يقدّم رواية متكاملة بالأكثر: **"فإذا زلزال شديد قد حدث. ذلك بان ملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج. فارتعد الحرس خوفا منه وصاروا كالأموات"** (متى ٢٨: ٢-٤). يستخدم متى من جديد هنا الأسلوب الأدبي الذي كان قد استخدمه لدى موت المسيح. سبق له أنْ جعل زلزالاً أول يحدث، إلى جانب علامات اخرى مدهشة - على سبيل المثال قيامة موتى- بدت أكثر وضوحاً مما لدى مرقس ولوقا. ونكتشف هنا عرضاً متسماً بالمبالغة، كالزلزال والملاك الناصع البياض، وهي تعكس اسلوب العهد القديم. فمتى يصوّر واقعاً فائق الطبيعة لا يُعبَّر عنه. والحقيقة العميقة هي ان جسد يسوع الذي انتشله الروح القدس، خرج من هذا القبر الموصد، ودخل في مجد ابيه. وهذا الواقع الحقيقي يخرج عن نطاق الاختبار. ذلك ان دخول المسيح في عالم الله النهيوي يتجاوز حواسّنا البشرية، وليس بوسع احد ان يسعى إلى وصفه؛ فالإنسان لا يتحقق إلا من النتائج الخارجية: القبر الفارغ، الترائيات. ومتى، كي يوحي بهذا السر الذي لا يُعبَّر عنه بسهولة، يستعين بصور قوية تُظهر اضطراب قوانين الطبيعة. ومثل هذا العرض الشعري هو حقيقي بشكل عميق، لأنه يعبّر جيداً عن حدث فائق الطبيعة في منتهى الصدق.

ويأخذنا العجب من تحفّظ متى حين نقارنه مع كتابات اخرى. ففي هذا المكان من النص، هناك مخطوط عن الترجمة "اللاتينية القديمة" لانجيل مرقس يتضمن وصفاً اكثر

حيوية: "وبغتة، في الساعة الثالثة، كانت ظلمات في النهار على الارض كلها، وملائكة نزلوا من السماوات وانطلقوا في ضياء الله الحي، وصعدوا سوية معه، وللحال كان النور". هذا النص غير واضح، ولكننا نكتشف فيه تدخل ملائكة رائع راحوا يترلون من السماء ويصعدون إليها. وسعى "إنجيل بطرس" -وهو من الأناجيل المنحولة من القرن الثاني- إلى وصف ظاهرة القيامة بمغالاة كبيرة. انه يصف شخصين رأسهما بعلوّ السماء، وهما من دون ريب ملاكان؛ وهذان الشخصان يترلان من السماء نحو القبر؛ ومن ثم يصدح صوت آتٍ من القبر، ونراهما من ثم يخرجان وهما يحيطان بشخص ثالث اكبر منهما بكثير، رأسه يتجاوز السماء! ومثل هذا الجهد المتسم بالمغالاة والذي يّدعي وصف خروج المسيح من الموت ودخوله في المجد، يبقى عرضة للشك. فإلى جانب هذه الروايات ذات الوصف الفضفاض، نقيّم بالاكثر تحفظ متى، ولا سيما طريقته البيبلية والكونية في عرض هذه الظاهرة العميقة: المسيح يدخل في ملكوت الله.

القبر الفارغ

"فدخلن القبر فأبصرن شابا جالسا عن اليمين عليه حلة بيضاء، فارتعبن" (مر ١٦: ٥). لقد كان هذا الشاب ولا شك ملاكاً مرتديا البياض، وفق عادة الملائكة، وجالساً عن اليمين، وهو المكان الاكثر قدراً. ونجدنا للحال ازاء أمر عجيب يثير الدهشة كالمعتاد. ونرى هنا بوضوح الإخراج البيبلي المألوف للتعبير عن تجلٍّ إلهي: فالملاك، وهو انعكاس لعظمة الله، يصبح رسول هذا التجلي.

اما لوقا، فيختلف قليلاً: **"فدخلن فلم يجدن جثمان الرب يسوع. وبينما هنّ في حيرة من ذلك، إذ حضرهن رجلان عليهما ثياب براقة"** (لو ٢٤: ٣-٤). هل كان هناك ملاكان؟ ليس ذلك مهما، سيما حين نعلم ان، لا مرقس ولا لوقا، رأياهما. وكذلك الحال في ايريحا، هل نحن بصدد أعمى ام أعميين؟ ان مثل هذه الاختلافات في التقليد ليست ذات شأن. ذلك أن هؤلاء الرجال هم من دون شك ملائكة يثيرون الخوف.

فإلى اولاء النساء المرتعبات، سيتحدث الملاك -او الملاكان-: **"فقال لهن: لا ترتعبن! انتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. إنه قام وليس ههنا. وهذا هو المكان**

الذي كانوا قد وضعوه فيه" (مر ١٦: ٦). انه الإعلان المقتضب عن حدث القيامة. ونص متى يكاد يكون شبيهاً به: **"لا تخافا أنتما"**، وهو يضيف ضمير المخاطب، ليبرز التضاد مع وضع الحرس الذين ارتعدوا خوفا، وصاروا كالأموات. كان من الطبيعي ان يخاف الجند طالما انهم اعداء، بينما لم يكن ما يحمل النساء على الخوف. **"أنا اعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب"** -لم يوضح متى انه الناصري، وليس ذلك بذات اهمية- **"انه ليس ههنا، فقد قام كما قال. تعاليا فانظرا المكان الذي كان قد وُضع فيه"** (متى ٢٨: ٥-٦). والرواية، في جوهرها، هي رواية مرقس بعينها.

ويعهد الملاك للنسوة بمهمة: **"اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: انه يتقدمكم إلى الجليل، وهناك ترونه كما قال لكم"** (مر ١٦: ٧). والكلمة اليونانية (proagein) يمكن ان تعني "سبق، تقدّم" او حتى " قاد". لذا قد نفهم ان يسوع سوف يذهب بكم إلى الجليل، كما كان في الماضي يقودكم من اليهودية إلى الجليل؛ او انه يسبقكم، وسوف تجدونه هناك. ومهما يكن، فان مرقس يضرب موعداً في الجليل، وسنرى ادناه الصعوبة التي يثيرها هذا الموعد.

ويكتب متى: **"وأسرعا في الذهاب إلى تلاميذه وقولا لهم: انه قام من بين الأموات، وها هوذا يتقدمكم إلى الجليل، فهناك ترونه. ها اني قد بلغتكما"** (متى ٢٨: ٧). انها الرواية ذاتها كما جاءت في مرقس.

إلا ان لوقا ينقل رسالة الملائكة بشكل مختلف إلى حد كبير: **"خفن ونكسن وجوههن نحو الارض، فقالا لهن: لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات؟"** (لــو ٢٤: ٥). انها عبارة لاهوتية تتسم بالطابع اللوقاوي: لوقا يحب ان يوضح أبعاد القيامة، عبر المقولة البولسية في الموت/ الحياة. وهكذا نراه يضع على لسان تلميذي عماوس: "غير ان نسوة منّا... رجعن وقلن انهن أبصرن في رؤية ملائكة قالوا انه حي" (لــو ٢٤: ٢٢-٢٣). وان فكرة "يسوع حي" نجدها مرة اخرى، في سفر اعمال الرسل، حين اكّد بولس، في مجادلاته مع اليهود، ان يسوع حي (رسل ٢٥: ١٩).

إلا ان هناك ما هو اكثر دهشة: مشهد النساء اللواتي ينكسن الرأس نحو الارض، واللواتي وبّخهن الملاك على نظرهن باتجاه الأموات: لا تَعُدن تلتفتن نحو الارض، حيث يسكن الموتى، بل انظروا إلى أعلى حيث يقيم الأحياء؛ ارفعن وجهكنّ،

انزعن عنكن هذا الحزن وهذا القلق الذي يحملكن على البحث في الارض عن الذي هو في الاعلى! وهناك مشهد معاكس نجده في رواية الصعود: فحين اخذ يسوع يصعد إلى السماء، كان التلاميذ ينظرون باتجاه الاعالي، فقال لهم الملاك: لا تنظروا قط إلى السماء، فيسوع قد ذهب ولن يعود إلا في نهاية الأزمنة (رسل ١: ١١). لقد سبق يسوع وامرهم ان يعودوا إلى أورشليم ليتلقوا الروح القدس، إذ كان على الرسل ان يواصلوا العمل في الارض. هذان المشهدان يتكاملان من وجهة النظر اللاهوتية. وخطأ الإنسان هو انه يتخلّف دوماً، إلى حد ما، في نظرته: تارة حين يريد التعلّق بالارض، بينما المسيح قام؛ وتارة اخرى حين يريد النظر إلى السماوات، بينما يتوجب عليه ان يعيش ويعمل هنا على الارض.

"**اذكرن كيف كلّمكن إذ كان لا يزال في الجليل، فقال: يجب على ابن الإنسان ان يُسلم إلى ايدي الخاطئين، ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث. فذكرن كلامه**" (لو ٢٤: ٦-٨). هنا غيرّ لوقا الحديث المتعلّق بالجليل، مع احتفاظه بالكلمة. اما بحسب مرقس ومتى، فالملاك يعلن عن موعد في الجليل حيث ستجري الترائيات بشكل طبيعي. إلا ان لوقا يضع كل الترائيات في اليهودية: في عماوس وفي أورشليم وفي جبل الزيتون، لذلك فهو يحوِّر جملته بشكل يجعله يسكت عن موعد في الجليل؛ انه يذكّر بالإنباءات التي اعلنها يسوع في الجليل مسبقاً. وهكذا يفلح لوقا، بصفته كاتبا ذكيا، في الخروج من المأزق بمهارة.

كيف ينتهي المشهد؟ بحسب مرقس: "**خرجن من القبر وهربن، لما اخذهنّ من الرعدة والدهش، ولم يقلن لأحد شيئا لانهن كنّ خائفات**" (مر ١٦: ٨). لقد اخذ الخوف من اولاء النساء المسكينات مأخذا جعلهنّ لا يقمن بالمهمة المطلوبة منهن. هل كن خائفات من اليهود؟ لا، وانما كنَّ تحت تأثير رعدة إزاء العجيبة.

انهن، بحسب متى، على العكس، ممتلئات من الفرح: " **فتركتا القبر مسرعتين وهما في خوف وفرح عظيم، وبادرتا إلى التلاميذ تحملان البشرى**" (متى ٢٨: ٨). انهن على اهبة الكلام، لولا ان يسوع اوقفهما في الطريق.

اما رواية لوقا، فهي مختلفة أيضاً: "**فاخبرن الاحد عشر والاخرين جميعا بهذه الامور كلها، وهن مريم المجدلية وحنة ومريم ام يعقوب، وسائر النسوة اللواتي معهن**

اخبرن الرسل بتلك الامور، فبدت لهم هذه الاقوال اشبه بالهذيان، ولم يصدقوهن" (لو ٢٤: ٩-١١). وهكذا تبدو رسالة النسوة إلى التلاميذ معروضة بشكل مختلف لدى الازائيين الثلاثة: لدى مرقس نراهن صامتات لا يجرؤن على التكلم؛ ولدى متى نراهن فرحات ومستعدات للبوح بكل شيء؛ ولدى لوقا نجدهن يتحدثن ولكن ليس من يسمعهنّ!

والاكثر خطورة هو ان مرقس يوقف للحال روايته هنا. لا شك ان أناجيلنا الحالية تقدم ملحقا، ولكنه لا يعود إلى الانشاء ذاته. وباعتراف الجميع اليوم، نحن بصدد خاتمة ملحقة اضيفت فيما بعد. لا بل هناك مخطوطات تحمل خاتمات مختلفة. ذلك ان إنجيل مرقس توقف بشكل غريب، فكان لابد ان تضاف إليه خاتمة. وخاتمة مرقس التي تلقاها "قانون" الاسفار في الكنيسة، تفرض نفسها، ويجب ان يُنظر إليها بصفتها ملهمة من قبل الروح القدس؛ ولكنها ليست اصيلة، طالما انها ليست من انشاء مرقس.

كيف يمكن ان نفسّر هذا الوضع؟ هل كتب مرقس خاتمة ضاعت، ويكون قد دبّجها على صفحة مخطوطة انتزعت واختفت؟ وهل حُذفت هذه الخاتمة إرادياً، وعلى يد مَن؟ هنا تختلف آراء النقّاد. لا يمكن بالنسبة إلى بعضهم ان يُختم الكتاب بهذه الطريقة المفاجئة: وهكذا يكون مرقس قد كتب خاتمة كانت تروي ترائيات في الجليل، وفق بشرى الملاك؛ وقد اختفت هذه الخاتمة لسبب نجهله كليا. اما بالنسبة للبعض الاخر، فليس هناك نص قد ضاع، وانما اختار مرقس ان يختم إنجيله دون التحدث عن ترائيات، ومن المحتمل انه تطلع إلى كتابة جزء اخر. وهناك ناقد بلغ به التخيل إلى ان لوقا، في خاتمة اعمال الرسل، استخدم مصدراً هو هذا الجزء الثاني بقلم مرقس؛ ولكنه مجرد افتراض. انا شخصيا، ولأسباب سوف اتوسع فيها لاحقا (في خاتمة هذا الفصل)، اعتقد بان مرقس عزم ان يوقف هنا إنجيله، من دون ان يتكلم عن ترائيات. ذلك انه اكتفى بالإعلان عن حدث القيامة بفم الملاك. ويكون إنجيله قد انتهى، بشكل مقبول، على هذا التأكيد: يسوع قام.

وقبل ان نقرأ الآية ١٢ من لوقا، يجدر بنا ان ننكبّ على ما يقوله إنجيل يوحنا الذي تبدو فيه هذه الآية على ارتباط به.

رواية يوحنا: اكتشاف القبر فارغاً[1]

يعرض يوحنا هنا، كما في رواية الدفن، ثلاثة مشاهد متتالية: اكتشاف القبر فارغا، من خلال بطرس ويوحنا (يو ٢٠: ١-١٠)، ترائي الملائكة لمريم المجدلية (يو٢٠:١١-١٤أ)، تراثي يسوع لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١٤ب-١٨). واعتقد، هذه المرة أيضاً، اننا بصدد ثلاث طبقات مختلفة من الانشاء.

"**وفي يوم الاحد جاءت مريم المجدلية إلى القبر عند الفجر، والظلام لم يزل مخيّما**" (يو ٢٠: ١). هذا يشبه ما كتبه الازائيون، غير ان مريم المجدلية هي لوحدها، او اقله الوحيدة التي سُميّت. "**فرأت الحجر قد أُزيل عن القبر**" (يو ٢٠: ١). وهنا تختلف الرواية عن الازائيين: فمريم المجدلية لا تدخل ولا تنظر، وانما تسرع لتخبر بطرس. يجب الحرص على عدم الخلط بين الاناجيل، كما يفعل غالبا البعض، والسعي إلى قراءة انجيل يوحنا في حد ذاته. فليس هنا تراثي ملائكة لمريم المجدلية، لكنه سيجري فيما بعد. انها حاليا، ما ان رأت الحجر قد رُفع، وإذا بها تسرع إلى بطرس، من دون ان يتسنى لها أن تقترب من القبر.

"**فأسرعت وجاءت إلى سمعان بطرس والتلميذ الاخر الذي احبه يسوع، وقالت لهما: اخذوا الرب من القبر ولا نعلم اين وضعوه**" (يو ٢٠: ٢). وهكذا تلعب مريم دور المرسَلة، إنها تذهب لتحمل إلى الرسل بشرى القبر الفارغ. فهي لم ترَ يسوع ولا الملائكة: لكنها تعلم ان القبر فارغ، وتستخلص في قلبها، ان أحداً أخذه، من دون ان تفكر بالقيامة. انها راحت كالمجنونة تبحث عن رئيس الرسل كي تُطلعه على الامر، وهو ذاته ادرك خطورته. وتوحي عبارة "لا نعلم" بأنها ليست وحدها، وهذا ما يلتقي مع رواية الإزائيين. وهوذا بطرس يخرج بدوره وقد امتلأ تأثراً:

"**فخرج بطرس والتلميذ الآخر وذهبا إلى القبر يُسرعان السير معاً. ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر وانحنى فأبصر اللفائف ممدودة، والمنديل الذي كان حول رأسه غير ممدود مع اللفائف، بل على شكل طوق خلافا لها، وكان كل ذلك في مكانه. حينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر وقد وصل قبله إلى القبر، فرأى وآمن. ذلك بأنهما لم يكونا قد فهما ما ورد في الكتاب من انه يجب ان**

[1] راجع ب. بنوا: "مريم المجدلية والتلاميذ عند القبر، بحسب يو ٢٠: ١-١٨" في مقالة بالالمانية، برلين ١٩٦٠

يقوم من بين الأموات. ثم رجع التلميذان إلى بيتهما" (يو ٢٠: ٣-١٠).الرواية واضحة وحيوية جداً. ويجب ان ننتبه إلى تفصيلين: اولاً واقع التلميذ الذي، بسرعته، وصل إلى القبر هو الاول، ولكنه انتظر بطرس وامّحى امامه، ومن ثم دخل وآمن؛ وثانيا وصف اللفائف والمنديل، مما يوحي بان كل شيء في مكانه. ونحن نعلم ان يوحنا لا يصف شيئا بدافع المتعة، فما هي مقاصده اذن؟

التلميذان

يُجمع كل المفسرين على الاعتقاد بان هناك رمزاً او معنى خفياً. ورأى بعضهم، في مسعى التلميذين رمز الكنيسة والمجمع. فالمجمع يركض ويصل الاول، ولكنه لا يدخل، بينما الكنيسة تسبقه في الدخول إلى الإيمان بالمسيح. هذا التفسير يبدو مصطنعا جداً، ولا يجيب إلى هدف الرواية.

يبدو ان فكر الإنجيلي هو اكثر بساطة. فهذا الموضوع مألوف لديه بشأن المنافسة بين بطرس وتلميذ آخر. ونصادف، مرات عديدة، في إنجيله، هذا التنافس بين بطرس والآخر: فبطرس يبدو في الإنجيل بصفته الرئيس، أي الاكثر وقاراً والاكثر قدَماً، إلا ان الآخر هو أيضاً مهم، لا بل يفوق بطرس في عدد من النقاط. ويخيل إلينا اننا نرى التلاميذ اليوحنانيين يرومون ان يضعوا معلّمهم، إن لم نقل فوق بطرس، اقله إلى جانبه، وذلك للثناء على نظرته الثاقبة.

إليكم بعض الوقائع: إبان العشاء، هوذا "التلميذ الذي يحبه يسوع" يتّكئ على صدره، وكان على بطرس، بواسطته، ان يطرح على الرب تساؤلاته. ونرى التلميذ يسألِ الرب وينقل جوابه (يو ١٣: ٢٣-٢٦). وفي وقت لاحق، حين وصل التلميذان إلى قصر قيافا، لم يدخل بطرس، بينما التلميذ الآخر، وقد كان يعرف الدار وحاشية عظيم الكهنة، استطاع ان يُدخل بطرس. وهكذا كان رئيس الرسل بحاجة إليه (يو ١٨: ١٥-١٦). وسنرى فيما بعد نموذجاً آخر عن هذه المنافسة، حين ينبئ يسوع باستشهاد بطرس؛ هوذا بطرس يسأل: "وهذا ما شأنه؟" ويجيب يسوع: "لو شئت ان يبقى الى ان آتي، فما لك وذلك؟ اما أنت فاتبعني" (يو ٢١: ٢١). وهكذا نجد في كل هذه المشاهد الاهتمام ذاته: ان يصطف رئيس الجماعة اليوحنانية إلى جانب بطرس.

هذه المقاطع المتوازية تفسر اللعبة المسرحية التي نحن بصددها. فبطرس، وهو الأقدم، يصل الأخير إلى القبر؛ وذاك الاخر لن يدخل القبر بدافع من الاحترام. كان على بطرس ان يدخل إلى القبر، هو الاول، بصفته رئيس الرسل؛ إلا ان ذاك الآخر هو الاكثر رؤية؛ فهو، منذ دخوله "رأى وآمن". ولم يَرِدْ ان بطرس آمن. وبوسعنا هنا ان نستذكر أيضاً تفصيلاً عن الصيد العجائبي: هوذا يسوع يظهر على الشاطئ، ولم يعرفه رسله بادئ الامر؛ غير ان "التلميذ الذي احبه يسوع" قال: "انه الرب"، وللحال ألقى بطرس بنفسه في الماء ليلحق بالمعلم (يو ٢١: ٧). وهكذا غالباً ما يبدو رئيس الرسل، هو الاول، على صعيد المبادرات، ولكن ليس على صعيد وضوح الرؤية؛ فهنا أيضاً، هو التلميذ الآخر الذي عرف يسوع.

ونلاحظ ان التلميذ الذي نجده بمثابة ندّ اخوي لبطرس، يدعى تارة "التلميذ الآخر" (١٨: ١٥؛ ٢٠: ٢، ٣، ٤، ٨)، وتارة اخرى "التلميذ الذي احبه يسوع" (١٣: ٢٣؛ ١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٢؛ ٧: ٢٠). واعتقد عدد من المفسرين ان هاتين العبارتين المختلفتين قد تعنيان شخصين مختلفين. إلا ان التشابه في الأوضاع، بالنسبة إلى بطرس، يدعو إلى الاعتقاد بان المقصود شخص واحد، وان التسميات المختلفة تُفسَّر ببساطة بفعل تعدد الطبقات الانشائية. و يوحي بهذا التطابق، في الواقع، وبوضوح، كاتب ٢٠: ٢ الذي، بقصد منه، جعل تقاربا بين الصيغتين: "التلميذ الآخر، ذاك الذي احبه يسوع". اما بصدد الشخصية التي تختفي وراء هذه التسمية، فهناك تقليد عريق ومستمر يوحي بانه الرسول يوحنا ذاته، الذي هو في اصل الدائرة اليوحنانية. وهذا التماثل يبدو محتملاً جداً.

اللفائف والمنديل

ها قد حان الوقت لمناقشة ما إذا كان بوسعنا ان نحدد نوعية الاقمشة التي لُفَّ بها جسد يسوع. لا يتحدث الازائيون سوى عن "كتان". وبشأن الدفن على يد نيقوديمس، تحدث يوحنا عن "لفائف" (othonia)، وهو يضيف هنا "المنديل" (soudarion). كيف يمكن التوفيق بين هذه المعطيات المختلفة؟ هل تسهم هذه التفاصيل في التأكيد او النفي حول ما يتعلق بمنديل تورينو[٢]؟

[٢] راجع ف. م. براون: كفن تورينو وانجيل يوحنا– دراسة نقدية وتفسيرية (بالفرنسية)، باريس ١٩٤٠.

ان المناقشات حول هذا الموضوع عديدة هي، ولا يسعني ان ادخل في تفاصيلها، إلا اني أريد ان أشير إلى حدود البرهان التفسيري. فلقد سعى المفسرون إلى مزج معطيات يوحنا مع معطيات الازائيين. الهم ارادوا، تارة، ان يماثلوا بين "كتّان" الازائيين و "منديل" يوحنا؛ علماً بان كلمة "منديل"-وهي ترجمة لكلمة soudarion اليونانية- لا تعني كفنا كبيراً، وانما قماشا يغطي الرأس. وتارة اخرى، بدافع التوفيق بين الأناجيل الأربعة، اقترحوا هذا الحل: كأن يكون "كتّان" الازائيين قد مُزّق للحصول على "لفائف" يوحنا! ان مثل هذه الحركة غير محتملة قط؛ ولو كانت الحاجة إلى لفائف، فمن غير المعقول ان تُشترى قطعة قماش كبيرة كي تُقَصّ! وهناك عدد آخر من المفسرين يوضح ان الكلمة اليونانية othonia لا تعني لفائف، وانما قطع نسيج؛ وهكذا تصبح "قطَع" يوحنا و "كتّان" الازائيين شيئا واحداً. إلا ان بعضهم يضيف: كلمة sindon التي أُسيئت ترجمتها، إذ ان هذه اللفظة لا تعني بالضرورة قطعة واحدة من النسيج، في شكل كفن، بل يمكن ان تعني عدة قطع، وهي بالتالي لفائف يوحنا.

بعد هذه المحاولات التوفيقية الفاشلة، سعى عدد آخر من المفسرين الى دمج كل المعطيات: كفن ولفائف ومنديل. وهكذا يكون يسوع قد لُفّ بغطاء كبير، واحيط من ثم بلفائف، وغُطّي وجهه بالتالي بمنديل. تلك هي أيضاً عملية توفيقية. هناك مَن يظنون انه من العسير جدا التوفيق بين يوحنا والازائيين: هنا "كتّان"، وهناك "لفائف". وشاء احدهم[٣] ان يستنتج بان هناك دفنتين: الاولى جرت مساء الجمعة، مع الازائيين، اذ لُفّت سريعا الجثة غير المغسولة، في كتّان؛ والاخرى مساء السبت، إذ عاد الرسل لاستكمال الدفن، فاستعادوا الجثة وغسلوها واحاطوها بلفائف، وهذا ما نقله يوحنا. إن الخلل الرئيس في هذه النظرية هو ان لا أساس لها: فلا شيء يبرهن على دفنة ثانية مساء السبت ,كل الأشياء تمنعنا من قبولها. وإذا كان الاقتراح قد عُرض، فلكي يمكّن من تفسير كفن تورينو. ذلك ان الكفن المقدس يفترض، في الواقع، ان الجثة قد لُفّت، من دون غسل، في خامة بسيطة، بحيث أمكن للدم والعرق أن يُحدثا "الطبعة" التي نعرف. وتصبح هذه الطبعة مستحيلة إذا ما استخدمت لفائف. ولكن لا يمكن للرغبة في إثبات كفن تورينو أن تبرر اقتراحاً يبقى مرفوضا في حد ذاته، هو افتراض الدفنتين المتتاليتين.

---

[٣] راجع و. بولست (مقالة بالالمانية)، ١٩٧٢.

اعتقد، أنا شخصيا، انه ينبغي التخلي عن فكرة التوفيق بين يوحنا والازائيين. فلا يوحنا ولا الازائيون ادّعوا قط تقديم عرض دقيق للأمور. ومن جديد، يستحق يوحنا مزيداً من المصداقية. فالازائيون تحدثوا عن "كتّان"، بصفته شكلاً مألوفاً للدفن، من دون ان يدّعوا وصف تفصيل لم يشاهدوه ولا شك، بحيث لا يسعنا ان نأخذ روايتهم بشيء من المنهجية الجادة التي بوسعها ان تخرج بنتائج علمية. وإذا كان عليّ ان اختار، فاني أُفضّل اتباع يوحنا، مع تحفظي بشأن كلمة othonia التي قد لا تعني لفائف. ذلك ان هذه الطريقة في لفّ مومياء مصر لم تكن مألوفة في فلسطين، ومن المحتمل ان يوحنا لم يتحدث عن اللفائف إلا للإيحاء بقيود الموت التي حطمها يسوع (راجع يو ١١: ٤٤).

وبالتالي، فان معطيات الإنجيل البسيطة التي يصعب التوفيق بينها -وهي مصطنعة لدى الازائيين الذين لم يقدموا شهادة مباشرة- ليست في مستوى من الواقعية الدقيقة لتسمح بحسم الجدال حول كفن تورينو. وبصفتي مفسّراً بيبلياً، أوثر الابتعاد عن هذا الجدل، لإفساح المجال للمؤرخين والمصورين والكمياويين كي يُدلوا بما يرتأوونه بصدد هذه الذخيرة الغريبة.

ويجدربنا ان نعطي ملاحظة اخيرة بشان وصف يوحنا، هو الذي شاء، بكل تأكيد، ان يبين بان الاقمشة مرتّبة: من جهة اللفائف (othonia) هنا، منفصلة عن المنديل (soudarion) الذي وُجد مرتبا لوحده. لماذا أعطى يوحنا كل هذه التفصيلات؟ لا شك انه أراد ان يبين بان ليست هناك سرقة او عملية خطف، ويشير إلى ان يداً الهية قد تدخلت -لكان باسكال قال هنا: يداً غير بشرية!-. وبخلافه، لو كان السراق او الرسل قد حرّكوا الجثة بشكل سريع، لكانت الاقمشة بقيت مبعثرة، كما حين سُرقت المومياءات في سراديب مصر. اما هنا، فكل شيء مرتّب في مكانه، كما لو ان الله، او ملائكته، شاءوا ان يأخذوا الرب دون أن يُحدثوا فوضى!

رواية لوقا: بطرس عند القبر

تقدم رواية لوقا توازيا مدهشا مع رواية يوحنا، مع كونها مختلفة عنها: "**غير ان بطرس قام فاسرع إلى القبر وانحنى، فلم يرَ إلا اللفائف، فانصرف إلى بيته متعجباً**" (لو ٢٤: ١٢). اننا نرى هنا نقاطا مشتركة مع رواية يوحنا: مسعى بطرس نحو القبر،

انحناؤه ليرى اللفائف ممدودة، العودة إلى بيته. إلا ان هناك، من جهة اخرى، اختلافات عديدة: بطرس هو وحده، ولا يُقال شيء عن التلميذ الاخر الذي كان اكثر سرعة منه، ولم يدخل، ولكنه آمن هو الاول: ذلك ان لدى لوقا، يعود بطرس متعجبا ولا يدري سوى شيء واحد: كان القبر فارغا.

هناك شكٌ يخيّم على هذه الآية من إنجيل لوقا، سيما ونحن لا نجد لها أثرا في جميع المخطوطات، الامر الذي يقلق النقاد. ويظن البعض بان هذه الآية ليست من انشاء لوقا، وان ناسخا استلهم يوحنا فأضافها. والواقع هو ان الآية ١٣ تواصل بشكل جيد الآية ١١، مما يوحي بإضافة. اما في نظر نقّاد آخرين، فالأمر مختلف جداً: لوقا، على العكس، هو في اصل رواية يوحنا الذي توسّع في هذه الآية. ومع ذلك يبدو من الصعب الاعتقاد بان يوحنا استخرج روايته، مع كل التفاصيل التي تضمنتها، من آية لوقا القصيرة هذه. ولا يخفى، من جانب آخر، ان نص لوقا تضمّن مفردات يوحنانية أتته، ولا ريب، من يوحنا؛ كما ان هناك، في الوقت ذاته، مفردات لوقاوية لا تعود إلى ناسخ ما، وانما إلى لوقا بالذات. النتيجة المفترضة هي ان لوقا عرف، إن لم يكن هذا المقطع من يوحنا، فعلى الأقل عرف تقليداً استقى منه يوحنا ذاته. ولقد حَسُن للوقا ان يُلحقه بإنجيله -ومن المحتمل بعد فترة من الزمن- وبمساعدة هذه الآية بالذات. وهكذا يكون، في متناول لوقا ويوحنا، تقليدان مستقلان ومتوازيان، وصلا إليهما من مصدر مشترك أصيل ذي شأن كبير، نقل إليهما مسعى التلميذين نحو القبر واكتشاف بطرس القبر فارغا. وهكذا سيساعدنا لوقا، باسلوبه المقتضب، في العثور على هذا المصدر، بحالته البدائية، كما سيمكّننا من اكتشاف التوسّعات التي اضفاها يوحنا.

بحسب لوقا، يأتي بطرس وحده إلى القبر. وفي الواقع، سيقول تلميذا عماوس: "فذهب بعض أصحابنا إلى القبر فوجدوا الحال على ما قالت النسوة" (لو ٢٤: ٢٤). هكذا نستنتج ان لوقا يعلم ان هناك كثيرا من التلاميذ، إلا انه لا يتحدث إلا عن بطرس، وهذا يحملنا على الاعتقاد بان كل التفاصيل المتعلّقة بالتلميذ الآخر، إنما هو توسّع قام به يوحنا وفق ميله المعتاد. وهناك تفصيل مهم آخر: لا ينسب لوقا إلى بطرس إيمانا ولا تعجباً؛ فالرسول يعود إلى بيته مندهشا، كما لو انه لم يفهم شيئا، وقد تكون تلك حالة النص في التقليد البدائي. وهكذا، عبر روايتي لوقا ويوحنا اللتين تفسر احداهما الاخرى، نبلغ إلى تقليد يبدو اكثر قدماً، وقد يكون سابقاً لتقليد مرقس بالذات. فهذا التقليد

الذي أخذ عنه كل من لوقا ويوحنا -وبموجبه يكون بطرس، بعد ان اطلعته مريم المجدلية، ذهب إلى القبر ورآه فارغا، ولكنه لم يشاهد، لا يسوع ولا ملائكة، وعاد متعجباً- ليس فيه ما يثير قلق النقاد الذين يخشون العجيبة والخارقة؛ وبفضل البساطة التي اتصف بها، يصبح هذا التقليداً ثمينا جداً. واعتقد ان هذا التقليد هو اكثر قدماً من تقليد اكتشاف القبر الفارغ، كما رواه الازائيون. وسوف أبيّن ذلك الآن عبر قراءة مقطع المجدلية في إنجيل يوحنا ومقارنته مع الازائيين.

رواية يوحنا: مريم المجدلية عند القبر

"**اما مريم فكانت واقفة عند مدخل القبر تبكي**" (يو ٢٠: ١٠). لا يقول يوحنا من اين جاءت، ولا ماذا عملت، بعد ان أطلعت بطرس على الأمر. الها هنا، فجأة، عند القبر. وقد يفكّر القارئ عفوياً: لقد عادت في اثر بطرس، وانتظرت بكل أدب، عن بُعد، كي يتسنى للرسولين ان ينظرا القبر، وما ان غادرا، اقتربت هي. مثل هذا البناء يبدو تخيّلياً، وينبغي الاعتراف بان يوحنا لا يقول شيئا من ذلك، وكأن الرواية تبدأ من جديد. فنحن بصدد قطعة أدبية اخرى يجهل التقليد ماذا سبقها؛ ومن النافل البحث عن مزج هذا المقطع مع المقطع السابق، فالرواية جديرة بالاهتمام، في حد ذاها.

"**وبينما هي تبكي، انحنت نحو القبر فرأت ملاكين في ثياب بيض جالسين حيث وُضع جثمان يسوع، أحدهما عند الرأس والآخر عند القدمين. فقالا لها: لماذا تبكين أيتها المرأة؟ فأجابتهما: اخذوا ربّي ولا ادري اين وضعوه. قالت هذا ثم التفتت إلى الوراء...**" (يو ٢٠: ١١-١٤). يعكس هذا المقطع ظهور ملائكة (تجلّي ملائكة)، كما هي الحال لدى الازائيين. ومن الغريب ان الملائكة هنا لا يقومون بشيء -وكأننا بازاء ملائكة من شمع فوق مذابحنا!- في حين ان لهم دور المبشّرين في الأناجيل الازائية. ونرى هنا ان سؤالهم لا يؤدي إلى شيء. وهذا يطرح مشكلة: هل هم في المكان الذي كان لهم أصلاً؟ ولن يتخذ المشهد حيوية إلا حين يظهر يسوع.

"**...فرأت يسوع واقفا، ولم تعلم انه يسوع**" (يو ٢٠: ١٤). في كل هذه التراثيات، لا يتم التعرّف على يسوع للحال، وانما فقط عبر علامة او كلمة ينتج عنها انفتاح القلب على الإيمان.

"فقال لها يسوع: لماذا تبكين أيتها المرأة وعمّن تبحثين؟ فظنّت انه البستاني (وكأن القبر في البستان) **فقالت له: سيدي، إذا كنت انت قد ذهبت به، فقل لي اين وضعتَه وأنا آخذه"** (يو ٢٠: ١٥). فالمرأة المسكينة، على مثال بطرس، لا تفكر بعدُ في قيامة؛ لاشك ان قلبها متقد، إلا ان إيمانها لم يستيقظ بعدُ: ليس هو هاهنا، وأريد أن أجده، مائتا ولا شك، ولكني اريد ان أراه، وحيثما يكون. وإزاء حرارة الحب هذه، والرغبة في البحث، يقول يسوع الكلمة اللازمة: انه يسمّيها باسمها كي يفتح قلبها.

"فقال لها يسوع: مريم! فالتفتت وقالت له بالعبرية: رابّوني! أي، يا معلّم" (يو ٢٠: ١٦). ان هذه الكلمة مؤثرة. ذلك ان "رابوني" وُجدت في كتابات ارامية فلسطينية من القرن الاول؛ انها معاصرة للإنجيل.

"فقال لها يسوع: لا تمسكيني، اني لم اصعد بعد إلى أبي، بل اذهبي إلى اخوتي فقولي لهم اني صاعد إلى ابي وابيكم، والهي والهكم" (يو ٢٠: ١٧). هوذا يسوع يعطي مريم مهمّة، كما لدى الازائيين، ولكنها مهمة مختلفة؛ فليس المطلوب ان تقول للرسل ان يذهبوا ليجدوه في الجليل. ذلك ان يسوع يعطي، لها ولهم، درساً مهماً في اللاهوت بصدد تغيّر وضعه. انه دخل في المجد، وسوف يصعد نحو أبيه للحال -وهذا ما يُستشف- طالما انه سيتراءى في المساء ذاته للرسل، بعد ان يكون قد صعد إلى إلهه. وبوسعنا ان نقول انه لن يعود ينزل من عند ابيه، إلا لكي يتراءى للتلاميذ. والآن ما دام قد خرج من القبر، فسيكون "عمله" -إن صح القول- هو ان يذهب إلى الآب، في المجد. ولذلك قال: **"لا تمسكيني"**. لقد أمسكت مريم المجدلية ولا شك بقدميه، كي تكرِّر حركة الماضي المفعمة بالمحبة. ولكن لم يعد لهذا الامر وقت؛ فيسوع يقول: منذ الآن فصاعداً اصبحت من عالم آخر، اتركيني. اني عائد، ولكن قبل ذلك، عليّ ان اصعد إلى ابي -وهذا يعني، بمفردات يوحنانية، اني داخل في حالة من المجد-؛ كنت بشرا، وها انا روح.

سيعود يسوع مُرَوْحَناً بالتمام، وبشكل خاص في الافخارستيا. ويجب ان نتذكر هنا تلك العبارة من خطاب يسوع في خبز الحياة: "أهذا سبب عثرة لكم؟ فكيف لو رأيتم ابن الإنسان يصعد إلى حيث كان قبلاً!" (يو ٦: ٦١)، ونضعها في سياقها حين تحدث يسوع عن الخبز النازل من السماء وقال أيضاً: "ان الروح هو الذي يحيي، واما الجسد فلا يجدي نفعا" (يو ٦: ٦٣). ففي ضوء هذا التوازي، نفهم ان يسوع يعلن هنا

عن خاتمة الاتصالات المادية في الزمن الماضي. فلقد تغيرت حالته، و لم يعد بوسع احد ان يمسك به، كما في الماضي. وليس على المجدلية ان تخشى، إذ إنه سيعود في حالة جديدة، ممجّداً، مُرَوحنا. وفي الواقع، عبر الافخارستيا والأسرار، يعود يسوع إلى خاصّته؛ فنحن نلمس، ليس بطريقة مادية البتة، كما كان معاصروه يلمسونه ابان حياته الأرضية. وهكذا نجدنا بازاء تعليم ضخم ينقله يوحنا على لسان يسوع: انه يدخل في حالة المجد؛ وهذه المهمة اللاهوتية التي تلقتها مريم المجدلية، سوف تنقلها بدورها إلى الرسل.

"**فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ بان: قد رأيت الرب، وبأنه قال لها ذاك الكلام**" (يو ٢٠: ١٨).

هناك لدى متى تواز مدهش لهذا المشهد حول الترائي لمريم المجدلية. فلقد روى متى ان النسوة ذهبن ممتلئات من الفرح ليحملن بشرى القيامة. "**وإذا يسوع قد جاء للقائهما، فقال لهما: السلام عليكما! فتقدمتا وأمسكتا قدميه ساجدتين له. فقال لهما يسوع: لا تخافا! إذهبا فبلّغا اخوتي ان يمضوا إلى الجليل، فهناك يرونني**" (متى ٢٨: ٩-١٠).

ويجمع المفسرون على ان هذا المشهد الصغير، لدى متى، يوازي المشهد الذي رواه يوحنا. إلا ان هناك اختلافات: نساء عديدات عوضا عن مريم المجدلية وحدها، ورسالة من يسوع اكثر بساطة؛ ونجدنا بازاء رسالة الملائكة مكررة: الموعد في الجليل. إلا ان هناك تفصيلاً يشرح جيداً لقاء مريم المجدلية بحسب يوحنا: ذلك ان المرأتين تقدمتا وأمسكتا قدميه؛ وهذه الحركة تفسّر كلام يسوع لمريم المجدلية بحسب يوحنا: "لا تمسكيني".

وهكذا تتكامل الروايتان، ويتفق النقاد على ان هناك عرضين لتراءٍ واحد للنسوة.

مقارنة بين الترائيات لمريم المجدلية

بقي ان نقارن ترائي يسوع لمريم المجدلية مع ترائي الملائكة، بحسب مرقس. فهو لا يُدخل في المشهد، لا بطرس ولا يوحنا. كما انه لا ينقل قط ترائي يسوع لمريم المجدلية. انما يصف فقط القبر الفارغ وظهور ملائكة يفسّرون لماذا هو فارغ. تلك هي رواية مرقس، وتتواصل في روايتي متى ولوقا.

اما لدى يوحنا، فالقبر، بالعكس، وجدته فارغاً مريم المجدلية التي لم تدخله، بل اكتفت بإخبار التلميذين؛ ومن ثم زاره بطرس ويوحنا، وبالتالي تــراءى يــسوع لمــريم المجدلية. لو قارنّا بالتفصيل هذه الروايات، نستنتج ان يوحنا يمثّل تقليداً اكثر قدماً، وهذا ما يؤكد خلاصة سبق لنا مراراً ان استخرجناها: إنجيل يوحنا، وإن كُتب متأخراً، فهــو يعرض، في طبقاته العميقة، ذكريات اكثر قدماً من تلك التي أوردها الازائيون.

ويُظهر لوقا ما لسعي بطرس ويوحنا إلى القبر من قيمة تاريخية، إذ جرد الرواية من بعض التفاصيل التي أثقلت المشهد لدى يوحنا؛ فهناك حدث محتمــل، في منتــهى البساطة والقوة، حدث مجرد من الطابع المذهل: بطرس، بمعية واحد او اكثر، وجد القبر فارغا، و لم يفهم شيئا من ذلك. ذلك ان التحقق الموضوعي من خلوّ القبر —وذلك واقع لا مفر منه– هو نقطة الانطلاق للإيمان الفصحي. فالواقع متين، ويوحنا هو شاهد جيّد. ويبدو الترائي لمريم المجدلية، هو الاخر، محتملا جداً؛ ورواية يوحنا تسندها رواية مــتى؛ والمضمون الذي يحمّله يوحنا هو مضمون لاهوتي، ولكنه ملائم جداً. وبالعكس، يبدو ترائي الملائكة لمريم المجدلية، بحسب يوحنا، مفتقراً إلى الأسس. واعتقد اننا نجد هنا بنــاء أدبيا شبيها ببنية روايات الدفن. ونقول، بادئ بدء، بان لدينا مقطعا يوحنانيا مــستقلاً بالكامل عن الازائيين: هناك ضربة الرمح، وهنا السعي نحو القبر؛ وبالتالي نجدنا بــازاء رواية شبيهة برواية الازائيين، ولكنها تحمل طابع السمات اليوحنانية: هناك الدفن علــى يد نيقوديمس، وهنا الترائي لمريم المجدلية، وفي الوسط، آية قصيرة أُقحمت تحــت تــأثير الازائيين المباشر: هناك يوسف الرامي، وهنا ترائي الملائكة.

لو امعنا النظر، عن قرب، في ترائي الملائكة الذي اورده يوحنا (يو ٢٠: ١١-١٣)، فسنلاحظ انه يرجّع اصداء مستقاة، سواء من الازائيين، ام من ســياق يوحنــا المباشر. ويرجع انشاء هذا الترائي الى شخص مجهول شاء ان يذكّر بروايــة الازائــيين ويعكسها في إنجيل يوحنا. إلا ان النتيجة كانت مهزوزة؛ فهــؤلاء الملائكــة اصــبحوا هامشيين: انهما ملاكان (كما لدى لوقا) متشحان بالبياض (كما لدى الازائيين الثلاثة)، جالسان (كما لدى مرقس)، أحدهما عند الرأس والآخر عند القدمين. ويقول الملاكان: "**لماذا تبكين أيتها المرأة؟**" (يو ٢٠: ١٣). انها الكلمة ذاتها التي سيقولها يسوع في الآيــة ١٥. ولا يبحث المؤلف بعيداً، وانما كتب هذا المقطع بعون السياق المجــاور. ويكــرر جواب مريم المجدلية الجواب الذي سبق أن أطلقته هي في آية ٢: "**اخذوا ربي، ولا ادري**

اين وضعوه" (يو ٢٠: ١٣). ومن ثم يبدأ مشهد مريم التي تستدير. ففي نص يوحنا الحالي، نراها تستدير مرتين، وهذا ما يصعب تفسيره. وجرؤ بعض المفسرين على الادعاء بانها اضطربت، لكون يسوع ظهر لها عارياً في منتهى جمال جسده الممجّد؛ ومثل هذا التفسير هو في غير مكانه! فان تلك المراجعة متأتية بالاحرى من ان النص اجري عليه تعديل: فالاستدارتان تعودان إلى طبقتين ادبيتين مختلفتين.

خاتمة إنجيل مرقس

قد يتجلى، من المقارنة بين روايتي مرقس ويوحنا، تفسير للطريقة الغريبة التي ختم بها مرقس إنجيله (مر ١٦: ٨). ألا يكون مرقس قد عرف التقليد الاول: مريم المجدلية وجدت القبر فارغا (لا غير) وذهبت لتعلِم بطرس. ولكنه، إذ عزم على ألا يروي ترائيات يسوع، وشاء، منذ خاتمة انجيله، ان يعلن عن معجزة القيامة، قـرّر منذئذ ان يستغل اكتشاف القبر فارغا، فيعبر عن الكرازة الفصحية. وهكذا يكون مرقس قد وضع على المسرح ملاكاً -وهو الاداة الكلاسيكية في الكتاب المقدس- وجعل على لسانه "كرازة الفصح".

يجيز لنا تحليل كلمات الملاك، لدى مرقس، ان نرى فيها، بكل بساطة، إعلان الرسالة الفصحية التي سنجدها، دون انقطاع، في سفر اعمال الرسل، على لسان بطرس. ولقد بنى مرقس هذا المشهد كي يجاهر بوجه ايمان المؤمنين، وبفرصة القبر الفارغ، برسالة القيامة على لسان الملاك.

بوسعنا، لا بل يتوجب علينا ان نؤمن بوجود عالم الملائكة، إلا اننا لسنا ملزمين بالاعتقاد، كل مرة وضعت الروايات البيبلية ملاكاً على المسرح، اننا بازاء ملاك قد شوهد! فهذا الاسلوب البيبلي مألوف جداً، بحيث يستحيل القول اننا لم نلحظه او لم ننتبه إليه: ذلك ان الكاتب البيبلي، كي يعبّر عن رسالة من لدن الله، او عن تجلٍّ خارق، او عن حقيقة إيمانية، نراه يضعها على لسان ملاك، وفق العرف الادبي.

وهكذا اعتقد بان لوقا هنا، ولاسيما يوحنا، قد عكسا التقليد القديم: مريم المجدلية، وبطرس من بعدها، رأيا القبر الفارغ وأخذهما الدهشة وحسب. ومن ثم جاءت ترائيات يسوع لكي تفسّر كل شيء. وبموجبه، يكون اكتشاف القبر فارغا قد تمّ من

دون ظهور ملائكة؛ تلك هي حالة التقليد الاولى، والاكثر قدَما. وهوذا مرقس يعــرض حالة اخرى: يتخلى، ولأسباب تخصّه، عن رواية الترائيات، لانه شاء ان يعلّق كل التعليم على اكتشاف القبر فارغا؛ كما شاء أن يعلن، عبر الملاك، على الفور، عن واقع القيامة.

هناك نقّاد عديدون "مستقلون" يرفضون هذه الروايات، بسبب الطابع المصطنع لهذه التجليات الملائكية. اما التحليل الذي عرضته، فيهدف إلى تبديد اعتراضاهم، وإلى إعادة بناء تقليد بشأن اكتشاف القبر فارغا، وهو تقليد على مستوى عال من البساطة، من دون ان يكون اقلّ قيمة. وهكذا يتضح ان هذا الاكتشاف لم يعد اختراعاً جديــدا يشوبه الشك، وانما يصبح واقعا صلبا وقديما، لا بل معطى عريقاً، بوسعه، إذا ما دُمجت به الترائيات اللاحقة، أن يعطي سنداً واساساً للإيمان المسيحي بقيامة يسوع.

الفصل الحادي عشر

الترائيات في عماوس وفي أورشليم

على طريق عماوس

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ١٣-٣٥	يوحنا
		١٣ واذا باثنين منهم كانا ذاهبَين، في ذلك اليوم نفسه، الى قرية اسمها عمّاوس،	
		تبعد نحو ستين غلوة من اورشليم.	
		١٤ وكانا يتحدثان بجميع هذه الامور التي جرت.	
		١٥ وبينما هما يتحدثان ويتجادلان، إذ يسوع نفسه قد دنا منهما واخذ يسير معهما.	
		١٦ على أن اعينهما حُجبت عن معرفته.	
		١٧ فقال لهما: "ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وانتما سائران؟". فوقفا مكتئبَين	
		١٨ واجابه احدهما واسمه قلاوبا: "أأنت وحدك نازل في اورشليم ولا تعلم الامور	
		التي جرت فيها هذه الايام؟".	
		١٩ فقال لهما: "ما هي؟". قالا له: "ما يختص بيسوع الناصري، وكان نبيا مقتدرا	
		على العمل والقول عند الله والشعب كله".	
		٢٠ كيف اسلمه عظماء كهنتنا ورؤساؤنا ليُحكم عليه بالموت، وكيف صلبوه.	
		٢١ وكنا نحن نرجو أنه هو الذي سيفتدي اسرائيل. ومع ذلك كله،	
		فهذا هو اليوم الثالث مذ جرت تلك الامور.	
		٢٢ غير أن نسوة منّا قد حيّرننا، فإنهن بكّرن الى القبر.	
		٢٣ فلم يجدن جثمانه فرجعن وقلن إنهن ابصرن، في رؤية، ملائكة قالوا انه حي.	
		٢٤ فذهب بعض اصحابنا الى القبر، فوجدوا الحال على ما قالت النسوة. اما هو فلم يروه".	
		٢٥ فقال لهما: "يا قليلي الفهم وبطيئي القلب عن الايمان بكل ما تكلم به الانبياء.	
		٢٦ أما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟".	
		٢٧ فبدأ من موسى وجميع الانبياء يفسر لهما في جميع الكتب ما يختص به.	
		٢٨ ولما قربوا من القرية التي يقصدانها، تظاهر انه ماض الى مكان ابعد.	
		٢٩ فألحّا عليه قالا: "امكث معنا، فقد حان المساء ومال النهار". فدخل ليمكث معهما.	
		٣٠ ولما جلس معهما للطعام، أخذ الخبز وبارك، ثم كسره وناولهما.	
		٣١ فانفتحت اعينهما وعرفاه فغاب عنهما.	
		٣٢ فقال احدهما للآخر: أما كان قلبنا متقدا في صدرنا،	
		حين كان يحدثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟"	
		٣٣ وقاما في تلك الساعة نفسها ورجعا الى اورشليم، فوجدا الاحد عشر والذين معهم مجتمعين،	
		٣٤ وكانوا يقولون ان الرب قام حقا وتراءى لسمعان.	
		٣٥ فرويا ما حدث في الطريق، وكيف عرفاه عند كسر الخبز.	

يسوع يتراءى للرسل في اورشليم

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ٣٦-٤٣	يوحنا ٢٠: ١٩-٢٠	يوحنا
	٦ ٤٧ وعند المساء،		١٩ وفي مساء ذلك اليوم،	٢٠ ٢٦ وبعد ثمانية ايام،
			يوم الاحد،	
			كان التلاميذ في دار	كان التلاميذ في البيت
				مرة اخرى،
			اغلقت ابوابها	
			خوفا من اليهود،	
				وكان توما معهم.
		٣٦ وبينما هما يتكلمان		
	٤٨ ... فجاء اليهم عند آخر	اذا به	فجاء يسوع	فجاء يسوع
	الليل ماشيا على البحر...			والابواب مغلقة،
		يقوم بينهم	ووقف بينهم	فوقف بينهم
		ويقول لهم: "السلام عليكم!".	وقال لهم: "السلام عليكم".	وقال: "السلام عليكم".

متى	مرقس	لوقا	يوحنا	يوحنا
	٤٩ فلما رأوه...	٣٧ فاخذهم الفزع والخوف		
	ظنوه خيالا	وظنوا انهم يرون روحا.		
		٣٨ فقال لهم:	٢٠ قال ذلك:	٢٧ ثم قال لتوما:
	٥٠ ... فاضطربوا.	"ما بالكم مضطربين،		
		ولمَ ثارت الشكوك في قلوبكم؟		"هاتِ اصبعك الى هنا
		٣٩ انظروا الى يديَّ	وأراهم يديه	فانظر يديَّ
		وقدميَّ		وهاتِ يدك فضعها
			وجنبه	في جنبي،
	"... انا هو، لا تخافوا"	انا هو بنفسي المسوني وانظروا.		
		فإن الروح ليس له لحم ولا عظم		
		كما ترون لي".		
	١٦: ١٤			
				ولا تكن غير مؤمن،
				بل كن مؤمنا".
		٤٠ قال هذا وأراهم يديه ورجليه.		
		٤١ غير انهم لم يصدّقوا		
		من الفرح	ففرح التلاميذ	
			لمشاهدتهم الرب	
		وظلوا يتعجبون.		٢١ ٥ فقال لهم:
		فقال لهم: "أعندكم ههنا		"ايها الفتيان،
		ما يؤكل؟".		أمعكم شيء من السمك؟"
		٤٢ فناولوه قطعة سمك مشوي.		
		٤٣ فأخذها وأكلها بمرأى منهم.		

ترائي يسوع للتلاميذ ولتوما

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٩
			٢٤ على ان توما، احد الاثني عشر، يقال له التوأم، لم يكن معهم حين جاء يسوع.
			٢٥ فقال له سائر التلاميذ: "رأينا الرب". فقال لهم: "اذا لم ابصر اثر المسمارين في يديه،
			واضع اصبعي في مكان المسمارين، ويدي في جنبه، لن أؤمن".
			٢٦ وبعد ثمانية ايام، كان التلاميذ في البيت مرة اخرى، وكان توما معهم. فجاء يسوع
			والابواب مغلقة، فوقف بينهم وقال: "السلام عليكم".
			٢٧ ثم قال لتوما: "هاتِ اصبعك الى هنا فانظر يديَّ، وهاتِ يدك فضعها في جنبي،
			ولا تكن غير مؤمن، بل كن مؤمنا".
			٢٨ اجابه توما: "ربي والهي".
			٢٩ فقال له يسوع: "ألانك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون ولم يروا".

رواية لوقا، بصدد تلميذي عماوس، هي في منتهى الروعة والشاعرية، كما اها، في الوقت ذاته، في منتهى العمق الروحي واللاهوتي. ولدى قراءة ترائي يسوع للتلميذين، تُطرح قضايا تاريخية ولاهوتية سننكب على دراستها بالتتالي.

الأساس التاريخي لترائي عماوس

تحتوي هذه الرواية على حقيقة تاريخية أساسية لا يمكن الشك فيها، إلا ان العرض الذي يقدمهُ لوقا عنها ليس في صيغة مقابلة؛ فهو إنما بناء لاهوتي وليتورجي. ويجدر بنا ان نبحث عن نوايا المؤلف.

ما هو الوضع الذي يعكسه الحدث؟ لقد جرى "**في ذلك اليوم نفسه**" (لو ٢٤: ١٣)، أي يوم القيامة. "**وإذا باثنين منهم**" يذهبان إلى عماوس، والمقصود تلميذان ولاشك. وتبدو عبارة "اثنين منهم" غريبة، بعد الآية ١٢ التي ذكرت مسعى بطرس إلى القبر؛ فهي تتعلق بشكل افضل بالآية ١١ حيث تحدثت النساء إلى التلاميذ الذين لم يصدقوهن. فمن الممكن ان تكون الآية ١٢ قد أُضيفت، ولكني اؤكد ان لوقا ذاته هو الذي أضافها، لأن ذلك هو اسلوبه.

"**وإذا باثنين منهم كانا ذاهبين، في ذلك اليوم نفسه، إلى قرية اسمها عماوس، تبعد نحو ستين غلوة من أورشليم**" (لو ٢٤: ١٣). ونجدنا هنا بازاء مشكلة لا يمكن تجاهلها، هي مشكلة المسافة والموضع.

اسم القرية عماوس. وهناك عماوس معروفة جداً في تاريخ المكابيين، نجدها في الكتاب المقدس، ولدى يوسيفس، وفي الميشنا: اها مدينة مهمة وشهيرة، أصبحت تسمى نيكوبوليس في القرن الثالث، وهي التي جاء منها مسيحي، يدعى يوليوس الأفريقي.

وعماوس هذه هي، بشكل ثابت، في موقع قرية امواس الحالية، بالقرب من دير اللاترون. ذلك هو أمر مؤكد، لا يشك فيه احد. والتفاصيل بشأن حملة السلوقيين ضد المكابيين، والهجوم الذي شنه جرجياس على معسكر عماوس (١مك ١: ٤-٢٥)، كل هذا جرى بكل تأكيد في موقع امواس الحالية. ولكن ألم يكن هناك سوى عماوس هذه، وحدها؟ ألم يكن بوسع لوقا ان يلمّح إلى مكان آخر يحمل عين الاسم؟

اسم عماوس هو تحوير يوناني لاسم عبري يعني "ينبوعاً" او حتى "ينبوعاً حارّاً". وفي الواقع، هناك موقع آخر في فلسطين، بالقرب من أورشليم، يدعى عماوس، بحسب يوسيفس (الحرب اليهودية ٧،٢١٧)، وهي قولونية على طريق يافا، قبيل قرية ابو غوش. وكانت قرية قولونية التي دُمّرت في أحداث ١٩٤٨، قد أخذت مكان موصة القديمة والمذكورة في لوائح سفر يشوع (يش ١٨: ٢٦). اما الميشنا (سوكّا ٤، ٥)، فتقول بان سكان أورشليم كانوا يذهبون إلى عماوس للبحث عن أغصان الصفصاف لعيد الأكواخ. والتلموذان[1] يماثلان بين موصة وقولونية. ويأتي هذا الاسم من ان الرومان، بعد حرب عام ٧٠، أقاموا فيها مستعمرة للمحاربين القدماء؛ ومنذئذ اضطر السكان على هجر القرية ليفسحوا المجال للرومان، وتمركزوا في الهضبة المرتفعة نحو الشمال، وهي خربة ميزّة الحالية، حيث تشاهد القطع الخزفية، الرومانية والبيزنطية. واسم ميزّة هو صيغة عربية أتت ولا شك من اسم موتزا، والذي يكتب أحياناً ميتزا.

لقد طُرحت أيضاً أماكن اخرى من مثل ابو غوش او كوبيبه، ولكن يجب ان نعترف بان هذه المواقع لم تحمل اسم عماوس. وإذا كان بعض العرب يقولون اليوم "امواس"، لدى الحديث عن كوبيبه، فذلك تقليد حديث وخاطئ، ولا يتجاوز الخمسين عاماً.

ويجب ان ننكبّ أيضاً على تحديد المسافة: ٦٠غلوة. لقد جاء في بعض المخطوطات ١٦٠غلوة. والغلوة تساوي ١٨٥مترا، بحيث ان ٦٠ غلوة تساوي ١١كم و١٠٠م، وان ١٦٠ غلوة تساوي ٣٠كم تقريبا. وعماوس الاولى تقع تماماً على بُعد ١٦٠غلوة. وغني عن القول أن المسافة تقلّ إذا أخذنا خطاً مستقيما من طريق ابو غوش، غير ان الطريق الروماني الذي بموجبه كان تُعد الأميال يمرّ من طريق بيثورون (بيت حور) وكان يتفرع من جهة نحو مودين (مديه)، ومن جهة اخرى نحو امواس. وهذه الطريق تعد

[1] تلموذ بابل: سوكّا ٤٥أ؛ تلموذ فلسطين: سوكّا ٤، ٣، ٥٤ب

١٦٠غلوة. ويميل الابوان آبيل وفانصان إلى عماوس هذه[٢]، إذ يعتقدان بان نظريتـــهما تحظى بأدلة على صعيد الاسم، كما على صعيد المسافة.

إلا أن الرقم ١٦٠، هو موضوع نقاش، إذ أن افضل المخطوطات تحمل الـــرقم ٦٠؛ وهناك شبه إجماع لصالح هذا الرقم، وفق استفتاءات أُجريت في مناطق مختلفة. وفي نظر الأب لاكرانج والعديد من النقّاد الذين أشاركهم الرأي، يبدو ان الرقم ١٦٠ هـــو تصحيح، يُستشف بيُسر انه يرقى إلى اوريجانس[٣]. ذلك ان اوريجانس قدم إلى فلسطين في القرن ٣: انه عالم ناقد ورصين، بحث وعرف عماوس هذه، حين كانت تلك قد طواها النسيان؛ وهكذا استنتج انها عماوس الإنجيل. ويوليوس الافريقي، المـــسيحي المولـــود في عماوس، أسهم ولاشك في هذا التشخيص. وهكذا لم يخش اوريجانس، انطلاقا من هذه القناعة، من تصحيح ٦٠ بـــ ١٦٠ في المخطوطات، بينما الرقم ٦٠ كان اكثر احتمالاً. لا ريب اننا نعجب من هذا التصحيح، ولكن تلك ليست الحالة الوحيدة من الاختلافـــات الطوبوغرافية في الإنجيل، من فعل اوريجانس: بيث آبارا، جيراسيين الخ ... وكـــان الأب لاكرانج، في بدء دراساته، قد جمع هذه الحالات في مقال جزيل الفائدة[٤]. فان اوريجانس، بالرغم من نزاهته العالية، كان يصحح المخطوطات كي يجعلها اكثـــر انـــسجاماً مـــع طوبوغرافية اعتقدها اكثر ثقة. وهكذا حملت المخطوطات من اصل فلسطيني، والمتـــأثرة بتصحيحات اوريجانس، الرقم ١٦٠غلوة، إلا أن اغلبية المخطوطات بقيت سليمة وحملت الرقم ٦٠، الامر الذي يجعل امواس التي في اللاترون بعيدة الاحتمال.

هناك مسألة اخرى تطرح بصدد المسافة، وهي مسألة طول الرحلـــة: أليـــست ١٦٠غلوة مسافة طويلة لذهاب وإياب في يوم واحد؟ هذا الاعتراض لا قيمة له، وها اني أقيم نفسي محاميا لقضية لا اعتقد بها، فاقول بانه من الممكن ان يقطع الطريق، ذهاباً وإياباً، في اليوم ذاته. فلو افترضنا ان التلميذين غادروا أورشليم في الثامنة صباحاً، بوتيرة ٥ كم في الساعة، فسيصلان امواس في الثانية بعد الظهر. وبعد الغداء، في نحو الـــساعة الثالثـــة، سيكونان قد التقيا بالرب. كما بوسعنا أن نعتقد أيضاً بأنهما لن يمنحا أنفسهما استراحة الظهيرة او الليل قبل أن يعودا إلى أورشليم ليحملا البشرى! لقد رأيا الرب، وها هما للحال

[٢] في كتابهما: عماوس، كنيستها وتاريخها، باريس ١٩٣٢

[٣] راجع: تفسير لوقا، ط٤، ص٤١٧ ت

[٤] اورِيجانس، "نقد النصوص والتقليد الطوبوغرافي"، المجلة البيبلية، جـ٥، ١٨٩٦، ص ٨٧-٩٢

على الطريق، وإذا اقتضى الامر سيأخذان حمارين أو أية دابّة. وإذا ما غادرا في نحو الساعة الثالثة، قد يبلغان أورشليم في حدود الساعة التاسعة مساء، ويلتقيان بالتلاميذ في العلية. ومع ذلك فليست المشكلة الحقيقية هنا، إذ أن الرقم الذي اثبتته المخطوطات هو اكثر خطورة.

اين نبحث، إذن، عن عماوس؟ كوبيبه هي على بُعد ٦٠ غلوة، ولقد أُختيرت بالذات لهذا السبب، ونعلم ان هذا التقليد لم يظهر إلا في حدود القرنين ١٣و١٤. وكذلك كولونيه ليست اكثر حظا، طالما الها ليست سوى على بُعد ٣٠ غلوة. قد يكون هناك ولا شك خلط صغير، من مستوى مادي، لا ينال من صحة الكتاب المقدس؛ فلوقا ليس من اهل المنطقة، وانما يسجّل المعلومات التي يتلقاها: لقد قيل له الهما ذهبا وعادا في المساء ذاته، مسافة ٦٠ غلوة. وحين استذكر هذه المعطيات فيما بعد، لإنشاء إنجيله، كتب ان عماوس هي على بعد ٦٠غلوة، من دون أن يتذكر ان المقصود ذهاب وإياب. ومثل هذا التفسير ممكن جدا. والنقاد، في مجملهم، يتبنون كولونيه بكونها عماوس المذكورة في الإنجيل. وهكذا نرى ان ليس هناك أمر بديهي، ويجب، في مثل هذه الحالات، أن نكتفي بالاحتمالات[٥].

رواية لوقا

"وكانا يتحدثان بجميع هذه الامور التي جرت. وبينما هما يتحدثان ويتجادلان إذا يسوع نفسه قد دنا منهما واخذ يسير معهما، على ان اعينهما حُجبت عن معرفته" (لو ٢٤: ١٤-١٦). إن اعينهما حُرمت، بفعل إرادة إلهية، من القدرة على معرفة المعلّم.

في خاتمة مرقس -وهذه الخاتمة قانونية، ولكنها منحولة، أي الها ليست بقلم مرقس- نقرأ: **"وتراءى بعد ذلك بهيئة اخرى لاثنين منهم كانا في الطريق ذاهبين إلى الريف"** (مر ١٦: ١٢). يتخذ يسوع هنا ملامح اخرى: انه يغيّر وجهه؛ بينما نرى التلاميذ، بحسب لوقا، هم الذين حُجبت اعينهم عن معرفته. مَن من الاثنين هو الاكثر صدقا؟ ليس ذلك مهما. إلا أن الأكثر الأهمية هو ان يسوع، في كل روايات الترائيات، لا

---

(٥) ان كنيسة امواس الكبيرة تؤيد التشخيص المكاني الذي تقدم به يوليوس الافريقي واوريجانس. إلا ان هذا التشخيص ذاته عرضة للنقاش. وان كثيراً من الآثاريين يعارضون ان ترقى هذه الكنيسة إلى القرن الثالث.

يُعرف من أول وهلة، ويتوجب عليه ان يقوم بحركة ما، كما يتوجب على التلاميـــذ ان يقوموا بحركة إيمان وحب، كي يصبح معروفا. وهذا يعني انه ينتمي إلى عالم جديد يختلف عن عالم الخبرة الحسية المألوفة؛ ولا يمكن البلوغ إليه إلا بفضل تجاوز للذات.

"فقال لهما: ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟ فوقفا مكتئبين. وأجابه أحدهما واسمه قلاوبا..." (لو ٢٤: ١٧-١٨). فالتلميذان لم يكونا قد سُمّيا بعدُ، وهوذا اسم أحدهما، قلاوبا او قليوفا. و لم يكن هذا التلميذ معروفا، إلا ان اسمه مألوف، إذ لم يكن من الأسماء النادرة، وهو تصغير لاسم قلاوبطروس. وقلاوبا هذا ليس بالـــضرورة عين قَلوُبا (قليوفا) الذي تحدث عنه يوحنا حين ذكر مريم التي لقلوبا (يو ١٩: ٢٥).

اما اسم التلميذ الآخر فيبقى مجهولاً. وقد أطلق عليه أحيانا اسم عماون المشتق من اسم عماوس. وفكّر بعضهم في لوقا ذاته، ولكن ذلك بعيد الاحتمال: انه يقــول في فاتحة إنجيله انه استشار شهوداً، أي انه من جيل آخر. وظن آخرون انه نثنائيل، ولكن من دون مبررّ واضح. وذكر لوقا فيما بعد، سمعان (لو ٢٤: ٣٤)، ويبدو من الواضح اننا بازاء تراء آخر يختلف عن ترائي عماوس. هل المقصود هو فيلبس، احد السبعة؟ قد يبدو هـــذا الحلّ اكثر سحراً، في نظري؛ ذلك ان هذه الرواية تنتمي في الواقع إلى سلسلة أحـــداث جرت في المنطقة الواقعة إلى الغرب من أورشليم؛ وهذه الأحداث التي نقلها سفر الاعمال، بشكل خاص، تتعلق بمساعي بطرس وفيلبس في لدّة ويافا وعلى طريق غزة وفي قيصرية. ويكون لوقا، في هذه الحالة، قد تلقى المعلومات من فيلبس الذي كان يسكن في قيصرية، واستطاع ان يتردد عليه طيلة العامين اللذين كان بولس خلالهما سجينا في قيصرية (رسل ٨: ٤٠؛ ٢١: ٨؛ ٢٣: ٣١-٣٥؛ ٢٤: ٢٧؛ ٢٧: ١). وهكذا يكون من السهل علينا أن نفهم بان فيلبس نقل خبر عماوس، إذا كان هو ذاته أحد المشاركين. إلا ان كل ذلك يبقى افتراضا.

" اجابه احدهما واسمه قلاوبا: أأنت وحدك نازل في أورشليم، ولا تعلم الامور التي جرت فيها هذه الأيام!" فقال لهما: **"وما هـــي"؟** (لـــو ٢٤: ١٨-١٩). وهـــوذا التلميذان يقصّان الاحداث الجديدة التي تتعلق بيسوع، وماذا عمل، وكيف حكم عليـــه بالموت. ومن ثم واصلا:

"**غير ان نسوة منا قد حيّرننا، فانهنّ بكّرن إلى القبر فلم يجدن جثمانه، فرجعن وقلن انهن ابصرن في رؤية ملائكة قالوا انه حيّ. فذهب بعض اصحابنا إلى القبر، فوجدوا الحال على ما قالت النسوة. اما هو فلم يروه!**" (لو ٢٤: ٢٢-٢٤). ذلك يذكّر بإيجاز بما رواه لوقا بشأن الترائي الملائكي، كما بشأن مسعى بطرس إلى القبر. ويجب ملاحظة عبارة "بعض"؛ ومعناه ان بطرس لم يكن وحيداً، إذن، كما توحي بذلك الآية ١٢. وهوذا يسوع يجيبهما ويفتح قلبيهما: "**يا قليلَي الفهم وبطيئي القلب عن الإيمان بكل ما تكلم به الأنبياء! اما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟**" (لو ٢٤: ٢٤-٢٥). وراح من ثم يفسّر لهما الكتب.

"**ولما قربوا من القرية التي يقصدانها، تظاهر انه ماضٍ إلى مكان أبعد. فألحّا عليه قالا: امكث معنا، فقد حان المساء ومال النهار**" (لو ٢٤: ٢٨-٢٩). لا ينبغي ان تؤخذ هذه الصيغ بالمعنى الحصري؛ فمن تقاليد الضيافة الشرقية ان يُدعى الضيف إلى البقاء: "حلّ الليل، فستذهب غداً"، حتى وإن لم يكن الوقت قد تجاوز الثانية بعد الظهر.

"**ولما جلس معهما للطعام، اخذ الخبز وبارك ثم كسره وناولهما. فانفتحت اعينهما وعرفاه فغاب عنهما. فقال احدهما للآخر: اما كان قلبنا متقدا في صدرنا، حين كان يحدثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟ وقاما في تلك الساعة نفسها –أي من دون أي انتظار– ورجعا إلى أورشليم، فوجدا الاحد عشر والذين معهم مجتمعين، وكانوا يقولون ان الرب قام حقا وتراءى لسمعان**" –ولم يكن لتلميذي عماوس أي متسع من الوقت للتحدث، طالما ان الاحد عشر اعلموهما بالخبر: قام الرب!– "**فرويا ما حدث في الطريق، وكيف عرفاه عند كسر الخبز**" (لو ٢٤: ٣٠-٣٥). هناك بعض المخطوطات تضع على لسان التلميذين الجملة التي وردت في الآية ٣٤: "حقا قام الرب وظهر لسمعان". وهكذا يصبح سمعان احد التلميذين: واحد هو قلاوبا والآخر سمعان! لكن، من وجهة النظر النقدية، تبقى القراءة الفضلى "وكانوا يقولون"، وهي لا تتعلق بالتلميذين بل بالاحد عشر. فالتلاميذ المجتمعون في أورشليم هم الذين استقبلوا التلميذين العائدين من عماوس وقطعوا عليهما الكلام قائلين: "ظهر لسمعان". وحينذاك روى التلميذان الترائي في عماوس.

المعنى العميق من الرواية[٦]

ما هي المعطيات الهامة في هذا النص الرائع؟ لقد رأينا مسبقا اننا بازاء خبرة تاريخية، عبر اسم عماوس واسم قلاوبا، كما عبر صدقية الرواية في مجملها. وحتى لو لم نكن على يقين من موقع عماوس، وحتى لو بقي التلميذان مجهولين، نشعر اننا بازاء ذكرى واقعية ليست من ابتكار لوقا، كما يتردد القول احياناً. وسيتوجب علينا ان نشرح كيف يمكن ان يتوافق هذا الترائي في اليهودية مع الترائي في الجليل؟ هذه المسألة سوف ننكب عليها فيما بعد. وانما ينبغي هنا أن نقدم تقريرا عن هذا المشهد المعاش والذي طالما سعى أعداء العجيبة إلى حذفه او تحجيمه.

كان رينان قد حاول ان يشرح هذا الترائي المزعوم، بطريقة طبيعية، عبر اعتقاده بشكل من الحلم الذي راود التلميذين. فلدى حلول المساء، كانت ذكرى العشاءات السالفة مع يسوع قد ملأهم كآبة. هوذا ما كتبه رينان: "لما كانا ممتلئين حزناً رقيقاً، نسيا الغريب، وها هما يريان يسوع يمسك الخبز ويكسره ويقدمه لهما. فلقد استحوذت عليهما هذه الذكريات إلى حد انهما بالكاد لحا ان رفيقهما تركهما، مسرعاً، لمواصلة طريقه. وحين خرجا من أحلامهما..."[٧] وهنا يبدو ان الحالم هو رينان ذاته، إذ ان تفسيره غير المعقول لا يشرح شيئا.

هناك نقّاد يقرّون بان لوقا شاء ان يروي حدثا معاشا ومدهشا، هو اعتلان ليسوع المسيح. إلا انهم يريدون ان يعرّوه من الواقعية، بمقارنتهم اياه بروايات العصور القديمة ذات الطابع العجائبي، حيث تتجلى الالوهية. ففي الكتاب المقدس، هو الله او ملاك يهوه يتراءى لهاجر في البرية، ولإبراهيم بالقرب من حبرون؛ وفي الوثنية رُويت مثل هذه الترائيات، بشأن شفاءات في ايبيدور الخ... اما بصدد هاجر وإبراهيم، فنحن نعتقد بتجليات حقيقية لله، اية كانت الصيغة المصورة التي تروى بها. وبالعكس، فان التجليات في الوثنية هي من مستوى آخر.

---

[٦] راجع ج. ديون: "حجاج عماوس" (لو ٢٤: ١٣-٣٥) في **miscellanea Biblica**، ١٩٥٤

[٧] ارنست رينان: الرسل، باريس ١٨٦٦، ص ٢٠

ليست هناك، في الواقع، طرق كثيرة لرواية ترائي كائن روحي. فان النبرة هنا، تبدو اكثر واقعية واكثر معقولية: انه إنسان يتراءى لهم، وليس ملاكا من السماء او شبحا. فقد اتخذ يسوع شكلاً بشريا، بكل معنى الكلمة، حتى انهم لم يعرفوه، وحسبوه رفيق طريق.

وبالتالي، يجب ان نبحث عن قصد لوقا الذي لا يدّعي انه يروي ترائيا عجائبياً لإله، كما كان يفعل الوثنيون، وانما شاء ان يفسّر، بطريقة تعليمية وليتورجية، كيف كشف يسوع عن ذاته. وهذان الوجهان هما في الواقع من السمات المميزة لهذه الرواية.

الوجه التعليمي للرواية

ان الطريقة التي يروي بها التلميذان الاحداث الاخيرة، والاسلوب الذي يجيبهما به يسوع، يوجزان مجمل الكرازة الاولى، كما عكسها سفر اعمال الرسل. فان خطابات سفر اعمال الرسل تنقل كرازة السنوات الاولى للكنيسة، حين كانوا يروون الحدث الاساس: يسوع، عاش بصفة إنسان يؤيده الله، وعمل عجائب ومعجزات، وأجرى شفاءات، وصنع الخير؛ ومن ثم قتله اليهود، ولكن الله اقامه، ونحن شهود لقيامته، والاسفار المقدسة تبرهن عليها. تلك هي، بالخطوط العريضة، هيكلية عظات القديس بطرس يوم العنصرة، وامام السنهدريم، وامام قرنيليوس، وكذلك عظات القديس بولس في انطاكية بسيذية. فلقد عرف لوقا جيدا هذه الكرازة الاولى وعكس فحواها. وإذا قارناها برواية تلميذي عماوس، نزداد يقيناً من ان لوقا أنشأ محادثة يسوع مع التلميذين في ضوء هذا التعليم التقليدي الراسخ. إليكم ما قاله قلاوبا ورفيقه:

"**ما يختص بيسوع الناصري، وكان نبيا مقتدراً على العمل والقول، عند الله والشعب كله، كيف أسلمه عظماء كهنتنا ورؤساؤنا ليُحكم عليه بالموت، وكيف صلبوه**" (لو ٢٤: ١٩-٢٠). ها نحن نجد المفردات -ولاسيما باليونانية- التي سترد في سفر الاعمال، كلمة فكلمة، على وجه التقريب. وغني عن القول ان الكتابين هما بقلم المؤلف ذاته: هو لوقا بالذات الذي أنشأ التعاليم الواردة في سفر الاعمال، من خلال الكرازة الاولى، التي استخدمها هنا لكي يعرض حديث التلميذين مع يسوع. وهكذا يُفسَّر أيضاً جواب يسوع: "**يا قليلي الفهم وبطيئي القلب عن الإيمان بكل ما تكلم به الأنبياء! اما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟ فبدأ من موسى وجميع**

الأنبياء يفسّر لهما في جميع الكتب ما يختص به" (لو ٢٤: ٢٥-٢٧). ولا ينقص أبداً البرهان، من الاسفار المقدسة، في عظات القديس بطرس والكرازة الرسولية الاولى. وهكذا، فلكي يصف لوقا محادثة واقعية، في اعقاب ٣٠ عاماً تقريبا -وليس لديه مختصر لها- استخدم اموراً محتملة، واستعان بمفردات الكرازة ذاتها. انه يعرض، بصفته معلماً ولاهوتيا، التعبير الاول عن "الكيروكما" (Kérygme)، اي تلك الكرازة الاولى التي سوف تؤسس الكنيسة: عاش يسوع، ثم مات وقام! وهذا الحدث تدعمه الشهادة الرسولية والاسفار المقدسة.

المناخ الليتورجي للرواية

وعلاوة على ذلك، فقد جعل لوقا روايته في مناخ ليتورجي. فاللقاء يُختم بكسر الخبز، ومن هذه العلامة عرف التلميذان يسوع. هل كان كسر الخبز هذا افخارستيا؟ لَكَم طال النقاش حول هذا الموضوع، وغالبا ما شكك في ذلك آباء الكنيسة انفسهم. هل كان من الممكن ليسوع، مساء القيامة، وأمام تلميذين مجهولين -لم يكونا حاضرين في العشاء الاخير مع الرسل الذين كانوا لوحدهم- أن يحتفل بالافخارستيا التي أسسها قبل يومين؟! وهل كان بوسع تلميذي عماوس ان يفهما شيئا؟ هذا ما يصعب قبوله؛ لقد برهن كثير من المفسرين اننا لسنا بازاء افخارستيا.

ومع ذلك، استخدم لوقا مفردات توحي بالافخارستيا: "**اخذ الخبز وبارك، ثم كسره وناولهما**" (لو ٢٤: ٣٠). انها الحركات عينها التي نجدها في العشاء الأخير (متى ٢٦: ٢٦ وما يقابله) والتي سبق الإنجيليون وعكسوها في تكثير الخبز (متى ١٤: ١٩وما يقابله)؛ واخيرا سيتحدث سفر اعمال الرسل، من جديد، عن كسر الخبز (رسل ٢: ٤٢، ٤٦؛ ٢٠: ٧، ١١؛ ٢٧: ٣٥). فلوقا، على ما يبدو، يريد ان يحملنا على التفكير بالافخارستيا، ويعلّمنا اننا بهذه العلامة نعرف يسوع. ولكن، ليس هو كما نتخيله، وكأن ليسوع طريقة خاصة في كسر الخبز! لا، بل يجب الارتقاء إلى الصعيد اللاهوتي والليتورجي.

يريد لوقا ان يعلّمنا اننا في الافخارستيا نقتسم طعاماً مع يسوع؛ فيسوع يجعل نفسه مُضيفا للبشر، حين يعطي خبزا مقدسا؛ و يعرفه المؤمن بهذه العلامة، فيدخل في صلة

معه. ان هذين التلميذين اللذين لم تكن اعينهما مفتوحة، عرفا يسوع في السياق الليتورجي، حيث يلتقي المسيحيون بالمسيح من خلال الافخارستيا. وهكذا، حين كتب لوقا هذا المشهد، فكّر في كل الاجتماعات الليتورجية في الكنيسة الاولى، هو الذي كان يعرفها جيدا ويحبها كثيراً؛ فبدافع من إيمانه، يرى يسوع حاضراً في هذه العشاءات حيث يجتمع الاخوة لكسر خبز الافخارستيا. فيسوع هو هنا بمثابة الغريب الذي لا نتعرف عليه على الفور، ولكن لدى كسر الخبز وتناول الافخارستيا، تنفتح العيون، ويعرف الاخوة انه هنا، بالايمان، ويرونه ويأكلون معه.

ذلك هو هدف لوقا العميق، ويتوجب علينا ان نتلقاه، لأن فائدته تتجاوز ولا شك حدث عماوس العابر. ذلك ان لوقا يريد ان يكشف، بفرصة هذا اللقاء الحقيقي بين يسوع وتلميذي عماوس، بان المسيحيين يقومون بعين اللقاء حين يذهبون إلى الافخارستيا.

ومثل هذا التفسير يجد له مبررا، حين يظهر مجدّداً في مكان آخر من مؤلّف لوقا. فالإنجيلي أولى أهمية كبرى لفكرة يسوع القائم وهو يأكل مع تلاميذه. فعلى عدة دفعات، نراه يلح على ذلك في نصوص سابقة: فنقرأ، على سبيل المثال، في إنجيل متى: "اما باسمك طردنا الشياطين؟" (متى ٧: ٢٢)، ويضيف لوقا في النص الموازي: "لقد أكلنا وشربنا أمامك" (لو ١٣: ٢٦)؛ فهو يريد، إذن، ان يؤكد على أهمية الأكل والشرب مع الرب.

وكتب متى فيما بعد: "ستجلسون انتم أيضاً على اثني عشر عرشا، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متى ١٩: ٢٨)، بينما أضاف لوقا: "فتأكلون وتشربون على مائدتي في ملكوتي" (لو ٢٢: ٣٠). وهنا يفكّر لوقا، بشكل واضح، في مائدة الافخارستيا السماوية وفي الحياة الأبدية؛ والحياة الأبدية، بحسب الربابنة، كما بحسب الإنجيل، انما هي مائدة كبرى: وصورة المائدة المتسمة بالبساطة والإنسانية، ترمز إلى فرح الشركة مع الله. ولَكَم استعاد يسوع صورة المائدة في العديد من أمثاله.

لَكَم أحب لوقا هذا الموضوع! فهو، في روايات الترائيات بعد القيامة، يشدد، اكثر من الآخرين، على الطعام الذي يتناوله يسوع مع اخصّائه. وسنرى فيما بعد، مساء العشاء الاخير، ان يسوع يأكل امام تلاميذه، ويسجّل لوقا هذا الحدث ليبرهن، إلى حد ما، بان جسده حقيقي، ولكن ليعلن أيضاً بان هذه الشركة مع يسوع تمثّل لقاء الإيمان في الافخارستيا. وهذا الاهتمام ذاته يظهر في بداية سفر الاعمال: "وبينما هو يأكل معهم،

أوصاهم..." (رسل ١: ٤)؛ وفي خطاب بطرس لقرنيليوس: "... نحن الذين أكلُوا وشربوا معه بعد قيامته من بين الأموات" (رسل ١٠: ٤١). ويتيح لنا إلحاح لوقا على هذا الموضوع أن نستشف، في رواية عماوس، قصده في جعلنا نفهم اللقاء مع الرب في الافخارستيا.

واذهب إلى ابعد، إذ اعتقد بان مثل هذه الروايات قد صُمّمت ودُبّجت في مناخ الاجتماعات الليتورجية الاولى. ذلك أن ما يوحي بمخطط عن الهيكلية الافخارستية، ليست الكلمات الختامية من الرواية حسب، وانما أيضاً ترتيب الرواية برمتها: ففي البداية، لدينا القراءات التي تذكّر بالمقدمات الكتابية وبكل ما فعله يسوع، عبر قراءة الرسالة والإنجيل؛ ومن ثم الجلوس إلى المائدة، وحينئذ يأتي الرب، ويجري الأكل. وفي شبه مقدمة للقداس، نرى تلميذي عماوس يتباحثان، فيما يفسّر لهما يسوع الكتب، ويبدوان بمثابة موعوظين يتلقون التثقيف الاول وينفتحون للإيمان. ومن ثم، وحين تكون القلوب قد هّيأت في بدء القداس، عبر هذه الكرازة، يشتركون في كسر الخبز، وحينذاك يحضر الرب وتنفتح العيون. انها الشركة الروحية، طالما انهم التقوا بالرب.

وحين روى لوقا تأسيس الافخارستيا، سبق أن اضاف بعض المقاطع التي وردت في مكان آخر من إنجيلي مرقس ومتى، والتي تكوّن شكل خطاب يناسب اجتماعاً ليتورجيا؟ ولكن المنازعة بين التلاميذ بشأن الاولوية (لو ٢٢: ٢٤-٢٧) -وهي تصدم كثيراً في مثل هذا الوقت- ألا تلتقي، في الواقع، مع مسعى ابني زبدى (متى ٢٠: ٢٤-٢٧)؟ وإذا وضعها لوقا في هذا المكان، فلأن هذا التعليم بشأن الاكبر الذي يجب ان يخدم، يوافق تماماً الاحتفال الافخارستي. ففي اجتماعات الاخوة الاولين، كان الرسل او "الشمامسة" يترلون إلى خدمة المائدة، ويخدمون الفقراء، ويوزعون الخبز، بدءاً بالغذاء الاساس في كل مائدة، وانتهاءً بالافخارستيا؛ ولَكَم كان يطيب لهم ان يذكّروا بكلمات الرب، بشأن المساواة بين الجميع، وبشأن خدمة الكبار للصغار. وينقل لوقا من ثم (لو ٢٢: ٢٨-٣٠) الكلام بصدد العروش الاثني عشر التي منها سيدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر، وهكذا يوحي لوقا بمركز الرسل الكنسي في هذه الأجواء الليتورجية. وسيكون من السهولة بمكان تفسير الكلمات، بشأن المحن المقبلة، ودور بطرس في تثبيت الإيمان (لو ٢٢: ٣١-٣٤)، كما بشأن السيفَين (لو ٢٢: ٣٥-٣٨)، حيث يسعى الاخوة، في العشاءات الليتورجية الاولى، إلى تشجيع بعضهم البعض في كفاحهم من اجل ملكوت الله.

يقول سفر الاعمال: "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والمشاركة وكسر الخبز والصلوات". ونستشف هنا جملة امور كانت تشكّل نسيج السهرات الليتورجية: رواية الإنجيل، الحديث عن ذكريات الرب ووصاياه، الصلاة الجماعية، ترتيل المزامير.. هكذا كانت تبدأ السهرات؛ ومن ثم، وحين يكون الجو قد هُيّأ، وتكون النفوس مستعدة والقلوب متقدة، تُردّد كلمات الرب، كما تعاد الحركات التي قام بها، ومعه يتم الأكل، ويتم استباق المائدة الاواخرية. فمن الجدير بنا ان نقرأ، من وراء الروايات الإنجيلية، العشاءات الاولى لاخوتنا المسيحيين الاولين، والتي هي في اصل ليتورجيتنا وقداديسنا الحالية. ومن المحتمل ان تكون صيغ عدة من الانشاء الإنجيلي قد صُمّمت في هذه الاجواء الليتورجية، و لم تكن اجواء مؤلفين جلسوا إلى طاولاتهم للكتابة، وانما اجواء عكست لقاءات حية وأخوية. لقد كان الاخوة يقولون للشيوخ: "كلّمونا عن يسوع، ماذا فعل؟" وكان بطرس او تلميذ آخر يروي عجائب الرب وكلماته واقواله. وهكذا تكوّن التقليد الانجيلي، شيئا فشيئا، في إطار ليتورجي. وهذا ما يبرر التجديد الليتورجي الحالي، وهو الاطار الطبيعي للتعليم المسيحي. ففي لقاء الرب، عبر الاسرار، يتم، بنوع افضل، إعلان الكلمة. ومشهد عماوس هو مثال على ذلك، ولا اروع! ذلك ان هذا النص هو بمثابة نموذج رائع عن الكرازة الاولى في اطار ليتورجي، كما هو نموذج عن لقاء الرب في الافخارستيا.

الترائي لبطرس

يشير لوقا في آخر الرواية: "**وتراءى لسمعان**" (لو ٢٤: ٣٤). والمقصود ولا شك هو سمعان بطرس. و يدلي بولس، في الرسالة الاولى إلى القورنثيين، بتقليد في شأن الترائيات: "مات من اجل خطايانا كما ورد في الكتب... وانه تراءى لصخر" (١قور ١٥: ٣-٥). والنصّان يقولان ان صخر، سمعان بطرس، قد رأى الرب، هو الاول. ويبدو هذا الترائي محتملا، ولكن من الغريب اننا لا نعرف عنه المزيد. يجب ولا شك ان نميّز هذا الترائي عن ذاك الترائي على شاطئ البحيرة، إذ لم يكن سمعان لوحده، وقد جرى ذاك الترائي فيما بعد.

لا ينبغي ان تدهشنا قلة المعلومات. نحن لا نشك بان يسوع تراءى لأمه، ومع ذلك ليس لدينا مؤشر بهذا الصدد؛ ذلك اننا بازاء درس في التواضع والتجرد. فلقد شاء الله ان يترك فضولنا غير مُشبَع! فالإنجيل لا يقول شيئا عن الترائي لمريم العذراء، بينما تتخيله التقوى المسيحية من اولى الترائيات؛ وهو يقوم باعلان مقتضب عن الترائي لرئيس الرسل، في حين يروي بالتفصيل الترائي لتلميذين مجهولين. ذلك ان الله يعلّمنا بشكل سرّي. وسنرى، فيما بعد، الترائي على شاطئ البحيرة والكلمات التي تثبّت بطرس في دوره، ولكن ليس بوسعنا هنا ان نحتفظ إلا بهذه الإشارة إلى تراءٍ لسمعان منذ فجر القيامة، وقبل ان يكون تلميذا عماوس قد رأياه.

الرسل في العلية. رواية لوقا

التلاميذ مجتمعون، مساء القيامة، في العلية ولا شك. انهم يتحدثون، في ما بينهم، عن الترائي لسمعان ولتلميذي عماوس. "**وبينما هما يتكلمان، إذا به يقوم بينهم ويقول لهم: السلام عليكم! فأخذهم الفزع والخوف وظنوا انهم يرون روحاً، فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولِمَ ثارت الشكوك في قلوبكم؟ انظروا إلى يديّ ورجليّ. انا هو بنفسي. إلمسوني وانظروا، فان الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي. قال هذا وأراهم يديه ورجليه، غير انهم لم يصدّقوا من الفرح...**" (لو ٢٤: ٣٦-٤١). مثل هذه الملاحظة، على المستوى النفسي، هي من ميزات لوقا: فلأنهم فرحون لا يريدون ان يؤمنوا! وفي الجتسمانية، ناموا لانهم حزانى! وهكذا يعذر لوقا الناس، وهو بذلك يعطينا درساً رائعا في الإصلاح الاخوي: البحث عن عذر يعفي أخانا!

"**... وظلوا يتعجبون، فقال لهم: أعندكم ههنا ما يؤكل، فناولوه قطعة سمك مشوي، فأخذها وأكلها بمرأى منهم**" (لو ٢٤: ٤١-٤٣). سوف نتفحص، فيما بعد، الآيات التالية التي تعكس الوصية بالكرازة الشاملة. اما هنا، فلوقا يروي ترائيا هدفه الكشف.

بوسعنا ان نميّز شكلين من ترائيات يسوع القائم: ترائيات كشف وترائيات بعثة. ففي الاولى، يكشف يسوع عن ذاته، ساعيا إلى جعل الآخر يفهم ويؤمن انه هو؛ اما في

الترائيات الثانية، فهو يُرسل التلاميذ إلى فتح العالم: اذهبوا واكرزوا. يجدر بنا الآن ان ننكب على ترائيات الكشف. لقد سبق أن تفحصنا الترائي لمريم المجدلية: ففي اعقاب مرة اولى من عدم المعرفة، عرفت يسوع، وقد علّمها انه اصبح في حالة جديدة: "لا تمسكيني، اني صاعد إلى ابي"، وهذا يعني: اني انا حقا، ولكن في حالة ممجَّدة. وهكذا الحال في عماوس: فقد سار طويلا مع التلميذين دون ان يكتشفاه، ومن ثم فتح كسر الخبز اعينهما. ومثل هذه الحركة المسرحية تجددت مساء القيامة، في العلية: ظهر يسوع، ولم يعرفه احد منهم. انهم غارقون في الدهشة والفزع، ظانّين انهم يرون خيالاً: ويبرهن يسوع انه هو ذاته، حين أراهم يديه ورجليه واكل امامهم.

رواية يوحنا

ان رواية يوحنا شبيهة برواية لوقا إلى حد كبير، ما خلا عدد من الاضافات: "**وفي مساء ذلك اليوم، يوم الاحد، كان التلاميذ في دار أُغلقت ابوابها خوفا من اليهود، فجاء يسوع ووقف بينهم وقال لهم: السلام عليكم! قال ذلك وأراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ لمشاهدتهم الرب**" (يو ٢٠: ١٩-٢٠). والآيات التالية (يو ٢٠: ٢١-٢٣) تتناول ترائيات بعثة، وسندرسها في الفصل التالي.

ومن ثم يروي يوحنا (يو ٢٠: ٢٤-٢٩) ترائيا للكشف: ذلك ان توما الذي كان غائبا في المرة الاولى، يرفض الايمان بشهادة الرسل: "**إذا لم ابصر اثر المسمارين في يديه، واضع إصبعي في مكان المسمارين ويدي في جنبه، لن اؤمن**" (يو ٢٠: ٢٥). و يرتضي يسوع بهذا الشرط!

وبعد ثمانية ايام، يظهر يسوع من جديد. وينبغي ملاحظة المهلة: "**بعد ثمانية ايام**"، أي الاحد التالي؛ ذلك ان الاحتفال بالافخارستيا، يوم الاحد، يحملنا على اكتشاف الاطار الليتورجي لهذه الروايات. فنحن، إذن، في الاحد التالي، ويسوع يمنح توما الدليل الذي تمناه: "**هات إصبعك إلى هنا فانظر يديّ، وهات يدك فضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل كن مؤمنا**" (يو ٢٠: ٢٧). وهوذا توما يعترف اخيرا بمعلمه.

مقارنة بين روايتي يوحنا ولوقا

ان رواية يوحنا موازية لرواية لوقا، إلى حدّ انه يمكن التساؤل عما إذا لم تتكيّف المخطوطات الواحدة على الاخرى! فكلمات لوقا: **"قال لهم: السلام عليكم!"** (لو ٢٤: ٣٦). و**"اراهم يديه ورجليه"** (لو ٢٤: ٤٠) نجدها، لدى يوحنا، بشكل يكاد يكـون مماثلاً. إلا ان آيات لوقا هذه تنقص في عدد من المخطوطات، بحيث ان النقاد تساءَلوا: هل اضيفت في وقت لاحق، عبر يوحنا. ويصعب الجزم في ذلك. انا شخصيا أميل إلى الاعتقاد بان لوقا ذاته عرف التقليد اليوحناني واستخدمه، وقد يكون سبقه، في حالاتــه الاولى. وهكذا نلاحظ، في الواقع، استعارة مادية بالكامل، مع بعض التحويرات الذكية. ففيمـا تحدث يوحنا عن اليدين والجنب، تحدث لوقا عن اليدين والرجلين؛ ذلك ان يوحنا شاء أن يلفت الانتباه إلى الجنب المطعون بالحربة، في حين لم يتحدث لوقا عنه؛ وهكذا نجده يهمله هنا، ويكتفي بذكر جروحات الرجلين.

وفي الواقع، تقدّم كلتا الروايتان اتجاهات مختلفة بعض الشيء، الا ان لكلتيهمـا الاهتمام اللاهوتي المشترك لإقامة الدليل على القيامة، بطريقة طبيعية، والتعليم بان يسوع القائم ليس وهماً، بل كائنا واقعيا. وتهدف هذه الروايات إلى الإجابة عن اعتراضات اليهود او الوثنيين الذين كانوا يأخذون على الرسل إيمانهم بانطباعات او تخيّلات شخصية. فجواباً على هذه الاعتراضات، سعت الروايات إلى التأكيد بان التلاميذ تحققوا جيداً من قيامـة يسوع، بعد ان كانوا قد شكّوا فيها، هم أنفسهم.

ولكن ليس من شأن هذا الهدف الدفاعي ان يقلل من قيمة الاحداث: انه بالعكس يفترضها، وبخلافه لن يكون بوسعها أن تقيم الدليل. ذلك ان البراهين المادية على قيامـة المسيح هي: الدخول العجائبي في العلية، مكانة الجسد، ولدى لوقا وحده: الأكل.

يدخل يسوع، لدى يوحنا كما لدى لوقا، إلى العلية بطريقة عجائبيــة. ذلـك واضح جدا لدى يوحنا: لأن الابواب مغلقة. اما لوقا، فلا يتحدث عن ابـواب مغلقـة، ويبدو ان يسوع يدخل، وبشكل فجائي، دون ان يراه احد داخلاً؛ لماذا يتم ذلك بهـذا الشكل؟ قد يكون ان لوقا خشي ألا يكون هذا التفصيل في صالح نظرية الخيال: **"وظنوا انهم يرون روحاً"** (لو ٢٤: ٣٧). ولكي يوفّر على قراء اغبياء سوء الفهم هذا، تجنّب ذكر

الابواب المغلقة. ومهما يكن، فان يسوع، في نظر لوقا، كما في نظر يوحنا، لم يعد خاضعا في الظاهر، لقوانين هذا العالم: انه يدخل كما يشاء، من دون ان يَعبأ بالحواجز البشرية.

بعدئذ، يُري يسوع جروحه. وهنا أيضاً، نكتشف اختلافا بين الإنجيلَين. فبحسب يوحنا، يريد يسوع ان يبرهن على هويته: هو جسدي ذاته الذي كان لي قبل القيامة، والجروحات ذاتها التي حملتها من قبل! ويتعرف عليه التلاميذ "ويفرحون لمشاهدتهم الرب" (يو ٢٠: ٢٠). بينما يشدد لوقا على ان ليسوع جسداً حقيقيا: "إلمسوني وانظروا: فان الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٩). وهكذا لسنا بصدد الدليل على ان يسوع هو هو ذاته، بل على ان له جسداً من لحم وعظم يمكن لمسه. فالفكرة العميقة هي ذاتها، مع اختلاف طفيف: موضوع الهوية لدى يوحنا، وفكرة الواقع الجسدي لدى لوقا.

لذلك اضاف لوقا موضوع الأكل: يسوع يأكل سمكا مشويا أمام تلاميذه. لم يشأ لوقا ان يقول بان للاجساد الممجدة حاجة إلى الأكل؛ إلا ان يسوع تصرف هكذا، بدافع التواضع التربوي، كي يمنح تلاميذه دليلاً على ان بوسعه ان يأكل، وانه ليس خيالاً بالتالي، بل إنسانا حقاً. فيسوع، في ترائياته، يتكيّف مع الناس؛ فلكي يدلّل على انه حقا لحم ودم -حتى ولو كان هذا الجسد من مستوى جديد- ارتضى الخضوع لهذا الترائي الحسّي. ولا يسوغ لنا ان ننسى، من جهة اخرى، كم يطيب للوقا أن يقدم لنا يسوع، وهو ياكل مع تلاميذه (راجع أعلاه بصدد تلميذي عماوس). اما لدى يوحنا، فيسوع لا ياكل ابان هذا الترائي، ولكنه هو الذي أعطاهم، على شاطئ البحيرة، سمكا مشويا على جمر، ودعاهم إلى الطعام دون ان يأكل هو ذاته. اما لوقا، فقد نقل هذا التفصيل، لأن الافخارستيا تذكّر بالعشاءات مع الرب.

الترائي الثاني في العلية

ينفرد يوحنا بنقل هذا الترائي الثاني بمحضر توما، وبمنتهى الواقعية. انه يشدد كثيرا على الواقع الطبيعي لجسد المسيح، طالما ان بوسع توما ان يضع اصبعه في الجروح. ولم يرد قط ان التلاميذ الآخرين قاموا بهذه الحركة ابان الترائي الاول؛ فلقد كانوا منضبطين، إلى حدّ انهم اكتفوا بالمشاهدة، بينما لم يشأ توما ان يسلّم بسهولة. وكما يؤكد كل آباء

الكنيسة، فان عدم إيمانه يقدّم لنا دليلاً يسند ايماننا، إذ انه حظي بخبرة لم يسعنا ان نحظى بها، ولكنها خبرة بوسع إيماننا ان يتكّئ عليها.

إلا ان توما أصلح عدم إيمانه بهذه العبارة: **"ربي وإلهي"** (يو ٢٠: ٢٨). هل كان بوسعه ان يتلفظ بهذه الصيغة، كما وردت، بينما لم يكن الرسل قد فهموا حقا الوهية يسوع، بمعناها الكامل، إلا بعد العنصرة؟ ولكن من المعروف ان الرسل، منذ وجود يسوع معهم، استشفُّوا انه ذو منزلة إلهية، وانه ابن الآب. ومع ذلك، هناك فرق بين القناعة الداخلية وبين صياغتها الواضحة على الصعيد الفكري.

لقد كان من غير المعقول ليهودي ان يسمّي انساناً ما، الله او ابن الله. وللبلوغ إلى هذا التصريح، كان يجب ان يصار إلى قراءة مكثفة للاسفار المقدسة، بشأن المراحل التي ادّت إلى معنى "ابن الإنسان" و"العبد" والمسيح والكلمة والروح، في العهد القديم. ولقد توصل المسيحيون الأولون، شيئا فشيئا، إلى صياغة واضحة لما استشعروه، عبر ثراء ما زال معتما. وكان يلزم وقت طويل لنقل هذا السر العظيم إلى لغة بشرية. كما يجب علينا ان نميز بين الإيمان العميق العريق جدا –وهو سابق للقيامة، وقد تفجّر باكرا بعدها– وبين صياغته العقلية التي استغرقت زمنا طويلاً، قبل ان تستقر. ففي هذه الأحوال، تبدو عبارة "ربي والهي" ناشزة، ويحق لنا ان نتساءل إذا كان بوسع توما ان يقولها حرفياً.

هناك، من جهة اخرى، إشارة إلى نشاز آخر في النص. لقد وضع يوحنا على لسان يسوع: **"ألأنّك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا"** (يو ٢٠: ٢٩). ان الفعلين، باليونانية، هما في صيغة الماضي، ويصعب شرحهما كما وردا على لسان يسوع. نحن نستشف هنا كلمة جاءت متأخرة: "طوبى للذين سيؤمنون وإن لم يروا"– كما أدّت النص ترجمة الأب مولاّ– ولو كان النص في هذه الصيغة، لما كانت هناك مشكلة قط؛ غير ان صيغة المستقبل لا تبدو اكيدة، ويجب تفضيل صيغة الماضي. وهكذا يتضح ان الصياغة متأخرة، إلى ما بين ٣٠ او ٤٠ عاماً بعد الاحداث، حين اختفى الشهود، واخذ المسيحيون الأولون يأسفون لكونهم لم يتمكنوا من رؤية يسوع.

ومع ذلك، إذا كانت هذه الصيغة، مع الصيغة التي سبقتها "ربي وإلهي"، متأخرتين في مفرداتها، فان قيمتهما العميقة لا تنقص البتة. فلقد قام توما، في الواقع، بحركة إيمان،

وعرف الرب. وبصدده أشاد يسوع بايمان أولئك الذين يؤمنون من دون ان يكونوا قـــد رأوا.

تلك هي اللقاءات التي ظهر فيها يسوع، أي ترائيات الكشف. واجواء التعلـــيم والليتورجيا التي نستشعرها في هذه الروايات هي بمثابة غذاء لطريقتنا في العـــيش. ففـــي لقاءاتنا الليتورجية مع الرب، لسنا اقل حظاً من التلاميذ في عماوس او في علية أورشليم: ذلك ان يسوع هو على مائدتنا، يكسر الخبز، فتنفتح اعيننا ونأكل معه.

الفصل الثاني عشر

التراثي على بحيرة طبرية

خاتمة الانجيل الرابع الاولى

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ٣٠-٣١
			[٣٠] واتى يسوع امام التلاميذ بآيات اخرى كثيرة لم تُكتب في هذا الكتاب.
			[٣١] وانما كُتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله،
			ولتكون لكم، اذا آمنتم، الحياة باسمه.

خاتمة الانجيل الرابع الثانية

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ٢٤-٢٥
			[٢٤] وهذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الامور وهو الذي كتبها،
			ونحن نعلم ان شهادته صادقة.
			[٢٥] وهناك امور اخرى كثيرة اتى بها يسوع، لو كُتبت واحدا واحدا،
			لحسبت ان الدنيا نفسها لا تسع الاسفار التي تدوَّن فيها.

الترائي على شاطئ بحيرة طبرية

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ١-١٤
			[١] وتراءى يسوع بعدئذ للتلاميذ مرة اخرى.
			وكان ذلك على شاطئ بحيرة طبرية.
			وتراءى لهم على هذا النحو.
			[٢] كان قد اجتمع سمعان بطرس وتوما الذي
			يقال له التوأم ونتنائيل وهو من قانا الجليل
			وابنا زبدى وآخران من تلاميذه.
			[٣] فقال لهم سمعان بطرس: "انا ذاهب للصيد".
			فقالوا له: "ونحن نذهب معك". فخرجوا وركبوا
		٥ [٥] فأجاب سمعان: يا معلم، تعبنا طوال الليل	
		ولم نصب شيئا..."	السفينة. ولكنهم لم يصيبوا في تلك الليلة شيئا.
		[١] ... وهو قائم على شاطئ بحيرة جنّاسرت.	[٤] فلما كان الفجر، وقف يسوع على الشاطئ،
			لكن التلاميذ لم يعرفوا انه يسوع.
			[٥] فقال لهم: "ايها الفتيان، أمعكم شيء من
			السمك؟" اجابوه: "لا".
		[٤] ولما فرغ من كلامه، قال لسمعان:	[٦] فقال لهم:
		"سر في العُرض وارسلوا شباككم للصيد".	"القوا الشبكة الى يمين السفينة تجدوا".
		[٥ب] "... بناء على قولك ارسل الشباك".	فالقوها، فاذا هم لا يقدرون على جذبها،
		[٦] وفعلوا فأصابوا شيئا كثيرا جدا من السمك...	لما فيها من سمك كثير.
			[٧] فقال التلميذ الذي احبّه يسوع لبطرس:
			"انه الرب". فلما سمع سمعان بطرس انه الرب،
			ائتزر بثوبه، لانه كان عريانا، والقى بنفسه
			في البحيرة.
		[٧] فأشاروا الى شركائهم في السفينة الاخرى	[٨] واقبل التلاميذ الآخرون بالسفينة،
		ان يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا كلتا السفينتين	يجرّون الشبكة بما فيها من السمك،
		حتى كادتا تغرقان.	ولم يكونوا الا
			على بعد نحو مائتي ذراع من البر.
			[٩] فلما نزلوا الى البر ابصروا جمرا متقدا

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			عليه سمك، وخبزا.
			١٠ فقال لهم يسوع: "هاتوا من ذلك السمك
			الذي اصبتموه الآن".
			١١ فصعد سمعان بطرس الى السفينة، وجذب
			الشبكة الى البر، وقد امتلأت بمائة وثلاث
			وخمسين سمكة من السمك الكبير،
		٦ب ... وكادت شباكهم تتمزق.	ولم تتمزق الشبكة مع هذا العدد الكثير.
			١٢ فقال لهم يسوع: "تعالوا افطروا!". ولم يجرؤ
			احد من التلاميذ ان يسأله: "مَن انت؟"
			لعلمهم انه الرب.
			١٣ فدنا يسوع فأخذ الخبز وناولهم، وفعل مثل
			ذلك في السمك.
			١٤ تلك المرة الثالثة التي تراءى فيها يسوع
			لتلاميذه بعد قيامته من بين الاموات.

بطرس راعي الخراف والإنباء باستشهاده

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ١٥-١٩
			١٥ وبعد ان فطروا ، قال يسوع لسمعان بطرس: "يا سمعان بن يونا،
			أتحبني اكثر مما يحبني هؤلاء؟" قال له: "نعم يا رب، انت تعلم اني احبك
			حبا شديدا". قال له: "ارعَ حملاني".
			١٦ قال له مرة ثانية: "يا سمعان بن يونا، أتحبني؟" قال له: "نعم يا رب،
			انت تعلم اني احبك حبا شديدا". قال له: "اسهر على خرافي".
			١٧ قال له في المرة الثالثة: "يا سمعان بن يونا، اتحبني حبا شديدا؟". فحزن
			بطرس لانه قال له في المرة الثالثة: "اتحبني حبا شديدا؟ فقال: "يا رب، انت
			تعلم كل شيء، انت تعلم اني احبك حبا شديدا". قال له: "ارعَ خرافي.
			١٨ الحق الحق اقول لك: لما كنتَ شابا، كنت تشدّ الزنّار بنفسك،
			وتسير الى حيث تشاء. فاذا صرتَ شيخا بسطتَ يديك،
			وشدَّ غيرك لك الزنار، ومضى بك الى حيث لا تشاء".
			١٩ قال ذلك مشيرا الى الميتة التي سيمجد بها الله. ثم قال له: "اتبعني!".

مصير التلميذ الذي يحبه يسوع

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ٢٠-٢٣
			٢٠ فالتفت بطرس، فرأى التلميذ الذي احبه يسوع يتبعهما، ذاك الذي مال على
			صدر يسوع في اثناء العشاء وقال له: "يا رب، مَن الذي يُسلمك؟".
			٢١ فلما رآه بطرس قال ليسوع: "يا رب، وهذا ما شأنه؟".
			٢٢ قال له يسوع: "لو شئت ان يبقى الى ان آتي، فما لك وذلك؟
			اما انت فاتبعني".
			٢٣ فشاع بين الاخوة هذا القول: ان ذلك التلميذ لن يموت، مع ان يسوع لم
			يقل انه لن يموت، بل قال له: "لو شئت ان يبقى الى ان آتي، فما لك وذلك؟".

ترائي يسوع على شاطئ البحيرة، أورده إنجيل يوحنا، في الفصل ٢١. ويطـــرح هذا الفصل مشكلة، إذ يبدو ملحقاً، وذلك باسلوبه من جهة، وبسبب الخاتمات التي سبقته (يو ٢٠: ٣٠-٣١) والتي أعقبته (يو ٢١: ٢٤-٢٥) من جهة اخرى.

ولدى تحليل اسلوب هذا الفصل ٢١، يرى النقاد انه حقا من قلم يوحنا تـــارة، وتارة اخرى، تبدو فيه آثار يد غريبة. لقد خصص الأب بوامار، لهذا الفـــصل دراســـة مفصّلة[1]، وخلص إلى انه يحمل عناصر يوحنانية واضحة، اختلطت بعناصر غير يوحنانية، وقد امتزجت هذه العناصر بشكل وثيق، إلى حدّ يصعب معه تمييز مقاطع واضحة يمكـــن فصلها بعضها عن البعض. ويبدو ان الاساس هو يوحناني، واستعاره من ثم آخر وحرره؛ ويعتقد الأب بوامار ان هذا الآخر يشبه لوقا إلى حد كبير. ان هذه النتيجة جديدة إلى حد ما، وتبدو اشبه بمفارقة، ولكنها ليست مدهشة بالتمام. فلقد كان لوقا كاتبـــا معروفـــا، ورجلاً رقيقاً، وكان المسيحيون الأولون يجلّونه. وحين كان يمر بجماعة ما، وبالجماعـــة اليوحنانية على سبيل المثال، يُحتمل ان يكون التلاميذ قد طلبوا عونه في إنشاء هذا المقطع او ذاك؟ وقد تكون تلك هي أصل اللمسات اللوقاوية التي نجدها في الإنجيل الرابع.

خاتمات إنجيل القديس يوحنا

يتضمن الفصل ٢١ ميزة اخرى غريبة: انه ينتهي بخاتمة، في حين كان الفصل ٢٠ قد انتهى، هو الآخر، بخاتمة.

بعد الترائي الثاني في أورشليم، بحضور توما، نقرأ: "**واتى يسوع امام التلاميـــذ بآيات اخرى كثيرة لم تُكتب في هذا الكتاب، وانما كتبت هذه لتؤمنوا بان يسوع هو**

[1] "الفصل ٢١ من يوحنا، محاولة نقد ادبي"، المجلة البيبلية (بالفرنسية): جـ ٥٤، ١٩٤٧، ص ٤٧٣- ٥٠١

المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه" (يو ٢٠: ٣٠-٣١). ويُحيل إلينا ان الإنجيل انتهى هنا. إلا ان الرواية تستطرد: "بعدئذ تراءى يسوع للتلاميذ مرة اخرى..." (يو ٢١: ١).

فالفصل ٢١ هو بمثابة استطراد ستكون له خاتمته الخاصة، لا بل خاتمته المضاعفة: **"وهذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الامور، وهو الذي كتبها، ونحن نعلم ان شهادته صادقة"** (يو ٢١: ٢٤). ذلك ان هذا النص يؤكد ما قيل، قبل برهة، على لسان يسوع، بصدد موت يوحنا او عدم موته. وهذه الآية تذكّر بالآية التي تتعلق بطعنة الحربة (يو ١٩: ٣٤-٣٥) حيث يخال لنا أننا نسمع فريقا من التلاميذ يقول: "الذي رأى شهد، وشهادته صحيحة، وذاك يعلم انه يقول الحق..."، وتلك هي بمثابة ضمان جماعي للمصادقة على الشهادة. وهكذا هي الحال هنا، إذ يبدو ان فريق تلاميذ يوحنا يوقّعون ويصادقون على شهادة معلمهم.

وتتواصل الخاتمة: **"وهناك امور اخرى كثيرة اتى بها يسوع، لو كُتبت واحداً واحداً، لَحسبتُ ان الدنيا نفسها لا تسع الاسفار التي تُدوَّن فيها"** (يو ٢١: ٢٥). تذكّر هذه الآية، بدورها، بآية الخاتمة الاولى من الفصل ٢٠ (يو ٢٠: ٣٠) وإن لم تكن مماثلة بالتمام: فما هو مشترك بين الآيتين، هو التأكيد بأنه لم يُروَ كل شيء! غير ان النبرة، في الحالة الاولى (يو ٢٠: ٣٠) هي لاهوتية إلى حد كبير: هناك اختبار قد تمّ، بحيث يتاح لإيمان التلاميذ ان يجد له سندا. اما الخاتمة الثانية (يو ٢١:٢٥)، فهي تستخدم صيغة خطابية، من دون ان تخشى المبالغة: فلو كُتب كل ما فعله يسوع، فلن يسعه العالم اجمع![2]

وتساءل النقّاد إذا كانت هذه الآية ٢٥ أصيلة. كان الخوري ڤاكاني قد كتب مقالا[3] برهن فيه، عبر أدلّة من النقد الادبي الداخلي، ان الآية ٢٥ ليست من عين المسار

(٢) هذه الصيغة معروفة جدا في الادب اليوناني اللاتيني القديم... ونصادف مثل هذه المبالغات، حتى لدى الربابنة: "لو كانت كل السماوات رقوقا، وكانت كل الاشجار أقلاماً، وكل البحار حبراً، فذلك لن يكون كافيا لتدوين الحكمة التي تعلمتها لدى معلمي؛ ومع ذلك لم آخذ من حكمة الحكماء إلا بقدر ما تأخذ ذبابة من ماء المحيط الذي سقطت فيه" (مقالة سوفيريم ١٦: ٨). وهكذا تنتمي صيغة الآية ٢٥ إلى فن خطابي مألوف كانت لنا منه امثلة اخرى.

(٣) "خاتمة الانجيل الرابع"، المجلة البيبلية (بالفرنسية)، جـ ٤٥، ١٩٣٦، ص ٥١٢- ٥٢٨.

السابق، مما يتيح اعتبارها مضافة. وفي غضون بضعة أشهر، تأكدت هذه النظرية، عبر صور اشعة ما فوق البنفسجي[٤]. ذلك ان الانكليز حين حصلوا على النسخة السينائية[٥]، استطاعوا ان يصوّروا الصفحة الاخيرة من انجيل يوحنا، وتحققوا من وجود حالة سابقة للمخطوطة كان فيها الفصل ٢١ يتوقف لدى الآية ٢٤. وكانت هناك زخرفة بمثابة خاتمة للنص، تلتها هذه العبارة "الانجيل بحسب القديس يوحنا". هكذا يكون الناسخ قد مسح هذا العنوان وكتب الآية ٢٤ وازاح إلى الاسفل الزخرفة، مع عبارة "الإنجيل بحسب القديس يوحنا"[٦]. ويمكن نسبة هذا التصحيح إلى الناسخ ذاته الذي خطّ النص الاول، إذ ان اسلوب الخط هو ذاته. فمن المحتمل انه لم يجد الآية ٢٥ في النموذج الذي نسخ عنه، ومن ثم قد يكون اكتشفها في مخطوط آخر، واضافها بدافع من القلق والحرص. وهكذا نجدنا ازاء نموذج رائع للتقنية العلمية التي جاءت لتدعم نظرية رفيعة.

وتسمح لنا هاتان الخاتمتان، في إنجيل يوحنا، بافتراض يكون الإنجيل الرابع بموجبه قد توقف أصلاً عند الفصل ٢٠؛ وفيما بعد، وجد بعضهم من الضروري إضافة الفصل ٢١ الذي انتهى، هو الآخر، بخاتمة جديدة. ومع ذلك فان الفصل ٢١ هو في غاية الأهمية، وينتمي إلى الينبوع اليوحناني.

يحتوي هذا الفصل على ثلاثة أقسام: الصيد العجائبي، وترائي يسوع على شاطئ البحيرة، والكلمات التي تخص اولوية بطرس، مع الحوار بشأن موت بطرس والتلميذ الآخر.

[٤] لاغنى عن الوسائل العلمية الحديثة في قراءة المخطوطات القديمة واستخراج الكلمات المحوّة. وهكذا هي الحال مع مخطوطات صحراء اليهودية التي غالبا ما تأثرت بالغبار، او اصابها تلف في الصفحات، بحيث لا تقوى العين على تبيّن الحبر، واصبح من العسير قراءتها. فالصور بواسطة اشعة ما تحت الاحمر تكشف عن تفاصيل كثيرة لا تقوى العين المجردة على تمييزها.

[٥] المخطوطة السينائية ذات قيمة كبرى لأنها ترقى إلى نهاية القرن الرابع، وقد عثر عليها في دير سيناء، فاشتراها تيشيندورف بثمن بخس واهداها إلى امبراطور روسيا، وهكذا ذهبت المخطوطة إلى بطرسبورغ. واشتراها مجدداً المتحف البريطاني من الحكومة السوفييتية، بعد الحرب العالمية الاولى. وما ان اصبحت بين يدي الانكليز، حتى انكبوا على دراستها بكل الوسائل التقنية الحديثة. وهكذا هرعت الباليوغرافية **paléogrophie** (علم قراءة النصوص القديمة) فساعد على قراءة الكتاب المقدس.

[٦] راجع هـ. ميلن و ت. سكيت **Scribes and corrections of the Codex Sinaiticus –** المتحف البريطاني، ١٩٣٨، ص ١٢، صورة ٣.

ترائي يسوع على شاطئ البحيرة

"بعدئذ تراءى يسوع للتلاميذ مرة اخرى، وكان ذلك على شاطئ بحيرة طبرية. وتراءى لهم على هذا النحو. كان قد اجتمع سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل وهو من قانا الجليل وابنا زبدى وآخران من تلاميذه" (يو ٢١: ١-٢). لم يكن الفريق الرسولي برمته مجتمعا، بل فقط بعض الرسل الذين، كما يبدو، عادوا إلى الجليل، بعد القيامة، واستأنفوا اعمالهم. ونجدنا للحال بازاء مشكلة تطرح نفسها، وسنتناولها بعد قليل (في سياق الصيد العجائبي).

"فقال لهم سمعان بطرس: انا ذاهب للصيد، فقالوا له: ونحن نذهب معك. فخرجوا وركبوا السفينة، ولكنهم لم يُصيبوا في تلك الليلة شيئا. فلما كان الفجر، وقف يسوع على الشاطئ، لكن التلاميذ لم يعرفوا انه يسوع" (يو ٢١: ٣-٤). هذه مرة اخرى، لم يعرف التلاميذ يسوع! ففي كل هذه الترائيات، لابد من حركة، ولابد من رغبة من لدن يسوع، فضلاً عن حركة ايمان من لدن التلاميذ، كي يُعرف يسوع. وهنا، من خلال اعجوبة، سيكشف يسوع عن ذاته.

"فقال لهم: أيها الفتيان، أمعكم شيء من السمك؟ أجابوه: لا، فقال لهم: القوا الشبكة إلى يمين السفينة تجدوا. فألقوها، فإذا هم لا يقدرون على جذبها لما فيها من سمك كثير" (يو ٢١: ٥-٦). تلك العلامة، هي التي فتحت اعين التلاميذ. وهكذا، كما نرى مراراً في الإنجيل الرابع، ليس بطرس هو الذي يُدرك، وانما "التلميذ الذي يحبه يسوع". ويبدو هذا التلميذ اكثر فهما روحياً –أوهذا، على الأقل، ما يريد الإنجيلي أن يفهمنا اياه (راجع اعلاه: الفصل ١٠، التلميذان).

"فقال التلميذ الذي احبّه يسوع لبطرس: انه الرب. فلما سمع سمعان بطرس انه الرب، ائتزر بثوبه لانه كان عرياناً والقى بنفسه في البحيرة" (يو ٢١: ٧). إذا كان التلميذ الآخر قد سبق بطرس في الحدس الروحي، فان بطرس هو دوما الاول في عطاء القلب، وفي العمل. اما التلاميذ الآخرون، فقد مكثوا في السفينة ينتظرون بلوغهم إلى الشاطئ. انهم، والحق يقال، ليسوا بعيدين، إذ كانوا على نحو ٢٠٠ ذراع من البر –ما

يساوي ١٠٠متر تقريبا- وكان عليهم ان يسحبوا الشبكة؛ ولو كانوا كلهم قد نزلوا إلى شاطئ البحيرة، لخسروا السمك. وهكذا ارتضوا ان ينتظروا، وهم يجرّون الأسماك.

"**فلما نزلوا إلى البر أبصروا جمرا متقدا عليه سمك، وخبزاً. فقال لهم يسوع: هاتوا من ذلك السمك الذي أصبتموه الآن. فصعد سمعان بطرس إلى السفينة وجذب الشبكة إلى البر، وقد امتلأت بمائة وثلاثة وخمسين سمكة من السمك الكبير، ولم تتمزق الشبكة مع هذا العدد الكثير**" (يو ٢١: ٩-١١). لماذا ١٥٣ سمكة؟ لا احد يعلم بالضبط، بالرغم من ان هذا الرقم يحمل رمزا لاشك فيه[٧]. فيوحنا، ككل كتّاب زمانه، يحب الارقام الرمزية. قد نستشف هنا حساباً فيثاغورياً إلى حدّ ما، من دون ان يكون مفتاحه بين ايدينا. ومهما يكون، فنحن بازاء سمك كثير، وإزاء هذه الاعجوبة عرف التلاميذ يسوع.

"**فقال لهم يسوع: تعالوا افطروا! ولم يجرؤ احد من التلاميذ ان يسأله: من انت؟ لعلمهم انه الرب**" (يو ٢١: ١٢). التلاميذ خائفون، لا يجرؤون على الكلام، سيما بعد ان عرفوا انه الرب، ولكنهم لم يعرفوه بادئ بدء! انه هو، وليس هو؛ ذلك ان يسوع هو من عالم آخر، ويستشعر التلاميذ انهم بازاء سرّ. وهوذا يسوع يطمئنهم.

"**فدنا يسوع فأخذ الخبز وناولهم، وفعل مثل ذلك في السمك**" (يو ٢١: ١٣). هكذا اعتلن يسوع، ولكنه لم يأكل. اما لوقا، فَلَكان أرانا يسوع يقاسمهم الطعام! اما هنا، فيوحنا ذاته هو الذي يكتب. وينبغي ان نشير إلى طبيعة هذه العلامة: يسوع يكشف عن ذاته عبر اعجوبة، وهي اعجوبة تتعلق بالغذاء الذي يمنحه لتلاميذه؛ وهكذا يتحول الفكر إلى الغذاء الروحي، كما جرى في الماضي البعيد، مع المنّ ومع معجزات تكثير الخبز. فما يعطيه يسوع لتلاميذه بالتالي، انما هي الحياة.

الصيد العجائبي

قبل ان نتابع هذه الرواية، يستحيل علينا ان نتجنب المشكلة: ما هي العلاقة بين هذا المقطع من انجيل يوحنا والمقطع الذي يرويه لوقا في فصله الخامس. ان مشهد لوقا لا يقع في اعقاب القيامة، بل قبلها بكثير، حين بدأ يسوع رسالته في الجليل. ذلك ان يسوع،

[٧] لوحظ ان ١٥٣ هو مجموع الارقام ألـ ١٧ الاولى: ١+٢+٣+......+١٧=١٥٣

بعد العماذ والتجربة، عاد إلى الناصرة حيث راح يتحدث في المجمع، ومن ثم في كفرناحوم حيث شفى ممسوساً فيه روح شيطان نجس، كما شفى حماة بطرس، فضلاً عن شفاءات اخرى؛ ومن ثم ترك كفرناحوم. وهنا اخذ لوقا يروي دعوة التلاميذ الاربعة الاولين، يُرافقها صيد عجائبي.

رويت هذه الدعوة، لدى مرقس ومتى، بشكل بسيط جداً: يسوع يسير على شاطئ البحيرة، فيما كان صيادون يصلحون شباكهم. "اتبعوني فاجعلكم صيادي بشر" (متى ٤: ١٨-١٩؛ مر ١: ١٦-١٧). وتبعوه، وقد ترك بعضهم الشباك، وبعضهم السفينة وأباهم.

اما رواية لوقا، فتحتفظ ببعض العناصر من المقطع الوارد لدى مرقس ومتى، ولكنها تتضمن، من جهة اخرى، الصيد العجائبي الذي نجده لدى يوحنا. واليكم النص:

"وازدحم الجمع عليه لسماع كلمة الله، وهو قائم على شاطئ بحيرة جنّاسَرت. فرأى سفينتين راسيتين عند الشاطئ، وقد نزل منهما الصيادون يغسلون الشباك. فركب احدى السفينتين وكانت لسمعان، فسأله ان يُبعد قليلا عن البر. ثم جلس يعلّم الجموع من السفينة. ولما فرغ من كلامه قال لسمعان: سِرْ في العُرض وأرسلوا شباككم للصيد. فاجاب سمعان: يا معلّم، تعبنا طوال الليلَ ولم نُصِبْ شيئا، ولكني بناءً على قولك أُرسل الشباك" (لو ٥: ١-٥). الصيادون، كما لدى يوحنا، تعبوا سُدى طيلة الليل؛ وسمعان، كما لدى يوحنا أيضاً، يمتثل الأمر. **"وفعلوا فأصابوا من السمك شيئا كثيرا جدا، وكادت شباكهم تتمزق"** (لو ٥: ٦). اما يوحنا، فيلاحظ ان الشباك لم تتمزق، ولكن الفكرة الأساسية هي ذاتها: هناك سمك كثير يعرّض الشبكة للخطر.

"فأشاروا إلى شركائهم في السفينة الاخرى ان يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا كلتا السفينتين حتى كادتا تغرقان. فلما رأى سمعان بطرس ذلك، ارتمى عند ركبتي يسوع وقال: يارب تباعد عني، اني رجل خاطئ" (لو ٥: ٧-٨). بطرس مشدوه، وكذلك يعقوب ويوحنا ابنا زبدى: انهم بالضبط عين الاشخاص، كما لدى مرقس ومتى. **"فقال يسوع لسمعان: لا تخف! ستكون بعد اليوم للناس صياداً"** (لو ٥: ١٠).

تدمج رواية لوقا، إذن، دعوة التلاميذ الأربعة الاولين، بحسب مرقس ومتى، مع رواية الصيد العجائبي، بحسب يوحنا، وهذا ما يثير الدهشة. من الممكن لا شك ان يتجدد

حدث ما، كما يمكن القول ان هناك صيدَين عجائبيَين. ولكن الذي يعرف جيدا عادات الإنجيليين، وكيف امتزجت لديهم التقاليد وتناقلت، بوسعه ان يتساءل: ألسنا بازاء تقليد واحد وجدَ له تعبيرين مختلفين، أي قصة واحدة لصيد عجائبي، رواها لوقا في بداية رسالة يسوع، فيما رواها يوحنا بعد القيامة؟ ان كثيرا من الاختصاصيين، حتى من بين الكاثوليك، يطرحون هذا السؤال.

ويمكننا ان نجيب إليه بطريقتين: إما ان يكون موضع الرواية في مكانه الأفضل، وهو إنجيل يوحنا، بمعنى ان الصيد العجائبي قد جرى بعد القيامة؛ وإما بالعكس، ان يكون لوقا قد جعل هذا الحدث في بدء رسالة يسوع، ويكون يوحنا، او التقليد التابع له، قد نقله إلى ما بعد القيامة. والرأيان، لهما مدافعون اكفّاء، ويصعب الانحياز إلى هذا الرأي او ذاك.

انا شخصيا، أميل إلى الاعتقاد بان الحق هو مع لوقا، وان الصيد العجائبي جرى إبان حياة يسوع الأرضية؛ ويكون التقليد اليوحناني قد دمج الحدث مع تراءٍ بعد القيامة. من الصعب ان نبرّر بالتفصيل هذا الرأي؛ وإني، مع ذلك، أشير إلى ان هذه الاعجوبة التي نقلت من حياة يسوع، تنتظم جيدا مع مجموعة من الآيات التي وزعها يوحنا ذاته في إنجيله، ليمهّد السبل للكشف عن مجد المسيح. فضلاً عن ان عودة التلاميذ إلى العمل في الجليل، يصعب فهمها بعد القيامة. فلقد خُيّل إلينا انهم تركوا شباكهم، منذ زمن طويل، وانهم ساروا وراء الرب؛ ومن الممكن انهم، بعد تردد قصير، ما أن رأوا يسوع القائم في أورشليم وآمنوا به، لم يعد لهم ما يفعلون سوى شيء واحد: الانطلاق إلى العالم للتبشير، امتثالاً لأمر يسوع. أهو وقت يعودون فيه إلى الجليل لاستئناف الصيد؟ لقد طرح آباء الكنيسة على أنفسهم هذا السؤال: كيف يمكن لبطرس والآخرين، بعد ان تركوا سفنهم، أن يعودوا إلى مهنتهم بعد القيامة؟ قد يمكن ولاشك تفسير ذلك، ولكن سيكون من المفهوم بالاكثر، إذا افترضنا ان يوحنا يروي، بعد القيامة، حدثا جرى في الماضي.

وإذا اعتمدنا هذا الحل الصعب، سيكفينا حينذاك أن نقتصّ حركتي الشبكة والصيد العجائبي (يو ٢١: ٥-٦) ونحولهما، مع لوقا، إلى زمن رسالة يسوع الأرضية؛ ويبقى من ثم محل الرواية، أي التراتي على شاطئ البحيرة، في مكانه بعد القيامة، مع نتائجه. ومثل هذا الرأي، يغيرّ التوازن ما بين التراتيات في اليهودية والتراتيات في الجليل، وسندرس هذه المسألة فيما بعد. وهكذا كان ينبغي، على الاقل ان نثير المشكلة التي يبدو

حلّها صعباً، إن ليست ذات أهمية كبرى. فالمهم بالاكثر، هو ان نعلم بان يسوع كشف عن ذاته على شواطئ البحيرة، وهو الذي أعطى تلاميذه الطعام؛ وها هو الآن يتكلم ويتوجه بالكلام إلى بطرس.

اولوية بطرس

"وبعد ان فطروا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا، أتحبني اكثر مما يحبني هولاء؟ قال له: نعم يارب، انت تعلم اني احبك حبا شديدا. قال له: إرعَ حملاني. قال له مرة ثانية: يا سمعان بن يونا، أتحبني؟ قال له: نعم يارب، انت تعلم اني احبك حبا شديداً. قال له: إسهر على خرافي. قال له ثالثة: يا سمعان بن يونا، أتحبني حبا شديداً؟ فحزن بطرس لأنه قال له في المرة الثالثة: أتحبني حبا شديداً، فقال : يارب، انت تعلم كل شيء، أنت تعلم اني احبك حبا شديدا. قال له إرعَ خرافي" (يو ٢١: ١٥-١٧).

نلاحظ للحال، في هذه الرواية الرائعة، الرقم ٣، مع ثلاثة اسئلة وثلاثة اجوبة. كما نلاحظ أيضاً تغييرات طفيفة في المفردات: حَمَل وخروف، وكذلك الاختلاف الذي لا يمكن أن تؤديه اللغة الفرنسية او العربية بشأن فعل "احبّ"، كما تؤديه اليونانية: فلقد ورد تارة فعل "احبّ" بلفظة (philein) وتارة اخرى بلفظة (agapân). وهذان الفعلان باليونانية يشبهان ما يمكن تأديتهما بالعربية بفعل "أعزّ" و"احبّ". وشاء مفسّرون متطرفون ان يروا فيهما تفصيلاً في بالغ الدقة. ونذكر، على سبيل المثال، المونسنيور كاسيان بيزوبرازوف، المطران الروسي الأرثوذكسي، الذي رأى هنا حركة تنازلية، حتى ان يسوع لم يستطع أن ينتزع من بطرس تأكيدا على "حب التلميذ"، فاكتفى بـ "تعلّق إنساني وشخصي"[٨]. إلا ان هذه النظرية لا اساس لها: فان الاختلاف بين لفظتي (philein) و(agapan)، كما بين "حَمَل" و"خروف"، ليس سوى صيغة اسلوب، من دون أي ثقل لاهوتي. لا بل يمكننا ان نرى في ذلك حركة تصاعدية: كان على بطرس ان يؤكد حبه، اكثر فاكثر، طالما ان معلمه بدا متشككا، مما جعله، في المرة الثالثة، يصبح مغتمّاً إلى حد الزعل: ولكن يارب، انت تعلم كل شيء وتعلم اني احبك، وتضطرني ان اقولها ثلاثاً!

---

[٨] "القديس بطرس والكنيسة في العهد الجديد: مسألة الاولوية" في مجلة **Istina**، **١٩٥٥**، ص٢٦١- ٣٠٤. إلى جانب ردّي في عين المجلة، ص ٣٢٩...

وإذا سأله يسوع ثلاثا، فذلك ولا شك لكي يمكّنه من التعويض عن الإنكــار الثلاثي. ويتفق كل النقاد على هذه النقطة. وبموجب الملاحظات التي طرحناها اعلاه (في خاتمة الفصل الثالث)، بصدد نكران بطرس، هل يمكننا القول بأن هناك إنكارات ثلاثة؟ او إنكارين فقط؟ لا بل إنكاراً واحداً؟ يجب الإجابة على ذلك، بأننا بازاء إنكار ثلاثي، في وضع النصوص الحالي. كما ان الفصل ٢١ من إنجيل يوحنا يفترض ان الاناجيل الازائية قد تمّ إنشاؤها النهائي. فيسوع، حين طالب بطرس بالتعويض، فهو انما اراد ان يعيد تثبيته في مهمته كراع، امام كل التلاميذ، ويعوّض له عن خطيئته، ويردّ إليه كرامته كرئيس.

و يطيب لي، بصدد هذا النص الهام المتعلّق باولوية بطرس، ان اذكّر بنصّين مــن الإنجيل يشكّلان معه البرهان اللاهوتي في هذا الموضوع. غالباً ما نتوقف عند المقطع الوارد في إنجيل متى: "انت المسيح، ابن الله الحي... -أنت صخر وعلى الصخر هــذا ســأبني كنيستي، فلن يقوى عليها سلطان الموت..." (متى ١٦: ١٥-١٩). إن هذا النص أساسي، ولا يمكن التقليل من أهميته؛ و يجب ان نرى فيه بطرس حقا، وقد امتدحه الرب من اجل إيمانه، واختاره ليكون صخراً، أي الأساس الذي سيسند هيكل الكنيسة، ويضمن لها قوتها وثباتها. إلا ان هذ النص لا يؤسس وحده اولوية بطرس؛ وهذا من حسن الحظ، إذ اننــا، حين ننعم النظر في هذا المقطع من انجيل متى، نراه يثبت اولوية بطرس على الكنيــسة أي على المؤمنين، اكثر مما على سائر الرسل.

فمع هذا النص وحده، قد يكون ممكنا ان نقول -وهــذا مــا يقولــه غالبــا البروتستنت- ان بطرس بادر بالكلام باسم الآخرين، وان الفريق الرسولي كله معــنيٌّ في شخصه. لقد وجّه يسوع إليهم جميعا السؤال، ولما لم يكن بوسعهم ان يجيبوا جميعاً، أجاب بطرس، وهو أقدمهم وأكرمهم: "أنت المسيح"، ولكنهم قالوها كلهم بلسانه. وحين قال يسوع: "انت صخر وعلى الصخر هذا..."، فذلك يعني- وتلك هي مقولة البروتستنت- ان **الفريق الرسولي** سيكون أساس الكنيسة، ولا يكون بطرس بالتالي مميَّزاً عــن ســائر الرسل. وهذا مهم بالنسبة إلى مسألة الاولوية كما هي مطروحة حالياً.

ان الاخوة غير الكاثوليك لا يناقشون في معرفة ما إذا كان للأب الأقــدس او للأساقفة او للبطاركة المسكونيين سلطة على المؤمنين، فذلك يعترف به الجميــع. إلا ان المسألة تكمن في معرفة فيما إذا كانت لبابا روما سلطة على سائر أساقفة العالم. يجــب

الأرثوذكس بشكل عام: ان للبابا اولوية شرف، ولا اكثر من ذلك؛ فلكرسي روما قيمة، كونه عريقاً جدا؛ فقد أسسهُ بطرس، ونحن مستعدون لمنح البابا اولوية شرف، ولكنه يبقى مساوياً لبطاركة القسطنطينية او موسكو، بالسلطة والصلاحية. ذلك باختصار هو جوهر النزاع، وليس من السهل، عبر نص متى وحده، اقامة الدليل بان الرب اختار بطرس، هو وحده، ولم يختر فريق الرسل في شخصه.

ولذلك، الفت الانتباه إلى نصّين آخرين يكمّلان اعتراف قيصرية، وهما نص يوحنا ٢١، ونص آخر ثمين جداً من انجيل لوقا: "**سمعان سمعان، هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما تُغربل الحنطة. ولكني دعوت لك ألا تفقد إيمانك. وانت ثبّتْ اخوتك متى رجعت**" (لو ٢٢: ٣١-٣٣). بعد العشاء الاخير، تحدث يسوع إلى بطرس وإلى سائر الرسل المجتمعين هناك في العلية، وكأنه قال: "سيجربكم الشيطان، انتم يا معشر الرسل -ويفكّر يسوع في الفريق الرسولي، وليس في المؤمنين بشكل عام- وستهتزّون جميعا، ولكني صلّيت لك يا بطرس، لكي لا يعثر إيمانك؛ وحين تكون قد عدت واستعدت إيمانك، او اقله ثقتك، سيكون عليك ان تثبّت اخوتك". مَن هم هولاء الاخوة، إن لم يكونوا بقية الرسل؟ فان يسوع يكل إلى بطرس مهمة تثبيت الرسل الآخرين في الايمان، وهو يضعه على رأسهم في ما يتعلّق بالإيمان. من هذا المنطلق، يحصل بطرس على ما يمكن ان نسميه اولوية او سلطة على سائر الرسل. وهكذا، على صعيد الأجيال اللاحقة، كان للحبر الاعظم، خليفة بطرس، مهمة على صعيد الإيمان، تجاه سائر الأساقفة. فهو ليس مساوياً لهم؛ وانما له مترلة خاصة في توجيه إيمان الكنيسة، كونه رئيس المصف الرسولي؛ فهو ليس الاول، بصفة شرفية حسب، بل هو رئيس المصف الاسقفي.

يجب الحفاظ ولا شك على كرامة المصف الاسقفي وعظمته. وسيكون من الخطأ أن يُنظر إلى شخص البابا بصفته السلطة الوحيدة؛ لذا فان مجمعاً "مسكونيا" يبرّز دور الاساقفة برمتهم. فالسلطة العليا في الكنيسة، انما هي المصف الاسقفي الذي يعقد مجمعاً ويقرر ويسنّ القوانين. إلا ان لهذا المصف الاسقفي -وهو الذي يخلف المصف الرسولي، طالما ان الاساقفة هم خلفاء الرسل- رئيساً في شخص اسقف روما، خليفة بطرس، كما كان للمصف الرسولي رئيس في شخص بطرس. وكما كانت لبطرس مهمة في الايمان، بالنسبة إلى سائر الرسل، هكذا كان على اسقف روما، بصفته بابا، واجب في الإيمان

بالنسبة إلى سائر الاساقفة. بهذا المنظور، يتضح ان لنص لوقا هذا أهمية كبرى في فهم اعتراف قيصرية (متى ١٦:١٥-١٩).

واعتقد ان بوسع نص يوحنا (٢١: ١٥-١٧)، وإن بوضوح أقل، أن يُفسَّر في عين المعنى. حين يقول يسوع: "أتحبني اكثر مما يحبني هولاء؟"، فعبارة هؤلاء، تعني الحاضرين: توما، نثنائيل، ابني زبدى... أي تلاميذ او رسلاً؛ و يطلب يسوع من بطرس ان يبرهن بأنه يحبه اكثر من بقية الرسل. ولأن بطرس أكد ذلك، تلقّى تنصيبه: إرع حملاني، خرافي. ومنذئذ، لا تمثّل الحملان والخراف الشعب المسيحي حسب، بل بالأولى سائر الرسل.

هذان النصّان (يو ٢١: ١٥-١٧ ولو ٢٢: ٣١-٣٢) هما في غاية الغنى لتكميل اعتراف قيصرية (متى ١٦: ١٥-١٩)، وهما يرشداننا إلى ان الحبر الاعظم، خليفة بطرس، ليس مساويا للاساقفة، او انه الاول في الكرامة الشرفية حسب، وانما تلقى من المسيح مهمّة ودوراً في التعليم يجعلانه فوق سائر الاساقفة. وهذا الأمر مؤسس كتابيا، ويجب ان يحافَظ عليه بوجه كل التفسيرات المغايرة.

هناك سؤال آخر يطرح نفسه، يتعلق بالتاريخ ويتجاوز حدود الاسفار المقدسة. فالاعتراض قائم: إذا صحّ ان هذه النصوص تخصّ بطرس، فيجب ان تبرهنوا انها تصح في خلفائه، وتثبتوا ان يسوع أراد خلفاء لبطرس. فلقد توجّه يسوع بالكلام إلى بطرس، فأين هم الخلفاء؟

ينبغي الإقرار ان يسوع، في النص، لم يقل: انت وخلفاءَك. ولكني اعتقد أن ذلك ضمني: فيسوع لا يتكلم فقط من اجل بطرس الذي سوف يموت قريبا، كما أنبا له بذلك (يو ٢١: ١٩)؛ فهو انما أسس كنيسة عليها ان تعيش طويلاً، وصلّى من اجل الذين سيؤمنون، اعتماداً على كلام رسله (يو ١٧: ٢٠)، وهكذا يكون قد تطلّع إلى حَقبات اخرى. وحين يتكلم يسوع عن الصخر الذي ينبغي له ان يسند الكنيسة، فهو انما يفكر في المستقبل. فالمهمة التي يتلقاها بطرس، وتلك التي يتلقاها الرسل، ينبغي ان تنتقل إلى خلفاء. وإذا صحّ اننا لا نجد ذلك في حرف الإنجيل، إلا ان المنطق السليم يجده ضمنيا فيه؛ وإذا شاء احد ان يرفض ذلك، فهو انما يغمض عينيه، إن لم يكن تجاه البديهية، فعلى الأقل تجاه سنّة التاريخ الطبيعية.

بقي تفصيل آخير يرينا كيف ان بطرس، او خليفته، هو نائب المسيح. في هذه النصوص المختلفة، يتلقى بطرس القابا هي، قبل كل شيء، القاب المسيح. ففي نص متى، سُميّ "**صخر**"، ونعلم ان الصخرة في العهد الجديد تعني يسوع. ومن الجدير بنا ان نتذكر الصخرة في الصحراء التي كانت تسقي الشعب العبراني (١قور١٠:٤)، كما نتذكر عدداً من نصوص المزامير او اشعيا: فهي تارة، الحجر الذي رذله البنّاؤون والذي اصبح رأس الزاوية، كما هي حجر العثار التي نصطدم بها، تارة اخرى، وهي طوراً حجر الأساس. وهذه النصوص من اشعيا او من المزامير التي تتعلق بالحجر الاخروي (الاسكاتولوجي)، استخدمها العهد الجديد (متى ٢٠: ٤٢؛ روم ٩: ٣٣؛ ١بط ٢: ٦-٨) وطُبّقت على يسوع، للتأكيد على انه هو ذاته الحجر الأساس. وسيقول بولس بان أساس الكنيسة وصخرها، هو المسيح (١قور ٣: ١١؛ اف ٢: ٢٠). وليس هناك تناقض: فالمسيح هو الصخرة، وبطرس هو الصخرة، طالما انه يمثّل المسيح. ذلك ان بطرس هو صخرة بالنيابة.

وهكذا هي الحال مع لقب "**الراعي**". فيسوع هو الراعي الاول الذي طبقت عليه نبؤات حزقيال وزكريا، كما قالها هو ذاته: "انا الراعي الصالح" (يو ١٠: ١١). وحين يقول يسوع: "إرعَ حملاني، إرعَ خرافي"، فهو انما يعهد إلى نائبه باللقب ذاته: ستكون راعيا عوضي. فيسوع ذاته سيذهب، ولا بد ان يكون له خلف؛ انه يقلّد بطرس مهمّة؛ ومن بعده، سيأخذ آخرون مكانه، وسيكونون دوماً، بدورهم، ورثة ونواباً للراعي الوحيد (١بط ٥: ٢-٤).

ونقرأ أيضاً في المقطع من إنجيل متى، بصدد اعتراف قيصرية، ان بطرس يتسلّم "**مفاتيح الملكوت**". ومن المعلوم ان يسوع هو الذي يحمل مفاتيح بيت داؤد (رؤ ٣: ٧)؛ وعليه طبّق سفر الرؤيا نصّاً من اشعيا (٢٢: ٢٢)، حيث يقال ذلك عن قيّم قصر الملك في أورشليم. فلدينا هنا رمز ساميّ: ذلك ان القيّم يحمل المفاتيح -وليست المفاتيح العصرية التي نضعها في جيبنا، وانما المفاتيح القديمة المصنوعة من خشب مع سيقان حديدية كبيرة، كما يمكننا ان نشاهد مثيلها بعدُ في الاديرة القديمة بمصر- وتلك علامة على مهمّته: فلقد كان قيمّ القصر يحمل مفتاحاً كبيراً على كتفه. ويقول سفر الرؤيا ان يسوع يحمل مفاتيح بيت داؤد. وهكذا يتلقاها بطرس بدوره، وكذلك نائبه.

ان انتقال صفات يسوع إلى نائبه مليئ بالمعاني: صخر، راع، قيّم؛ فبطرس قد اقيم خليفة ليسوع، ولكن في مرتبته الإنسانية لا غير. ذلك ان بطرس ليس المخلص، بل انــه القيّم على بيت الله، أي الكنيسة؛ وبهذه الصفة، هو في مرتبة تفوق الخدّام الآخرين.

بوسعنا أيضاً أن نورد النصوص التي يتحدث فيها يسوع عن الوكيل الذي يسلّم إليه سيده العناية بالخدم الآخرين، حين يغيب (متى ٢٤: ٤٥-٥١). ولَكَم رأينا في هــذا الوكيل صورة بطرس: فالرسل والتلاميذ هم الخدّام الذين يديرون الكنيسة؛ ولمّا كان من الضروري ان يكون هناك رئيس، عُهد إلى بطرس الاهتمام بسائر التلاميذ، وقبل ان يقلّد مسؤولية الشعب المسيحي. وفي الكنيسة المسيحية، يكون الحبر الاعظم هو المسؤول عن المصف الاسقفي؛ انه الرئيس الوحيد، مع كونه أخاً في الكهنوت. وهكذا نوفّق بين الملكية والديمقراطية: ملكية طالما ان هناك رئيساً، هو نائب المسيح؛ وديمقراطية، لأن هذا الرئيس يخدم اخوته في المحبة، ويعمل واياهم تحت قيادة الروح القدس.

موت بطرس والتلميذ الآخر

يتعلّق العنصر الاخير من هذا المقطع بموت بطرس: "**الحق الحق اقول لك: لمــا كنت شابا، كنت تشدّ الزنّار بنفسك وتسير إلى حيث تشاء. فإذا صــرت شــيخا، بسطت يديك وشدّ غيرك لك الزنّار. قال ذلك مشيرا إلى الميتة التي سيمجّد بها الله**" (يو ٢١: ١٨-١٩). الكل يرى هنا استشهاد بطرس، ولكن هل يمكن ان يُقال عنه اكثر من ذلك؟ فالتقليد يوضح ان بطرس صُلب، ورأسه إلى الاسفل؛ قد يكون ذلك صحيحاً، غير ان الانجيل لا يقوله. ففي النص ينبئ يسوع بوضوح عن استشهاد بطرس: ذلك ان الرجل سيُربَط بالرغم منه، وسيُقاد إلى حيث لا يشاء، اعني انه سيقاد إلى العذاب، بحسب كــل آباء الكنيسة.

ومن المهم ان نلاحظ ان هذا الكلام يأتي فوراً بعد تنصيب بطــرس في المرتبــة الاولى. ذلك أن للامتيازات التي يمنحها الله ثمناً! فان بطرس يتسلم مهمة رفيعة وعظيمة، مهمة قيادة الكنيسة باسم يسوع، ولكنها ستذهب به إلى الشهادة. وهكذا هي الحال حين دفع يسوع رسله، في قيصرية فيلبس، إلى القول بانه المسيح، فقد اضاف على الفور: "لا تقولوا شيئاً، فابن الإنسان ينبغي له ان يُصلب"! وهكذا، في اعقاب التجلي، حين أظهــر

مجده لأخصائه الثلاثة، أمرهم لدى النزول من الجبل: "لا تقولوا شيئا قبل قيامتي، إذ انه ينبغي لابن الإنسان ...". وهكذا نرى ان هناك دوماً، في مخطط العناية الإلهية، الوجه الآخر من العملة: فكل مهمة ذات نعَم خارقة تكلّف ألماً كبيراً. وهكذا الحال هنا، فان بطرس لا يمكنه ان يرتقي إلى كرامة راعي الكنيسة، من دون ان يسمع، على الفور، بان ذلك سيكلّفه موت الشهادة الأليم. انه درس يجب على كل منّا ان يحفظه: بوسعنا ان نتطلع إلى عطايا الله ومواهبه، ولكن يجب ان نعلم بان الله لا يعطي ذلك فقط: فالصليب يلازم العذوبة!

وبعد ان سمع بطرس هذا الكلام "**التفت فرأى التلميذ الذي احبه يسوع يتبعهما، ذاك الذي مال على صدر يسوع أثناء العشاء وقال له: يا رب من الذي يسلمك؟**" (يو ٢١: ٢٠). وهنا يتم تذكيرنا بان المقصود هو التلميذ الذي يسبق بطرس، على صعيد الحميمية مع الرب.

"**فلما رآه بطرس** -وهو الفضولي بزيادة!- **قال ليسوع: يا رب، وهذا ما شأنه؟**" (يو ٢١: ٢١). وكأني ببطرس يقول: أقبل ما سيُصيبني، ولكن هل سيكون هذا الآخر شهيداً، او انك ستعفيه من الاستشهاد؟! انت لم تختره رئيسا للكنيسة، انه اصغر مني، فماذا تخفي له؟ ان بطرس يتكلم برقة. انه متوتّر بشأن رفيقه الشاب!

"**قال له يسوع: لو شئت ان يبقى إلى ان آتي، فما لك وذلك؟ اما انت فاتبعني**" (يو ٢١: ٢٢). هكذا أُعيد بطرس إلى حدوده؛ ونجدنا بازاء طريقة للقول بان عليك ان تهتم بشؤونك؛ ان لك حملك، فقُمْ بعملك حتى الاستشهاد، من دون أن تهتم بمصير الآخرين. اما الجواب، ففيه من التملّص شيء كثير: "إذا شئت ان يبقى..."، ويسوع لم يقل انه سيبقى، لكن بعضهم ظن ذلك.

"**فشاع بين الاخوة هذا القول: ان ذلك التلميذ لن يموت**" (يو ٢١: ٢٣). لقد سُرّ تلاميذ يوحنا ولا شك بانهم استطاعوا ان ينقلوا هذا الحدث: ومفاده ان معلمهم قد لا يموت! ومع ذلك نحن نعلم انه مات، ومات شيخا كما يقال. وكتب القديس هيرونيمس[٩] ان يوحنا، في نهاية شيخوخته بافسس، كان يكرر دون انقطاع: "احبوا يا اخوتي الصغار". ولما كانوا يقولون له بان هذه الكلمات أصبحت رتيبة إلى حد كبير، كان

[٩] "تفسير الرسالة إلى اهل غلاطية"، كتاب ٣، فصل ٦ (مجموعة Migne: الاباء اللاتين، جـ ٢٦، ص ٤٣٣).

يجيب: "يا اولادي، انها وصية الرب، فمن يعمل بها يكفيه ذلك". ولاشك ان موته أحدث صدمة لتلاميذه، ألم يقل يسوع انه لن يموت؟ وللاجابة إلى هذه العشرة الصغيرة، او بالاحرى إلى هذا القلق، اوضح التلاميذ هنا: **"لكن يسوع لم يقل إنه لن يموت، بل قال: لو شئت ان يبقى إلى أن آتي، فما لك وذلك؟"** (يو ٢١: ٢٣). ومثل هذه الفكرة تعكس، في مجملها، تعثرات في قلب الجماعات، ولا تحمل حقيقة كبرى تتعلق بالكنيسة الجامعة. ويبدو ان هذه القصة تهم كنيسة خاصة، وقد تكون كنيسة افسس.

وينتهي كل شيء باشادة بالمعلّم الذي اختفى: **"هذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الامور وهو الذي كتبها، ونحن نعلم ان شهادته صادقة"** (يو ٢١: ٢٤). والفائدة من كل ذلك، هو افتراض موت يوحنا شيخاً؛ فلو كان قد مات شابا او شهيداً، كما يقال أحياناً، لانتفت الحاجة إلى القصة؛ اما وانه عاش طويلا، فقد استطاع الناس ان يشيعوا بانه لن يموت. وهكذا تتم المصادقة على التقليد، إلا إذا كان التقليد قد خلط بين شخصين باسم يوحنا.

التراائي لبطرس

هذا التراائي الذي جرى على شواطئ البحيرة، ونقله يوحنا، هل يمكن اعتباره مماثلا للتراائي لسمعان الذي تحدث عنه لوقا (٢٤: ٣٤)؟ حين وصل تلميذا عماوس إلى أورشليم، وقبل ان يفتحا فمهما ليصفا التراائي الذي حظيا به، قال لهما الرسل: تراءى الرب لسمعان. ونجدنا، بكل وضوح، بصدد تراءٍ لسمعان بطرس. اين جرى؟ هل يمكن ان نعتبره عين التراائي الذي رواه يوحنا؟

يبدو هذا التماثل غير مرضي، ولسببين: أولاً، لأن سمعان ليس وحيداً، إذ ان يسوع ظهر لستة او سبعة تلاميذ؛ و لم يكن بطرس هو الذي عرفه الاول، بل "التلميذ الذي احبه يسوع". ومن جهة اخرى، لقد تم التراائي في وقت قصير بعد القيامة، وجرى في الجليل، بينما الكلام الموجّه إلى تلميذي عماوس، بحسب لوقا، يفترض ان يكون التراائي لبطرس قد جرى في يوم أحد القيامة بالذات، وفي اليهودية. فلا يمكن أن يكون المقصود التراائي ذاته. ونقولها مرة اخرى، يجب ان نرتضي بان ليس لدينا رواية مفصّلة عن التراائي

لبطرس. وهكذا بقي اللغز، كما يبقى الترائي لمريم العذراء، المحتمل وغير المذكور في آن واحد، لغزاً.

إلا ان الترائي لبطرس مشهود له بقوة. فلقد كتب القديس بولس إلى القورنثيين قائلاً: "**سلّمت إليكم قبل كل شيء ما تسلّمته انا أيضاً، وهو ان المسيح مات من اجل خطايانا كما ورد في الكتب، وانه قُبر في اليوم الثالث كما ورد في الكتب، وانه تراءى لصخر فالاثني عشر، ثم تراءى لأكثر من خمسمائة أخ معاً لا يزال معظمهم حيّاً وبعضهم ماتوا، ثم تراءى ليعقوب، ثم لجميع الرسل، حتى تراءى آخر الامر لي أيضاً انا السّقط**" (١قور ١٥: ٣-٨). نرى ان بطرس يأتي في مقدمة لائحة الترائيات التي يعترف الجميع بأنها عريقة جداً. وهذه الرواية تؤكد معطى لوقا الذي بموجبه يكون يسوع قد تراءى لبطرس، في وقت مبكّر.

لماذا لم يُروَ هذا الترائي؟ يظن بعضهم انه حُذف عمداً. فلقد كان، على حد قولهم، تنازع بين مدارس التلاميذ، حتى انه بلغ إلى الغيرة، ولاسيما بين تلاميذ بطرس وتلاميذ يعقوب. فلقد لعب يعقوب، اسقف أورشليم واخو الرب، دوراً في كنيسة أورشليم. وهو الذي قاد تيّار اليهود/ المسيحيين، والذي كان قريباً جداً من الدين اليهودي. هناك كتاب منحول "الإنجيل إلى العبرانيين" يروي ترائي يسوع ليعقوب[١٠]. فلقد وُجد، إذن، تيار بين التلاميذ وضع الترائي ليعقوب في المقدمة، بينما كان تلاميذ آخرون يشددون على الترائي لبطرس؛ كما وُجد أيضاً آخرون، كما رأينا، متعلقين بيوحنا. ويتساءل البعض إذا لم يكن نص بولس (١قور ١٥: ٣-٨) نتيجة دمج لوائح مختلفة من الترائيات: لبطرس والاحد عشر، ومن ثم ليعقوب والرسل، وهذا ما يبدو بمثابة تكرار للوائح متنافسة. ويتساءلون حينذاك إذا لم تكن تلك المنازعة ذاتها هي التي عتّمت على الترائي لبطرس، في بعض الاوساط، كي تبرز بالاكثر الترائي ليعقوب. ألم يكن إنجيل مرقس قد خُتم أصلا بتراءٍ لبطرس، ومن ثم حُذف؟

(١٠) بحسب هذا الكتاب، يكون يعقوب قد نذر بألاّ ياكل طالما لم يرَ الرب. وقد سُمع نذره، وتراءى له وجعله يأكل.

مثل هذه النظريات هي بالطبع افتراضية. ومن الأفضل ولا شك القبول بعدم معرفة كل شيء. فلقد شئت فقط ان اؤكد على حدث التراني الأكيد لبطرس، وعلى أهميته[١١].

لم تقل الأناجيل كل شيء، لا بل انها لم تقل شيئا منظّما. وانما نملك بعض تقاليد جُمعت؛ وليس ذلك كل شيء، ولكنه يكفي. فبفضل مؤشرات قد تكون متباينة، نجد فيضا من الادلّة، يَدعم بعضها بعضاً، ويخالف بعضها بعضا. فهنا او هناك، ومن كل جهة، هو يسوع الذي يتراءى، وقد فرض ذاته على ايمان مؤمنيه. ويتوجب علينا ان نتخلى عن معرفة التفصيل الزمني او الشخصي لهذه التراثيات. وبقي لنا ما يلزمنا لمعرفة كيف كشف يسوع عن ذاته، وفي أية اجواء ليتورجية، وكيف ارسل تلاميذه للتبشير.

فالأناجيل لا تهتم بالأشخاص، بالاسلوب العصري: انها تتمحور على صعيد الخلاص، على صعيد الله، طالما ان الاشخاص ينتهون. اما الإنجيل، فيعطينا ما هو جوهري. وهنا، كنا بازاء الظهور على شواطئ البحيرة، وما يحمله من تعليم ثري، بشأن اولوية بطرس المعترف بها والمثبتة في نظر سائر الرسل والكنيسة.

(١١) أ. كولمان: "القديس بطرس، تلميذ- رسول- شهيد"، نيوشاتيل ١٩٥٢، ص ٥٠-٥٥، وهو على يقين من ان بطرس حظي بالترائي الاول، وهذا ما ثبّت سلطته ازاء سائر الاخوة.

الفصل الثالث عشر

الرسالة الشاملة

بعثة الرسل

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ٢١-٢٣	يوحنا
			٢١ فقال لهم ثانية: "السلام عليكم!	
			كما ارسلني الآب ارسلكم انا ايضا.	١٧ ١٨ "... كما ارسلتني الى العالم،
				فكذلك انا ارسلتهم الى العالم ..."
			٢٢ قال هذا ونفخ فيهم وقال لهم:	
			"خذوا الروح القدس.	
١٨ ١٨ "الحق اقول لكم:				
ما ربطتم في الارض				
رُبط في السماء،				
وما حللتم في الارض			٢٣ مَن غفرتم لهم خطاياهم تُغفر لهم،	
حُلّ في السماء".			ومَن امسكتم عليهم الغفران	
			يُمسك عليهم".	

رسالة الرسل الشاملة

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ٤٤-٤٩	اعمال الرسل	يوحنا
		٤٤ ثم قال لهم: "ذلك كلامي الذي قلته لكم، إذ كنت		
		معكم، وهو انه يجب ان يتم كل ما كُتب في شأني،		
		في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير".		
		٤٥ وحينئذ فتح اذهانهم ليفهموا الكتب،		
		٤٦ وقال لهم: "كُتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين		
		الاموات في اليوم الثالث،		
		٤٧ وتُعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الامم،		
		ابتداء من اورشليم.		
		٤٨ وانتم شهود على هذه الامور.	١ ٨ب "... وتكونون لي شهودا في اورشليم وكل	
			اليهودية والسامرة، حتى اقاصي الارض.	
			٤ وبينما هو مُجتمع بهم، اوصاهم	
			ألا يغادروا اورشليم،	
		٤٩ واني ارسل اليكم ما وعد به ابي.	بل ينتظروا فيها ما وعد به الآب "وسمعتموه مني ..."	
		فامكثوا انتم في المدينة الى ان تُلبسوا قوة من العلى".	٨ب "ولكن الروح القدس ينزل عليكم فتنالون قوة ..."	

الترائي على جبل في الجليل. الرسالة الشاملة

متى ٢٨: ١٦-٢٠	مرقس	لوقا	يوحنا
١٦ واما التلاميذ الاحد عشر، فذهبوا الى الجليل، الى الجبل الذي امرهم يسوع ان يذهبوا اليه.			
١٧ فلما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم ارتابوا.			
١٨ فدنا منهم يسوع وكلمهم قال: "اني اوليتُ كل سلطان في السماء والارض.			
١٩ فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس،			
٢٠ وعلموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم به، وهاءنذا معكم طوال الايام الى نهاية العالم".			

ملحق انجيل مرقس. الرسالة الشاملة

متى	مرقس ١٦: ٩-٢٠	لوقا	يوحنا
	٩ قام يسوع فجر الاحد، فتراءى اولا لمريم المجدلية،	٨ ٢ ... مريم المعروفة بالمجدلية	٢٠ ١٨ فجاءت مريم المجدلية
	تلك التي طرد منها سبعة شياطين،	وكان قد خرج منها سبعة شياطين.	
	١٠ فمضت واخبرت الذين صحبوه،		واخبرت التلاميذ بان
	وكانوا في حزن ونحيب.		
	١١ فلما سمعوا انه حي وانها شاهدته، لم يصدقوا.		"قد رأيت الرب".
	١٢ وتراءى بعد ذلك بهيئة اخرى لاثنين منهم	٢٤ ١٣ واذا باثنين منهم كانا ذاهبين،	
	كانا في الطريق،	في ذلك اليوم نفسه،	
	ذاهبين الى الريف،	الى قرية اسمها عماوس.	
		٣٣ وقاما في تلك الساعة نفسها	
		ورجعا الى اورشليم...	
	١٣ فرجعا واخبرا الآخرين، فلم يصدقوهما ايضا.	٣٥ فرويا ما حدث في الطريق ...	
	١٤ وتراءى آخر الامر للاحد عشر انفسهم، وهم على		
	الطعام، فوبّخهم بعدم ايمانهم وقساوة قلوبهم،	٢٤: ٣٦-٤٣	٢٠: ١٩-٢٠
	لانهم لم يصدقوا الذين شاهدوه بعد ما قام.		
	١٥ وقال لهم: "اذهبوا في العالم كله، واعلنوا البشارة		
	الى الخلق اجمعين.		
	١٦ فمَن آمن واعتمد يخلص، ومَن لم يؤمن يُحكم عليه.		
	١٧ والذين يؤمنون تصحبهم هذه الآيات:		
	فباسمي يطردون الشياطين، ويتكلمون بلغات لا يعرفونها،		
	١٨ ويُمسكون الحيّات بايديهم، وإن شربوا شرابا قاتلا		
	لا يؤذيهم، ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون".		
	١٩ وبعدما كلمهم الرب يسوع، رُفع الى السماء،		
	وجلس عن يمين الله.		
	٢٠ فذهب اولئك يبشرون في كل مكان، والرب يعمل		
	معهم ويؤيّد كلمته بما يصحبها من الآيات.		

الصعود

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣	اعمال الرسل	يوحنا
		٥٠ ثم خرج بهم الى القرب من بيت عنيا،		
		ورفع يديه فباركهم.		
			١ ٩ ولما قال ذلك،	
		٥١ وبينما هو يباركهم، انفصل عنهم		
		ورُفع الى السماء.	رُفع بمرأى منهم،	
			ثم حجبه غمام عن ابصارهم.	
			١٠ وبينما عيونهم شاخصة الى السماء وهو ذاهب ...	
		٥٢ فسجدوا له، ثم رجعوا الى اورشليم	١٢ فرجعوا الى اورشليم	
			من الجبل الذي يقال له جبل الزيتون ...	
		وهم في فرح عظيم.		
		٥٣ وكانوا يلازمون الهيكل		
		وهم يباركون الله.		

في ترائيات الإرسال، يلتقي يسوع بكل الفريق الرسولي ويرسله لفتح العالم. ويحتوي كل من الأناجيل الأربعة على وجهة معينة في عرض هذه الرسالة.

رواية يوحنا

في مساء القيامة يتراءى يسوع للرسل. انه يُريهم يديه وجنبه ويقول لهم: **"السلام عليكم"**، ومن ثم يضيف: **"كما أرسلني الآب أرسلكم أنا أيضاً. قال هذا ونفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتم عليهم الغفران يُمسك عليهم"** (يو ٢٠: ٢١-٢٣).

"كما أرسلني الآب، أرسلكم انا أيضاً"! تلك هي الرسالة. وهذا القول يذكّر بأقوال أخرى كثيرة: تفويض المسيح من قبل الآب، وتفويض التلاميذ من قبل المسيح، ذلك هو أحد المواضيع البارزة في إنجيل يوحنا. يجدر بنا ان نتوقف عند هذه الجملة، لانها تحدّد مهمتنا الرسولية: فنحن جميعا، كهنة ورهبانا وعلمانيين، نحن الذين نشعر بان الله يرسلنا لفتح العالم، كي تمتد الكنيسة ويعود اخوتنا البشر إلى الله، يجب ان ندرك باننا لسنا مُرسَلين من قبل مؤسسة بشرية، سواء كانت الكنيسة او الحبر الاعظم، وانما المسيح ذاته هو الذي يُرسلنا، ومن خلاله، هو الله ذاته. تلك هي الحلقة التي تبرّز بعمق لاهوت الرسالة.

المُرسَل هو انسان بعثه الله. فالله ارسل ابنه، والابن يرسل تلاميذه، والتلاميذ او خلفاؤهم يواصلون إرسال اناس آخرين. هذه الحقيقة هي من العظمة بمقدار، إذ ان الرسالة تجد لها مكانا في اطار ثالوثي: الاب والابن، وكذلك الروح، طالما ان يسوع يقول بالذات: "خذوا الروح القدس". فنحن، بالنعمة، مدعوون إلى معرفة الآب على مثال

الابن، وإلى محبة الآب والابن على مثال الروح. وهذه الحياة الحميمية التي هي بمثابة برنامج للقداسة، ترافقها حياة خارجية. وهنا أيضاً نجدنا في قلب الثالوث -الروح القدس والابن والآب- الذي يرسلنا إلى التبشير.

اولاً، بهذا الشكل من الإرسال، أوحي لنا بالثالوث في الكتاب المقدس، وليس بشكل العلاقات بين الاقانيم غير المدرك، والتي يسعى علم اللاهوت إلى التعمق فيها. ففي الاسفار المقدسة، يوحى بالكلمة، لان الله يرسلها نحو البشر لتنيرهم وتطبع فيهم صورته. وكُشف الروح، بصفته الريح التي يرسلها الله في خليقته، ليحركها ويرفعها ويجعلها تحيا. وهكذا نرى، في الكتاب المقدس، ان الثالوث اوحي لنا به، في وجهه الإرسالي، لانه يأتي من الله نحونا.

ورسالتنا اليوم تتأصل في اطار ثالوثي؛ فمن الافضل لنا دوما ان نتذكر بأننا مرسَلون من قبل الثالوث الاقدس. فليس المقصود المبشرين، بحصر المعنى، اي اولئك الذين يذهبون إلى البلدان البعيدة حسب، بل كل رسول حتى في اصغر الاماكن. فيجب على كل مسيحي ان يكون مبشرا. وليس هو وحده، بل الكنيسة كلها معه، و الثالوث الاقدس من وراء الكنيسة.

بعد هذه المعطيات الجوهرية، لننكب على وجه آخر في إنجيل يوحنا: إرسال الروح القدس لمغفرة الخطايا. فالروح، بحسب لوقا، سيأتي فيما بعد، حين يكون يسوع قد ارتفع بالقرب من ابيه، عبر الصعود؛ وحينذاك سيرسل روحه يوم العنصرة. ففي عيد العنصرة (الفنطقسطي) تحتفل الكنيسة، رسميا، بعطية الروح القدس.

كيف يمكن، بحسب يوحنا، ان يُعطى الروح القدس للرسل منذ مساء الفصح؟ ونجدنا هنا بازاء مشكلة وهمية، إذ لا يمكننا ان نجعل تضاداً بين الروح القدس الذي يغفر الخطايا، بحسب يوحنا، وبين الروح القدس الذي يشرف على الكرازة الشاملة، بحسب لوقا. انهما وجهان مختلفان لحقيقة واحدة في منتهى الغنى: هي الروح، قوة الله.

يؤكد يوحنا على الوجه الباطني للروح، أي الوجه المقدِّس الذي يأتي، بحسب مواعيد الانبياء، ليطهر نفس الخاطئ ويعيد إليه البراءة ويمنحه ذلك البر، أي الحياة مع الحياة، حياة النعمة. انه الروح الذي وعد به حزقيال (٣٦: ٢٥-٢٧)، وجدّد يسوع الوعد به، في خطابه بعد العشاء الاخير؛ ذلك الروح الذي يأتي في أعماق كل مسيحي، كي ينيره ويذكّره بأقوال الله، ويطهّره بمغفرة خطاياه.

اما لوقا، في رواية العنصرة، فهو يتكلم عن الروح في وجهه "المواهبي". انه الروح الذي يهبه الله لمؤمنيه، من اجل خير الكنيسة العام، وليس مباشرة من اجل التقديس الداخلي، بل من اجل العمل الخارجي وإشعاع الإنجيل. ويتحدث سفر الاعمال، وكذلك الرسائل، عن هذه المواهب: النبؤة، الرسالة، التبشير، موهبة الألسنة، موهبة الشفاء، الترؤس الخ... كل هذه الصفات، يمنحها الله لمؤمنيه ليمكّنهم من العمل في جسد الكنيسة، من اجل بناء ملكوته. بهذا الوجه، نرى الروح قد وُهب في العنصرة، وفق رواية سفر اعمال الرسل. وتأتي من ثم، في هذا السفر عينه، رواية انتشار الإنجيل في العالم، حين نشاهد الروح يترل على المؤمنين، ويعبّر عن ذاته، كما في يوم العنصرة، بعطايا عجيبة: عطية التحدث بلغات مع ارتقاء روحي وعطية صنع المعجزات، كتلك الشفاءات التي اجترحها بطرس وبولس. فلقد قيل، بحق، ان سفر اعمال الرسل هو إنجيل الروح القدس. وحين عاد يسوع فصعد نحو ابيه، فان روحه هو الذي واصل عمله، وهو الذي لا يزال ينعش المسيحيين ويمنحهم الشجاعة والقوة والصمود في الرسالة. انه هو الذي يبني الكنيسة، ويجعلها تنتشر في العالم اجمع.

ان هذين الوجهين للروح القدس لا يتعارضان، وانما يتكاملان: فمن جهة، يقدّس الروح اعماق قلب كل إنسان؛ وهو من جهة اخرى، بقوته، ينمي جسد الكنيسة الكبير. فمن الخطأ الجسيم أن نجعل حقيقة بهذا المقدار من العمق هي الروح القدس، تترل إلى مستوى المادة، او تُجزَّأ بشكل بشري فوق الحد، ولاسيما حين نطرح على انفسنا مشاكل وهمية كهذه: متى أُرسل الروح القدس إلى الرسل؟ مساء الفصح ام يوم الصعود...؟ لقد أُرسل في هذين اليومين، ومراراً عديدة...

ونعود لنجد المشكلة في مسألة التمييز بين العماذ والتثبيت. فالعماذ يمنح الروح القدس، بمثابة قوة مقدِّسة، قوة داخلية تنعش المسيحي وتملأه من روح المسيح، وتجعله يحيا على مثاله. والتثبيت، هو بمثابة عنصرة جديدة لكل مسيحي، تمنحه الروح كي تجعل منه بالغاً: فلن يعيش كالطفل من بعدُ، لنفسه فقط، بل تكون له في الكنيسة رسالة -وإن لم يكن كاهنا او راهبا او راهبة. انها رسالة كل مسيحي، وهي تقوم في ان يعمل لملكوت الله. ولا يأتي الروح القدس مرة واحدة، بل يجب ان يأتي دون انقطاع، كما نرتل غالبا: "هلمّ يا روحاً". مثل هذه الحقيقة الفريدة واللامتناهية في الله -وهي قدرته وقوته ونوره- تحلّ فينا، بأوجه عديدة، وفي اوقات مختلفة. ويجب علينا ان نتلقى كلَّ مجيء للروح،

بمختلف اشكال مجيئه، دون ان نجعل تضاداً بين مجيء ومجيء، بل نكمّل الواحد بالآخر، مع شوقنا إلى ان يزداد مجيئه اكثر فاكثر.

هناك امر آخر تجب ملاحظته: تلتقي موهبة مغفرة الخطايا مع كلام قاله يسوع سابقا، ابان حياته الارضية: لقد سبق يسوع، على دفعتين، فوعد بهذه الموهبة: مرة اولى ابان اعتراف قيصرية، حين قال يسوع لبطرس: "**سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما ربطته في الارض رُبط في السموات، وما حللته في الارض حُلَّ في السموات**" (متى ١٦: ١٩). وفي هذا السياق، نجدنا بصدد سلطان هو اكثر اتساعا من سلطان مغفرة الخطايا: انها سلطة القرار. ذلك ان عبارة "الربط والحل"، المعروفة لدى الربابنة، لا تتعلق بالخطايا حسب، وانما أيضاً بمواضيع اخرى. انه سلطان التعليم والصلاحية: فتأكيد تعليم او فضح هرطقة، هو انما ذلك الربط والحل؛ والسماح بسلوك ما، او وضع قانون ما، او الدفاع عن امر ما، فذلك أيضاً هو الربط والحل. فبهذا المعنى العام تلقى بطرس، في قيصرية، سلطان المفاتيح، وليس هو سلطان لمغفرة الخطايا حسب، وانما لاتخاذ القرار. وعلى هذا ترسو صلاحيات الأب الاقدس والكنيسة معه.

ومرة ثانية يعد يسوع بهذه الموهبة، وبمعنى اكثر دقة ولا شك، كما يشير سياق النص. فيسوع يتوجه إلى كل الرسل، وليس فقط إلى بطرس؛ انه يتحدث عن الاصلاح الاخوي، وعن الخطايا او التقصيرات في قلب الجماعة، ويضيف: "**الحقَّ أقول لكم: ما رَبطُتم في الارض رُبِط في السماء، وما حلَلتُم في الارض حُلَّ في السماء**" (متى ١٨: ١٨). فمن خلال الرسل، يتوجه يسوع إلى كل الاساقفة والكهنة والمرسومين الذين يتلقون سلطان مغفرة الخطايا. انه يستعيد عين عبارة "الربط والحل"، في سياق هو، بنوع خاص، سياق الخطايا.

هذه الموهبة ذاتها، يُصدي لها إنجيل يوحنا. فالمسيح، بعد القيامة، يحقق هذا الوعد الذي اعلنه طيلة حياته الارضية. وهذا ما يشكل، بنوع ما، تأسيس سر التوبة، في صيغته النهائية.

وهكذا يقدم يوحنا في هذا المقطع (٢٠: ٢١-٢٣) حياة ثالوثية في منتهى الروعة، بشأن رسالة الكنيسة؛ وبالتالي يُظهر عمل الروح الذي، عبر الموهبة الباطنية والسلطان على مغفرة الخطايا، سيقود المبشرين في رسالتهم.

رواية لوقا

لوقا، ككل واحد من الازائيين، يحمل سمات جديدة تكمّل ملامح المبشّر.

"وقال لهم: ذلك كلامي الذي قُلته لكم إذ كنت معكم، وهو أنه يجب أن يتم كل ما كُتب في شأني، في شريعة موسى وكتب الأنبياء والمزامير. وحينذاك فتح أذهانَهم ليفهموا الكتب، وقال لهم: كُتب أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، وتُعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الامم، ابتداءً من أورشليم. وانتم شهود على هذه الامور. وإني أُرسل إليكم ما وعد به أبي. فامكثوا أنتم في المدينة إلى أن تُلبسوا قوة من العلى" (لو٢٤:٤٤-٤٩).

يتضمن خطاب المسيح هذا صدى اكيدا لما سيكتبه لوقا في سفر اعمال الرسل، وهو بمثابة ملخّص عن الكرازة الاولى، او بمثابة مسودة للشهادة الرسولية، وللوعظ الذي انعش مهمة الرسل التبشيرية الاولى والذي ينبغي ان يكون، بالنسبة لنا، تواصلاً مع منهاج التبشير.

وتترتب علينا محاولة الكشف عن السمات المدرجة هنا، والتي هي النموذج للمنهج التبشيري. واخص بالذكر: الشهادة الرسولية، البرهان من الكتاب المقدس. والهدف: التوبة ومغفرة الخطايا. والمعنيون: كافة الأمم.

الشهادة الرسولية

الشهادة والاسفار المقدسة، هما أداتا المبشر. فالرسول يُعرَّف بكونه شاهداً؛ وهذا واضح في سفر الاعمال، إذ ان ما يُطالب به الرسل هي النوعية. فحين سقط يهوذا، وشاء الاحد عشر ان يستبدلوه، قال بطرس بانه يجب اختيار شخص يكون قد عرف يسوع وعاش معه، وشهد قيامته، فيكون بإمكانه ان يشهد (رسل١:٢١-٢٢). وقُدّم متيا ويوسف برسابا، ووقع الاختيار على متّيا.

وبطرس، في خطاباته، وبعد أن ذكّر بموت المسيح وقيامته، لم يتردد ابداً من القول: نحن شهود، لقد رأيناه، وعشنا معه، واكلنا وشربنا معه (رسل ٢: ٣٢؛ ٣: ١٥، ٣٢؛ ١٠: ٣٩-٤٢؛ ١٣: ٣١).

والمهمة الاولى للمبشّر هي ان يكون شاهداً، حتى منتهى الأزمنة، أي ان يحمل، عبر حياته الشخصية، اليقين بانه ينقل إلى الآخرين ما رآه، فلا يتحدث جزافا، ولا يعرض تعليما لا يؤمن به هو ذاته. انه ضامن لما يقوله. وقد يخيل إلينا ان ذلك صعب على أولئك الذين لم يعيشوا أحداث الإنجيل. فلم يعد هناك بعدُ، ولا شك، شاهد بالمعنى الذي يحق للرسل ان يُطالبوا به. إلا ان الشهادة، وحتى شهادة الرسل أنفسهم، كانت تكمن في ايماهم، اكثر مما في خبرهم الحسّية. لقد رأوا المسيح، كما رآه ايضاً كثيرون! يهود أورشليم والجليل، قيافا، بيلاطس.. كلهم رأوه وعاشوا معه؛ ومع ذلك ليسوا شهوداً، لأنْ ليس لهم الايمان، ولأهم لم يُعطوا حياهم، وليست لديهم تلك النظرة الروحية التي تتجاوز الواقع الحسّي، وتتغلغل، من وراء ظاهر الإنسان يسوع او عبر ألم الصليب، إلى الحقيقة العميقة التي تكمن في المخلص الذي يقوم كي يمنح الحياة للعالم. فالشهود الفعّالون هم الذين رأوا في الإيمان.

الرسل هم شهود، لأهم آمنوا، وهذا ما تكشفه لنا الترائيات. فلأول وهلة نراهم لا يَعرفون يسوع، إذ ان عيوهم الجسدية لا ترى شيئا، فيتخذونه بستانيا أو مجرد مسافر؛ ولكن حين يؤمنون وتنفتح قلوهم، يصبحون شهوداً، ويحصلون على خبرة روحية. وعلى هذا الصعيد نحن مساوون لهم، إذ بوسعنا ان نؤمن نحن أيضاً. ليست لنا رؤية مادية او حسية عن الرب الذي عرفوه، إلا ان لنا عين الرؤية الروحية، بنعمة الله، أي نعمة الإيمان الداخلية. فإيماننا يرتكز، بشريا، على شهادهم، كما على كلام الكنيسة، وعلى الذين عاشوا قبلنا، ولكنه يرتكز بالتالي -ونحن على يقين- على كلام الله الباطني.

ان الإيمان، بصفته احدى الفضائل الإلهية، لا يرتكز بشكل أساسي على هذا او تلك الاقوال البشرية، او على هذا البرهان المحدّد، وانما يَرتكز على "حقائق إلهية"، على كلام الله الذي هتز له قلوبنا، فيجعلنا نؤمن. لذا نحن بازاء فضيلة فائقة الطبيعة، فضيلة إلهية، كوها عطية نعمة يتوجب علينا أن نوظّفها، ويمكننا ان نخسرها بذنبنا. وهذه النعمة تتجاوز الخبرة البشرية؛ اها فينا، حتى وإن كنا لم نعرف خبرة الشهود الاولين. فنحن نقدر، لا بل يتوجب علينا، ان نكون شهوداً على مقدار الرسل؛ ويجب ان نحمل، في تبشيرنا، هذا الإيمان الحي والشخصي كمَن التقى بالمسيح. فلقد التقى بطرس والرسل بالمسيح على

دروب الجليل وأورشليم، ومن ثم في الترائيات، والتقى به بولس في دمشق. وسيتوجب على كلٍّ منا ان يكون قد التقاه، ليس في رؤية، كالتي جرت في دمشق، وانما في عمق الخبرة الروحية. وما دام كلٌّ منا، قد دُعي إلى الحياة المسيحية، واستيقظ ضميره على حياة روحية متقدة، فهو يعلم انه التقى المسيح. لا يمكن ان يكون هذا اللقاء، الاول والوحيد، وانما ان تكون حياتنا، دون انقطاع، بمثابة عيش دائم مع المسيح في الإيمان. فبهذا الشرط فقط، سيكون لشهادتنا قيمة تذكر امام العالم. والأشخاص الذين نتكلم معهم، يحسّون جيدا إذا كنا نتلو درساً قد تعلمناه، وكأننا بائعون يعرضون بضاعتهم دون ان يؤمنوا هم بها! فإذا لم نكن سوى تجار، فلا احد يصدّقنا. ولكن إذا ما شعر الناس باننا نعيش ما نقول، واننا التقينا بمن هو موضوع إيماننا، وان حياتنا موهوبة لهذا الآب والابن والروح القدس، فحينذاك نصبح شهوداً فعّالين، وسيصدّقوننا.

تعليم الاسفار المقدسة

لا تكفي الشهادة الشخصية؛ بل يجب ان تضاف إليها، على حد قول المسيح، الاسفار المقدسة، أي تعليم الكنيسة المتضمن، بشكل خاص، في الكتاب المقدس. و يذكر يسوع هنا كل الاسفار المقدسة: العهد القديم مع موسى والأنبياء والمزامير، والعهد الجديد ذاته –هو في طور التكوين عبر فهم المسيحيين للعهد القديم. إذ ان العهد الجديد ليس هو سوى تلك الخبرة التي عاشها المسيحيون الأولون، لدى تفسيرهم العهد القديم؛ فالعهد الجديد يكمل العهد القديم ويكلله.

لقد كانت الاسفار التي تنبئ بالمسيح وتتحدث عن حياته –وهي نداء الإيمان– الدليل الاكبر الذي نقدّمه لهداية العالم. وهذا هو كنه كرازة بطرس وبولس. ففي سفر الاعمال، وفي كل مرة وعظ بطرس، نراه يقدم مرجعا من المزامير او الأنبياء، ويبرهن على ان المسيح كان يجب ان يقوم، و لم يكن ممكنا ان يبقى رهين الموت، وكانت آلامه مصوّرة مسبقا في شخص "عبد يهوه" بحسب اشعيا الخ.. وهكذا يفعل بولس الشيء ذاته؛ فبعد ان سمعه اليهود يتكلم، ذهبوا يبحثون في الكتب، ليروا إذا كان كل ذلك قد أُنبئ به حقا (رسل ١٧: ١١).

هكذا ينبغي ان يكون الامر بالنسبة لنا. فنحن لسنا في المحيط اليهودي ذاته بعدُ، لذا نميل إلى عدم تقييم هذا البرهان الكتابي، وبالمقدار ذاته، ونكتفي بالنتائج اللاهوتية التي استخرجت من الاسفار المقدسة. ويحدث أيضاً الا يتلقى المؤمنون سوى موجز لاهوتي مكثّف وجامد إلى حدّ ما، او صيغ أُخذت عن كتاب "تعليم مسيحي" من القرن التاسع عشر! فنحن نشعر، ولا سيما اليوم، بان تعليما كهذا بعيد جداً عن الكلام الالهي الأولي. وليس من الممكن بعدُ ان نكتفي بصيغ تعليم مسيحي عفا عليه الزمن. لست أشك انه يتضمن تعليم الكنيسة، ولكن أليس من الافضل الرجوع إلى الينابيع الحقة، إلى تعليم الكنيسة العميق، وإلى اصوله التي هي الاسفار المقدسة؟

نحن نشاهد حاليا عودة مباركة إلى الاسفار المقدسة، لأنها تجيب إلى شوق عميق لدى النفوس. وإذا كان لمؤمني جيلنا تذوق للكتاب المقدس، فلأن هزّات الحياة حملتهم على الرجوع إلى القيم الاساسية، فاخذوا يتخلون عن "الاصطلاحية"، أي برجزة الفكر -وقد كانت مهيمنة في القرن ١٩- وبدأوا يرغبون في العودة إلى الينابيع الحية، في قضايا الدين، كما في كل شيء. انهم يريدون الحق، أي "الوجودي" كما يقولون، بالتضاد مع توجه "المطلقية" الذي يتعاطى مع مفردات ومفاهيم مجردة لا يفهمها تلامذة "التعليم المسيحي". انهم يتوقون إلى الرجوع إلى الحقائق الحية، الواقعية، إذ ان الله هكذا تكلّم. وهذا النداء إلى الواقع هو الذي اعاد القلوب إلى الكتاب المقدس، فوجدوا فيه تدفّق عمل الله بين البشر، وسمعوا كيف كلّمنا، بطريقة بشرية، في قلب التاريخ. وهكذا التفت اصحاب الفكر -وقد سئموا شعارات العقيدة، ويبسوا كما تيبس الحشائش- إلى البساتين ليقطفوا منها زهوراً يانعة، وإلى الكتاب المقدس ليجدوا فيه فهما جديداً للايمان.

علينا ان نواصل الارتواء من هذا الينوع، في مسعى دائم. فالكتاب المقدس ليس بستانا مغلقا، وانما ارضا يجب فلاحتها كي تثمر. ويجب ان نتعلم كيف نزيل كثيراً من الاوهام؛ وستكون المكافأة كبيرة لمن يكتشف غنى كلمة الله التي لا تُستقصى. ان قراءة الكتاب المقدس ليس ترفاً، ولا برنامجاً لرياضة روحية، ولا قراءة روحية افضل من غيرها؛ انما هي رسالتنا، ويجب ان تتغذى حياتنا العميقة كلها من الكتاب المقدس. فالمسيح يقولها لنا، في هذا النص من إنجيل لوقا: حين تكون شهادتنا الإيمانية قد تغذّت من ينابيع الكلام الالهي، سنكون مسلَّحين، ونتمكن بالتالي من ان نحمل هذا الإيمان إلى الآخرين.

هدف الرسالة

يعلّمنا لوقا، علاوة على ذلك، الهدف من هذه الرسالة: فالرسول الذي يحمل إيماناً مشبعا من الكتاب المقدس، عليه ان يحصل على التوبة ومغفرة الخطايا. ونجد ذلك في خطابات سفر الاعمال برمتها. فبطرس او بولس، إذ يؤكدان على الآم المسيح وقيامته، ويفسرانها في ضوء الاسفار المقدسة، يخلصان إلى القول: "ايها الاخوة، اهتدوا وتوبوا، واقبلوا العماذ، فتغفر لكم خطاياكم" (رسل ٢: ٣٨؛ ٣: ١٩؛ ٥: ٣١؛ ١٠: ٤٣؛ ١٣: ٣٨). تلك هي الغاية التي يجب علينا دوماً ان نهدف إليها، طالما انها تمس عمق حياة البشر. فالرسالة تبقى من دون ثمر، إن لم تفلح في إعادة القلوب وفي انقلاب حياة الناس. وإذا استطاعت الرسالة ان تجعل العقيدة المسيحية معروفة وجذّابة بالاكثر فقط، فلن تكون قد بلغت هدفها إلا جزئياً. ولكي تكون النتيجة فاعلة، يجب ان يكون كلام الله -وهو تلك البذرة، على حد تعبير يسوع- قد تجذّر في الارض؛ ويجب ان يُحدث التعليم المعطى والشهادة المحمولة رجّة في حياة الناس، بحيث يشعرون بضرورة التغيير. فالاهتداء والتوبة، هما ذلك التغيير (metanoia) الذي يُطالب به الرسل في كل مواعظهم. يجب ان يكون لنا مثل هذا الشوق، ايا كان الاشخاص الذين نتوجه إليهم، ولكن كَم ينبغي لهذا الشوق ان يكون خفياً! ولا يمكن ان تُغتصب النفوس! فالله وحده قادر ان يجعل الانسان يقوم بالخطوة الاخيرة، وليس بوسع عملنا البشري، وحده، أن يغيّر قلب انسان. إلا ان دورنا، بصفة رسل ومبشرين وشهود، يقوم في ان نعرض متطلبات ضرورة التغيير. وحين تقترن صلاتنا، ومعها زهدنا أيضاً، وكل حياتنا الروحية، فحينذاك تقوم نعمة الله بعملها. لا ينبغي ان نكون من اولئك الواعظين بعقيدة فلسفية جديدة تدغدغ الآذان، كما يقول القديس بولس (٢طيم ٤: ٣)، وانما يجب تحريك القلب وتغيير الحياة.

شمولية الرسالة

يورد لوقا هذا الكلام: "**إلى كل الامم، ابتداءً من أورشليم**" (لو ٢٤: ٤٧؛ راجع رسل ١: ٨). هذه الاشارة لوقاوية الاسلوب بكل معنى الكلمة. ذلك ان أورشليم، في مؤلَّف لوقا، تحتل مكانة مميّزة. فإنجيله يبدأ في أورشليم، في الهيكل، عبر رؤيا زكريا والد يوحنا المعمذان؛ و ينتهي، في هيكل أورشليم أيضاً، عبر إنجيل الطفولة: فلدى تقديم الطفل

يسوع، نرى سمعان الشيخ يرسم مخطط التبشير الشامل، وتسمع مريم الإنباء بالآلام وبالازمة التي يَتعرض لها الشعب المختار. ويذهب يسوع من ثم إلى الجليل، ومن هناك يصعد من جديد إلى أورشليم؛ هذه الرحلة تعكسها الأناجيل الأربعة، إلا ان لوقا وحده سيقول في خاتمة روايته: "**امكثوا في المدينة حتى تُلبَسوا قوة من العلى**" (لو ٢٤: ٤٩). وستكون الآية الاخيرة من إنجيله: "**وكانوا يلازمون الهيكل يباركون الله**" (لو ٢٤: ٥٣).

وبعد ان يكون لوقا، بهذا الشكل، قد وضع الهيكل في بداية إنجيله وخاتمته، نراه يعطيه الأهمية ذاتها في اعمال الرسل: ففي أورشليم ينفصل يسوع عن تلاميذه، كي يصعد إلى السماء؛ وحول الهيكل، تجري العنصرة وتلقى الخطابات الاولى وتُجترح الشفاءات الاولى. فالكنيسة تولد في الهيكل، وكأنه مهدها؛ ومن مركز الدين اليهودي تخرج المسيحية.

فلوقا هو على وعي عميق بهذا الالتحام بين العهد القديم والعهد الجديد، بين الهيكل اليهودي الذي اختاره الله طيلة اجيال، وبين التوسع والانتشار الشاملين. وهكذا نجدنا بازاء حقيقة عميقة، اود ان اتوسع فيها، بعون إنجيل متى.

رواية متى

يكتب متى: "**اما التلاميذ الاحد عشر، فذهبوا إلى الجليل، إلى الجبل الذي امرهم يسوع ان يذهبوا إليه**" (متى ٢٨: ١٦). هذا الموعد، كان قد أُعلن عنه في المسيرة إلى الجتسمانية، ومن ثم بفم الملائكة، عند القبر الفارغ. ولكن لم يجرِ الكلام عن الجبل.

ما هو هذا الجبل؟ لست قادراً ان اعيّنه، واعتقد ان متى ذاته لم يكن بوسعه ذلك. فهذا الجبل هو، إلى حدّ ما، لاهوتي؛ وهذا لا يعني انه غير موجود، بل يجب ان نتذكر بان الجبل، في الكتاب المقدس، هو المكان الذي فيه يرتقي الإنسان نحو الله وحتى في الديانات الوثنية، هناك شعور إنساني بهذا الواقع. ويكفي ان نتذكر القمم الكبرى التي عليها شيدت معابد: الكرمل، حيث عُثر على نصب للنذورات يحمل تضرعا إلى الاله كرمل -ومن الممكن ان يكون "بعل" هذا، هو ذاته الذي حارب كُهّانُه ايليا-؛ وفي سوريا هناك جبل أكرا او جبل كاسيوس حيث شيد الاقدمون هيكلاً على شرف بعل صافون. وفي كل بلدان العالم، نرى ان الجبال هي الاماكن التي يشعر فيها الانسان بقربه من الالوهية.

ويستخدم يسوع، في الإنجيل، هذه القاعدة من النفسية البشرية: انه يصعد إلى الجبل كي يدعو إليه تلاميذه؛ كما انه يصعد ليبتعد عن الجمع وينادي بتعليمه الروحي. وهكذا اعتاد متى ان يعتبر "الجبل" مكانا مميَّزا، ولا يهمه من ثم ان يسميه. ليس في الجليل جبل عالٍ: فجبل جرماك، في اعالي فلسطين، يرتفع إلى ١٢٠٠م. وبالقرب من البحيرة، هناك عدةٌ تلال صغيرة، ومن بينها "جبل التطويبات" الذي لا يسعنا ان نحدده بالضبط. ذلك ان الاجواء هي ذاتها: فيسوع، كي يجمع تلاميذه في موعد اخير، دعاهم إلى جبل في الجليل. ومن النافل ان نبحث عن دقة اكبر.

إلا ان المهم، هو ان متى، ومعه يوحنا فقط (يو ٢١: ١)، يحدثنا عن **تراءٍ في الجليل**. لنذكّر بالمسألة: كان يسوع قد قال: "بعد قيامي، اسبقكم إلى الجليل" (مر ١٤: ٢٨)، وكان الملاك قد ذكّر بهذا الموعد (مر ١٦: ٧). اما لوقا، فلا يتحدث عن تراءٍ في الجليل، بل عمد إلى تبديل جملة مرقس، فجعل على لسان الملاك هذا القول: "اذكُرن كيف كلمكنَ إذ كان لا يزال في الجليل (لو ٢٤: ٦)! ويوحنا لاينقل، هو الآخر، في الفصل ٢٠، ترائيا في الجليل؛ فكل شيء يجري في أورشليم، يوم القيامة، وبعدها بثمانية ايام. والفصل ٢١ الذي فيه يتحدث يوحنا عن تراءٍ في الجليل يطرح مشكلة، إذ يحق ان نتساءل إذا كان هذا الصيد العَجائبي قد جرى بعد القيامة، ام قبلها كما جاء في إنجيل لوقا؟

إلا ان إنجيل متى يبدو حدّياً. ولنقلها بحق اننا لم نتوصّل، وقد لا نتوصّل ابداً، بسبب غياب المصادر الكافية، إلى ان نعرف جيدا كيف تنتظم الترائيات المختلفة. متى عاد التلاميذ إلى الجليل؟ من بعد الترائيات في اليهودية ام قبلها؟ من المحتمل ان تكون عودتهم من بعدها، طالما ان يسوع، بحسب لوقا ويوحنا، قد تراءى في يوم القيامة بالذات، سواء في عماوس ام في أورشليم. وسنراهم في أورشليم، بعد أربعين يوماً، في رواية الصعود. هل ذهبوا في تلك الفترة إلى الجليل، ومن ثم عادوا إلى أورشليم؟ قد يمكن التخمين، ولكن ليس بوسع النصوص ان تمكّننا من اعادة بناء توقيت دقيق.

يبدو من المعقول ان يكون يسوع شاء ان يتجلى أيضاً في المكان الذي وُلد فيه الإنجيل، أي في الجليل، ولكن لا يمكننا ان نقول اكثر. وكما تنازلنا عن تحديد بعض الترائيات التي لم تُروَ، كالتراءي لبطرس، هكذا هي الحال هنا أيضاً، ويجب ان نرضخ للواقع. ذلك ان الله يقول ما يريد؛ وينبغي علينا ان نتعلّم الصمت ونعترف بجهلنا.

"**فلما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم ارتابوا**" (متى ٢٨: ١٧). وهـذا مـا يدهش. ونتساءل: كيف يمكنهم ان يشكّوا في هذا الوقت بالذات؟ هناك بعض المفسرين ترجموا العبارة بشكل مغاير: **هم الذين كانوا قد شكوا**. وكأن متى يلمّح إلى شك سابق؛ اما الآن فلم يعودوا يشكّون، لا بل يسجدون.

هذه الترجمة ليست صحيحة في نظري. فهي لا تحترم النص اليوناني، واختار المعنى المعطى اولاً: "وبعضهم شكّوا". فهل هذا يعني الهم، في هذا الوقت النهائي، ومـن بعـد ترائيات اخرى، مازالوا يشكّون؟ يجب ان نلفت الانتباه إلى ان متى لم يروِ ترائيات اخرى للتلاميذ. لا ننسَ ان كل إنجيل يتابع خطّه الخاص. وكان متى قد روى من قبل، وبشكل موجز، الترائي للنسوة اللواتي كن خارجات من القبر؛ فلم يقل شيئا عن ترائيات للتلاميذ في اليهودية، ولا لتلميذي عماوس، ولا في العلية. ذلك ان متى يعلم ان الجميع لم يؤمنوا بفعل ترائيات الرب هذه؛ وهذا الواقع مهم جداً، طالما ان بوسع عدم ايمالهم في البداية، أن يدعم، فيما بعد، قيمة قناعتهم وإيمالهم. وحينذاك، فلأنه لم ينقل ترائي آخر للتلاميذ، راح يشير هنا إلى هذا التفصيل. ففي الترائي الوحيد للتلاميذ الذي ينقله متى، انما يقوم بخلاصة يذكر فيها كل شيء، ومن ضمنها الشك. وهذه الشكوك كانت قد جرت في الواقع ابان ترائيات سابقة، غير ان الايجاز في رواية متى اعطى الانطباع، لدى اللقاء الاخير، بان هناك شكوكا ما زالت قائمة.

"**فدنا يسوع وكلّمهم قال: اني أُوليت كل سلطان في السماء والارض**" (متى ٢٨: ١٨). مثل هذا الكلام يفترض ان المسيح هو في السماء، وانه تقلّد عرشـه. فهـو المسيح الملك، في مجد الآب، وسلطانه سلطان شامل. وهكذا افترض هذا الترائي ان يسوع سبق وصعد إلى السماء. لذا فهو يثير مشكلة يجب ان نعود إليها فيما بعد، بشأن الصعود. فالصعود، في معناه العميق، وبصفته دخولاً في المجد، قد تمّ يوم الفصح بالـذات، ابـان القيامة. ولا يمكننا أن نقبل بان هناك فسحة من الوقت قبل ان يتمّ تمجيد المسيح، كما لو انه عرف حالة وسطى: انه خرج من القبر حيّاً، ولكنه لم يتمجّد بعـدُ! هـذا الطـرح مرفوض، من وجهة النظر اللاهوتية التي تدعمها النصوص، وفي مقدمتـها هـذا الـنص بالذات. فيسوع صعد إلى ابيه فور قيامته، كما لمّـح يوحنا إلى ذلك (يـو ٢٠: ١٧). وسنرى، فيما بعد، لماذا حُدّد صعود على جبل الزيتون —دون ان يُعتبر ذلـك الـصعود دخول يسوع الاول في المجد. ذلك ان المسيح هو في المجد منذ اللحظة التي فيها ترك الموت،

اي منذ اللحظة التي اعاد فيها الروح الحياة لكيانه. وهكذا يبدو النص واضحا هنا: هوذا يسوع يأتي من هذا المجد ليتجلى ويقول: "أُوليت كل سلطان".

"**فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم**" (متى ٢٨: ١٩). اني احاول ان اترجم هذه العبارة، على افضل وجه ممكن: "اجعلوا من كل الامم تلاميذ". ويقال غالبا: "علّموا كل الامم". إلا ان اللفظة اليونانية هي اكثر دقة: "اجعلوا تلاميذ"، أي لتصبح كل الامم تلاميذ.

وهنا تطرح مشكلة أساسية نفسها. يرسل يسوع تلاميذه لهداية كل الامم؛ وكان لوقا قد قالها أيضاً: "أعلنوا البشرى لكل الامم". ولكننا نعلم ان يسوع، خلال حياته الارضية، لم يبشر الوثنيين، لا بل رفض ان يفعل ذلك. وكان يقول لرسله: "اذهبوا واكرزوا، ولكن لا تذهبوا عند الوثنيين ولا عند السامريين" (متى ١٠: ٥). ويسوع ذاته، حين كان يجول في منطقة صور وصيدا- وقد ترك فلسطين والجمع المتمرد، كي ينشّئ رسله- لم يعظ الجموع الغربية. وحين طلبت إليه تلك السورية/ الفينيقية ان يشفي ابنتها، كان قد اجاب: "لم أُرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل" (متى ١٥: ٢٤). تبدو هذه الكلمة قاسية ولا شك؛ إلا ان المرأة المسكينة ألحّت في التضرع: "فصغار الكلاب نفسها تأكل من الفُتات.." ، وحينذاك لم يقوَ يسوع على المقاومة، فاجرى استثناءً -كما يقال- وشفى الفتاة. فإذا لم يشأ يسوع ان يبشر الوثنيين، فكيف يمكنه الآن ان يرسل رسله إلى الامم الوثنية؟ ماذا جرى؟ لماذا هذا التغير في الموقف؟

إليكم التفسير[1]: شاء يسوع، بشكل ارادي، ابان حياته على الارض، ان يكمّل مخطط الله الاول. وكان على هذا المخطط الذي نادى به الأنبياء، باتجاه خلاص الوثنيين، ان يتم على يد إسرائيل. وغني عن القول ان الكتاب المقدس كله يوضح مخطط الخلاص هذا. فلقد اختار الله شعبا، وراح يهتم باهتدائه؛ وحين يكون قد أنجز اهتداءه وخلاصه، سينعم عليه بالمسيح، كي يجذب، من ثم، البشرية كلها إلى هذا الخلاص؛ وحينذاك يعم النور على العالم. وكان سفر اشعيا، بنوع خاص، قد طرح هذا التعليم (انظر مثلا اش ٢: ١-٥). وحاول يسوع، بكل إخلاص، ان يطبق هذا البرنامج: كرازة باتجاه شعبه، وتنشئة إسرائيل، وإرجاء الخلاص الشامل إلى ما بعد. ولكن، هنا تدخّلت حرية الإنسان: أُفشل

[1] راجع ي. جيرمياس: "يسوع والوثنيون"، نيشاتيل ١٩٥٦

مخطط الله. ذلك ان الشعب المختار، بفم رؤسائه، رفض الخلاص. إلا ان المخطط الإلهي نجح مع ذلك، لأن قلّة، وهي "البقية الصغيرة"، اجابت: "نعم". اما مجمل الشعب، في الواقع، فقد قال: "لا"، متبعاً روساءه، اولاً في فلسطين، ومن ثم في الشتات. وهكذا فعل إسرائيل: فعوضا ان يتلقى النور الذي كان بوسعه ان يشع من أورشليم على العالم، نراه يرفضه، في المدينة بالذات التي حكمت على مسيحه بالموت. انه بذلك أفشل مخطط الله. إلا ان الله الذي يعرف كل شيء، ويقدر على كل شيء، سمح بذلك لانه يحترم حرية الإنسان. وهكذا، مع ان الله يعلم مجرى الامور، فقد تصرّف الإنسان بحريته.

وإزاء هذا الرفض، غيّر الله ومسيحه مخططهما: لن يبلغ الخلاص إلى الامم من خلال إسرائيل، وانما مباشرة إلى الامم. وهوذا يسوع، بعد القيامة، يغيّر وصاياه ويرسل رسله في بعثة شاملة: "اذهبوا وعظوا كل الامم". و تجدر الإشارة مع ذلك -وذلك مهم- إلى أن نواة من إسرائيل تلقت الكلمة، بحيث اصبح بالتالي من الممكن القول بان إسرائيل سيمنح النور للعالم. فالرسل الذين سيكرزون، ومعهم كل الكنيسة الاولى، انما كانوا يهوداً تائبين. وفي الجماعات التي سيتكلم فيها بولس، ستكون هناك مجموعات صغيرة من اليهود الذين سيتلقون الكلمة. وهكذا سيتحقق، بواسطتهم، مخطط الله الاول. فمن خلال الدين اليهودي، ومن خلال الاسفار المقدسة، سيتعرف وثنيو اسيا الصغرى وروما واليونان على الإنجيل.

ان رفض إسرائيل للمسيح سرّع الرسالة باتجاه الوثنيين، وخلق شكلاً من المنعطفات في المخطط الإلهي. وهنا، يجدر بنا ان نعيد قراءة كرازة بولس، في سفر اعمال الرسل؛ انه يبدأ بوعظ اليهود في المجامع ويقول لهم: "**إليكم اولاً كان يجب ان تبلغ كلمة الله، اما وانتم ترفضونها ولا ترون أنفسكم اهلا للحياة الابدية، فاننا نتوجه الآن إلى الوثنيين**" (رسل ١٣: ٤٦). وهو، مع ذهابه إلى الوثنيين، لم يكن يخفي رغبته الرسولية باتجاه اليهود، كما قالها بوضوح كبير في الرسالة إلى الرومانيين: "انا رسول الوثنيين، أُظهر مجد خدمتي، لعلّي اثير غيرة الذين هم من لحمي ودمي، فاخلّص بعضا منهم" (روم ١١: ١٣-١٤). وحين سيرى اليهود ان الوثنيين اخذوا يهتدون، سيتوبون بدورهم؛ وكان بولس يأمل ان يتم ذلك سريعا! ولكن لم تجر الامور على هذا النحو. وهكذا لا يزال المخطط الإلهي باقياً؛ وقد تتم يوما عودة إسرائيل، بشكل جماهيري، حين يفهم بان

الكنيسة والخلاص المسيحي يحققان حقا ديانته ومثاله، ويرتضي بالتخلي عن شـريعانية فرّيسية ما زالت تكبّل الشعب، بالرغم من كل التحرير الذي حققه يسوع المـسيح. وفي اليوم الذي سيتمكن فيه اليهود ان يتجاوزوا هذا الانطواء على الذات، ويفهموا بان جوهر إيمانهم، برمته، وجد له متّسعاً في الديانة المسيحية، وحين سيرون العالم الوثني قد اهتدى إلى الله الحق، سيعودون هم أنفسهم إليه، بدافع غيرة مقدسة. ويقول القديس بولس ان مخطط الله عجيب وسرّي (روم ١١: ٢٥ و٣٣)، ولكنه يكتمل، بكل تأكيد، عبر الاجيال. فلسنا سوى اطفال صغار لا يعيشون سوى بضع دقائق؛ اما تصميم الله، فيتجاوزنا بالكامل.

وهكذا، تتم الرسالة الشاملة التي وكلها يسوع القائم إلى تلاميذه ، وفق مخطط واعٍ بالتمام، هو مخطط الله والمسيح. ولَكَم اعلن يسوع، في الإنجيل، النداء إلى الوثنيين، بوساطة إسرائيل؛ هوذا يقول في اعقاب شفاء: "أقول لكم: سوف يأتي أُناس كثيرون من المشرق والمغرب، فيجالسون إبراهيم وإسحق ويعقوب على المائدة في ملكوت السموات" (متى ٨: ١١). وهكذا شاء يسوع، دوما، خلاص العالم كله، متتبعاً فحـوى المخطـط الإلهي.

ومع ذلك، يجب ان نعترف بانه كان من الصعب على المسيحيين الاولـين ان يفهموا جيدا مخطط الخلاص هذا. فبطرس ويعقوب، بصفتهما يهوديين، فهما بان الوثنيين مدعوون، ولكنهما لم يفهما، بعين السرعة، ان بوسعهما ان يُعفَيا من الشريعة الموسوية. وهذا ما نراه في اعمال الرسل، وبنوع خاص في نقاشات مجمع أورشليم: "إذا لم تختتنـوا على سُنّة موسى، لا تستطيعون ان تنالوا الخلاص" (رسل ١٥: ١). وكان جواب بطرس: "فلماذا تجرّبون الله الآن بان تجعلوا على اعناق التلاميذ نيراً لم يقوَ آباؤنا ولا نحن قوينا على حمله؟" (رسل ١٥: ١٠). وتقرر، في اعقاب مناقشة طويلة، وبمساعدة الروح القدس، بأنه لا ينبغي إلزام المهتدين من الوثنية بتطبيق الشريعة الموسوية. ولم يتم هذا الامر مـن دون نضال. فلقد سلط بولس الاضواء على هذه الحقيقة وأسهم في "تحرير" الخلاص، بـشكل نهائي، من الحدود التي كانت تحول دون شموليته. وفي هذه المرة أيضاً، لم تُفهم اقوال يسوع الواضحة، ولم تُحقَّق إلا بعد تلمّسات، وبعون الروح القدس.

ويضيف متى: "**... وعمذوهم باسم الآب والابن والروح القدس**" (متى ٢٨: ١٩). لقد كان الرسل، في الواقع، ومنذ البعثة الاولى، يعمذون؛ وكان التغيير في السلوك ومغفرة الخطايا يتمّان بالعماذ.

وهنا تطرح هذه الصيغة مشكلة: "باسم الآب والابن الروح القدس". ونتساءل احيانا إذا كان يسوع قد قالها، كما وردت، منذ ذلك الحين؟ سيما وانها لم تظهر، بعد ذلك، في سفر اعمال الرسل، حين كانوا يعمذون باسم المسيح. ويعترف لاهوتيون، من امثال القديس توما الاكويني[٢]، بان الصيغة العماذية، في البدايات، كانت على الاكثر مسيحانية فقط، وليس ثالوثية. ومن المحتمل ان تكون الصيغة التي نقلها متى هنا، قد تجاوبت مع الاستخدام الليتورجي المألوف في زمانه، في حدود العام ٧٠ او ٨٠. ويكون متى قد حررها بعفوية، كما لو انها كانت قد انتشرت؛ وليس هنا ما يدعو إلى القلق. فهناك ظاهرة مشابهة نلاحظها بصدد الاقوال السرية في الافخارستيا، إذ نجد الصيغ التي عكسها الإنجيليون تختلف قليلاً، وفق الاستخدام الليتورجي في زمانهم؛ فلقد كانت للكنائس، كما هي الحال الآن، صيغ مختلفة، وإن كان جوهرها واحداً.

من هذا المنطلق، سجّل متى كلمات العماذ، وفق الصيغة المألوفة في زمانه. ولا ينبغي ان نستنتج بان يسوع لم يوحِ بسر الثالوث الاقدس، او ان الأمر بالعماذ لا يرقى إليه. فان عبارة "الاب والابن والروح القدس" انما هي خلاصة تعليمه كله، من خلال الكثير من الاقوال: "ابي ارسلني"، "آتي من قبل أبي"، "سأعطيكم روحي" الخ... فأن نطرح تساؤلا بشأن صيغة، في تفصيلها الادبي، فذلك لا يعني اننا نشك بوحي المسيح بشأن الثالوث الاقدس. وهكذا يمكننا ان نعتبر الصيغة التي استخدمها متى "مقحمة" بعض الشيء، إذ ترجّع صدى القاعدة الكنسية في زمانه.

ويقول يسوع أيضاً: "**وعلّموهم ان يحفظوا ما أوصيتكم به**" (متى ٢٨: ٢٠). لا يكفي ان نؤمن أو نكون اعتمذنا وتبنا، بل ينبغي ان نحفظ الوصايا. وان الحياة برمتها يجب ان تواصل الإيمان. وان انقلاب القلب وحمله على تغيير الحياة حسن؛ لكن شريطة ان يكون هناك وعي بان حياة جديدة قد دُشنت، وان عليها ان تعاش يوما بعد يوم. ومن بعد الاندفاع الذي يرافق الاهتداء، واثر الاستنارة التي يحققها العماذ، نجدنا بازاء الحياة اليومية والصعبة، حين يتطلب المثال المسيحي ان نؤدي، يوماً بعد يوم، وما وعَدْنا به الله، وان نعيش حياة الله التي تتطلب تضحيات على صعيد الطبع البشري. يطلب يسوع ولا شك العماذ والاهتداء والاندفاع النفسي، ولكن أيضاً تكميل الوصايا برمتها؛ انه غالبا ما يقولها

---

[٢] الخلاصة اللاهوتية: ٣أ...

في إنجيل يوحنا: من يحبني يحفظ ما أوصيته به؛ ومن لا يحفظ ما اوصيته به، لا يحبني. فان الحب الحقيقي هو الحب المطيع، يوماً بعد يوم.

"**وها أنذا معكم طوال الايام إلى نهاية العالم**" (متى ٢٨: ٢٠). تكرر هذه الكلمات، وإن بشكل مختلف، ما رأيناه لدى يوحنا بصدد البعثة الثالوثية. فالمسيح، مع ابيه وروحه، هو الذي يستولي على المرسَل ولن يتركه لحظة. والمرسَل يعمل من اجل المسيح وباسمه؛ ويتوجب عليه دوما أن يفكر في هذه الحقيقة، ويحترز من ذلك التصور الهزيل بانه هو الذي يتكلم، وهو الذي ينجح! فليس بوسعه ان يفعل شيئا، إن لم يمثّل، بتواضع، الثالوث الاقدس الذي يرسله.

رواية مرقس

لم تكتب خاتمة الإنجيل الثاني بقلم مرقس ذاته، ومع ذلك فهي نص قانوني، وفائدته بالقيمة التي له في حد ذاته. انه يوجز الترائي لمريم المجدلية واللقاء مع تلميذي عماوس والترائي للاحد عشر حين وبخهم يسوع على عدم إيمانهم (مر ١٦: ٩-١٤).

ومن ثم قال يسوع: "**اذهبوا في العالم كله، واعلنوا البشارة إلى الخلق اجمعين** -تلك هي الرسالة الشاملة- **فمن آمن واعتمد يخلص، ومن لم يؤمن يُحكم عليه**" (مر ١٦: ١٥-١٦).

هذا التعارض الذي تقيمه تلك الموازاة السامية، يجب ان يُفهم بشكل ذكي: فمن الخطأ ان نفكر بان أي شخص ليس له الايمان الواضح و لم يُعمَّد يُحكم عليه. لا ينبغي ان نضع في جهنم، كما يفعل بعضهم، كل الذين لم يعتمدوا. فمن الممكن ان يؤمن احد بالمسيح من دون ان يعرفه، او من دون ان يعرفه جيدا، وهو يسير إلى الله ويستخدم، بقلب نزيه، وسائل الخلاص التي يضعها الله في متناوله. وحينذاك نجدنا بازاء ايمان ضمني، شبيه بايمان رجال العهد القديم، هم الذين كانوا يؤمنون بالمسيح من دون ان يعرفوه أيضاً، به نالوا الخلاص.

ان عماذ الشوق هو عماذ الكائن النزيه الذي يتوجه إلى الله، ويخدمه بكل ما اعطي من قدرة، سواء في ديانته اليهودية او الاسلامية او الوثنية اية كانت. فاذا كان مستقيما تجاه الله وتعامل باحسن ما لديه، مع النعمة التي في متناوله، يخلص. وحذار من

التصور بأن جهنم مملوءة! فبالنسبة لي، اعتقد ان اهلها قلائل، إذ ان رحمة الله عظيمة جدا -وان كانت حقارة الإنسان أيضاً كبيرة جدا- والوصول إلى جهنم وتثبيت اختيارنا النهائي فيها، يفترض كثيراً من الفكر والرفض والعناد!! ويعتقد بعض اللاهوتيين انه في نهاية الحياة، ومن بعد الموت الظاهري، هناك اللحظة التي فيها نتحول من عالم إلى عالم، ونرى فيها العالم الحالي يزول، وحينذاك يتوجب علينا ان نقوم بخيار، لله او عليه؛ وعندئذ يتم الاختيار النهائي، وستكون نعمة الله هناك لتدفعنا إلى حسن الاختيار. فاذا نجح احد ان يقول لله "لا"، بسبب حياة منغمسة كلها في الخطيئة والحقد، فليس بوسع الله ان يعمل المستحيل، وانما يحترم حرية الذي يريد ان يحكم على نفسه. ولَكم يصعب البلوغ إلى هذا الحد؛ وليسوا كُثُراً اولئك الذين يريدون ان يبلغوا إلى هذا الحد؛ ذلك انهم، بالرغم من حياة ملأى من الاهواء والانفلات، سيرفعون صرخة من القلب بوسعها ان تخلّصهم: "الهي أشفق على جنوني"!

ليست جهنم عقابا يعدّه الله، وكأنه مراقب يتهدد المجرم: لقد غبتَ عن قداس الاحد، فسيحكم عليك بالموت! يؤسفنا ان ينظر بعضهم هكذا إلى جهنم، ولذلك يرفض البعض الآخر الإيمان بوجوده. ليس بوسع الله ان يعاقب بشدة على هفوات صغيرة، فهو لا يلاحق خليقته! ذلك سوء فهم لدينونة الله. ففي الدينونة، ليس الله هو الذي يعاقب، بل الإنسان الذي، بالرغم من كل جهود الله، يفلح في الرفض ويختار المقاومة؛ ومن ثم، وبعد فوات الأوان، يدرك جنونه ويتمزّق إلى الابد: "بجنوني، اسأت الاختيار". وهكذا يعذّب الهالك نفسه، في حين يكون الله قد بذل كل ما في وسعه ليخلصه.

ومع ذلك، لا ينبغي ان نذهب بعيداً في مفهوم التسامح. يظن بعضهم انه سيكون، في آخر الدهور، عفو عام[٣]. كم يطيب لي ان آمل حدوث مثل هذا العفو، وإن بدا لي متناقضا مع الإيمان. ذلك لان الكنيسة تعلّم، في اثر يسوع المسيح، بان هناك إمكانية عقاب ابدي، طالما ان الإنسان يبقى حرّاً. وهكذا تسير الحرية والعقاب جنبا إلى جنب، إلا ان ذلك لا يضطرنا على الاعتقاد بان جهنم مملوءة! لذا ينبغي فهم هذه الجملة في معناها الواسع: "من لا يؤمن يُحكم عليه".

---

[٣] راجع و. ميكائيليس: (بالالمانية) بيرن، ١٩٥٠، مع تقريري عن الكتاب في مجلة "علم التفسير واللاهوت" (بالفرنسية)، جـ ٢، ص ١٧٢ - ١٧٧.

"والذين يؤمنون تصحبهم هذه الآيات: فباسمي يطردون الشياطين، ويتكلمون بلغات لا يعرفونها، ويُمسكون الحيات بايديهم، وإن شربوا شراباً قاتلاً لا يؤذيهم، ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون" (مر ١٦: ١٧-١٨). اننا نكتشف، من دون صعوبة، العلاقات التي تروى في الإنجيل او في سفر اعمال الرسل. فان السلطان على **"اخراج الشياطين"** كان قد منحه يسوع للتلاميذ، في الإنجيل؛ ونصادف أيضاً حالات طرد، في اعمال الرسل (رسل ١٦-١٨). **"يتكلمون بلغات جديدة"** : انها موهبة اللغات التي لمسناها في العنصرة، ومن ثم، حين نزل الروح القدس على قرنيليوس ومهتدين آخرين (رسل ١٠: ٤٤-٤٦؛ ١٩: ١٦). وتذكّر عبارة "يمسكون الحيات" بقصة بولس في مالطا، حين أمسك، في غابة، بحيّة مسترخية لدغته من دون ان تصيبه بأذى (رسل ٢٨: ٣-٥). وكان يسوع قد سبق واعلن (لو ١٠: ١٩) لتلاميذه: "لقد اعطيتكم قدرة على سحق الحيات والعقارب... ولا يصيبكم اذى". وإذا لم يُذكر شيء، في الإنجيل، عن **"شرب سُمّ قاتل من دون اذى"**، إلا ان المسيحيين الاولين رَووه عن يُسطس برسابا. واخيرا، فان **"وضع اليد على المرضى"**، نجده في الإنجيل واعمال الرسل.

ويمكن ان يبرز الاعتراض: لا يقوم المسيحيون المعاصرون بمثل هذه العجائب، فماذا من رسالتهم؟ لايمكن ان نطالب المبشّر الحالي، في اي بلد كان، بتلك العلامات الواقعية، وقد كتبت باسلوب رؤيوي، في عصر معين. لقد كانت ضرورية، في زمن كانت الوثنية فيه منتشرة، بينما كانت المسيحية في بداياتها، و لكن ضرورتها اليوم ليست بعين المقدار.

كان الرسل مدفوعين بقوة من الله تجعل قدرتهم عشرة اضعاف، حتى على المستوى البشري، وكانت هذه القوة تمكنهم من صنع امور ليس بوسع إنسان لوحده ان يفعلها. ففي حياتنا الشخصية او الجماعية، توجد مثل هذه العلامات، ولكن في شكل آخر. كما ان الأسر الرهبانية المختلفة عرفت بدايات بطولية، وقامت في الفقر، مؤسسات تجاوزت كل قدرة بشرية، بالرغم من مقاومة السلطات السياسية لها. وهناك نشاطات ولدت من لا شيء -وكانت الدراهم تأتي من حيث لا احد يدري- لأن الله كان من ورائها. وهناك اشخاص عرفوا في حياتهم نجاحات غير متوقعة كليا، كخوري أرس وغيره من غير البارزين، ومن ثم تجاوز اشعاعهم وفاعليتهم الفائقة وسائلهم البسيطة. فتلك هي

العلامات الحقيقية للمبشر. فليس هناك حاجة البتة إلى سُمّ اوحيّات، إذ ان قدرة كلمة الله في الكنيسة والمرسَلين والمؤمنين، هي العلامات الوحيدة المرجوة. فلا يمكن ان نتوق إلى صنع المعجزات، ولكن بامكاننا ان نعتمد على قدرة الله، مع فطنة حكيمة، ونذهب إلى امام من دون جبانة.

الصعود[٤]

هذا المشهد النهائي من حياة يسوع، يرويه لنا لوقا ومرقس. "**ورفع يديه فباركهم. وبينما هو يباركهم، انفصل عنهم ورُفع إلى السماء**". (لو ٢٤: ٥١). ويقول مرقس: "**وبعدما كلّمهم الرب يسوع، رُفع إلى السماء وجلس عن يمين الله**" (مر ١٦-١٩).

يجري الحدث، بحسب لوقا، في مساء احد القيامة. فلا نلاحظ أي انقطاع في روايته: التلميذان يذهبان إلى عماوس، ويعودان على الفور، ومن ثم يتراءى يسوع في العلية، ويريهم يديه ويأكل معهم ويكلّمهم ويرسلهم للتبشير، ثم يقودهم إلى بيت عنيا، ويرتفع إلى السماء. فكل شيء يجري يوم الفصح، وليست هناك اية اشارة إلى تغيير في اليوم. وفي سفر اعمال الرسل (رسل ١: ٣)، نقرأ بان الصعود قد جرى بعد اربعين يوما. اما مرقس، فلا يوضح شيئا. فماذا نختار؟

كان اللاهوتيون القدامى ومعظم الشهود يضعون صعود الرب، في يوم القيامة بالذات. ذلك هو الحل الافضل على الصعيد اللاهوتي. فيسوع لم ينتظر، في مغارة بأورشليم، كي ينفتح باب السماء. فمن اللحظة التي خرج فيها من الموت، دخل الحياة. فماذا، إذن، بشأن الصعود من جبل الزيتون؟ انه يُعتبر الانطلاق الاخير. ذلك ان يسوع، بعد ان صعد إلى السماء، ارتضى ونزل من جديد، عبر ترائيات -ومثل هذه التعابير هي في غير محلها، إذ ان عالم الله ليس عالما شبيها بعالمنا، وانما له بُعدٌ آخر. انه يعيش في عالم آخر، ولكنه يتجلى أيضاً في عالمنا، كي يمنح براهين على انه حي، ويعلّم المؤمنين ويشجعهم. ويتحدث لوقا عن فترة ٤٠ يوما، وهو رقم يبدو ذا مغزى.

---

[٤] راجع ب. بنوا "الصعود" في المجلة البيبلية (بالفرنسية)، مجلد ٥٦، ١٩٤٩، ص ١٦١-٢٠٣ وقد نشر المقال مجدداً في مجلة "علم التفسير واللاهوت" (بالفرنسية)، جـ١، ص ٣٦٣- ٤١١.

بعد ذلك الوقت، نرى يسوع، على طريق بيت عنيا، ومن جبل الزيتون، يترك تلاميذه ويعلن عن ذهابه. لا يدّعي لوقا وصف مشهد مؤثر، ولا رسم لوحة عجيبة، كما تفعل الكتب المنحولة التي يظهر فيها يسوع صاعداً إلى السماء، بمرأى من الملائكة الذين يؤدون له الحناءة. فلوقا يبقى متحفّظاً، ويكتفي بالاشارة إلى سمتين او ثلاث استعارها من العهد القديم، توحي بان كائنا يدخل في المجد، في عالم الله. فالغمام (رسل ١: ٩) هو الوسيلة الضرورية للذهاب إلى السماء: والله ينزل ممزّقا الغمام، بحسب المزامير (مز ١٠٤: ٣)؛ وشهود سفر الرؤيا يصعدون على الغمام (رؤ ١١: ١٢)؛ وبحسب القديس بولس (١تس ٤: ١٧)، سيُنقل الاحياء، لدى المجيء، على الغمام. وهكذا كي يشير لوقا إلى ان يسوع ينتقل من الارض إلى السماء، قال بانه صعد على الغمام. والملاكان (رسل ١: ١٠-١١) هما هنا كي يقدّما شرحاً لاهوتيا للمشهد: لقد ذهب، ولم يعد بيننا، وسيعود في منتهى الازمان. ويجب الا نولي كبير اهتمام للتفاصيل المادية، إذ ان لوقا يقدّم لنا هنا تعليما لاهوتيا، وليس ريبورتاجاً: ازاء الترائيات الحسية في بدء الكنيسة، ترك يسوع رسله بشكل دائم. لقد غاب عن انظارهم، ولن يعود إلا في الدينونة. هذا ما ينبغي ان نفهمه بصدد الصعود من جبل الزيتون، علما بان الصعود الحقيقي، بمعنى الارتفاع العميق في المجد، قد تم منذ القيامة.

اما الجملة الاخيرة من إنجيل لوقا، فهي لنا بمثابة برنامج: "**فسجدوا له، ثم رجعوا إلى أورشليم وهم في فرح عظيم. وكانوا يلازمون الهيكل يباركون الله**" (لو ٢٤: ٥٢-٥٣). ذلك اننا، بعد ان تأملنا في هذه الصفحات من الإنجيل، علينا، على مثال الرسل، ان نحمد الله دون انقطاع، في الفرح، في هيكل كنيسته وفي حياتنا.

الفهرس

مقدمة المعرب	٧
مقدمة المؤلف	١٣
القسم الاول: روايات الالام	**١٧**
ايقونة بيزنطية	١٩
الفصل الاول: النزاع في الجتسمانية	**٢١**
نصوص الازائية	٢٣
رواية مرقس	٢٥
صلاة يسوع	٢٦
رواية متى	٣٠
رواية لوقا	٣٣
عرق الدم	٣٤
شهادة يوحنا	٣٦
ما قبل تدوين الاناجيل	٣٨
الفصل الثاني: اعتقال يسوع	**٤٣**
نصوص الازائية	٤٥
رواية مرقس	٤٩
رواية متى	٥٦
رواية لوقا	٥٩
رواية يوحنا	٦٢
الفصل الثالث: نكران بطرس	**٦٧**
نصوص الازائية	٦٩
رواية مرقس	٧٣
رواية متى	٧٨
رواية لوقا	٨١
رواية يوحنا	٨٤
ما قبل تدوين الاناجيل	٨٦

الفصل الرابع: الاستجواب لدى حنّان والاهانات ٩١
نصوص الازائية ٩٣
١- المثول خلال الليل ٩٥
رواية مرقس ومتى ٩٥
رواية يوحنا ولوقا ٩٧
الاستجواب لدى حنّان والجتسمانية ٩٩
٢- الاهانات ١٠١
مَن وجّه الاهانات؟ ١٠٢
ما هي هذه الاهانات؟ ١٠٢
رواية لوقا ١٠٤
رواية مرقس ١٠٤
رواية متى ١٠٦
الفصل الخامس: يسوع امام السنهدريم ١١١
نصوص الازائية ١١٣
رواية مرقس ومتى ١١٥
معنى كلام يسوع ١١٧
استجواب عظيم الكهنة ١٢١
جواب يسوع ١٢٢
رواية لوقا ١٢٦
انجيل يوحنا ١٢٧
الفصل السادس: يسوع لدى بيلاطس ١٣٣
نصوص الازائية ١٣٥
رواية مرقس ١٤١
رواية متى ١٤٦
رواية لوقا ١٤٩
يسوع امام هيرودس ١٥٠
رواية يوحنا ١٥٣
الاهانات والجَلد ١٥٧

الفصل السابع: الارتفاع على الصليب	**١٥٩**
نصوص الازائية	١٦١
سمعان القيريني	١٦٥
الصليب	١٦٨
على درب الصليب	١٦٨
اللقاء مع بنات اورشليم	١٦٩
الجلجلة او الجمجمة	١٧١
الصلب	١٧٣
اللصان	١٧٤
اقتسام الثياب	١٧٦
ساعة الصلب	١٧٨
الكتابة على الصليب	١٧٨
مواقف الحاضرين	١٨٠
الفصل الثامن: موت يسوع	**١٨٥**
نصوص الازائية	١٨٧
النساء القديسات عند اقدام الصليب	١٩١
يسوع وامه	١٩٢
كلمات يسوع الاخيرة	١٩٦
الظواهر التي رافقت موت يسوع	٢٠٢
الظلمات	٢٠٣
انشق حجاب الهيكل	٢٠٤
اعتراف قائد المئة	٢٠٥
قيامة بعض الموتى	٢٠٥
الفصل التاسع: دفن يسوع	**٢٠٩**
نصوص الازائية	٢١١
رواية مرقس	٢١٣
رواية متى	٢١٥
رواية لوقا	٢١٧
رواية يوحنا	٢١٨
الدم والماء	٢٢١

تدخل نيقوديمس ٢٢٣
حراسة القبر ٢٢٦
القيمة التاريخية لهذه الروايات ٢٢٨

القسم الثاني روايات القيامة ٢٣٣

ايقونة النزول الى الجحيم ٢٣٥

الفصل العاشر: القبر الفارغ ٢٣٧

نصوص الازائية ٢٣٩
النساء القديسات عند القبر ٢٤٣
القبر الفارغ ٢٤٥
رواية يوحنا: اكتشاف القبر فارغا ٢٤٩
التلميذان ٢٥٠
اللفائف والمنديل ٢٥١
رواية لوقا: بطرس عند القبر ٢٥٣
رواية يوحنا: مريم المجدلية عند القبر ٢٥٥
مقارنة بين الترائيات لمريم المجدلية ٢٥٧
خاتمة انجيل مرقس ٢٥٩

الفصل الحادي عشر: الترائيات في عماوس وفي اورشليم ٢٦١

نصوص الازائية ٢٦٣
الاساس التاريخي لترائي عماوس ٢٦٥
رواية لوقا ٢٦٨
المعنى العميق من الرواية ٢٧١
الوجه التعليمي للرواية ٢٧٢
المناخ الليتورجي للرواية ٢٧٣
الترائي لبطرس ٢٧٦
الرسل في العلية. رواية لوقا ٢٧٧
رواية يوحنا ٢٧٨
مقارنة بين روايتي يوحنا ولوقا ٢٧٩
الترائي الثاني في العلية ٢٨٠

الفصل الثاني عشر: التراثي على بحيرة طبرية	**٢٨٣**
نصوص الازائية	٢٨٥
خاتمات انجيل القديس يوحنا	٢٨٧
ترائي يسوع على شاطئ البحيرة	٢٩٠
الصيد العجائبي	٢٩١
اولوية بطرس	٢٩٤
موت بطرس والتلميذ الآخر	٢٩٩
الترائي لبطرس	٣٠١
الفصل الثالث عشر: الرسالة الشاملة	**٣٠٥**
نصوص الازائية	٣٠٨
رواية يوحنا	٣٠٩
رواية لوقا	٣١٣
الشهادة الرسولية	٣١٣
تعليم الاسفار المقدسة	٣١٥
هدف الرسالة	٣١٧
شمولية الرسالة	٣١٧
رواية متى	٣١٨
رواية مرقس	٣٢٥
الصعود	٣٢٨
الفهرس	**٣٣١**

انجزت مطبعة الديوان طبع هذا الكتاب
في التاسع عشر من شهر تموز من عام ٢٠٠٦

كتب للمعرب

* في سلسلة «الفكر المسيحي» (١٩٦٤-١٩٧٠)
- الاعداد: ١، ٩، ١٥، ٢٠، ٢٢، ٣٠، ٤٥، ٤٩، ٥٦

* في سلسلة «كلام الله» / الموصل
- الكتاب المقدس والانجيل/ العدد ٥ — المطبعة العصرية- الموصل ١٩٦٢
- لوقا، انجيلي المخلص/ العدد ١١: الاب دفيل — المطبعة العصرية- الموصل ١٩٦٤

* في سلسلة «الحياة الروحية» / دار المشرق- بيروت
- صلِّ لتحيا: الاب رنيه فوايوم — دار الشرق- بيروت ١٩٨٠ (ط٤، ١٩٩٩)

* في سلسلة «دراسات في الكتاب المقدس» / دار المشرق- بيروت
- الله ابونا/ الرقم ٣٢: الاب جان بويي — دار الشرق- بيروت ٢٠٠٠

* في سلسلة «ابحاث كتابية» / مركز الدراسات الكتابية-الموصل
- قراءة مجددة للعهد الجديد/١ (تأليف) — بيبليا للنشر- الموصل ١٩٩٩
- يسوع الذي من الناصرة/٢: الاب ماري-اميل بوامار — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٢
- قراءة في العهد القديم (ج١: قبل الجلاء)/٣ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٣
- قراءة في العهد القديم (ج٢: من الجلاء الى يسوع)/٤ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٤
- قراءة في العهد الجديد (ج١: الاناجيل الاربعة)/٥ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٤
- قراءة في العهد الجديد (ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا)/٦ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٤
- روايات الآلام والقيامة/٩- ١٠: الاب بيير بنوا الدومنيكي — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٦

* في «ملفات الكتاب المقدس» / م. د. ك- الموصل
- الحديث عن القيامة/ السنة الاولى، ايلول/ العدد ١ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٠
- الافخارستيا/ السنة الاولى، ك١/ العدد ٢ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٠
- ما وراء الموت/ السنة الثانية، تموز/ العدد ٥ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠١
- قراءة في مولّف لوقا/ السنة الثالثة، تموز/ العدد ٩ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٢
- اناجيل الطفولة/ السنة الرابعة، ك٢/ العدد ١١ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٣
- انجيل يوحنا/ السنة السادسة، ك٢/ العدد ١٩ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٥
- ارميا النبي/ السنة السابعة، نيسان/ العدد ٣٤ — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠٦

* كنيسة مار توما، في ماضيها وحاضرها (بطريقة الاستنساخ) — بيبليا للنشر- الموصل ٢٠٠١

"روايات" لآلام المسيح وقيامته، هي بالاحرى "شهادات" ايمانية، في ضوء الفصح والاسفار المقدسة، دونها اربعة "مؤلفين" هم بالاحرى "لاهوتيون" وضعوا قدراتهم الروحية والفكرية والادبية في خدمة مؤمنين من نهاية الجيل الاول "لم يكونوا هناك" (حين جاء يسوع!)، كما لم يكونوا هم انفسهم هناك!

"روايات" صادقة تتسم بالعفوية والحيوية، ودليلنا للدخول الى مضامينها واهدافها اختصاصي كبير كان في طليعة رواد النقد التاريخي والادبي، الاب بيير بنوا الدومنيكي الفرنسي الشهير. لندعه يتحدث في مقدمته:

... ويجد النقد الادبي هنا موقعاً مميزاً. فالانجيليون الاربعة يسيرون جنبا إلى جنب، داعين إلى مقارنة من شأنها ان تبرز سماتهم الشخصية وعلاقاتهم المتبادلة وتقاليدهم المشتركة او المختلفة. فضلا عن مصادرهم وكيف تعاملوا معها...

وسيكون كل انجيل اولا، موضوع قراءة خاصة في حد ذاته، بهدف إبراز سمات الاسلوب والمضمون اللذين ينفرد بهما كل مؤلف. وهكذا يتاح لنا ان نتعرف على لغة مرقس المباشرة ذات اللون الخاص والتي تنقصها الدقة احيانا. ولكنها تتسم مع ذلك بالعذوبة. وعلى تعابير متى التي تبدو مشذبة اكثر، مع كونها اكثر عقلانية، وإن رافقها قليل من الجفاء. كما على اسلوب لوقا الدقيق والرفيع، هو الذي عرف كيف يتشبه بكتاب عصره (...). واخيرا على اللمسة الواضحة والسليمة. ولكنها في منتهى البساطة، لدى يوحنا الذي لم تحل قلة الوسائل الادبية دون تحليقه في سماء الفكر الرفيع.

وسرعان ما تأتي المقارنة. فهي، مع تأكيدها الكبير على هذه السمات الخاصة، تحملنا على اكتشاف العلاقات الوثيقة بين الانجيليين. وهنا اكثر من اي مكان آخر من الانجيل، نرى متى ينبع مرقس عن كثب ويستخدمه. ولكنه يجمله ويكمله بتفاصيل تغلب عليها البساطة. ولوقا، هو الآخر، يتبع مرقس إلا انه يعرف تقليدا آخر مكنه من الإدلاء بعناصر جديدة وبترتيب افضل للأحداث. اما يوحنا، فهو يتبع تقليده الخاص الذي كان له ولا شك صلات اكيدة مع تقليد لوقا. وسيسمح التعاون بين لوقا ويوحنا من إعادة ترتيب للاحداث في نقاط عديدة هامة...

الاب بيير بنوا

ولد بيير بنوا في نانسي [فرنسا] عام ١٩٠٦. دومينيكيا عام ١٩٢٥. وكاهنا عام ١٩٣٠.

استدعاه الى المعهد البيبلي في القدس عام ١٩٣٢ مؤسسه الاب لاكرانج ليحتل منبر العهد الجديد.

ادار المجلة البيبلية [١٩٥٣ - ١٩٦٨] ورئس من ثم المعهد [١٩٦٤ - ١٩٧١]. وبعد وفاة زميله الشهير الاب ديفو، اشرف على نشر "مخطوطات قمران" [١٩٧١ - ١٩٨٦]. وكان وإياه على رأس اللجنة المشرفة على "ترجمة اورشليم الفرنسية" للكتاب المقدس [Bible de Jérusalem]

وهو ذاته نقل انجيل متى والرسائل الى فيلبي وفيلمون وكولسي وافسس وحرر المداخل الى العهد الجديد [باستثناء المؤلفات اليوحنانية التي قدم لها الاب بوامار].

ولعل من ابرز مؤلفات الاب بنوا "ازائية الاناجيل الاربعة" [٣ اجزاء] بالاشتراك مع الاب بوامار [باريس ١٩٧٢]. وكتاب "علم التفسير واللاهوت" [٤ اجزاء / ١٩٦١ - ١٩٨٢].

توفي في القدس في ٢٣ نيسان ١٩٨٧ بعد اكثر من نصف قرن في خدمة الكتاب المقدس.

منشورات مركز الدراسات الكتابية
كنيسة مار توما
الموصل - العراق

يطلب من مكتبة بيبليا
سعر النسخة : ٦٠٠٠ دينار

الديوان للطباعة والتصميم - بغداد [العراق]
موبايل ٠٧٩٠١٩٢٠٤١٤

Pierre Benoit

Passion et Résurrection du Seigneur

سلسلة ابحاث كتابية ٩ / ١٠

روايات الآلام والقيامة

نقله الى العربية الاب بيوس عفاص